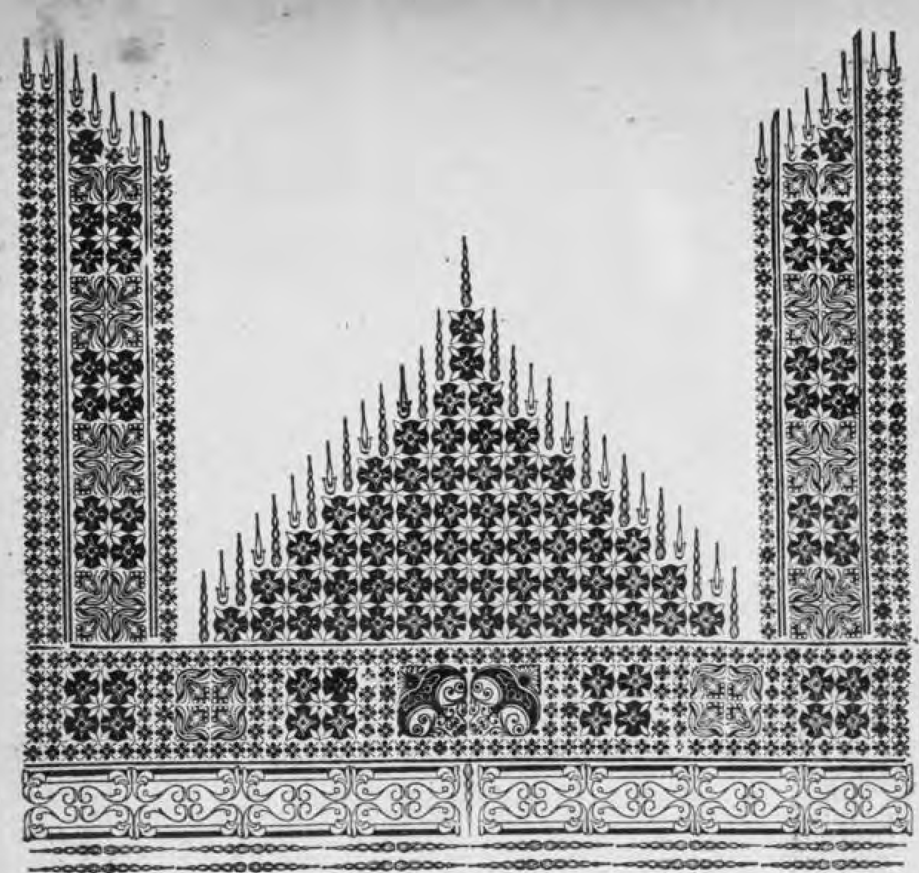


الجزء الاوّل
من كتاب تفسير بشارة الفاضل
يوحنا رسول يسوع المسيح
من قول المغبوط
يوحنا ذهبي
الفم

طبع بمطبعة الوطن سنة ١٦٠١ للشهداء

الموافق سنة ١٨٨٥ افرنجيه

2220



بسم الاب والابن والروح القدس الاله الواحد له المجد دائما

المقـــــالة الاولى

في ذكر يوحنا الرسول الانجيلي

ان معاني الجهادات التي خارج محلتنا متى علموا ان مجاهدا اجليدا متكلا قد جاء
من ناحية من النواحي يتحاضرون كلهم حتى يعاينوا مصارعاته وصناعته وقوته
كلها ويبصر هناك مشهدا كاملا من أناس كثيرين جزيل عددهم مادين
اليه عيون جسدهم وألحاظ سريرتهم كلها حتى لا يفوتهم صنف من
أصناف جهاده وان حضر أيضا مغني عجيب فان هؤلاء باعيانهم يوعبون
المشهد على مثال ما قلنا ويهملون الاشغال التي في أيديهم كلها وربما
كانت ضرورية يستحثهم اضطرارها ويصعدون فيجلسون بحرص جزيل
سامعين أغانيه ونقراته متصفحين اتفاقهما كليهما ونظامهما فهذه الافعال

بفعلها

يفعلها الاكثرون الان الحذاق في أقوال الخطابة يعملون هذا العمل
بعينه أيضا بحضرة الخطباء لان هؤلاء قد يوجد لهم مشاهد وسامعون
وتصفيق واجلاب وتصفح في غايته لما يقال بحضرتهم فائن كان رجال
خطباء وزمرة ومجاهدين تجلس لبعضهم اناس ناظرين اليهم ولبعضهم
اقوام يبصرونهم ويستمعون أقوالهم ونغماتهم فكم بالحري يجب علينا نحن
أن نورد حرصا ونشاطا في الاستماع ليس من زامر ولا من خطيب ولا من
مجاهد منحدر الآن الى الجهاد لكن في الاستماع من رجل متكلم من السموات
مبديا صوتا ابهى من صوت الرعد لانه قد ضبط كافة المسكونة ووصل اليها
وملاها بصياحه ليس بعظم ضجيجه بل بتحريكه لسانه بالنغمة الالهية
والمستعجب من ذلك ان صياحه اذ هو بهذه الصفة عظيم فمع ذلك اذا ليس هو
خشنا ولا مكروها لكنه اشد لذة من كل نظام موسيقي وآثر ترتيبا عارفا
ان يطرب اكثر اطرابا وهو مع هذه الاوصاف كلها اقدس النغمات
واليقها موعبة معاني قد عدمت التكلم بها جزيلا تقديرها حاملا فوائد
صالحة هذا مبلغها يخصها أن تجعل الذين يستقنونها باستقصاء ونشاط
ويحفظونها ان لا يكونوا بعد ذلك اناسا ولا يثبتوا في الارض لكنها تجعلهم
اعلا سموا من املاك الدنيا كلها مؤتلفين بالغاية الملائكية وان يسكنوا
الارض على هذه الصفة كساكني السماء وبيان ذلك ان ابن الرعد
حبيب المسيح عمود الكنائس التي في المسكونة الحاوي مفاتيح السماء
الشارب كاس المسيح المصطبغ بمعموديته المتكي على صدر سيدنا بدالة
كثيرة هو الداخل الآن الى عندنا ليس متظاهرا بخيال ولا ساترا رأسه
بحجاب ولا صاعدا الى برج من خشب ولا صانعا شيئا البتة من هذه الامور
التي كانوا يفعلونها أولئك الفلاسفة الذين هم خارج محلتنا لانه ليس اذا
يقول اقوالا يتوجه الطعن عليها كالتي لاولئك ولا يصادم برجله رقصا

كمثلهم ولا متزينا بحلة من الذهب نظيرهم لكنه يدخل الى عندنا
مشتملا بحلة حسنها يغتاص الاحتيال عليه لانه يظهر لنا متوشحا بالمسيح
وجلاه لابستان احدية استعداد التبشير بالسلامة حاويا منطقة
ليست تحدق بصدرة كاولئك لكنها اذا تحوط بحقوية ليست من
جلد قرمزى لونه كالتى لاولئك وليست مذهبة من اعلاها بذهب كتلك
لكنها منسوجة من الحق مركبة منه هذا الفاضل يظهر الآن لنا ليس
حاويا مرأة لان ليس عنده مراياة ولا تصنع ولا حديث باطل لكنه
براس عرى يخبرنا بالصدق مكشوفا مجردا وليس هو انسانا مختاف العزم
يحقق عند السامعين منه أوصافا اخرى عن ذاته بشكله بنغمته بنظرته
وليس محتاجا لتخبيره الى الة بمنزلة رباب أو معزفة أو غير ذلك من هذه
الاوصاف وامثالها لكنه يعمل بلسانه كما يريده اذ يبدى نغمة
أيقع من كل عود والذ من كل نغمة موسيقية فتوجد له السماء كلها
معاينة والمسكونة مشهدا ومعاينية وسامعية الملائكة كلهم وجماعة
الذين قد صاروا من اناس ملائكة أو قد اشتهوا أن يصيروا ملائكة
لان هؤلاء وحدهم قد يقدرون أن يسمعوا هذا النظام من قوله بابلغ
الاستقصاء وأن يظهروه بافعالهم وأن يكونوا سامعية على حسبما
يجب أن يكون مستمعة من جهة أن باقى الناس الاخرين كلهم يماثلون
الصبيان الصغار الذين يسمعون الكلام الا انهم ما يعرفون ما يسمعونه
لكنهم مرتبطون بالعابهم الصبيانية متلهفون اليها فعلى هذا المثال هؤلاء
القوم عايشون ابطنهم ضاحكون متنعمون بثروتهم واقتدارهم فربما
يسمعون ما يقال لهم وما يظهرون بافعالهم ولا فعلا عظيما ولا عاليا اذ قد
يجنوا ذواتهم فى دفعة واحدة فى اللبن والطين الا أن القوات من العلو
واقفين لدى هذا الرسول قد اذهلهم حسن نفسه وفهمه وجمال فضيلته

التى

التى بها استجذب هو المسيح واستمد نغمته الروحانية لانه على مثال عود للغناء
جيد النظام مرصع بالجواهر حاو نغماته ذهبية كذلك هذا الفاضل
اصلح نفسه نقولنا اذا ان يصوت بها الينا بالروح قولا عظيما عاليا فسبيلنا
ان نسمع منه هذا الاستماع كمستمعين من عارف اعماق الله من ناقر معزفة
الروح هذه الجليلة لانه ليس يخاطبنا خطابا انسانيا لكن الاقوال التى
يقولها هى من الاعماق الروحانية من تلك الالفاظ التى يمتنع التكلم بها
التى ولا الملائكة عرفوها قبل حدوث هذه الحوادث لان هؤلاء الملائكة
بصوت يوحنا قد عرفوا معنا ما قد عرفناه وهذا المعنى فقد أوضحه
رسول آخر اذ قال حتى تعرف الآن عند رياسات الملائكة وسلاطينها
بكنيستنا حكمة الهنا الجزيل تفننها فاذن كانت رياسات الملائكة
وسلاطينها والكاروبيم والسارافيم بكنيستنا عرفوا هذه الحوادث فمن
أوضح البيان ان هؤلاء قد اجتهدوا فى هذا الاستماع بمسارعة كثيرة لاننا
قد كرمنا بهذا الكريم ليس تكريما يسيرا بان تعرف الملائكة معنا
ما كانوا قد جهلوه ولم يعرفوه وعنيت بقولى انهم عرفوا بنا أى انهم
ما كانوا الى الآن عرفوا من نحن أو أى محل محلنا فسبيلنا نحن ان
نحول للاستماع صمتنا مع حسن زينة توقيرنا ليس اليوم فقط ولا فى اليوم
الذى نسمع فيه لكن ينبغى ان نستعمل ذلك فى كل حين من عمرنا
اذ استماعنا منه كل حين فعل نافع محمود هو وائن كنا نرتاح الى ان
نعرف ما يكون فى قصور الملوك كقولك ما الذى قال متقلد الملك ماذا
افعل ما رأيه فى الناس الذين يروسهم على أن هذه الاخبار طالما لم يصل
الينا منها نفع فاليق وأوجب أن يكون ما قاله الله ماثورا استماعه
وأفضل كثيرا اذ كانت اقواله كلها منفعة لنا فهذا الفاضل يخاطبنا
بهذه الاقوال كلها بابلغ الاستقصاء فيها وهو حبيب المملك علينا بعينه

والبق مايقال انه حاو اياه ناطقا فيما وسامعا منه كافة الالفاظ التى هى روح وحياة لانه قال عز قوله الكلام الذى أنا اكلمكم به روح هو وحياة فسبيلنا ان يكون الآن حالنا فى الاستماع حال اناس قد ابصروا واحدا مستشرقا من العلو من ذروة السماء على غفلة واصفا لهم الاوصاف التى هناك بابلغ الاستقصا فى وصفها ونحاضر كلنا مبادرين اليه لان هذا الرجل الفاضل من هناك يخاطبنا لانه ليس هو من هذه الدنيا على ماقال المسيح الهنا أنتم لستم من هذا العالم وقد اشتمل المعزى ناطقا فيه الحاضر فى كل مكان العارف اسرار الله على هذا المثال معرفة بليغة كما قد عرفت انفس الناس خفياتها واسرارها روح القداسة الروح المستقيم المتام المرشد الى السموات المبدع الحافظا اخرى الذى يجعلنا ان نعاين الحوادث المنتظر كونها كما نعاين الاشياء الحاضرة لدينا الذى يخولنا ان نشاهد بجسمنا ماهو فى السموات فسبيلنا ان نورد له هدو صمتنا كثيرا فى كل حين من عمرنا فلا يلبثن من يدخل الى ههنا عاجزا ولا يكونن نواما ولا متوسخا لكن ينبغى ان ننقل الى السماء ذواتنا لانه يخاطب بهذه الاقوال ههنا المتصرفين هناك لاننا متى لبثنا فى الارض فما نستفيد من هذه الجهة فائدة عظيمة وبيان ذلك أن أقوال يوحنا ليست عند الذين ما يريدون ان يتخلصوا من عيشتهم الخنزيرية شيأ كما ان الاحوال التى ههنا ليست عند ذاك الفاضل شيأ

العظـــــــة الاولى

(فى ان المعتزمين ان يستمعوا اقواله الالهية ينبغى لهم ان يباينوا كل اهتمام دنيوى وافضل لهم كثيرا ان يبتعدوا من مشاهد اللعب) ولعمرى كان الرعد بريع نفوسنا اذ يحوز صوتا قد عدم أن يكون مفهوما الأن صوت

هذا

هذا الرسول ليس يزعج من المؤمنين احدا لكنه يريح سامعه من ارتجافه
وقلقه ويريع الشياطين وحدهم والذين يتعبدون لهم فلكيما
نعرف كيف يريعهم سبيلنا ان نورد الصمت كثيرا الذى من خارجنا
والصمت الذى لسريرتنا وأفضل لنا كثيرا ان نورد هذا الذى لسريرتنا
لان ما منفعتنا ان يكون هنا صامتا هاديا اذا كانت نفسنا مرتجفة حاوية
اضطرابها واحتباطها كثيرا وانما اطلب أنا ذلك الهدو الذى يكون من
سريرتنا الذى يكون من نفسنا اذ كنت انما احتاج السماع لتلك
فلا تعسفنا اذا شهوة الاموال ولا عشق التشريف ولا اغتصاب الغضب
ولا باقى رهط امراض هوانا الآخر لان سمعنا متى لم يتنق فليس يتجه له ان
يعرف علو ما يقوله هذا الفاضل كما يجب ان يعرفه ولا يمكنه ان يعرف
على ما يجب من هذه الاسرار معناها الرهيب المغتاص وصفه ولا يعرف
الفضيلة الاخرى كلها التى فى هذه الاوحيه الالهية ولئن كان لحن يبدو
من زمر أو من عود ما يمكن احدنا ان يعرفه على ما ينبغى ان لم يعد عقله
من سائر الجهات اليه فكيف يقتدر الجالس السامع اقوالا سرية ان
يفهمها وتكون نفسه وانية مضجعة فلهذا الفرض ينهينا المسيح الهنا
قائلا لا تعطوا للكلاب الالفاظ القدسية ولا تلقوا جواهركم
ولؤلؤكم قدام الخنازير فسمى اقاويله هذه جواهر ولؤلؤا على انها لم تزل
اكرم من الجوهر واللؤلؤ بمقدار كثير اذ لم يوجد عندنا اكرم من هذه
المادة غيرها ولهذا الغرض من عادته ان يقايس لذتها بالعسل مرات كثيرة
ليس ان مقدارها هذا تقديره فقط لكن ليس يوجد عندنا شئ آخر اشد
لذة من هذا العسل ولكى توقن انها تقهر طبيعة الجواهر الكريمة ولذة
كل عسل بافراط كثير فى المقايسة اسمع النبى المتكلم فى وصفها الموضح
سموها اذا بافراط لانه قال انها مشتهاة اكثر من الذهب والجوهر الكريم

كثيرا وانها أشد حلاوة من العسل والشهد لكنها انما هي بهذه الصورة عند الاصحاء المعافين ولذلك استثنى بقوله لان عبدك يحفظها ووصفها أيضا في موضع آخر حلوة واضاف الى ذلك في حلقي لانه قال ان اقوالك حلوة في حلقي ويحفظ أيضا افراط حلاوتها عند قوله أكثر من العسل والشهد في فمي لانه كان قد عوفي وصح جدا فلا نتقدم نحن اليها ونكون سقيمين ولكن اذا داوينا انفسنا وشفيناها بعد ذلك نقتبل الغذاء بها لاني لهذا السبب تقدمت فقلت أقوال الاجزيلا مبالغها ولم اصل بعد الى هذه الاقوال حتى يطرح كل منا حال مرضه ويدخل على هذا نقيا طاهرا كداخل الى السماء بعينها متخلصا من غضبه واهتمامه واجتهاد دنياه ومن باقي امراض عزمه لانه ما يتجه له ان يستفيد ههنا فائدة عظيمة على نحو آخر اذا لم يكن أولا على هذا النحو قد نظف نفسه ونقاها فلا يقولن لي أحدكم ان الوقت الذي فيما بينه الآن وبين الالتيام المنتظر كونه ههنا قصير لان ممكن ان ينقل أحدنا طريقته كلها ليس في خمسة ايام لكنه يتجه له نقلها في لحظة واحدة لان قل لي ماذا يكون اشر من اص قاتل الناس افما هذا الصنف من الرذائل واصل الى الغاية القصوى من الرذيلة الا انه مع ذلك وصل في الحين الى سمو الفضيلة وحصل في الجنة بعينها وما احتاج الى ايام ولا الى نصف يوم لكن الى لحظة صغيرة فمن هذه الجهة حصل انتقالنا ممكنا بغتة ونقتدر ان نصير من طين ذهبا لان اذا ديست افعال الفضيلة والرذيلة في طبيعتنا حصل انتقالنا اليهما سهلا متيسرا علينا متخلصا من كل ضرورة لانه قال عز قوله ان شئتم وسمعتم مني اكلتم خيرات الارض ارأيت اننا انما نحتاج الى الارادة وحدها ليس الى أرادة الا كثرين هذه المشاعة فقط لكننا انما نحتاج الى الارادة الحريصة اذ قد عرفت اننا كنا نريد ان نطير الآن الى السماء لكننا يجب علينا ان نوضح بافعالنا ارادتنا

لان

لان التاجر يريد ان يستغنى الا انه ما يقف مراده عند هذه الهمة فقط لكنه يصلح سفينة ويجمع نواتية ويستصحب مدبرا ويصلح السفينة بحوايجها الاخر كلها ويستقرض ذهبا ويعبر لجة ويمضى الى ارض غريبة ويصبر على صنوف من الخطر كثيرة وعلى الشدائد الاخر كلها التى قد عرفها السائرون فى البحر فعلى هذه الصورة يجب علينا نحن ان نوضح ارادتنا لاننا نحن أيضا نسير سيرا بحريا ليس هو من أرض الى أرض لكنه سيرا من الارض الى السماء فسبيلنا ان نصلح فكرنا لتدبير يلائمنا ويصاعدنا الى العلو ونجعل له نواتية قبولين منه وسفينة قوية حتى لا تتفرق فى نائبة وكآبة عالية ولا ترتفع بروح التجبر لكن تكون متشمرة خفيفة فان اصلحنا على هذا الحال سفينتنا ورتبنا فيها على هذه الصفة مدبروها ونواتيتها فنسير برياح ساكنة ونستجذب ابن الله المدبر الصادق الى ذواتنا الذى ليس يهمل السفينة أن تغرق عندنا لكن ولو هبت رياح جزيل عددها فهو ينتهر الرياح والبحر ويخترع بدلا من التزعزع والاختباط سكونا كثيرا فسبيلكم ان تصلحوا ذواتكم هذا الاصلاح اذا جئتم الى ههنا فى التيامكم التالى ان كان لكم غرض تجتهدوا فيه ان تسمعوا قولا من الاقوال النافعة وان تخزنوا ما يقال لكم فى انفسكم فلا يكونن أحدكم طريقا ولا يكونن أحدكم صخرة ولا يكونن أحدكم مملوا شوكا بل فلنفلح لانفسنا فلاحات نقية فاننا على هذه الجهة نطرح نحن البزور فيكم بنشاط أن رأينا أرضكم نقية نظيفة وان رأيناها خشنة حجرية فاصفحوا لنا اذ لم نشأ أن نتعب تعبا باطلا لاننا ان اهتممنا ان نزرع فانما نبتدئ أولا ان نقلع الشوك ومن غباوة وأصله الى غايتها أيضا أن نطرح بزورا فى أرض قد عدمت أن تكون معمولة وما ينبغى للمستمتع بهذا الاستماع أن يشارك المائدة الشيطانية لان ما هى الشركة

فيما بين العدل وبين مجانبة الشريعة ان قد وقفت لتسمع من يوحنا
وتتعلم منه أقوال الروح افيجوز لك بعد ذلك ان تذهب فتصير سامعا من
نسوة زانيات متكلمات أقوالا قبيحة متظاهرات بافعال اقبح منها ومن
فاسقين ملطومين ولاطمين بعضهم بعضا فكيف تقدر ان تتنظف
تنظيفا جيدا اذا كنت تتمرغ في حماة هذا مقدار كثرتها لان ما حاجتي
ان أصف كثرة الشناعة الكائنة هناك صنفا صنفا لان كلما هناك ضحك
كلما هناك خزي كله عار ثلب واغتيالات كله فساد فهانذا اتقدم
فاقول وأوصيكم كلكم الا يفسدن احد من المستمتعين بهذه المائدة
نفسه بتلك المعانيات النافثة فيه سمها فكلما يقال ويعمل هناك فهو
شهوة شيطانية وقد عرفتم أنتم المتعلمون سر المعمودية أية مواثيق
وثقتموها عليكم انا وأوجب ما يقال انكم وثقتموها للمسيح عليكم
اذا وعمدكم هو على سره وقد عرفتم ما قلتموه لديه تعالى وما خاطبتموه به
في اجتناب الشهوة الشيطانية وكيف باينتم مع الشيطان رسله أيضا وشهوته
هذه ووعدتموه بانكم لا تترقون الى هناك فذلك خوف ليس يسيرا
فلا يكونن أحدكم غادرا ازاء ثلا حفاظه فيغدر بمواعيد هذه شروطها
فيجعل ذاته عديما ان يكون أهلا لهذه الاسرار ماترى كيف يدعى الى
دور الملوك ليس الذين صادموهم بل المكرمون عندهم اذا ساهموا عزمهم
ويرتبون في جملة احباء الملك ونحن قد جاء الى عندنا شفيع من السماء
قد أرسله الهنا بعينه يخاطبنا في معاني ضرورية فقد اهملتم أنتم ان
تسمعوا ما الذي يريده وما الذي يستشفع فيه لنا وجلستم سامعين الحاكين
فلكم صواعق تكرن هذه الافعال موهلة لها فكما انه ما ينبغي لنا ان نساهم
مائدة الشياطين فكذلك ما ينبغي أيضا ان نساهم سماع الشياطين
ولا ينبغي لنا ان نجيء بثوب وسخ الى مائدة بهية ممتلئة خيرات جزيل عددها

التى قد أصلحها الهنا بعينه لان قوتها يبلغ تقديرها الى ان ترفعنا بغتة الى السماء بعينها ان اصغينا اليها فقط بسريرة عفيفة وذلك ان المترنم عليه بالاقوال الالهية ترنما دائما ليس من شانه ان يلبث فى هذه المذلة الحاضرة لكنه يلازم الضرورة يتريش فى الحين و يطير الى الصقع العلوى بعينه ويحظى بالنعم الصالحة بدخائرها المغتاص علينا ان نعرفها التى فليكن لنا كلنا ان ننالها بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفه الذى به ومعه لابيه المجد مع الروح القدس الآن ودائما والى اباد الدهور آمين

المقالة الثانية

فى الابتداء كان الكلمة

لو كان يوحنا ازمع ان يخاطبنا وان يذكر لنا أقواله لكان يلزمنا اضطرارا أن نصف جنسه ووطنه وتربيته واذ ليس يخاطبنا هو لكن الهنا به يخاطب طبيعة الناس فتصفح هذه الاشياء يوجد عندى وعلى حسب ظنى فضله زائدة وجانحة عن الاعتدال والليق ما يقال ان ليس التماسها على هذا النحو بفضله زائدة لكنه ضرورى لازم جدا لانك اذا عرفت من كان ومن أين وممن افرع وما هو محله وسمعت بعد ذلك صوته وفلسفته كلها حينئذ تعلم علما يقينا ان هذه الاقوال ما كانت اقواله لكنها أقوال القوة الالهية التى حركت نفسه فان سألت ايما هو وطنه اجبتك ما كان له وطن من الاوطان المعظمة عند أهل الدنيا لكنه كان ضيعه حقيرة ومحلة احقر من غيرها ما تنشئ شيأ صالحا لان الجليل قد ذمه الكتاب اذ قالوا لنيقوديموس ابحث واعرف أن من الجليل ليس يقوم نبى وقد ثلبه الاسرائيلى الحقانى اذ قال أمن الناصرة يمكن ان يوجد شئ صالح فكان

اذا هذا الانجيلى من هذه الارض وما كان من محلة نبيهة بل ولا معروفة
من اسمها من هناك كان هذا الفاضل ابن اب صياد فقير
هذا الفقر الذى أوصله الى أن يستميل ولديه الى صناعته هذه بعينها وقد
عرفتم كلكم أن ليس يوتر صانع بيده ان يجعل ابنه وارثا صناعته اذ لم
يلزمه بذلك فقره الزاما شديدا وهذا المعنى يكون ابين كثيرا اذا كانت
صناعته حقيرة جدا فليس يكون افقر من الصيادين ولا احقر قدرا بل
ولا يكون انقص منهم علما ولعمرى ان هؤلاء الصيادين باعيانهم بعضهم
يكون أعظم من غيرهم و بعضهم أدنى ممن سواهم فاما هذا الرسول الشريف
عندنا فامتلك فى هذه الاوصاف الرتبة الادنى من غيرها لانه ما اصطاد
من البحر لكنه أقام عند بحيرة صغيرة يطوف حولها مع أبيه و يعقوب اخيه
يرفون شبا كاً متقززة وهذا فكان من فقر واصل الى غايته فعلى هذا
الحال ما دعاه المسيح لاجل الادب الذى من خارجه ويتهيألنا ان نعرف
من هذه المعانى انه ما كان قد حصل له من العلم الخارج عن محلتنا ولا مهما
كان منه ونعرف ذلك من جهة اخرى وهى ان لوقا الرسول يشهد اذ كتب
فى وصفه انه ما كان اميا فقط لكنه كان مع ذلك قد فاته العلم بالكتابة
والكتب وذلك على جهة لواجب لان من كان بهذه الصفة فقيرا
ما قد حضر فى اسواق المدينة ولا فاوض اناسا موهلين لتصديقهم لكنه
كان مستمرا فى صناعته بصيد السمك ومتى حضر عنده فى وقت من الاوقات
أحد الناس انما كان يخاطبه فى متاجرة السمك وفى طبخه فما هو
الحال الافضل الذى امل ان يستفده من اصطياد السمك ومن عدمه النطق
وكيف لم يكن مماثل من الاسماك عدمها النطق وفقدها الصوت فهذا
الصياد اذا المتصرف حول البحيرة بالشباك والسمك الذى من بيت صيدا
الجليل الناشئ من اب صياد فقير وكان فقيرا فقيرا فى أقصى غايته

الامى امية فى أقصى غايتها الذى لم يتعلم كتابه لا فى أول عمره ولا فى آخره
فهذا الفاضل بعد كونه مع المسيح سبيلنا أن نعرف ما الذى يتكلم به
ومن أجل أى معانى يخاطبنا هل يخاطبنا فى وصف اشياء فى الاسواق
فى وصف الانواع التى فى الانهار فى وصف العلامات الدالة على خواص
السمك لان هذه الاقوال لعل يتوقع متوقع ان يسمعها من صياد
لكن لا تخافوا لاننا ما نسمع منه قولا من هذه الاقوال وانما نسمع منه
الحامد التى فى السموات والاسرار التى ما عرفها ولا فى وقت من الاوقات
عارف قبله لانه على هذه الجهة جاءالينا حاملا اعتقادات عالية وطريقة
فاضلة وفلسفة جليلة على ما يليق بالناطق من ذخائر الروح باعيانها أفهذه
الاقوال قل لى أقوال صياد أم أقوال خطب بجملة وصفها أم أقوال مغالط أم
أقوال فيلسوف أم أقوال كل مؤدب بالحكمة الخارجة عن محلتنا الالهية
لان ليس يتجه لنفس انسانية ان تتفلسف على بسيط ذاتها بهذه الاقوال الجليل
محلها فى وصف تلك الطبيعة السعيدة الفاقدة ان توجد بالية وفى نعت
قوات الملائكة التى بعد تلك وفى وصف زوال الموت وفى وصف الحياة
المطلوبة خبرتها وفى نعت أجسام مائته وستكون أخيرا عادمة ان تكون
مائته وفى وصف العقوبة وفى نعت مجلس القضاء المنتظر كونه وفى ذكر
العقوبات المأمولة ان تكون وفى أقوالنا الموجبة على أعمالنا المرسومة
لافكارنا وسرائرنا وما الانسان الذى يدعوه انسانا وما العالم وما الانسان
بالحقيقة وما الانسان المظنون انه انسان وليس هو انسانا وما الرذيلة وما
الفضيلة فاى صنوف من هذه قد تكلما فيها أفلاطون وفيثاغورس كما يجب
فهما اذا قدا بتغيا صنوفا من هذه الاصناف الا انهما ما تكلما فى ذلك كما
ينبغى بل اقاويلهما كلها توجد مضحكة وكلاهما ضحكا كثيرا ولست أريد
الآن أن أذكر أحدا من باقى أولئك الفلاسفة اذا غير هذان الاثنان لان

الفلاسفة الآخرين اذا ما ينبغى لنا ان نذكرهم ولا على بسيط الذكر اذ قد
صاروا من هذه الجهة يتزايد الضحك عليهم ولا نذكر اذا أحدا من الفلاسفة
الاخرين بل فلنذكرن هذين الذين قد استجبا عندهم أكثر من غيرهما
ووثق بهما ان يكونا قدوة لعامهم ذلك النفيس عندهم والمعتبر لديهم لان هذين
أكثر من غيرهما قد نظما أقوالا فرادى كتباها فى معنى مذهبهما واعتقادهما
فضحك عليهما فى أفاويلهما أقبح مما يضحك على الصبيان اذ جعلا
النساء مشاعات لكل أهل بلادهم يشتركون فيهن وأقليا عيشتنا كلها
وعكساها وأفسداه فرائض التزويج الشريف واشترعا شرائع غير هذه
هذا معناها يتضاحك الناس عليها فعلى هذه الطريقة أفنياه كافة
عيشتهما وما استبقيا لاحد من الناس أفراطا فى الاستهزاء من أجل
اعتقاداتهما فى وصف نفسنا اذ قالا ان نفوس الناس تصير ذبابا وبقا
ونباتا لاطياه وقد زعما ان الاله بعينه يوجد نفا او شنعا اشناعات غير هذه
وأكثر منها تماثلها وليس هذا القول وحده مؤهلا لثلبه لكن اللجة
الكثيرة من أقوالهم مؤهلة لتفنيدها وثلبها اذ قد قالا أقوالا كثيرة موهلة
للثلب لانهم كانوا كالدائرين فى لجة بحر على هذا المثال من هذه الجهة
الى تلك الناحية كما يثبتوا اذا فى وقت من أوقاتهم على أقوال هى هى باعيانها
بل ضاددوا ذواتهم فيما قالوه اذا تكلموا اذا من هم جزوعه متسكفة
فى غلطها الا ان هذا الصياد لم تكن هذه الحالة حالته لكنه تكلم
بكلما نطق به بابلغ وثاقته ولم يتمايل البتة كانه اذا واقف على صخرة لانه اذ
أهل ان يحصل فى هذه الغوامض باعيانها وحرى سيد البرايا كاهانا طقا فيه
ماناله عارض انسانى وأما أولئك اذ كانت حالهم حال الذين لم يوهلوا
ولا فى نومهم للمشى فى قصور الملوك وسلكوا مع غيرهم من الناس فى السوق
خارجا وحدثوا من تمييزهم على الاشياء التى قد عدمت ان تكون

ملحوظة فضلوا ضلالا كثيرا لما أرادوا ان يتكلموا فى وصف البرايا
الفاقدة ان تكون ملحوظة وصادم أحدهم الآخر فى هذه الضلالة بعينها
بمنزلة عميان وسكارى يتصادمون وماصادم بعضهم بعضا فقط لكنهم
قد صادموا مع ذلك ذواتهم اذ قد انتقلوا دائما الى معانى كثيرة فى أقوال
واحدة باعيانها الان هذا الخائب من معرفة الكتابة والكتب
الامى الناشئ من بيت صيد الى زبدى ولو ضحك الوثنيون دفعات كثيرة
على بلادة الاسماء التى فى بشارته فلست أقول قولا آخر غير ذلك ولا أخشى
اذا من التكلم به لان هذه اذا قد تكلم بها هو بمجاهرة كثيرة فاذا لست أخشى
الآن من ذكرها ولو ضحك أولئك الوثنيون على ذلك دفعات كثيرة فلست
استحى من ايرادها بل أتكلم بها بمجاهرة كثيرة اذ هى اذا جليلة وبهية لان
على نحو ما تستبين ان الناس عندهم أعجمية متبعدة من أدبهم على هذا النحو
نستبين أقوالنا ألمع فورا لان اذا تكلم الاعجمى الفاقد علم الكتب هذه
الاقوال وأمثالها التى ماقد عرفها أحد من الناس الذين فى الارض فى
وقت من الزمان أفما يكون ذلك أمرا عظيما ثم انه اذا ما تكلم بها
فقط على انه لو كان انما فعل هذا الفعل وحده لكان استعجابة عظيما
اذا فالان قد خولنا دلالة أخرى أعظم من هذه تدلنا على ان هذه الاقوال
التى يقولها هى هاجة من الله وهى استمالتها سامعيها كلهم فى طول الزمان
كله الى قبولها فمن اذا لا يستعجب القوة الساكنة فيه لان هذه الدلالة
العظيمة التى ذكرتها تدل على انه لم يشترع اشتراعا من ذاته فهذا العجمى
اشتمل بكتابة بشارته على المسكونة كلها وهو مضبوطا بجسده فى وسط
بلد آسيا الذى فيه اذا تفلسف كافة رهط بلدا يلاده تفلسفهم القديم فهنالك
اذا حصل هذا الفاضل مرهوبا عند الشياطين لا مع اقيما بين أعدائه
مزيلا ظلامهم هادما قلعة الجن فهو اذا أى ذلك الفاضل قد خبط بجسده

فى وسط بلد آسيا وانصرف بنفسه الى ذلك الصف العظيم العجيب البديع
ولعمرى ان فرائض الوثنيين خمدت وتغيبت كلها الا ان فرائض هذا
الفاضل تصير كل حين ألمع نورا لان منذ حين هذا السعيد وباقى الصيادين
صمتت اذا أقوال فيثاغورس وبطلت فرائض أفلاطون المظنونة فيما
سلف انها تثبت وها أكثر الناس اذا خفايا يعرفونها ولا من الاسم الدال
على صاحبه مع ان أفلاطون على ماذكروا قد استرق أقواما مغتصبين اذ
جمع فى الغى معهم واستصحب رفقاء كثيرين وسار فى البحر الى جزيرة سقلية
وفيثاغورس توجه الى بلد غلاطية العظيم صقعة وحرك من سحره صنوفا
كثيرة منها مخاطبة البقر لانهم ذكروا انه كان يعمل هذا العمل
وما كان هذا من جهة أخرى الا من جهة سحرة وهذا واضح من ذلك
الوجه أوضح بيانا لان هذا اذا الذى خاطب البهائم على هذه الجهة ما نفع
اذا جنس الناس ولا نفعوا احدا لكنه قد أضره أضرارا عظيما على ان
طبيعة الناس كانت أشد ملائمة لفلسفة الاقوال الا ان ذاك على ماذكروا
قد كلم نسورا وبقرا بسحرة لانه ما جعل الطبيعة العادمة النطق ناطقة
لان هذا الفعل ليس هو ممكنا عند انسان لكنه اختدع الزائل فهمهم بحيلة
وأهمل ان يعلم الناس صنفا من الاصناف النافعة وعلمهم اذا ان أكلهم
الباقلة عديل أكلهم رؤس والديهم وحقق عند الراتبين معه ان نفس
معلمهم قد كانت حينا نباتا لاطيا وصارت حينا نبتا كسائر النبات وصارت
حينا سمكة فاذا ماهو أفا على جهة الواجب أخمدت تلك الخدائع كلها
وغيبت تغيبا تاما نعم على جهة الواجب أخمدت وعلى أصوب القياس
أزيلت الا ان أقوال هذا الامى الخائب من تعلم المكتب لم يكن هذا
الحال حالها لكن السريانيون والقبط والهند والفرس والحبشة
والامم الاخر الجزيل عددها نقلوها الى لغتهم والاراء الواردة منه علمت الناس
العجم

العجم ان يتفلسفوا لانى ماقلت قولا باطلا ان المسكونة كلها صارت له مشهدا لانه ما أهمل الناس الذين قبيلتهم قبيلته وتعب تعبا فارغا فى تعليمه طبائع البهائم العادمة النطق الذى كان من فلسفة زائدة فى الغباوة ومن جهالة فى غايتها ولكنه اجتاح هذا المرض مع غيره من الامراض التى للهوى فاجتهد فى غرض واحد فقط وهو ان تتعلم المسكونة كلها عملا من الاعمال النافعة المقتدرة ان تنقلها من الارض الى السماء ولهذا الغرض ماستر تعليمه بغيم وظلام كما فعل أولئك اذا صدروا فى تكلمهم اغماضه بمنزلة سترا للمعانى الردية الموضوعة فى باطنه لكن أراء هذا الفاضل واعتقاداته هى أبين ظهورا من شعاعات الشمس فلذلك بسطت لجميع الناس الذين فى المسكونه لانه ما أمر الذين يتقدمون الى تعليمها ان يصمتوا خمس سنين على حذو ما أمر وا أولئك ولا علم هذا التعليم ان تجلس الناس عند المعلمين كمن يجلس عند حجارة فاقدة الحس ولا نطق بكذب يحاكى الحق عند تحديده ان كلما يتوخاه المعلم يوجد فى عدد التأجيل المحدود فاذا هذا الفاضل ما صنع هكذا لكنه استطرح عن كافة البرايا هذه الكراهة الشيطانية وفسادها ومزج فى ألفاظه سهولة يبلغ تقديرها الى ان يوجد ما يقوله كله واضحا ليس عند رجال فهماء فقط لكن يستوضح معانيه أيضا عند نساء وصبيان وبيان ذلك ان أقواله هذه صدقت عند جميع الذين سمعوها انها صادقة نافعة ويشهد بصحة ذلك كافة الزمان الكائن بعد ذلك السعيد لانه استجذب المسكونه كلها الى ذاته واستخلص معيشتنا من كل مضادده بعد استماعها أقواله هذه النافعة ولهذا السبب نؤثر نحن الذين قد سمعناها ونختار ان ننفصل عن نفسنا وذلك أفضل عندنا من انحرافنا عن الاراء التى سلمها الينا وذلك اذا يبين هذا المعنى ويجعله واضحا فى هذا الموضع وفى كل مكان أى ان ليس فى أقواله قول انسانيا

لكن التعاليم الواردة الينا بنفس هذا الفاضل المتألهة هى الهيئة سمائية
لاننا ما نعاين فى أقواله وجبة ألفاظ ولا فخامة كلام ولا زينة أسماء
وألفاظ وحسن نظام زائد غير نافع لان هذه الاصناف بعيدة من الفلاسفة
كلها لكننا نشاهد فيها قوة الهية تمتنع محاربتها واعتقادات وآراء قوية
مقدرتها ناجية من الاحتيال عليها وتجود بفوائد صالحة جزيل
عددها أرأيت كم هو الفرق فيما بين تعليم هذا الفاضل وفيما بين تعليم ذاك
الغير نافع ولعمرى ان التعمق فى الشرط المختص بوعد ذاك الفيلسوف
كان على هذه الجهة فضله زائده قد عدم ان يكون مؤهلا لاناس مغالطين
فلاسفة اذا رجال كاملين فى حدود الرجال بل وأليق ما يقال عن ذلك
الشرط المختص بوعد فيثاغورس انه كان قد عدم ان يكون موهلا
للمغالطين الفلاسفة الكاملين فى حدود الرجال لكنه مع ذلك قد
عدم اذا ان يكون موهلا حتى لاحداث زائل فهمهم اذ كانت تلك
التعاليم التى كانوا المتعلمين يتعلمونها فى ذلك الشرط اذا أزال أحد عنها
حجاب زخرفة ألفاظها المستترة به يجدها مملوءة رذالة حتى ان أحد الذين
كانوا يتعلمون عنده فانه بعينه استورد معلمه مستخزيا من هذه الصناعة
جدا وقائلا للقضاة عليه انه هو والذين يتعلمون معه انما يسمعون منه
أى من معلمهم ألفاظا قد قبلت بحسب الاتفاق وعلى بسيط ذاتها ليس
لفظها موشاة باقوال وليست مزخرفة بالفاظ وأسماء لانه قال هكذا
للذين عمل دعوته على أيديهم ليس يليق بى أيها الرجال فى سنى كم هذا ان أدخل
الى عندكم بصورة صبى يتعلم أقوالا هى هكذا بحسب الاتفاق وعلى بسيط ذاتها
وانظر أيها السامع ذلك المضحوك عليه كثيرا أى الذى هو معلمهم لان
الكلام الذى يجعله أن يهرب من طريق انه مستقبح قد عدم ان يكون
موهلا للفلاسفة وهو عمل للصبيان فبذلك الكلام احتال هو بكافة حيلة فعلى

هذه

هذه الجهة كانوا الفلاسفة لان عزائمهم فى كل مكان انما كانت عزائم المباهاة وحدها وليس عندهم شئ للتعجب أكثر من هذا وهذه وأما أقوالهم فما كان فيها شئ غير تزخرفها الظاهر فقط الذى ليس هو شئ وكما انك اذا كشطت من القبور ظاهرها الصقيل بياضها من خارجها تبصرها مملوءة مدة ونتانة وعظاما بالية وكذلك اذا عريت أراء فيثاغورس الفيلسوف من الحسن الظاهر فى لفظها ستبصرها مملوءة رذالة كثيرة مرفوضة وقد يستبان جهله جدا اذا تفلسف فى وصف نفسنا عند تكريمه اياها تكريما فائقا على الاعتدال لان فخ ابليس المحال ليس فى طباعه ان يتوخى الاعتدال لانه من عادته ان يزيغ الذين اقتنصهم بتكاثر وصفه أحد الصنفين ويستميلهم الى شناعة هذه المذمة لانه اذا أى الذى هو فيثاغورس فانه قال أحيانا ان نفسنا موجودة من جوهر الله وأحيانا بعد ان رفعها هذه الرفعة على جهة تجاوز الاعتدال وباوفر الحاده أهانها أيضا بافراط أخر فى اهانتها بادخاله اياها فى خنازير وحمير وفى أنواع من الحى أكثر من هذه الاصناف هوانا لكن هذه الاخبار سبيلها ان تنتهى الى ههنا وأولى ما يقال انها اذا أى هذه الاخبار قد تجاوزت الاعتدال لو كان يجب لنا ان نتعلم منها فائدة نافعة لوجب علينا ان نثبت فى وصفها أكثر واما ان كنا بمقدار ما نصفها نعاين قباحتها والضحك عليها فسبيلها اذا ان تنتهى الى ههنا فقد دفنات هذه الاوصاف فى ايرادها الآن أكثر مما نحتاج اليه منها فلاجل هذه الاغراض نهمل أحاديث أولئك التى تحاكى الحق بكذبها ونلامس اعتقاداتنا المنحدرة الينا من العلو التى ما تشتمل رأيا انسانيا فهات نحضر هذه الاقوال الى وسط مجمعنا وما تضرعت فيه اليكم فى ابتداء كلامى وهو ان تصغوا الى ما يقال لكم أصغاء بليغا به أذكركم الآن وأضيفه الى ما قلته لكم فان سألت عنما ابتدا به هذا البشير أجبتك انه قال فى الحين مجاهرا فى

الابتداء كان الكلمة والكلمة كان عند الله أرأيت مجاهرته واستثباته الكثير كيف ليس هو مرتابا ولا متمايلا لكنه ينطق باقواله كلها متحققا حقيقتها لان هذه الخاصة فانها خاصة المعلم وهي ان لا يتمايل فيما يقوله لان من يعلم أناس آخرين ينبغي له ان يكون متعلما أولا ومتمكنا فيما قد تعلمه تمكنا كثيرا وفاهما ما قد يقوله فهما بليغا والا ان لم يكن هكذا بل متخلخلا فيما يقوله ومحتاجا الى غيره ليريه ما يجب ان يقوله فسيكون مشتملا على جهة الواجب ليس على رتبة المعلمين لكن على رتبة التلاميذ المتعلمين الا ان هذا الفاضل ينطق باقواله كلها متحققا حقيقتها كتمام القول في وصفه فان قال قائل فما رأيه ان ترك العلة الاولى التي هي الاب وخاطبنا في الحين في وصف العلة الثانية التي هي الابن أجبناه كف يا هذا من هذه الالفاظ التي ليست هي عندنا ولا تدخل في اعتقادنا اذ اننا نستعفي من ان نقول العلة الاولى والعلة الثانية لان هذه الاقوال ليست هي أقوالنا لان الذات الالهية هي أعلى من هذه المعاني ومن تتابع الازمان اذ ليس فيها شئ سابق وشئ لاحق ولا فيها شئ غير معادل في الجوهر والازلية فلهذا السبب نستعفي من هذه الاقوال التي هي قولك علة أولى وعلة ثانية ونعترف باب موجود ليس من أحد وبابن مولود من أبيه ميلادا بلا ابتداء فاذا اقتبل قولنا هذا قال نعم ذلك لكن لماذا ترك الاب وخاطبنا في وصف ابنه فنقول له لكون ان ذاك اذا أعني الاب كان واضحا عند كل الناس وان كان ليس على انه أب لكنه قد كان واضحا عندهم على انه اله واما الوحيد فكان مجهولا فعلى جهة الواجب سارع للحين منذ مقدمات أقواله ان يحصل في الذين لم يعرفوه المعرفة به ثم ومع ذلك اذا ما صمت عن الاب ولا عن الروح في أقواله في وصف الابن لان ماذا اذا أما قد ذكر في هذا الكتاب بعينه الاب والروح كما قد ذكر الابن نعم لا شك في ذلك

وانظر

وانظر لي بهذا الى فهمه الروحانى لانه اذ عرف ان الناس يكرمون الاقدم الموجود قبل الكل ويجعلونه الهم فلهذا الغرض جعل الابتداء من هذا الموضع أولا واضعا اذا فى هذا الموضع هذه اللفظة التى هى قوله فى الابتداء كان ولم يعن فى ذلك عن ابتداء يحوى ابتداء بل انما عنى فى ذلك عن ابتداء بلا ابتداء أرأيت كيف ينادى بازليته ثم انظر اذا كيف ينادى بلا وقتيته لانه قال عند تقدمه فى الكلام ان الكلمة موجود الها ليس على حذو ما قال افلاطون ان ذلك يوجد عقلا وهذا نفسا لان هذه الاوصاف متنزحة عن الطبيعة الالهية الفاقدة ان تكون بالية لانه تعالى ليس يحوى شيأ مشاعا بينه وبيننا لكنه عز وجل قد انفصل عن المشاركة للخليقة أعنى انه قد انفصل عن المشاركة لها فى ذات جوهرها ليس فى ذات مناسبتها فالابن هو من جوهر الاب بعينه ولهذا المعنى سماه كلمة لانه اذا أزمع ان يعلمنا ان هذا الكلمة هو الوحيد ابن الله حتى لا يظن ظان ان ولادته الامية تقدم فبطل هذا الظن الخبيث بتقديمه اسم الكلمة موضحا ان الابن موجود من أبيه وانه مولود على جهة زوال التألم أرأيت اذا بيان ما قلته انه ما صمت عن الاب فى أقواله فى وصف ابنه ولئن كانت هذه التمثيلات ليست كافية لايضاح جملة المطلوب فلا تستعجب ذلك لان الكلام عندنا انما هو وادافى وصف الله تعالى الذى ليس ممكنا ان يوصف ولا ان يفهم فهما مؤهلا له فلهذا السبب ما وضع هذا الفاضل اسما لجوهره البتة لان ليس ممكنا ان يقال هذا القول ما هو الله أى ما هو جوهره لان هذا المدعو كلمة سيبصره باصر بعد لفظ يسير مدعوا نورا واسمع ذلك اذا زعم كان النور الحقيقى الذى يضئ لكل انسان آت الى العالم فها اذا قد دعاه نورا أرأيت ان هذه الاسماء والتى يدعيه بها لم يكن اذا يضعها لجوهرة لان كما ر القول ليس ممكنا ان

يقال ماهو جوهره عز وجل وانظر كيف يظهره لنا باسماء اذا يدعوه بها
على حسب ذلك الحال أى الحال الذى يكون اذا الاسم الذى يضعه
لبيانه ملائماله فقد دعاه كلمة وقد دعاه نورا فتسميته اياه كلمة فذلك
حتى لا يظن ظان كامر القول ان ولادته ألمية فتقدم وبطل هذا الظن الخبيث
بتقديمه اسم الكلمة موضحا كامر القول ان الابن موجود من أبيه وانه
مولود على جهة زوال التألم وتسميته اياه نورا فذلك لانه هو الذى ينير
الكل فان قلت أفما هو اذا نور قلت لك نعم الا انه ما وضع ذلك اسما
لجوهره لانه كما تكرر القول ليس ممكنا ان يقال ماهو جوهره والا فهو
عز وجل لم يدعى فقط كلمة ونور لكنه يدعى أيضا حياة وحق وطريق وقيامه
وغير ذلك من الاسماء الملائمة للامور التى لاجلها دعى اذا بهذه الاسماء
الان ولا اسما من هذه الاسماء هو أسما لجوهره تعالى اذ هذه الاسماء
انما هى كامر القول ملائمة للامور التى لاجلها يدعى بها فدعى كلمة حتى
لا يظن ظان كامر القول ان ولادته ألمية ويدعى نورا لانه هو النور الحقيقى
الازلى الغير مخلوق وهو الذى ينير الكل عز وجل ويدعى حياة لانه تعالى
هو الحياة الحقيقية الازلية الدائمة وهو الذى يحيى الكل ونحن به
أحياء وبقوة صوته جل اسمه ستحى أيضا يوم الانبعاث حسب قوله تعالى
بان ستأتى ساعة يسمع فيها جميع من فى القبور صوته فيخرج الذين عملوا
الصالحات الى قيامة الحياة والذين عملوا السيآت الى قيامة الدينونة
ويدعى حق لانه عز وجل هو الحق وكلما أظهره لنا وجميع ما أعلمنا به فهو
حق حقيقى ويدعى طريق لانه تعالى هو المرشد الحقيقى وحده جل شانه
ومن يتبعه ليس يضل تائها ويدعى قيامة لان به عز وجل جميع الطبائع
الناطقة والغير ناطقة وسائر الموجودات جميعها ثابتة وقائمة بقوة قدرته تعالى
وهو الذى يقيمنا بعد موتنا منهضا ايانا من القبور بقدرة سلطانه عز وجل
فهذه

فهذه جميعها انما اذا يدعى بها الا لانها اسما لجوهره تعالى بل لانها ملائمة للامور التى لاجلها يدعى اذا بهذه الاسماء وبجملة المعنى ليس يوجد اسم واحد ولا اثنان ولا ثلاثة ولا أسماء كثيرة كافية ان تعرفنا المعانى فى وصف الله تعالى لكن فعل محبوب هو ان نقتدر باسماء كثيرة ان نتشبث نشتبثنا غامضا بالافعال الموجودة فيه عزوجل وانظر كيف انه اذا أى البشير ما وصف اياه انه كلمة على بسيط ذات الوصف بذلك لكنه بزيادة الحاشية فضله اذا من باقى الكلمات أعاينت فلسفته كيف هى أرأيت انى ما قلت قولا باطلا ان هذا البشير من السموات يخاطبنا وانظر اليه للحين منذ مبادى كلامه الى أين استجذب أنفس سامعيه والى أين صاعد تمييز فهمهم لانه أقام نفسا فوق البرايا المحسوسة كلها والغير محسوسة كافة باقتياده ايانا الى هذا المدى الذى لا يحوى غاية أى الذى هو قوله فى الابتداء كان فقد أقامها اذا أى أقام نفسا فوق الارض فوق البحر فوق السماء ويقتادها الى المحل الاعلى من رؤساء الملائكة العالى فوق الكاروبيم والسارافيم السامى فوق الكراسى وفوق الرياسات وفوق السلطات ويستميلها على بسيط ذات الاستمالة الى ان تسافر الى ما يتجاوز الخليقة كلها لانها اذا أى الخليقة كلها تحت ابتداء فها هو اذا يستميل نفسا الى ان تسافر الى ما يتجاوزها ولعلك تقول فى فارأيك ولماذا اصاعدنا الى علو هذا مقدار ارتفاعه هل اقتدر ان يوقفنا الى هذا الموضع فى غاية فاقول لك ما أقتدر البتة على ذاك لان ليس ثم فى ذلك غاية يقف أحد فيها لانه اذا ماذكر ابتداء يحوى ابتداء بل انما ذكر ابتداء بلا ابتداء فاذا ما أوقفنا فى غاية لكن كان أحدنا اذا اقتاد الى وسط اللجة من كان واقفا عند الساحل ناظرا الى مدن وشواطئ وموانى يكون لعمرى قد أبعده من تلك المعاينات الاولى الا انه ما قد أوقف منه ناظره فى مكان لكنه يكون قد

استقاده الى نظر قد فاته تحديد مداه هكذا اذاً وهذا البشير لما اقتادنا الى اعلى الخليقة كلها الكون ان جميعها تحت ابتداء وأرسلنا الى دهور اعلى من كل الحدود باسرها ترك نظرنا متعاليا وما خوله ان يتمسك فى المدى العلوى بغاية من الغايات اذ ليس توجد هنالك غاية لان قولنا انه صاعد تميز فهم أنفس سامعيه فوق البرايا كلها بوضعه هذه اللفظة التى هى قوله فى الابتداء كان لم نعن فيه انه أوصلنا الى غاية من الغايات لانه اذا انما قد ذكر ابتداء بلا ابتداء كما عبر القول فى ذلك لان قوله فى الابتداء كان ليس هو دالاً على معنى آخر الا على انه الموجود دائما ووجوده وجودا قد عدم تحديد مداه أعرفت فلسفته الصادقة وآراءه الالهية أعاينت انها ليست مثل آراء بلاد غلاطية الواضعين لا لهتهم سنين محدوده القائلين ان بعضهم يوجد اشيخ من بعض وأقدم فى سنهم وبعضهم أشب ممن سواهم وأحدث فى عمرهم الا اننا نحن ليس عندنا صنف من هذه الاصناف لانه ان كان يوجد الها على انه لم يزل موجودا فليس قبله أحد وان كان يوجد للبرايا كلها خالق فهو الاول وان كان يوجد للبرايا كلها سيد ورب فالبرايا كلها والدهور هى بعده

العظـــــة الثانية

فى انه يجب على الداخلين الى الكنيسة ان يصغوا الى ما يقال لهم اصغاء بليغا وان يجتنبوا كافة الاهتمام الدنيوى

قد ارتابت ان أسير قولى الى اتعاب أخرى فى تنبيهكم الا ان تميزكم لعله قد كل فيكم فلهذا السبب اذ قد أوصيتكم بما هو نافع لنا فى استماع ما يقال لنا وفى تفهم ما قد قيل لنا أصمت أيضا وان سألتمونى ما هو الذى ذكرته أجيب انى قد عرفت ان كثيرين منكم قد تدوخوا عند طول

ما

ما قد قيل لهم وقرى عليهم وهذا العارض قد يتكون اذا انتقلت نفوسنا
بهموم كثيرة عالمية وكما ان عيننا اذا كانت نقية صافيه يوجد نظرها حادا
وما تتعب فى تاملها الاجسام التى هى ألطف وأدق من غيرها بايسر مرام ومتى
ما انصب اليها من الرأس خلط خبيث أو انبث اليها من المعدة بخار دخانى
تتكون فوق حدقتها غمامة كثيفة ما تتركها ان تبصر ولا صنفا من الاصناف
الا كثف من غيرها بصرا بينا فكذلك هذا المثال من عادته ان يتكون
فى نفسنا أى انها اذا كانت نقية متنظفة وما تشتمل داء يضويها ففى
طباعها ان تبصر الى ما تحتاج ان تبصره ومتى ما تكدرت بامراض كثيرة
لهواها فمن شأنها ان تهلك فضيلتها وما يكون فيها كفاية فتتمكن
بها من عزم من العزائم العالية بسهولة لكنها تكل سريعا وتسقط
وتجمع الى النوم والونية وتدفع ما من شانه ان يقدمها الى الفضيلة والى
الحياة المتولدة منها وما تتقدم اليها بنشاط كثير فحتى لا يصيبكم هذا
المصاب لانى لست أكف من توصيتكم بهذه الوصايا دائما أسألكم
ان تعافوا سريرتكم وتمحوها حتى لا تسمعوا من بولس الرسول هذه
الاقوال باعيانها التى سمعها منه الذين آمنوا من العبرانيين لانه خاطب
أولئك الخطاب الذى حصل عندهم عظيما استعجامه وتصعب عليهم ترجمته
وما كانت هذه الحالة حالة فى طبيعته لكنه قد ذكر العلة فى ذلك فقال
اذ قد صرتم عاجزين فى استماعكم لان من يكون مريضا سقيما فى ذلك
فى طباعه ان يؤذيه الكلام اليسير كما يؤذيه الخطاب الطويل ويظن ان
الاقوال البينة السريع حلها مستعجمة مستصعب ادراكها ولكن
لا يكون ههنا من هذا الحال حاله بل اذا طرد عنه كل هم عالمى
فليستمع بعد ذلك هذه الاعتقادات الجليلة لان سامعها متى ما مسكته شهوة
الاموال ما يمكنه أن يضبط شهوة استماعها على مثال واحد لان نفسنا اذ هى

واحدة فليست فيها كفاية شهوات كثيرة لكن الشهوة الواحدة تفسد الشهوة الاخرى واذا انقسمت تصير أضعف فعلا واذا استظهرت شهوة أخرى فستغنى فى ذاتها كلما تزداد وهذا العارض من شانه ان يعرض لنا لا فى هذه الامور فقط الناشئة من أختيارنا لكن من شانه ان يعرض لنا أيضا حتى فى حبنا الابنائنا انفسهم لان أحدنا اذا امتلك ابنا واحدا وحده فمن عادته ان يحب ذاك الواحد بافراط حبه واذا صار اذا بالبنين كثيرة وانقسمت عليهم أفعال محبته تصير خواص حبه أضعف فعلا فان كان هذا العارض يعرض لنا حتى فى حبنا الطبيعى الذى به نحب أبنائنا المحبوبين الذين يجانسونا بحيث غصب الطبيعة وقوتها فماذا تقول فى الشهوة والمودة الناشئتين باختيارنا أرأيت اذا ولوا من هذا الوجه ان سامع هذه الاقوال الجليل قدرها متى ما مسكته شهوة الاموال ما يمكنه ان يضبط شهوة استماعها على مثال واحد لان ان كان الذين يعشقون الاشياء الفانية متى كان لهم فى شئ منها عشق أكثر وكان لهم فى شئ منها عشق أقل يحرق الاكثر من عشقهم الاقل منه بمعاندته اياه فالذى نقوله اذا فى شيئين متضاددين أليس العشق الاكثر لاحدهما يستظهر اذا على العشق الاقل لاحدهما نعم لاشك فى ذلك فاذا ينبغى لنا ان يكون عشقنا الاستماع هذه الاقوال الجليلة بليغا جدا ليستظهر اذا على عشقنا للاموال لان عشق الاموال ضد هو لعشق الاستماع هذا النافع وقولى هذا اذا لست اشير به للجميع لان قد يوجد كثيرون اذا لا عشق لهم فى الاموال ولا يعتدونها شيأ البتة تجاه استماعهم لهذه الاقوال المفيدة بل انما اشير به اذا الى الذين يحبون الاموال أى أن يكون عشقهم لاستماع هذه الاقاويل العظيم محلها بليغا جدا ليستظهر على عشقهم للاموال وسبيلنا اذا أن يكون حالنا فى حضورنا فى الكنيسة على هذا الحال أى كاننا حاصلون فى السماء بعينها لاننا اذا دخلنا الى

هذا

هذا الموضع فانما ندخل الى السماء   ولست اعنى اننا ندخل الى موضع
منها   لكننا بارتياح ودنا ندخل اليها   لان ممكن ان نكون موجودين
فى الارض وقوفا فوقها   وان نتصور ما هناك فى السماء   وان نسمع
النغمات البادية من هناك   فلا يوردن أحدنا الى السماء اقوال الارض
فلا يهتمن الواقف منكم ههنا بالاشياء التى فى منزله   بل الفوائد المستفادة
من ههنا سبيلها ان نشتمل منزلنا ونتصرف فى سوقنا   أى ينبغى لنا ان نتخاطب
بها دائما ان كان فى منازلنا أو فى السوق   وما يجب ان نثقل كنيستنا باحمال
هموم منزلنا وباوقار الاشغال المجموعة من السوق   لان ما هو ها نحن اذا
قد ندخل الى موقف كرسى التعليم   حتى نكشط عنا فى هذا الموضع الوسخ
الذى اشتملناه من خارجه   فان ازمعنا ان ننفسد فى فراغنا هذا القصير مداة
مما يقال أو مما يعمل خارج هذا المكان   فالافضل كان لنا ان لا كنا
دخلنا فى الابتداء الى ههنا   فلا يتلو أحدكم فى الكنيسة الهموم التى فى
منزله   لكن سبيله ان يعيد فى منزله الاقوال التى استفادها من الكنيسة
فلتكن عندكم هذه الاقوال اكرم الفوائد كلها   فهذه هى فوائد نفسنا
وتلك هى اشغال جسدنا   والحق ما يقال أن الاقوال التى تقال فى هذا
الموضع هى أفضل المنافع لجسدنا ونفسنا   ولهذا الفرض فلتكن هذه
الاقاويل اعمالا مقدمة عندنا   والاشغال الاخرى كلها فلتكن عملا
منحرفا عن همتنا   لان هذه الاقاويل هى مناسبة لحياتنا المأمولة وحياتنا
الحاضرة   واقوال الدنيا لن تناسب حياتنا تلك   ولا هذه ان لم نرتب
على ترتيب الشريعة   بعد ان وصفها هؤلاء الناس الافاضل   لان
ليس يحصل لنا ان نتعلم من ههنا ما سنكرزه فيما بعد   وكيف نعيش فى
ذلك الحين فقط   لكننا نتعلم مع ذلك كيف نسوس حياتنا الحاضرة أيضا
لان هذا البيت هو بيمارستان روحانى   نقصده لكيما نداوى ههنا

الجراحات التى قد تجرحنا بها من خارجه ونشفيها وما نتوجه اليه حتى
تجمع لنا فيه جراحات غير تلك ونذهب بعد ذلك خاسرين لان اذا كان
الروح القدس يخاطبنا وما نصغى اليه فلسنا ما نكون قد غسلنا الادناس
الاولى فقط لكننا نكون مع ذلك اسمد بنا ادناسا غير تلك أيضا فسبيلنا
ان نصغى الى الكتاب عند انكشافه لنا بحرص شديد اصغا كثيرا لاننا
ما نحتاج بعد الى تجارة كثيرة اذا تعلمنا مباديه واصوله باستقصاه بليغ
لكننا اذا تعبنا فى مباديه تعبا يسيرا فسيمكننا بعد ذلك ان نعزى قوما اخرين على
رأى بولس الرسول لان هذا لرسول رفيع المحل جدا وكلامه مملوء معانى
كثيرة وأفضل لنا ان نثبت فيها اكثر من غيرها فلا نسمعه سماعا
منحرفا عن غرضنا لاننا لهذا المعنى نترجم لكم لفظا يسيرا حتى يتيسر لكم
ادراك جميع ما نبينه ولا يفوت ذكركم وسبيلنا ان نخاف ان لا نصير
تحت المطالبة بذلك القول القائل لو لم اجى وا كلمهم لما كانوا حازوا خطيئة
لان ما الفائدة التى نمتلكها أكثر من الذين لم يسمعوا اذا ذهبنا الى منازلنا
بعد استماعنا وما قد حزنا نفعا الا استجابنا ما قد سمعناه فقط انحونا
ان نزرع فى أرض صالحة خولونا ان نستمد اعظم استمداد وان كان
فيكم من قد اشتمل شوكا فليبث عليه نار الروح ومن كان ارضا قاسية
صلبه فليجعلها سمينة لينة باستعماله ما هو من قبل هذا الروح بعينه
ومن كان كافة افكاره تتوطاه فى أرضه فليدخل الى اقصى دواخله
ولا ينطرح للمريدين المسارعة الى اختلاسه بل اذا فليجاهد حتى نبصر حقولكم
مخصبة لاننا اذا اهتممنا بانفسنا هذا الاهتمام البليغ وتمسكنا بهذا
الاستماع الروحانى بايثار التعب فسنتخلص من جميع اشغال الدنيا تخلصا
كافيا وان لم يكن فى دفعة واحدة لكنه سيكون مهلا مهلا فلهذا
الغرض سبيلنا ان نصغى الى ما نستمعه حتى لا يقال فى وصفنا ان اذا نناصما

لان السامع الذى هذه سجيته قل لى ما الذى يزيذبه عن الوحش وكيف ليس يكون اعدم نطقا من كل بهيمة من يكون الله يخاطبه فلا يصغى اليه ولو كان الفعل الذى يرضى به هذا هو أى أن يكون انسانا فمن لا يريد ان يستمع كيف ينبغى ان يحكم هذا الفعل ما الذى يكون شئ آخر ما خلا ان يكون وحشا تفطن فى هذا الفعل الشرير ما اكثر ضرره اذ كان المسيح عز وجل يشاء ان يجعلنا من اناس نظرا الملائكة فننقل نحن ذواتنا من اناس الى وحوش لان انضباطنا بالتعبد لبطننا وبالشهوة والاموال وغضبنا على اخوتنا وغيظنا ورفضنا اياهم ليس هو مناسبا للناس لكنه مناسب للوحوش على ان الوحوش كل منها على ما يقال يشتمل داء واحدا وهذا اذا فهو فى غريزته فاما الانسان الذى قد أخرج رياسته عن تدريب افكاره وسياستها فى الامور الجيدة وانفصل عن الطريق التى ترضى الله فقد ازاغ ذاته الى امراض هواه كلها وليس من شانه ان يصير وحشا فقط لكنه يصير علامة جزيلا صورها وتلونها وماهناك اذاعة واحتى ولامن طبيعته لان الرذيلة انما هى من اختيارنا ومن عزمنا لكن لا صار فى وقت من الزمان ان تجرى هذه التهم فى وصف كنيسة المسيح لاننا تحققت عندنا الاوصاف الفاضلة المدنية الى الخلاص فى وصفكم لكن بمقدار تحققها عندنا بقدر ذلك ما نبتعد عن الاقوال التى تتقدم فتحفظ صحتكم ولا عن صنف ادنى منها الى ان نطلع الى هامة الفضائل وننال الحظوظ الصالحة التى قد وعدنا بها التى فليكن لنا كلنا أن نرزقها بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفه الذى به ومعه لابيه المجد مع الروح القدس الآن وكل أوان

المقـــــالة الثالثة

فى الابتداء كان الكلمة

أن تنبيهى أيضا اياكم فى الاصغاء للاستماع يكون فضله زائدة اذ قد اوضحتم
تنبيهنا اياكم ايضا حاسريعا باعمالكم لان اسراع سعيكم وثبات
وقوفكم واصغائكم ودفع أحدكم الآخر لاجتهاده أن يصل الى المكان
الجوانى الذى منه يحصل لكم النعمة البادية منا أوضح وضوحا عندكم
ومع شدة ازدحامكم وتضاغطكم ما تريدون ان تنصرفوا الى ان ينحل هذا
المشهد الروحانى ومديحكم لهذه الاقوال العظيم محاها واجلالكم اذا
وغير ذلك مما يوضح شوقكم للاستماع الروحانى فان هذه الافعال كلها
وامثالها على بسيط ذاتها هى دلائل على الحرارة التى فى أنفسكم وبراهين
على ايثاركم الاستماع باتم شهوتكم فلذلك تحصل توصيتنا اياكم فى هذا
الباب فضله زائدة بل يلزمنا اضطرارا ان نقول لكم ذلك القول
ونتضرع اليكم ان تبقوا مالكين هذا الحرص وان تظهروه ليس فى هذا
الموضع فقط لكن نسالكم اذا صرتم فى منازلكم أن يخاطب الرجل
لامرأته والاب لابنه فى تذكر هذه الاقاويل وان يتلو ما قد استفاده منا
ويطالب أولئك الذين يسمعونه بحفظ ما قد حكاه لهم ويصدر هذه البضاعة
النافعة الى جميع من يؤثرها ولا يقولن لى قائل ان ابناءنا ما يحتاجون ان
يشتغلوا بهذه الفوائد فانى أقول له انهم يحتاجون ليس الى ان يتفرغوا لها
فقط لكنهم مع ذلك يحتاجون ان يحصلوا فكرهم وحرصهم فيها وحدها
ولكننى مع ذلك بسبب ضعفكم لست أقول هذا القول ولا استميلهم
عن اجتهادهم فى الشغل الخارج عن محلنا كما انى لست اجتذبكم انتم من

اشغال

اشغال مدينتكم لكنى استمنحكم يوما واحدا من هذه السبعة ايام
لتفرزوه لسيد البرايا كلها الذى سوّده بعمها لان كيف ليس هذا الفعل
شنعا هو ان نأمر عبيدنا ان يخدمونا ويتعبدوا لنا طول زماننا كله
ولا نخول نحن الهنا فراغا انقص مقدارا على اننا اذا فعلنا ذلك فان
افعال عبوديتنا هذه كلها ليس من شانها ان تزيد ذاك عزوجل شرفا لان
الذات الالهية قد عدمت ان تكون محتاجة وانما تعبدنا له محصور
فيما يوافقنا ولعمرى انكم اذا سقتم ذواتكم الى مشاهد اللعب فما
تقدمون على الذهاب اليها الا التعاليم ولا شغل آخر من هذه الاشغال
وامثالها ومتى وجب ان تستفيدوا فائدة من الفوائد الروحانية وتجمعوها
سميتم هذا الفعل بطالة واشتغالا عن مهماتكم وكيف لا تغيظون الله اذا
تفرغتم لاعمالكم الاخرى كلها وخولتموها وقتا وحصل مراسكم اشغاله
محزنا لكم وما تظنون انه وقت موافق نافع لابنائكم فلا تفعلوا اذا
هذه الافعال بل حثوا ابنائكم منذ صغر سنهم أن يسمعوا هذه التعاليم
منذ صغرهم لان هذا السن اذا أى سن الصغر فان هذه التعاليم
تلائمها كثيرا وتحتاج الى استماع هذه الاقوال النافعة لانها سن ناعمة
يرتسم فيها ما يقال اسرع ارتساما وينطبع السماع فى سريرتهم
كما ينطبع الختم فى الشمع ثم واعنى آخرا اذا وهو أن العيشة فيهم حينئذ
أى فى صغر سنهم فانها اذا تحوى ابتداء الجنوح الى الرذيلة أو الى الفضيلة
فان استمالهم مستميل عن الطريق الخبيثة منذ ابواب عمرهم وردها اليه باعيانها
واستقادهم الى الطريق الفاضلة يكون حاله حال من قد ثبتهم فى ملكة
جيدة وطريقة جيدة وما يتيسر انتقالهم الى طريقة أشر من غير حاطئين
اذ هذه العادة تجذبهم الى افتعال الاعمال الصالحة فعلى هذه الطريقة
يصيرون عندنا موقرين محتشمين اكثر من الشيوخ ويكونوا نافعين فى

اعمال مدينتهم اذ يوضحوا فى حداثتهم افعال الشيوخ لان ليس
يوجد على ما سبقت فقلت متمتعا بهذا الاستماع مصلحا لهذا الرسول
الجزيل فخره فلا يستمد فائدة عظيمة جالة صالحة وينصرف ولو كان
المتمتع بذلك رجلا ولو كان امرأة ولو كان حدثا لان ماهو اذا بهذا
ولئن كنا نؤنس الوحوش اذ نقوم اخلاقها بالنطق الذى فينا فالاوجب
والاليق بنا ان نعمل هذا العمل بالناس بهذا التعليم الروحانى اذ الفرق
فيما بين الدواء وبين المداوى كثير اذا وذلك ان الوحشية التى فينا ليس
مقدارها كمقدار الوحشية التى فى تلك الوحوش لان الوحشية التى فى تلك
هى من طبيعتها واما التى فينا هى من اختيارنا ثم ولا اذا قوة تضيف
الاقوال هى بعينها لان تلك القوة اذا أى التى فى نطقنا التى بها نونس
الوحوش ونقوم اخلاقها فانها اذا من تمييز انسانى واما هذه القوة التى فى
هذا التعليم الروحانى فانها من قوة الروح والنعمة فاذا الامر هو هكذا فمن
قد ايس من ذاته فليتفطن فى الوحوش التى قد أونست فلا يخضع فى وقت من
الاوقات لداء الاياس وليذهب الى هذا البيمارستان الروحانى ذهابا
متصلا ويسمع فى كل وقت تعاليم شرائع الروح واذا مضى الى منزله
فليكتب ما قد سمعه فى سريرته فسيحصل على هذه الحجة فى امال صالحة
وفى حياطة كثيرة اذ يشعر بنجاحة بخبرته وايقانه لان ابليس المحال
اذا ابصر شريعة الله مكتوبة فى نفس احدنا على ما ينبغى ورأى قلبه قد
صار الواحا لها فانه ما يقترب اليها لان بحيث تكون كتائب ملكية
ليست منقوشة فى تمثال نحاس لكنها مرسومة بالروح القدس فى سريرة
وادة لله لامعة سطورها من نعمة كثيرة فما يقتدر ذاك المارق ان يحدق
اليها لكنه يذل لنا ظهره من بعد نازحا لان ليس فعل عند ذاك العنيد
مرهوبا بهذه الصفة مخوفا عند الافكار الناشئة منه مثل سريرة دارسة

الاقوال

الاقوال الالهية ونفس جانحة الى عين التعاليم هذه النابعة فى كل حين
لان النفس التى هذه الصحية صحيتها لن يستطيع عارض من العوارض الحاضرة
ان يقهرها ولو كان كريها ولا يأخذها و يرفعها ولو كان مأثورا لكنها
تتمتع بسكون كثير فى شتاء جزيلة شدته لانه ليس يتكون فينا الارتجاف
من تلقاء طبيعة العوارض لكنه انما يحصل فينا من جهة ضعف تمييزنا
والا فلو كان يصيبنا هذا المصاب من تلقاء مايعرض لنا لوجب ان يرتجف
الناس كلهم لاننا كلنا نسبح فى هذا البحر بعينه وممتنع علينا ان نوجد
خارج امواجه وملوحته فان كان يوجد اناس قد وقفوا عند هياج هذا
البحر خارج شتائه وشدته فمن أوضح البيان ان الشدة والشتاء ماتكونه
العوارض وانما تكونه غريزة تمييزنا فان اصلحنا تمييزنا هذا الاصلاح
الذى يوصله الى ان يحتمل جميع العوارض بايسر مرام فليس يكون
عندنا شتاء ولا شدة اختباط اذ يكون هدوءنا أبيض دائما الا اننى لست
اعرف كيف لم اقدم ترتيب هذه الاقوال بان أقول فى وصفها قولا
فاندفعت الى هذا المقدار من وعظكم وتنبيهكم فاصفحوا لنا عن اطالة
كلامنا فاننى خائف مرتاع جدا من ان يصير اجتهادى هذا اضعف فعلا
من طريق اننى لو نفثت حرصى لما فاوضتكم الآن من هذه الاقوال قولا
لان هذا الوعظ فيه كفاية ان يجعل المعانى كلها متيسرة عندكم فقد حان
الآن الاوان ان أتوجه الى ما اعتمدناه اليوم حتى لا نصادمكم بجهادات
الكلام وحالكم حال المتضجرين لان مصارعات الكلام قد
وضعت لنا النقص داعداء الحق ونحوا الى المخترعين كافة الحيل حتى
ينقضوا مجد ابن الله الا انهم اذا انما يهدموا مجد ذاتهم لان مجد ذالك
باق على ماهيته كل حين ليس ينقصه اللسان المفترى عليه نقصا واما
أولئك الذين يجتهدون ان ينقضوا شرفه من يقولون انهم يبعدون له

يملأون وجوههم هوانا ونفسهم عذابا   وان سألت عنما يقولونه أولئك اذا
قلنا نحن هذه الاقوال   اجبتك يقولون أن قول البشير فى الابتداء كان
الكلمة ليس يوضح خاصته الازلية   لان هذا القول قد قيل فى وصف
السماء والارض وفى وصف الناس   اذ قيل فى وصف السماء والارض
ان فى الابتداء خلق الله السماء والارض   وقيل فى الناس كان رجل واحد
من رامة سيفا من جبل افرائم اسمه القانا   وأنا اذا اخاطبهم نزحا لوقاحتكم
وكثرة زوال تورعكم   انا اخاطبك فى ذكر الاله   افتورد أنت لى فى وسط
الخطاب الاشياء المخلوقة   قائلا ان ذلك قد قيل فى وصف السماء والارض
وفى وصف النار   فها هو اذا ذلك يا هذا   لماذا لم تتكلم بموجب نظام
التكلم اذا فى هذه الامور   والا فالمسيح عز وجل هو ابن الله   والاه
والانسان اذا يدعى ابن الله والاها   لان النبى قد قال انا قلت انكم الهة
وبنو العلى كلكم   فاذا ما هو افيكون المسيح اذا ليس هو ابن الله
بالطبع لاجل أن الناس دعيوا بذلك   أو هو اذا مثلهم   فهو اذا على قولك
هذا ليس يمتلك حظا أكثر منك   ولعلك تقول الا اننى لست أقول هذا
القول أصلا   فاقول لك لعمرى انك تعمل هذا العمل وان كنت ما تقوله
بكلامك   فاذا على قولك هذا كما قلت ليس يمتلك حظا اكثر   لانك اذا قلت
انك أنت قد استمديت بالنعمة البنوة بالوضع   وذاك قد امتلكها على هذه
الجهة على حسب رأيك فيكون اذا ليس يمتلك حظا أكثر منك   لان قولك
ان قول البشير فى الابتداء كان الكلمة ليس يوضح خاصة الالوهية الازلية
يحوى اذا هذا المعنى أيضا   أى انه ليس يوجد ابنا بالطبع اذ ذلك ليس
يوجد شيأ آخر   الا انك تجعله ان توجد هذا الحال حالة أى ابنا بالنعمة
فها هو اذا ذلك يا هذا   فلفظة فى الابتداء ولفظة كان اللتين قيلا ههنا
فى وصف ابن الله جل شأنه   اتقول انهما ليسا يوضحان خاصيته الازلية

لاجل

لاجل انهما قيلا اذا فى نعت السماء والارض وفى وصف القانا فما اذا هذا لكن فلننظرن اذا فى هذه الشهادات التى يوردونها فهما اذا هاتان اللفظتان المذكورتان اللتان قد استوردتا فى نعت السماء والارض وفى وصف القانا هذه هى الشهادات التى يظنونها توجد قوية وهى اذا توجد قوية الا انها انما توجد قوية فى ايضاحها تقويم الاراء التى نذكرها نحن ولكنها توجد اضعف الحجج كلها عند اقامتها تجديفهم لان قل لى ما المعنى الذى يوجد مشاعا فيما بين قولنا خلق وبين قولنا كان ثم ما المناسبة فيما بين الله وبين الانسان ما بالك تخلط ما قد عدم ان يختلط وتحيل الاشياء المفترقة بتخليطك اياها وتجعل ما فوق اسفل قل لى يا هذا اى شركة توجد فيما بين هاتين اللفظتين اللتين قد استوردتا فى وصف ابن الله جل شانه وفى نعت السماء والارض اذان فى نعت السماء والارض انما قيل هكذا أى ان فى الابتداء الله خلقهما وأما فى وصف ابن الله عز وجل انما قيل اذا هكذا أى فى الابتداء كان فاذا كما مر القول أى شركة توجد فيما بين هاتين اللفظتين فهل لفظة خلق مثل لفظة كان لا ليس الامر هكذا أرأيت ان قول البشير فى الابتداء كان الذى قاله فى وصف ابن الله تعالى انما يعنى به اذا عن خاصته الازلية لان وان كانت هذه اللفظة يا هذا قد استوردت فى وصف ابن الله جل شأنه وفى نعت السماء والارض أى لفظة فى الابتداء الا انها اذا استوردت فى هذا الموضع فى وصف ابن الله جل شأنه لحقت بها لفظة تحوى معنى آخر واذا استوردت فى ذاك الموضع فى نعت السماء والارض لحقت بها لفظة تحوى معنى آخر غيره اذان أما فى نعت السماء والارض اذ قال فى الابتداء استثنى اذا قائلا بان الله خلقهما وأما فى وصف الوحيد ابن الله جل شأنه اذ قال فى الابتداء استثنى اذا قائلا بانه كان فاذا كما قد تكرر القول أى شركة فيما بين خلق وفيما بين لفظة كان

أرأيت الافتراق فى ذلك كيف هو ثم فلننتكلمن اذا فى هذه اللفظة أى لفظة
كان ولننظرن اذا كيف يكون معناها اذا قيلت فى وصف الاله فاذا ماهو
فكما ان قولنا لم يزل اذا قيل فى وصف انسان انما يدل على الزمان الحاضر
فقط وأما اذا قيل فى وصف الاله تعالى فانما يدل على الخاصة الازلية الدهرية
فكذلك قولنا كان اذا قيل فى وصف أحد الخلائق فانه انما يدل عندنا
على الزمان الماضى الذى اذا قد عبر مداه وأما اذا قيل فى نعت الاله جل شأنه
فانه انما يظهر خاصته الازلية الدهرية أرأيت يا هذا الفرق فى المعنى
كيف هو فالفاظ الكتب اذا هكذا هى أى ان كل لفظة من ألفاظها
اذا قيلت هى بعينها فى الله تعالى وفى شئ مخلوق فما يكون لها اذا معنى
واحد بل معانى مختلفة يتضمن كل معنى منها غرض الذى قد تكلم بها فيلنا
اذا ان لا نسمع الالفاظ على بسيط ذات لفظها بل ينبغى لنا ان نبحث عن
اغراض الذين قد تكلموا بها ونتتبع فى ذلك مقاصدهم واغراضهم فالغرض
اذا الذى قد قصده هذا البشير بقوله فى الابتداء كان الكلمة انما هو
اذا هذا هو أى انه لم يزل موجودا وجودا أزليا لا ابتداء له بل بلا ابتداء وأما
ما قد قيل فى نعت السماء والارض والقانا فذلك انما يتضمن هذا المعنى
الذى هو هذا أى انهم مخلوقون هم وان الزمان قد يشتمل عليهم لانك
تجزيك اذا سمعت سماء وأرضا وانسانا ان لا تتوهم فيهم توهما أكثرهما
بلائم الاشياء المكونة المخلوقة اذا فى زمان لان الشئ المكون مهما كان
فقد كان فى زمان أو فى دهر فاما ابن الله جل شأنه فليس هو أعلا فوقا
من الازمان فقط لكنه أقدم من الدهور كلها لانه هو مبدعها وخالقها لان
الرسول قد قال به صنعت الدهور والخالق فهو بلازم الضرورة قبل مخلوقاته
أرأيت كيف بولس أيضا ينادى بذلك بكل مجاهرة وها انه مع ذلك أى هو
الرسول بولس ها قد تقدم اذا فاستدرك تمييز سامعه وحسم كافة وقاحته

أعنى

اعنى اذ كان اذا قد وجد أناس على هذا المثال قد زال حسهم حتى انهم
يتوهمون فيما بعد فى وصف ذواتهم وهما أعظم من رتبتهم تقدم اذا وحسهم
كافة وقاحتهم وأزالها بالكلية وذلك بما استزرده فى هذه الجهة من أن
الوحيد تعالى قد صنع كل شئ وهذا بقوله ان به صنع الدهور لانه تعالى
ما صنع الدهور فقط بل قد صنع كافة الاشياء كما نادات الكتب بذلك أرأيت
انه تعالى وجوده وجودا أزليا هو وأما سائر المخلوقات فزمانيا وها اذا
لفظة صنع السماء والارض وقوله كان انسان فهذه كلها بيانا لهذا
المعنى اى ان هذه جميعها تحت زمان هى لان السماء والارض والانسان
وكل شئ قد خلقوا اذا فى زمان وقد اشتملوا ابتداء زمانيا وليس شئ
منهم عديما ان يكون مبتدئا اذ قد تكون فيجب من ذلك اذا سمعت انه
صنع السماء والارض وان انسانا كان ان تقف بهذا عند حدك وتعرف
مبتداك ومنتهاك ولا تفخم من ذاتك لانك اذا فخمت ذاتك فانك اذا
انما تهذر فيما بعد هذرا زائدا هادرا اذا فى تفخيم ذاتك بذلك هذرا قد
زالت المنفعة منه فسبيلنا ان نقف عند حدودنا غير متعدين ذلك و ينبغى
لنا ان نتفهم معانى الامور نتفهما جيدا ولا نظن فيها ظنا غير ما هى وها قد
اذكر أيضا افراطا فى الوصف غير هذا وان سألت وما هو هذا أجبتك انه
ولو كان قد قيل فى وصف السماء والارض وفى نعت الانسان ان فى الابتداء
كان الانسان لما كان سبيلنا ولا على هذه الجهة ان نتوهم فى وصفهم توهما
أعظم من الاوصاف الموضوعة الآن لهم وذلك ان اسم السماء والارض
والانسان قد سبق كلما يقال فى وصفهم وما أهمل تمييز فهمنا ان نتصور فى
وصفهم وصفا أعظم مما قد عرفناه الآن كما ان الكلمة الازلية فان كان قد
قيل فى وصفه وصفا صغيرا فما قد سمح لنا ذلك ان نهجس لنا فيه وهما
دليلا حقيرا فاسم السماء اذا والارض والانسان قد سبق كمال القول كلما يقال

فى وصفهم اذ كان موسى اذا امعن فى الوصف الذى قد تكلم به فى وصف الأمور
التى وصفها قال اذا فى وصف الارض ان الارض كانت عديمة ان تكون
ملحوظة ومتقنة لانه اذ قال ان الله أبدعها ووضع حدها تكلم بعد ذلك
فى باقى أقواله تكلما خاليا من الخوف لعلمه ان ليس يوجد أحد الناس
زائلا فهمه بهذه الصفة حتى انه يتوهم ان الارض قد عدمت ان تكون مبتدئة
ومكونة ان كانت هى أو السماء أو الانسان أو مهما كان من سائر المخلوقات
وبيان ذلك اسم السماء والارض ولفظة خلق وانهم كافيين ان يحققوا عند
المجرى القلب جدا انهما ليسا أزليين ولا عديمين ان يكونا مكونين لكنهما
من الاشياء المكونة فى زمان ثم اذا لفظة كان فانها اذا قيلت على بسيط
ذاتها أما فى الانسان أو فى السماء أو فى الارض أو فى مهما كان من سائر
المخلوقات فاذا تكون اذا دالة على الوجود لكنها اذا حملت على الانسان دلت
على وجوده المكانى أى انه من المكان الفلانى هو واذا حملت على الارض دلت
على كيفية وجودها لانه ما قال على بسيط ذات القول وكانت الارض وصمت
لكنه قال كيف كانت وعرفنا كيف كانت بعد تكوينها أى انها كانت
عديمة ان تكون ملحوظة ومتقنة اذ كانت بعد مستورة بالمياه ومنجنة
وهكذا اذا قد تكلم فى وصف السماء بهذا المعنى أى انه عرفنا كيف
كانت بعد ان أبدعها مبدعها عز وجل اذ قال هكذا فكملت اذا السموات
والارض وجميع زينتها وهكذا اذا ذكر القانا ما قال فقط انسان لكنه
استثنى بان قال من أين كان اذ قد ذكر المكان الذى كان منه اذ قال انه من
رامة سيفا كان وأما فى وصف الاهنا الكلمة جل شانه ما قال اذا هذا القول
بل نادا بازليته تعالى وانى لقد أخجل ان أساوى فى البحث هذه الاوصاف
بتلك لاننا ان كنا ننهر الذين يعملون هذا العمل بالناس اذا كان الفرق
فى الفضيلة فيما بين الذين يقع البحث عليهم جزيلا على ان طبيعتهم

موجودة

موجودة واحدة بعينها فاذا كان الفرق بين تلك الطبيعة السعيدة وبين
كافة الطبائع الاخرى تمنعنا بهذه الصفة تحديدة فكيف لا يكون تحريك هذه
المعانى وأمثالها من جنون واصل الى غايته لكن فليكن هذا الذى فيترى
عليه أولئك غفور النا لان ضرورة هذه الاقاو يل وأمثالها السنا نحن
اخترعناها وصادفناها لكن المحار بين خلاصهم أبدعوها لنا فالذى
اعتمدته بقولى هو ان قول البشير فى وصف الكلمة الاهنا كان هو دليلا
اذا على هذا المعنى فقط أى ان وجوده تعالى وجودا أزليا هو لانه قال
فى الابتداء كان الكلمة وأما قوله كان دفعة ثانية فهو دليل على وجوده
عند من لم يزل عنده فاذا ما هو فمن حيث ان هذا المعنى واضح وضوحا
كثيرا هو أعنى ان خاصة الله هى هذه اى انه تعالى هو أزلى دهرى وعديم
ان يكون مبتدئا لذلك وضع البشير هذه الخاصة أولا مناديا بها ثم حتى
لا اذا سمع سامع قوله بانه فى الابتداء كان فيقول انه عديم ان يكون مولودا
سبق فى الحين فتلافاه قبل ان يقول فما معنى كان بقوله انه كان عند
الله ثم حتى لا يظن ظان انه كلمه بالحقيقة بارزة بنغمتها أو مستكنة بطل
اذا هذا الظن بزيادة الحاشية التى هى على ما قدمته ذكره الالف واللام
فى الكلمة وليس بطل ذلك بهذه الحاشية فقط بل و بهذا الحرف الثانى
أيضا الذى هو قوله انه كان عند الله لانه ما قال انه كان فى الله لكنه قال
انه كان عند الله مظهر النا أزليته بذات قنومه ثم اذا معن فى الوصف
كشف هذا المعنى كشفا أبين وضوحا فقال ان هذا الكلمة هو الاه الا ان
معارضنا يقول لكنه مصنوع فاقول له وما الذى منعه من ان يقول
هذا القول ان فى الابتداء صنع الله الكلمة فلو كان مصنوعا لكان
اذا قد تكلم فى وصفه كتكلم موسى فى وصف المصنوعات لان موسى
عند تكلمه فى وصف السماء والارض ما قال ان فى الابتداء كانت السماء

وبعد لكنه قال ان فى الابتداء صنع الله السماء والارض والارض ذلك قال وكانت الارض ويتمه وعرفنا بان السماء والارض مصنوعان كباقى سائر المصنوعات فما الذى منع يوحنا من ان يقول هذا القول ان فى الابتداء صنع الله الكلمة فلئن كان موسى خشى هذا الظن فى وصف السماء والارض ان لا يقول قائل انهم عديمان ان يوجدا مكونان فعرفنا بانهما مكونان فاليق بيوحنا وأوجب ان يخافه وأيضا من الصمت عن ذلك عند وصفه الابن بل كان قال انه مصنوع لو كان مخلوقا لان ان كانت الجهة التى لم نكن محتاجين فيها الى قول وتعليم يوصلنا الى ان نعرف الدنيا هى مكونة قد وضع فيها موسى النبى هذا القول قبل أقواله الاخرى وصفا بينا فيوحنا قد كان أليق به كثيرا وأحوج الى ان يقول هذا القول فى وصف الابن لو كان مخلوقا ويجوز ان يقول لنا المعترض علينا نعم الان بطرس الرسول قد قال هذا القول بينا واضحا فاقول له أين قاله ومتى ذكره ولعله يجيبنى بانه قد قال ذلك فى مخاطبته لليهود اذ قال فى مخاطبته لهم ان الله قد صنع هذا ربا ومسيحا فاقول لك ومابالك لم تتفطن فى ان الاقوال التى الرسل خاطبوا بها أولئك اليهود وغيرهم من الامم فى أوائل انذارهم اياهم بابن الله بعضها مناسب له تعالى وبعضها مناسب لضعف سامعيها والا فان لم يكن هذا الرأى رأيك لكنك تعتقدها كلها على بسيط ذاتها مناسبة له عز وجل فتكون قد اعتقدت ان ابن الله مخلوق وان كان هذا القول ماذكره ولا ابليس المحتال بعينه فلماذا تعمل أنت ان تستجهل استجهالا قد عدم على هذه الجهة الصفح عنه ولم يتظاهر به ولا الشياطين لان لماذا لم تذكر لى لفظا من الالفاظ التى تليق بشانه عز وجل الا انك ياهذا لو كنت تريد ان تذكر ذلك لما كنت اذا ذكرت القول المناسب لضعف سامعيه الذين كانوا اذا وقتئذ ما قد حاز والاعتقاد الواجب فى الوحيد تعالى وتركت ان

تذكر

تذكر قولا من الاقوال التى تليق برتبته عزوجل ولكن ها أنا اذا اذكرها بدلا منك هادما بذكرى اياها رأيك الوخيم ومسرورا بيهاء واينا المعافى القويم ومبينا بها ان هذا القول الذى قد أوردته أنت انما قد أجراه بطرس وقتئذ لاجل ضعف سامعيه لان ماذا اذا ماقال الرسول بولس انه لم يزل شعاع مجده وصورة أقنومه فاذا قل لى لما ذا سماه بولس شعاعا أليس اذا البيان هذا المعنى عند كل أحدا أى انه من جوهر الاب بعينه ولكن لعلك اذا تقول ان بولس هذا أيضا قال نظير هذا القول الذى ذكره بطرس اذا قال اذا هكذا الذى هو أمين عند من صنعه فاقول لك الا انه هو أيضا انما قال هذا القول لاجل ضعف أولئك الذين أرسل هو اليهم هذه الرسالة التى تراه فيها تارة يخاطبهم بالالفاظ العالية التى تليق بشأن الوحيد عزوجل وتارة يكلمهم بالاقوال الوضيعة التى كانت ملائمة لضعفهم وقتئذ اذ كانوا بعدما قد حازوا فى الوحيد جل شانه الاعتقاد الذى يليق برتبته عزوجل لان سبب تكلمه بالالفاظ الوضيعة الغير لائقة بشان الوحيد تعالى فما كان اذا ضعف أولئك الذين تسمعه اذا قائلا اليهم انكم احتجتم ان تتعلموا حروف هجاء مبدأ اقوال الله وصرتم محتاجين الى اللبن لا الى الغذاء القوى واذ قال هكذا استثنى قائلا لان من يغتذى لينا الاخبرة له باقوال العدل لانه طفل هو أرأيت ان سبب تكلمه بالاقوال الوضيعة انما كان اذا العدم وصولهم وقتئذ الى ضبط المعانى العالية المناسبة للتأمين وهذا فقد استورده هو فى مخاطبته اياهم بهذه الالفاظ باعيانها لانه اتبع قائلا ان الغذاء القوى فللتأمين هو الذين من أجل عادتهم لهم حواسهم مروضة لتمييز الجيد والردى انظر ياهذا كمال القول ان سبب تكلمه بالالفاظ الوضيعة انما هو ضعف أولئك عن استماع الاراء العالية استماعا متصلا والا لقد كان تكلم ألفاظه كلها بالمعانى العالية التى تليق بشان الوحيد ابن الله عزوجل

كالذى قد تكلم به اذا فى صدر هذه الرسالة بعينها لانه اذا لئلا يتحقق ظننا
رديا للذين يكونون فيما بعد بسبب تكلمه الالفاظ الوضيعة التى خاطب
بها أولئك وقتئذ لاجل ضعفهم فلذلك سبق فنادى أولا بالامور التى توضح
ان الوحيد هو من جوهر الاب بعينه وانه عديل الاب فى كل شئ وانه
غير منفصل من الاب والاب غير منفصل منه واسمع اذا مناداته بهذه الامور
كيف هى بمجاهرة كثيرة انه لم يزل شعاع مجده وصورة أقنومه
وحامل الكل بكلمة قدرته فبقوله شعاع مجده وصورة أقنومه نادى اذا بهذا
المعنى الذى هو انه من جوهر الاب بعينه وانه غير منفصل من الاب والاب
غير منفصل منه وبقوله حامل الكل بكلمة قدرته نادى اذا بانه عديل
أبيه فى القدرة كما انه عديله فى كل شئ أعرفت اذا ان تلك الالفاظ
الوضيعة انما هى لاجل ضعف أولئك ثم اسمع اذا ما يتكلم به من الاراء
العالية فقد تكلمه أيضا بما يناسب حال أولئك من الالفاظ الوضيعة
لضعفهم كما ان القول عن استماع الاراء العالية استماعا متصلا لانه اذا
أورد فى وصفه تعالى تلك الالفاظ النبوية التى هى هذه أى القائلة
اذا أنت يارب منذ البدء أسست الارض والسموات هى أعمال يديك
هى تباد أما أنت فباق والكل كالثوب يعتقون وتطويهم كالرداء فيتبدلون
وأنت هو أنت وسنوك لن تنقص أرأيت كيف ينادى بكل مجاهرة بانه
قد أبدع سائر البرايا وبان كافة البرايا ثابتة بكلمة قدرته وبانه من
من جوهر الاب بعينه وبانه غير منفصل من الاب والاب غير منفصل منه
أرأيت ان تلك الالفاظ الوضيعة انما هى اذا لاجل ضعف سامعيها فاذا قل لى لما اذا
دعاه بولس شعاع أليس ليوضح بذلك عند الجميع انه من جوهر الاب بعينه
ثم وابن زبدى أما قد نادى بهذا المعنى بعينه قائلا انه فى حضن أبيه لم يزل
موضحا بذلك عند الكل انه من نفس جوهر الاب ثم وبطرس هذا نفسه أما

قد

قد اعترف بهـذا المعنى قائلا أنت هو المسيح ابن الله الحى معترفا انه من جوهر الاب بعينه ثم وهو ذاته أى الوحيد جل شأنه أما قد أظهر لنا هذا المعنى نفسه فى مواضع كثيرة اما قال عن قوله انا فى أبى وأبى فى ومن رآنى فقد رأى الاب وانا والاب واحد نحن أرأيت ان قول بطرس صنعه ربا ومسيحا وقول بولس الذى هو امين عند من صنعه انما قيلا اذا لضعف سامعيهما فسبيلنا اذا أن لا نسمع الالفاظ على حسب ما قيلت بل ينبغى لنا ان نبحث عن الاسباب التى لاجلها قيلت تلك الالفاظ لنكون اذا فى حسن اعتقادنا المعانى متمكنين وغير متموجين فاذا لو كان ابن الله مخلوقا على رأيكم لما كانت تلك الاقوال التى توضح معادلته لابيه تملك موضعا ثم وهنا قول آخر نجيبك به وهو ان قول بطرس ان الله صنع هذا ربا ومسيحا لم يقله اذا فى معنى جوهره بل انما قاله فى معنى رتبته وافاضة انعامه علينا عز وجل لان قوله ربا مناسبا لسلطانه وقوله مسيحا مناسبا لايضاح انعامه لان اسم المسيح تعالى هو اسما اذا يذكرنا بمسحة الروح التى جاد علينا بها المسيح ملك المواهب الفاضلة والانعام الجليلة فاذا كما عبر المتكلم فى ذلك قوله ان الله صنع هذا ربا ومسيحا ليس قاله فى معنى جوهره بل فى معنى رتبته تعالى وافاضة انعامه عز وجل وهكذا اذا قول بولس الذى هو أمين عند من صنعه انما قد تكلمه اذا على هذه الجهة أعنى ان لفظة صنعه لم يكن قائلا اياها فى معنى الجوهر بل فى معنى المنزلة أى صنعه رئيس كهنة فان قلت فلماذا اذا ما قال هكذا أى لماذا ما قال الذى هو امين عند من صنعه رئيس كهنة اجيبك أن هذا للفظة اذا أى لفظة رئيس كهنة ولئن كان ما استثنى بها فذلك انما هو لكون انه قد جعلها متقدمة على ما استثنى به من الكلام فاذا لكون انه قدمها على ما استثنى به فلذلك اذا ما استثنى بها فان قلت وما هو اذا سبب

تكلم بولس بذلك فى أمر الوحيد عز وجل   أى قوله صنعه رئيس كهنة
اجبتك   ان الجواب عن ذلك تجده اذا بتمامه فى موضعه   أى فى تفسيرنا
رسالة العبرانيين   واما ههنا فلنأخذ الآن فى اتمام ماقاله بطرس لئلا
يطول الكلام فى هذه المقالة   فاذا كان لفظة بولس التى هى قوله
صنعه لم يكن قالها فى معنى الجوهر بل فى معنى الرياسة الكهنوتية   فهكذا
قول بطرس صنعه ربا ومسيحا لم يكن قد قاله فى معنى جوهره بل فى معنى رتبته
تعالى   وافاضة انعامه علينا عز وجل   فان قلت فاذا ماهو افضل
رتبته اذا ومواهبه التى يوهبها اقد اكتسبهما من الاب   فاقول لك حاشا من
ذلك وكلا   اذ هو اذا ليس هو دون الاب فى شئ كما ان الاب ليس
هو دونه فى شئ   اوما سمعت اذا قوله تعالى بان كلما هو له فهو لابيه   وكلما
هو لابيه فهو له   فان قلت فاذا لماذا ما قال أن هذا هو الرب المسيح   بل قال
أن الله قد صنع هذا ربا ومسيحا   فاقول لك فما هو اذا اما قد سمعت
ببراهين جزيلة العدد ها   ان الالفاظ الوضيعة انما قد قيلت اذا لاجل
ضعف سامعيها   ولعلك تقول الآن بطرس بعد قوله ربا ومسيحا استثنى قائلا
هذا يسوع الذى صلبتموه أنتم   فاقول لك نعم قال ذلك   ولكن لماذا
خطر ببالك ولماذا أوردت هذا الاحتجاج أيضا   هل أوردته لاجل
ايراده هذا الاسم   أعنى لاجل قوله يسوع أو لاجل أمر صلبه الذى هو قوله
صلبتموه أنتم   فان كان لاجل ايراده هذا الاسم أعنى اسم يسوع   فاقول
لك وماذا اذا   أى احتجاج يتجه لك فى هذه المغالطة أيضا   الست تعلم
ان هذا الاسم أعنى اسم يسوع تفسيره المخلص   لانه يقول انه سمى يسوع لهذا
الغرض   أى لانه يخلص شعبه من خطاياهم   والخلاص من الخطايا ليس
لشئ آخر الا لجوهر الله   وان كنت أوردت هذا الاحتجاج ليس عن اسمه
هذا بل عن صلبه   فماذا من ذلك   هل لما صلب انثلمت قوته   حاشا من

من

من ذلك وكلاء ليس هذا فقط أى ان قوته ما انثلمت لما صلب بل واهبط
الجحيم بصليبه وأمات الموت بموته ورفض الثعبان الغاش بمسامير يديه تعالت
قدرته ولما كان معلقا على الصليب وانطعن جنبه بالحربه انبع للكافه
ينبوعى الحياة والخلاص لانه عز وجل هو نفسه أى الذى ارتفع على
الصليب بارادته هو نفسه رأس الحياة وهو عينه الحياة الحقيقية وهو
ذاته واهب الحياة واذا قبل الموت أنعم علينا بعدم الموت والبلى ومنذ
سكن اللحد أعتقنا محررا وأقامنا معه بمجد لانه لم يزل الاها مقتدرا وملكا
منعما أعرفت كيف ان الالفاظ التى خاطب بها بطرس اليهود كان بعضها
مناسبا الرتبة الوحيد الجنس ابن الله وبعضها مناسبا لايضاح احسانه
وانعاماته وبعضها مناسب الضعف سامعيها أعرفت انه ابن طبيعى الابيه
وانه معادل لابيه فى كل شئ وانه غير منفصل من أبيه وأبيه غير منفصل
منه وان كلما له فهو لابيه وكلما لابيه فهو له فاذا ما هو فلو كان مخلوقا
على رأيكم لما كان هذا القول يمتلك موضعا لان الله ما كونه أولا وانتدبه
بعد ذلك ولا امتلك رئاسة ما كانت له أولا لكنها لم تزل معه جوهرية
وبالطبع ولكن بطرس رسوله خاطب اليهود خطابا كانه فى وصف منتدب
لكن انهم كانوا ضعفاء اذا وقتئذ عن الوصول الى الاراء التى تليق
بنا فالوحيد عز وجل ثم وما استعجابك ان كان بطرس قد قال هذا
القول اذا رأيت بولس حين خاطب أهل مدينة أثينا يدعوه رجلا فقط اذ قال
لهم هذا القول الذى هو هذا نعم فى أوقات الجهل قد أصرف الله عنها
والآن يوصى الناس كلهم فى كل صقع ان يتوبوا لانه قد عين يوما الذى
فيه يدين المسكونة بالعدل بالرجل الذى جزم به ومنح الايمان
الكافة بانه قد أقامه من الموتى فههنا قد دعاه رجلا فقط ولم يقل فى وصفه
قولا بانه عديل لله ولا ذكر انه شعاع مجده وصورة أقنومه ولا أورد شيأ من

الامور الموضحة معادلته للاب فى الجوهر وفى كل شئ الان ذلك على جهة الواجب كان أى عدم ايراده لفظا من هذه الالفاظ لان الوقت ما كان مناسبا بعد لهذه الالفاظ لكنه كان فعلا محبوبا عنده ان يقبلوا عاجلا انه انسان وانه قام فهذا العمل عمله بطرس ولما تعلم بولس منه دبر افعاله هذا التدبير ثم ورد بنا نفسه عز وجل ما كشف لنا ذاته فى الحين لكنه ظن به فى أول ظهوره انه نبى وانسان صالح على بسيط ذاته واستبان اذا أخيرا بافعاله وألفاظه المعنى الذى كان له ولهذا الغرض استعمل بطرس فى ابتداء انذاره هكذا المعنى لانه خاطب اليهود هذا الخطاب فى وسط مجمعهم ولانهم ما قدروا ان يتعلموا حينئذ قولا واضحا فى وصف ما يوضح معادلته لابيه لهذا السبب ثبت فى أقواله فى وصف تدبيره وسياسته حتى اذا ارتاض سمعهم بهذه الاقوال بطرق طريق الباقى أعماله وأيضا هو اذا أعنى ربنا جل شأنه دعا ذاته أوقاتا فى مخاطبته اياهم رجلا وذلك اذا لهذا السبب أى لانهم اذا ما كانوا بعد قد حازوا من أجله الاعتقاد الذى يليق بشأنه وهكذا اذا بولس الرسول اذ قال فى وصفه أى فى وصف ربنا تعالى انه حائز من زرع داود بذات جسمه انما قال ذلك اذا فى وصف تدبيره وسياسته لانهما أى بطرس وبولس ما كانا يتكلمان فى وصفه بالالفاظ العالية كلاما متصلا بل تارة كانا يتكلمان كلاما عاليا لائقا بشأن الوحيد وتارة كان يتكلمان بالالفاظ الوضيعة التى لم تكن واجبا ان تقال فى وصفه انما كانت اذا لاجل ضعف أولئك والاقوال العالية التى تليق بشأنه تعالى انما هى اذا لاجل الصائرين فيما بعد لئلا اذا تكلموا بالالفاظ الوضيعة دائما لاجل ضعف أولئك ولم يتكلما اذا بالاقوال العالية حتى تليق بشأنه عز وجل فيتكون من ذلك حادثا رديا للذين يكونون فيما بعد فلذلك كانا تارة يتكلمان بهذه وتارة يتكلمان بتلك الابنا لوعدا ذا السكون انه انما قد يخاطبنا الآن فى وصف

وجوده

وجوده الممتنع وصفه الذى هو قبل الدهور فلهذا يورد اذا قولا من الالفاظ التى تكلما بها بطرس وبولس المناسبة اذا الضعف أولائك بل أورد خاصة الازلية قائلا فى الابتداء كان فاذا ماهو فلو كان مخلوقا لقد كان ينبغى له ان يصلح هذا القول اصلاحا كثيرا لان ماذا واين كان بولس قد خشى ان لا يتوهم متوهم من الذين قد زال فهمهم ان الابن يكون أعظم من أبيه ويمتلك والده خاضعا له فاصلح هذا المعنى لانه اذا لهذا المعنى اذ أرسل أهل قرنثيه قال واذا قال انه يخضع له الكل فواضح انه خلوا من الذى أخضع له البرايا كلها على انه اذا من توهم ان الاب يخضع فى وقت من الاوقات لابنه خضوعا مع كافه البرايا لكنه مع ذلك هاقد خشى اذا هذه الاوهام التى لا قياس لها فاذا ماهو ان كان بولس قد خشى هذه الظنون الفاقدة القياس وقال خلوا من الذى أخضع له البرايا كلها فلو كان ابن الله مخلوقا لكان الاليق بيوحنا والاوجب عليه ان يخشى ان لا يظن ظان انه قد عدم ان يكون مخلوقا ولكان ينبغى له ان يعرف بهذا المعنى قبل أقواله كلها ولكن اذ كان مولودا فعلى جهة الواجب لا هو ولا غيره ولا أحد ولا رسول ولا نبى قال انه مخلوق والوحيد بعينه لو كانت هذه الحال حاله لما كان تعداه وصفها لان المتكلم الاقوال الوضيعة وضاعة كثيرة لاجل تحذره معنا قد كان أولى به ان لا يكون قد صمت عن هذا المعنى فلو كان قد امتلك حظا عاليا لم يكن له أولا لقد كان واجبا عند امتلاكه الحظ العالى ان لا يصمت عن ذكر ذلك بل قد كان يذكره اذا ويعرفنا به لان كما قد أوضح باقواله وبافعاله انه من جوهر أبيه بعينه وانه غير منفصل من أبيه وأبيه غير منفصل منه وانه عديل بابيه فى كل شئ فهكذا لو كان مخلوقا ما صمت اذا عن ذكر ذلك بل قد كان أعلمنا به لانه ان كان علمنا ان نكون متواضعى العزم والا لا نقول عن ذواتنا أوصافا عالية كيف كان يصمت اذا عن ذكر ذلك المعنى لو كان هرا باياه أى لو كان مخلوقا

فاذا كما انه ما صمت عن تعريفه ايانا بهذا المعنى الذى هو اياه أى انه من جوهر
أبيه بعينه فكذلك ما كان صمت اذا عن ذكر ذاك المعنى لو كان هو اياه أى لو
كان مخلوقا بل كان اذا عرفنا ذلك كما ر القول فى هذا المعنى أولا وثانيا
أوما تراه قد تكلم اذا بمعانى كثيرة فى معنى انه مولود حتى لا يتوهمه
متوهم انه عديم ان يكون مولودا فلئن كان لا يثاره ان يزيل هذا التوهم
قد تكلم اذا بمعانى ليست بيسيرة معرفا ايانا بها انه ليس عديم ان يكون
مولودا فلو كان مخلوقا لقد كان التوبة وأولى أن يقول اقوالا كثيرة
يعرفنا بها هذا المعنى حتى لا يتوهم متوهم انه عديم ان يكون مخلوقا كقولك
انه قد كان قال لا تتوهموني مولودا من أبي فانا قد خلقت وما ولدت ولست
أنا من جوهر ذاك الا انه تعالى يعمل كلما يضادد هذا القول لانه
ينطق بتلك الالفاظ التى تضطر الذين ما يؤثرونها ان يقبلوا بالزام كلى
المعانى الصادقة ويرفضوا اذا مهما كان مضاددا لها فهو اذا
قد أرانا معادلته لابيه فى الجوهر وفى كل شئ بالافعال اذا و بالاقوال
لانه عز وجل ما فعل فقط تلك الافعال العظيمة التى بها أرانا معادلته
لابيه فى الجوهر وفى كل شئ لكنه نطق أيضا بهذه الالفاظ العالية
الشاهدة اذا بهذا المعنى كقولك انه قال أنا فى أبي وأبي فى وأنا معكم
زمانا هذا مبلغ كثرته وما عرفتنى يا فيلبس فالناظر الى قد نظر الى أبي
ولكى يكرم البرايا كلها الابن كما يكرمون أباه وعلى نحو ما ينهض الاب
الاموات ويحييهم فعلى هذا النحو يحيي ابنه الذى يشاء ان يحييهم وأبي
الى الآن يعمل وأنا اعمل وعلى نحو ما يعرفنى أبي اعرف أنا أبي وأنا وأبي
واحد نحن ويضع فى كل موضع من كلامه حرف كما وحرف كذلك ولفظة
انه واحد اذا هو وأبيه اذا قيس اليه دالا اذا بهذه الاقوال على زوال
مباينته اياه ومبينا بها اذا سلطانه بذاته وما أوضح اذا هذه المعانى بهذه
الاقوال

الاقوال فقط بل وباقوال غيرها أكثر منها كقولك اذقال للبرص اصمت فانبكم وللابرص اشاء ان تطهر فيطهر ولك أقول يا جنيا اصم وعديم النطق اخرج منه فيخرج وقوله قد سمعتم انه قد قيل للقدما لا تقتل وأنا أقول لكم ان من يغتاظ على أخيه باطلا فقد وجبت عليه الدينونة فهذه اذا وغيرها مما قاله المشابهة لهذه الاقوال التى قالها حين اشترع شرائعه واجترح عجائبه فيها كفاية لبيان سلطانه وانه من جوهر أبيه بعينه وانه عديل لله فى كل شئ بل والبق مايقال أن الصنف اليسير من هذه الاقوال فيه كفاية ان يحقق عند الذين لم يفقدوا حسهم جد سلطانه وسيادته ومعادلته لابيه فى الجوهر وفى كل شئ

العظـــــــــــة الثالثة

(طعن على من يفتخر بالشرف الباطل)

ولكن الشرف الباطل داء ردى هو من عادته أن يعمى تمييز الذين قد افتنصهم عن فهم المعانى الطاهرة ويحقق عندهم ان يخاصموا فى الاقوال المعترف بها ويسلب اناسا اخرين عارفين الاشياء الصادقة جدا موقنين بها معرفتهم ويستميلهم الى المراء والمعاندة وهذه الحوادث قد حدثت فى أيام اليهود لانهم جحدوا ابن الله لا لجهلهم به لكنهم انما انكروه لينالوا التكريم من الناس الكثيرين لانه قال انهم صدقوه لكنهم خشوا ان يصيروا منفيين من المجمع فاذا قد اعدموا ذواتهم تلك الفوائد الجليلة وادنوا خلاصهم الى غيرهم لانه ليس يوجد ولا يتهيا للمتعبد هكذا تعبدا شديدا للشرف الحاضر ان ينال الشرف الذى من الله تعالى ولذلك زجرهم قائلا كيف تستطيعون ان تؤمنوا وأنتم تقبلون المجد بعضكم من بعض ولا تطلبون المجد الذى من الله وحده لان هذا

السقم سكرا عميقا هو قد يحمل من قد استأسره صعبا انتشاله منه ويفعل
من السموات نفس الذين قد افتتنهم ويسمرها فى الارض ومايتركها ان
ترفع طرفها الى الضوء الصادق لكنه يستميلها الى التمرغ فى الحمأة كل
حين ويبتدع لها سادة اقوياء بهذه الصفة من عادتهم ان يضبطوها فى
خدمتهم خلوا من أوامرهم لان السقيم بهذا السقم ليس يوعز اليه موعز
لكنه يعمل من ذاته كل الاعمال التى يظن ان مواليه يسرون بها لانه لاجل
اولئك يلبس ثيابا حسنة ويزين وجهه ويعمل هذا العمل لنفسه
لكنه يتخيل به لاناس اخرين ويسوق حوله اتباعا فى السوق حتى يتعجب منه
اقوام أخر فاذا ماهو أى فائدة تحصل من هذه الامور واى نتيجة
نافعة تصير من هذه الاحوال اشاهدت يا هذا كيف هى اباطيلهم انظرت
كم هو عدم انتفاعهم اذ قد ينفقون هذه النفقات لاجل استرضاء الجميع
لانك ان شئت أن تستخبر واحدا من المتصرفين فى هذا الداء المنفقين
النفقات الجزيلة لاجل أى غرض ينفقون ذهبهم الجزيل تقديره وما
الذى ترتاده هذه النفقة الجزيلة عندهم فما تسمع منهم جوابا آخر الا انهم
اعتمدوا به استرضاء المحفل فاذا استخبرته قائلا له وما هو اذا المحفل يقول
لك شئ مملوا قلقا وارتجافا واكثره منتظم من غباوة محمول على بسيط ذاته
يشابه فى أكثر الاوقات امواج البحر مجموع من عزم متلون محارب فاذا
ماهو فاذا امتلك أحدنا سيدا هذه صفته فمن يكون اشقى منه من يكون
صاحب مرارة فى عيشته كمرارته من يكون منسقما كانسقامه من
يكون مريضا مرضا رديا هكذا كمرضه قل لى يا هذا من يحوى
افراطا فى مضرته واسرافا فى جنونه يماثل هذا الفعل الكائن من هؤلاء
الطالبون التشريف من الناس لان امراض هوانا الاخرى تحوز لعمرى
ضررا كثيرا الا انها تخلف لذة يسيرة وان كانت وقتية حقيرة وبيان

ذلك

ذلك ان محب الاموال ومحب الخمر ومحب النساء يمتلكون مع مضرتهم لذة وان كانت يسيرة   فاما الماسورين بهذا السقم أى طالبى التشريف الدنيوى   فانهم يعيشون طول زمانهم عيشة ذات مرارة وشقاء   لانهم ما يصلون اذا الى ما يعشقونه أعنى التشريف من الكثيرين   فاذا ما هو فقد يظنون انهم يتمتعون به   الا انهم ما يتمتعون به   لان هذا الذى يتبعونه ليس هو شرفا لكنه اذا شيأ باطلا   ولهذا السبب ليس يقال لهذا الداء شرفا   لكنه يدعى شيأ فارغا من الشرف   لان القدماء كلهم قد سموا هذا الداء شرفا فارغا لانه بالحق فارغ هو   وذلك كون انه لا يحوى فى باطنه لا شيء بهى ولا حال شريف   ولكن كما ان وجوه اشباح الخيال يظن انها بهية معشوقة وهى فارغة من داخلها   ولذلك مع انها توجد أبهى حسنا من وجوه اجسامنا ما اثرمنا احد ولا فى وقت من الزمان واحدا منها ايثارا يقتاده الى عشقه   فكذلك التشريف من الكثيرين فارغ هو وعلى هذا المثال   بل والحق ما يقال انه اشقى واحقر مما ذكرناه   لانه انما يمتلك وجها بهيا فقط واما الخدائع التى فى داخله فانها اذا ليست فارغة فقط لكنها أيضا ممتلئة هوانا مما وغضبا قاسيا   ولقائل أن يقول فمن أين يتولد هذا الداء الخالى بهذه الصفة من القياس   وليس يمتلك لذة   فاقول له ليس يتولد من جهة اخرى الا من نفس ذليلة حقيرة   لان من قد اقتنصه التشريف لا يتهيأ له ان يفهم سريعا شيأ عظيما جليلا   لكن يظن بان ذلك الشيء الجليل يوجد قبيحا حقيرا مهانا صغيرا   لان من لا يعمل من أجل الفضيلة عملا بل اعماله كلها لاجل الامور الباطلة   ويشقى ويتعب لكى يسترضى رجالا ليسوا موهلين لكلمة واحدة   ويلتقط من كل مكان قضيتهم الخادعة المخدعة هذا اذا كيف لا تكون أموره كلها باطلة فارغة   لان ما المنفعة اذا فى تصيد المديح من الناس   وما الفائدة الحاصلة من انفاقك تلك النفقات

التى تنفقها اذا الاعتماد رضاذاك المحفل الذى اكثره منتظم من
غباوة المحمول اذا على بسيط ذاته المشابه فى اكثر الاوقات امواج البحر
المجموع اذا من عزم متلون محارب لان هذا هو حال أولئك الناس
الدنيا و يون الذين تعتمد أنت استرضاهم فان قلت الان كثيرين منهم
يوجدون مطابقين متوافقين مع بعضهم بعضا وما يتخافون من الاجتماع
أجبتك فلهذا السبب اذا سبيلنا ان نزدرى بهم أكثر لان ما النتيجة الفاضلة
الصابرة اذا من موافقتهم مع بعضهم بعضا ومن اجتماعهم الكثير مع
بعضهم بعضا اذا الافضل اذا ان لا يكون الامر هكذا فى الذين هذا الحال حالهم
أى ان الافضل هو ان يتخلفوا اذا عن الاجتماع مع بعضهم بعضا اذ على
هذه الجهة تضعف اذا غباوتهم لانهم اذا كانوا على انفرادهم كانوا ضعف
حالة فى أمورهم تلك التى لا فائدة فيها وأما اذا صار وا كثيرين فيخصهم
اذا ان يعرض لهم هذا العارض باعظم تأثيره أى تكون اذا غباوتهم أكثر
وأعظم لان غباوة الفرادى من الناس تصير عند التئامهم جميعا أعظم
مما كانت وتنميها كثرتهم ولهذا السبب ان ارتاد ان يتلافا واحدا واحدا
منهم على انفراده فى وقت من الاوقات ربما أمكنه اصلاحه وأما اذا التأموا
اذا معا فانه لا يتيسر له اذا اصلاحهم ولا يمكنه وذلك اذا الاجل تزايد
الغباوة فيهم وأنسياقهم الذى هو كانسياق البهائم السائمة واتباع
بعضهم فى كل مكان أراء بعضهم وأوهامهم فاذا ما هو فان كنت يا هذا
تبتغى التشريف من الذين هذا الحال حالهم ولذلك تفعل ما قد يبتغونه هم
لتكتسب منهم هذا التشريف الباطل الذى اذا مع ما انه فارغ فهو زائل
ومع ذلك فهو مضر فلما اذا لم تفعل ما قد يمدحونه أهل الفضيلة لتكتسب
الشرف الحقيقى الذى اذا مع ما انه حقيقى فهو دائم ومع ذلك فهو مفيد
فلذلك اذا اطلب اليك ان لا ترغب فى التشريف الذى من أولئك لان هذا الداء

جعل

جعل كافة أحوالنا منقلبة اذ قد جعل ما تحت فوق وما فوق أسفل هذا ولد استكثار القنية والحسد والقرف والاغتيال هذا فهو مرغيظ الذين لم يظلموا ظلما ويدرعهم سلاحه على الذين ما ظلموهم شيأ ومن قد سقط تحت هذا السقم فما قد عرف صدقه ولا يذكر ألفه ولا يعرف انه يستحى ولا من أحد الناس البتة لكنه قد حذف من نفسه جميع سجاياه الجيدة كلها ويقصد مجاريته كل الناس لانه قد عدم ان يكون ثابتا ودودا ولعمرى ان داء الغيظ وان كان يوجد غاصبا يمتنع ان يكون محمولا الا انه ليس من عادته ان يعسفنا دائما الا اذا حضر لدينا الذين أغاظونا فقط فاما التشريف الفارغ فيخصه ان يعسفنا دائما وهذا فلن يوجد له على ما يقال وقت يمكن ان ينتهى فيه الى غاية ولا يوجد فكر يمنعه ولا يقبضه لكنه حاضر دائما ليس من عادته ان يستميلنا الى الاخطاء فقط لكنه مع ذلك ان اتفق لنا ان نصلح صنفا محمودا يغيبه من أيدينا وفى طباعه انه لا يترك ان ننشو من ذلك الصنف مبدأه أعنى الجيد أى ان الصنف الذى يكون جيدا فان حب الشرف الباطل ما يترك ان ننشئ منه مبدأ بل قد يغيبه من أيدينا فاذا ماهو ولئن كان بولس الرسول يسمى الاستغنام واحتشاد القنية عبادة أصنام فالشرف الفارغ اذا الذى هو أم هذا الداء وقرمته وعينه ماذا يجب ان يسمى لان ليس يتجه لنا ان نجد لرداوته اسماء اهلا له فسبيلنا اذا ان نستفيق وننزع هذا الثوب الخبيث ونمزقه ونقطعه ولنصير فى وقت من زماننا أحرارا حرية صادقة ونستمد احساسا بشرف الحسب الذى وهبه الله لنا فينبغى اذا ان نتهاون بتشريف الناس الكثيرين فلا يوجد على هذا المثال عارض حقير مثل هذا العارض المملوء خزيا وذلا كثيرا وهذا الامر اذا أى ان ابتغاء التشريف من الناس مملوء اخزى وذل كثير فذلك قد يبصره باصر من جهات كثيرة فلا نبتغيه اذا لئلا نعدم التشريف

لان عشقنا الشرف بعدمنا التشريف والشرف بالحقيقة انما هو الاعراض
عن هذا الشرف وان لا نذكره ذكرا لكن نقول كلما نقوله ونعمل
كلما نعمله لنحو محبة الله تعالى فعلى هذه الجهة نقتدر ان نستمد الثواب
من الناظر خفايانا ناظرا الينا اذا اكتفينا به وحده معاينا لنا لان ما حاجتنا
الى ألحاظ آخرين اذا كان المزمع أن يكرمنا ناظرا الى ما يكون منا دائما وكيف
لا يكون فعلا منكرا ان كنا لا نصنع كما يصنعون الذين هم تحت أيادي غيرهم
لان أليس ذلك فعلا منكرا هو أي اذا كان العبد يعمل كلما يعمله
لاسترضا سيده بعمله وليس يلتمس شيأ أكثر من معاينته اياه وليس
يجتذب ألحاظا أخرى الى عمله وان كان الذين ينظرون اليه معظمين
لكنه يترقب قصدا واحدا فقط وهو ان ينظر اليه سيده فان كنا نحن
لا نصنع هكذا حقا ان ذلك أمر منكرا هو فنحن قدام تلك الدار باشائعة
سيادته عز وجل فما ينبغي ان نطلب ناظرين آخرين ليسوا يفيدونا
نفعا بل هم مقتدرون ان يضرونا من تلقاء نظرهم الينا وان يستفرغوا
كافة تعبنا فاطلب اليكم اذا ان لا تعملوا هذا العمل لكن الذي نوقن ان
نأخذ من عنده أقسام أجرنا اياه ندعوا مادحا لما يكون منا ذاك هو
معايننا فليست بنا حاجة الى ألحاظ أنسانية لاننا ان شئنا ان ننال هذا
الشرف فانما نحصله حينئذ اذا طلبنا المجد الذي من الله وحده عز وجل الذي
يشرف الذين يمجدونه لانه قال عز قوله لاشرفن الذين يمجدوني وكما اننا
حينئذ نثري بالاموال أثرا كثيرا اذا ازدرينا هاوتها ونابها وطلبنا الثروة
التي من الله فقط لانه قال عز قوله اطلبوا أولا ملكوت الله وهذه الاشياء
تزداد لكم فعلى هذا المجرى يجري التشريف فاذا اذا حصلت عندنا
عطية الاموال وعطية الشرف خالية من خطر حينئذ لا يكثرها الرب
ويوسعها علينا وانما توجد حينئذ خالية من خطر اذا لم تغلظنا هي ولم تقهرنا

ولم

ولم تأمرنا اذا كما تأمر العبيد لها لكنها تخضع عندنا كخضورها عند ساداتها وعند الاحرار من التعبد لها ولهذا السبب ليس يراد منا ان نعشقها حتى لا تغبطنا فاذا أحكمنا هذا الغرض سيعطينا اياها الله بسعة كثيرة لان قل لي ماذا يكون أبهى بهجة من بولس القائل ما طلبت من الناس شرفا ولا منكم ولا من آخرين غيركم ما الذى يكون أحسن بها ممن لا يمتلك شيا وهو ضابط الاشياء كلها لاننا اذا لم تضبطنا هذه الاشياء على ما ذكرت فحينئذ نضبطها نحن وعند ذلك نحصلها فان اشتهينا ان نمتلك شرفا فينبغى لنا ان نهرب من الشوق الوقتى فاننا على هذه الطريقة نقتدر ان نستكمل شرائع الاهنا ونحصل الحظوظ التى ههنا والنعم الصالحة التى وعدنا بها هناك التى تكون لنا كلنا ونحظى بها بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفه الذى معه لابيه المجد مع الروح القدس الآن ودائما والى أباد الدهور أمين

المقالة الرابعة

فى الابتداء كان الكلمة والكلمة كان عند الله والله كان الكلمة

ان المعلمين ليس من عادتهم ان يضعوا على الصبيان عند مبدأ دخولهم الى التعليم أوقارا من التعليم كثيرة يتلوا بعضها بعضا ولا من شانهم ان يعملوا هذا العمل فى دفعة واحدة لكنهم يفاوضونهم دفعة بعد دفعة بالفاظ يسيرة واحدة باعيانها حتى يتيسر لهم ان يحصلوا فى تمييز فهمهم ما يقولونه لهم ولكيلا يستصعبوا من المبادى كثرة الاقوال وصعوبة تمكينها فى حاسة ذكرهم فيصيروا أكثر كسلا من غيرهم فى جمع الالفاظ التى تدفع اليهم اذ يتسكون فيهم عجزا

من صعوبة مايرونه ثقيلا عليهم فهذا العمل أريدانا ان أعمله وأجعل التعب خفيفا عندكم اذا أخذ من هذه الاقوال التى فى هذه المائدة الشريفة قليلا قليلا وأحصله على هذه الجهة فى نفوسكم ولهذا السبب لا أمس أيضا تلك الالفاظ باعيانها حتى لا أكرر القول بعينه لكن حتى أضيف اليه ماينقص منه فقط فهات نسوق القول الى مباديه أيضا وهو (فى الابتداء كان الكلمة والكلمة كان عند الله والله كان الكلمة) ولعلك تستخبر لماذا ابتداء المبشرون الاخرون كلهم من سياسة ربنا وهذا البشير لم يصنع هكذا وذلك ان متى قال كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود ولوقا يصف لنا أخبار مريم والدة الاهنا ومرقس فعلى جهة مماثلته ما يثبت فى هذه الاقوال باعيانها فاذا لماذا ابتداء أولئك من هذا الموضع و يوحنا فاغمض هذا المعنى عندما قال فيما بعد بلفظ يسير والكلمة صار لحما وكنى عن الاخبار كلها وتجاوزها وما وصف اذا الاحبل به ولا ولادته ولا تربيته و يضيف لنا فى الحين ذكر ولادته الازلية فها أنا أبين لكم السبب فى ذلك وذلك ان باقى المبشرين لما ثبتوا أكثر ثباتا فى أقوالهم فى تجسد ربنا من البتول وميلاده منها وتردده اذا منها على الارض ولم يذكروا فى مبدأ وصفهم اياه خاصته الازلية لكون يوحنا لاجل هذا المعنى خاف ان لا يوجد أناس طريحين باوهامهم على الارض فيثبتون فى هذه الاراء وحدها وقد أصاب بولس الشميساطى هذا المصاب فها لخوفه من هذا الامر فلذلك يصف لنا فى الحين خاصته الازلية فاذا على جهة الواجب صاعد هذا البشير من ذلة الجنوح الى الاوهام الارضية الذين شارفوا ان يسقطوا فيها واجتذبهم الى السماء اذ جعل ابتداء تكلمه من العلو ومن وجوده الازلى الدهرى لان متى اذ جعل وصفه من هيرودس الملك ولوقا اذا بتداء بما أخبر به من طيباريوس أوغسطس الخليفة ومرقس لما جعل كلامه من معمودية

يوحنا   أهمل هذا الفاضل هذه الاقوال كلها واصاعد السامعين منه الى
أعلا من كل زمان ودهر   وأنفذ تمييز فهمهم الى هناك   أى الى ما لا غاية له
وذلك بقوله فى الابتداء كان الكلمة   فاذا الى هناك أنفذ تمييز فهم
السامعين منه   وما تركه ان يقف فى مكان   ولا وضع له حدا على حد وما
وضع لاولئك هيرودس وطيباريوس ويوحنا المعمدان حدا لوصفهم ولعمرى
ان هذا الفعل من أفعالهم وهلا مع التعجب منه المذكر له كثيرا   وذلك
لان يوحنا مع ان كلامه بعينه أعلا محلا   أهمل تدبير سيدنا وألقى
ذكره   ولا أولئك مع اجتهادهم فى وصف تدبيره صمتوا عن وصف وجوده
الاقدم من الدهور   وذلك على جهة الواجب جدا   لان الروح الذى
حرك نفوسهم كلهم كان واحدا ولهذا المعنى أظهروا اتفاقهم فى تخبيرهم كثيرا
فاذا سمعت أيها الحبيب كلمة فلا تجنح فى وقت من الاوقات الى رأى القائلين
انها فعل   فلا تطابق الظانين انها كلمة على بسيط ذاتها   لان أقوال الله كثيرة
هى التى اذا تكملها ملائكته   الان ولا كلمة واحدة من تلك الكلمات
الاها   لكن تلك الكلمات كلها نبوات وانكال   لان الكتاب بهذا الاسم
جرت عادته ان يسمى شرائع الله وأوامره ونبواته   أى يسميها كلمات ولذلك
استثنى بقوله فى ذكر الملائكة انهم قادرون ان يعملوا كلمته تقوتهم فاذا
وأوامره ونبواته سماه كلمات   الان ولا كلمة منها جوهرا الاهى   وأما
هذه الكلمة الذى هو ابن الله فانه ليس كذلك   حاشا من ذلك وكلا   بل
هو جوهر الاهى وأقنوم بارز من أبيه بعينه خلوا من انقسام عارض   لهذا
قد أوضحه البشير باسم الكلمة   مظهرا لنا انه غير منفصل من والده غير
منفصل منه   فكان قوله فى الابتداء كان الكلمة يبين خاصته الازلية
الدهرية مما استثنى به بعد يسير   الذى هو قوله هذا كان فى الابتداء عند
الله أظهر لنا اتفاقه مع أبيه فى أزليته   لان حتى اذا سمعت ان فى الابتداء كان

الكلمة وتعتقده أزليا   الا انك تتوهمه فى حياته أقدم من أبيه بمسافة
فريدة وتعطى للوحيد ابتداء فى دهر أكثر   استثنى بقوله انه فى الابتداء
كان عند الله   وانه على هذا المثال أزلى مثل أبيه بعينه   لان ما كان اذا
ولا فى وقت من الاوقات الاب خلوا من الابن   ولا الابن خلوا من الاب فاذا
كان ليس الاب تحت ابتداء فلهذا ليس الابن تحت ابتداء   بل هو عديل أبيه
فى عدم الابتداء   كما انه عديله فى الجوهر وفى كل شئ   لانه لم يزل
موجودا مع أبيه فى أقنوم خاص به وجودا لا ابتداء له   ولقائل ان يقول
كيف المعنى فى انه كان فى العالم ان كان عند الله   فنقول له انه كان عند
الله وكان فى العالم   لان لا الاب ولا الابن يوصل الى غاية لهما البتة   لانه
ان كانت عظمته لا يوجد لها غاية   وفهمه ان كان ليس يوجد له عددا
فمن البين ان جوهره لا يوجد له غاية   اذ هذه الخاصة خاصته هى   أى انه
موجود فى كل مكان   ولا ينحصر اذا فى مكان   تعالى الله عن ذلك وتعالى
شأنه وجلاله   تعالت عظمته فهو عز وجل لا غاية له ولا ابتداء له   فقد
أبان انه فى الابتداء أبدع الله السماء والارض   فما الذى تفهمه من هذا
الابتداء أفما قد استبان واضحا   انك انما فهمت من ذلك تكوينه اياها
قبل البرايا الملحوظة كلها   فكذلك اذا سمعت فى وصف الوحيد انه كان
فى الابتداء   فافهم انه كان موجودا قبل البرايا العقلية كلها وقبل كافة
الدهور وجودا لا ابتداء له   فان قال قائل فكيف يتجه ان يكون ابنا
ولا يوجد أحدث من أبيه   لان الضرورة كلها توجب انه يوجد الموجود من
أحد الاشياء أخيرا الذى يوجد منه   فنقول له قد تبين كثيرا ان هذه
الاقوال متولدة من أفكار انسانية   ومن يطلب هذا المطلوب من شأنه ان
يطلب مطالب أخرى أشنع من هذا جدا   وليس بواجب ان نقبل فى سمعنا
هذه المطالب وأمثالها   لان الكلام عندنا الآن هو فى ذكر الاهنا وليس

ه وفى وصف طبيعة الناس الموضوعة تحت مساق هذه الافكار ولكن لاجل
استمالة الضعفاء الى الصواب سنورد الطعن عليهما   قل لى يا هذا شعاع
الشمس أيظهر من طبيعة الشمس بعينها أم من جهة أخرى   فالضرورة كلها
تلزم من لم يكن مسلوبا فعل حواسه   ان يعترف انه من طبيعتها يظهر لامعا
ولكن مع ان الشعاع موجود من الشمس بعينها السنا نقول فى وقت من الاوقات
انه أخيرا بعد طبيعة الشمس   لانه ما ظهرت فى وقت من الاوقات شمسا
خلوا من شعاعها   فان كان قد ظهر فى هذه الاجسام المحوطة المحسوسة موجود
من أحدها وليس هو أخيرا بعد الذى هو موجود منه   فما معنى انكارك
انه كان يوجد هذا الوجود بعينه فى الطبيعة الفاقدة ان توجد محوطة
وموضوعة على هذا المثال على نحو ما كان لائقا بذلك الجوهر   لان لاجل
هذا المعنى سماه بولس الرسول بهذا الاسم مبينا بذلك انه من جوهر أبيه
بعينه وانه غير منفصل   وانه عديله فى الجوهر والازلية والمجد وكل شئ فما
قولك أوما الدهور كلها تكونت وكل مسافة لها   فالضرورة كلها
تلزم من لم يكن مصروعا ان يعترف بهذا   فليس اذا زمان أوسط بين الابن
وأبيه فان يكن ليس بينهما زمان أوسط فليس الابن أخيرا   لكنه عديل أبيه
فى أزليته   لان حرف قبل وحرف بعد هما معنيان دالان على زمانين لان خلوا
من دهر أو من زمان ما يستطيع أحدنا ان يفهم هذين الجزؤين والله عز وجل
فهو أقدم وأعلا من الازمان والدهور   فان قلت انه ينبغى ان يوجد للابن
ابتداء فاحذر ان لا تضطر على حذو قولك هذا وفكرك الان تورد الاب تحت
ابتداء يكون أقدم   لانه مع ذلك ابتداء   لان قل لى أما تضع للابن زمانا
فريدا وابتداء   فمن البين انك تقول الاب بخصه على هذه الجهة ان ينفذ
الى فوق متقدما فى الابتداء   فقل لى اذا الاب كم تقدم الابن فى الوجود
لانك ان قلت انه يتقدم مسافة صغيرة أو كبيرة   فقد جعلت الاب تحت

ابتداء لانه من البين الواضح انك اذا عددت زمانا بين الابن و بين أبيه فانك تكون على كل حال قد جعلت الاب تحت ابتداء أرأيت انه ليس يوجد ابتداء لكليهما فيلزم من ذلك انك اذا خولت الابن ابتداء أمكنك على انفرادك ان تخوله لابيه فليس يكون ولا الاب على رأيك عديما ان يكون مبتدئا أرأيت ان ماقاله مخلصنا يوجد صادقا وكلامه توجد قوته فى كل مكان وان سألت وماهو قوله هذا أجبتك ان من لا يكرم الابن لا يكرم أباه وقد عرفت ان ماقلناه يوجد عند أناس كثيرين ممتنعا ادراكه فلاجل ان أحرك الهواجس من أفكارى فى جهات كثيرة لان باقى المحفل ما يستطيع ان يتبعها وان تبعها فان يحوى رأيا حقيقيا وثيقا لان أفكار الناس جزوعة ور ؤياتهم مخدوعة وأقول بالتذاذ ذلك القول للذين يعاندونا ماهو معنى القول الذى قيل عند النبى ماصار قبلى الاه آخر وليس يوجد بعدى الاه فهل تبطلون جوهر وحيدة لان يلزمكم اضطرارا اما ان تتجاسروا على هذا الكفر واما ان تقتبلوا الاهوت واحد للاب والابن فى جوهر خاص فاذا ماهو فان كان الابن أحدث من أبيه كما ر القول فيكون اذا قد وجد فى دهر وذلك الدهر اذا أى الذى يكون الابن قد وجد فيه على رأيك قد يكن اذا اقدم منه فما هو اذا هذا الاتحاد واين يكون قوله البرايا كلها به تكونت صادقا بجملة معناه لانه ان كان يوجد دهر أقدم منه فكيف يكن الدهر الكائن به قبله أرأيتم الى أى جسارة خرج كلامهم حين أزاغوا دفعة واحدة حركة الحق لان لماذا لم يقل البشير انه صار مالم يكن موجودا كما بين بولس الرسول لمعنى فى ابداع البرايا كلها عند قوله هذا القول الذى دعا البرايا التى لم تكن موجودة كانها موجودة فاذا لماذا لم يقل هو أيضا هكذا لكنه قال فى الابتداء كان لان هذا القول هو ضد لذلك وذلك على جهة الواجب جدا لان الله

ما

ما كون ولا يوجد شئ أقدم منه   لكن هذه الاقوال هى ألفاظ الوثنيين فاخبرنى اذا عن هذا المعنى   اما تقول ان الخالق يفوق على اعماله فوقا يفوت المقايسه   فان كان الذى ابدعها ما لم يكن موجودا شبيها بها   فأين فوقه الفائت المقايسة   وما هو بجملة البحث قوله أنا هو الاول وأنا بعد البرايا وما صار قبلى الاه غيرى   لانه ان لم يكن الابن من جوهر أبيه بعينه فهو الاه آخر   وان لم يكن عديله فى أزليته فهو بعده   وان كان من جوهره فمن البين أنه قد تكون   فان قلت ان هذه الاقوال انما قيلت لتوخى الافضال بينه وبين الاصنام   فاقول لك لا   أى أن قوله أنا هو الاول وأنا بعد البرايا وما صار قبلى الاه غيرى   لم يكن قد توخى به الافضال بينه وبين الاصنام اذا ان الاقوال التى تتوخى الافضال بينه وبين الاصنام انما هى اذا هذه   أى انه هو الاله الصادق وحده   فهذه هى الاقوال التى قيلت لذلك أى لتوخى الافضال بينه وبين الاصنام   وأما قوله أنا هو الاول وأنا بعد البرايا وما صار قبلى الاه غيرى   فذلك انما هو اذا لايضاح هذا المعنى   أى انه ابنه من جوهره بعينه وأنه مولود منه بلا ابتداء   وانه عديله فى الجوهر وعدم الابتداء وكل شئ   والا فان كان ذاك القول انما قيل اذا توخيا للافضال بينه وبين الاصنام فكيف تترجم القول كله   فلا يتجه لك قول تقوله   لانه اذا ما قال هذا القول فقط   لكنه أيضا قال بعدى ليس يوجد الاه غيرى   فان قلت أنه ما قال هذا القول مخرجا ابنه   لكنه انما قال هذا القول يتوخى به ان ليس يوجد بعدى الاها ضميا   وما قاله أن ليس يوجد له ابنا يكن اذا بعده   فاقول لك فاذا ما معنى قوله قبلى ما كان الاه غيرى   أفهل على هذه الجهة قال اذا هذا القول   أى لانه ما تكون الاها ضميا   فاذا ما هو فتكون اذا ابنه قبله   وأى شيطان يقول هذا القول   لانه على حسب ظنى أن ولا ابليس المحتال بعينه يجسر ان يقول هذا القول   وان كان ليس هو بجملة

الابقان عديلا لابيه فى أزليته فكيف تقول فى وصفه تعالى ماقد نطق
به الكتاب أى ان حياته قد عدمت ان توجد محبورة فان كان قدامك
ابتداء من فوق فما يكون اذا غير محبورا لانه وان كان قد عدم أن
يكون منتهيا الا انه اذا كان قدامك ابتداء فليس يوجد على كل
حال عديما أن يكون محبورا لان معنى قد عدم أن يكون محبورا يجب
أن يكون من كلتى الجهتين عديما أن يكون وهذا المعنى اذ اوضحه بولس
الرسول قال ليس يحوى لايامه ابتداء ولا لحياته غاية موضحا خاصة الفائدة
أن تكون مبتدئة أو منتهية لانه كما ان هذه الخاصة ما تحوى غاية فكذلك
ولا تحوز نهاية ليس لها ههنا انقضاء ولا هناك ابتداء فان قلت
فكيف وضع يوحنا ابتداء اذ قال فى الابتداء كان أجبتك كيف تتأمل
قوله فى الابتداء وقوله كان وما تتفطن فى ايراده هذا الاسم أعنى اسم
الكلمة لان ماذا اذا أليس انه قال كان الكلمة فاذا قل لى أليس ان
الكلمة المساوى أبيه فى الجوهر والازلية وكل شئ اله كابيه نعم لاشك
فى ذلك فاذا ما هو أما عبر القول بان لفظة فى الابتداء ولفظة كان اذا قيلا
فى وصف الاله تعالى انما يوضحا خاصة الازلية الدهرية فاذا قل لى ما قولك
اذا سمعت النبي يقول فى وصف الاب منذ لدهر والى الدهر أنت هو أتراه قال
هذا القول يضع به حدا له لا البتة لكنه انما قاله موضحا خاصة الدهرية
فعلى هذا المعنى يفهم القول الذى قاله البشير فى وصف الابن لانه ما قال
هذا القول يضع به حدا لانه ما قال انه حوى ابتداء لكنه قال فى الابتداء
كان مرسلا اياك بحرف كان الى أن تفهم أن الابن عديم أن يكون مبتدئا
الا أن القائل يقول لنا فها الاب يقال بزيادة الحاشية التى هى الالف واللام
والابن يقال خلوا من حاشية فنقول له الا أن هذه الحاشية التى هى الالف
واللام لا يليق وضعها فى كل مكان بل انما يليق وضعها فى الاماكن التى

يحتاج فيها اليها فقط وأما فى الاماكن التى لا يحتاج فيها اليها فيكون
اذا وضعها فيها فضله زائده وانظروا اذا الى ذلك لان حتى لا تظن أن لاهوت
الابن أدنى وضع فى الحين الدلائل المعرفة بمعادلته لابيه فى كل شئ اذا عاد
خاصة الدهرية لانه قال (هذا كان فى الابتداء عند الله) واستثنى بخاصة
الخالقة فقال لان (البرايا كلها به تكونت وخلوا منه ما تكون ولا شئ واحد مما
كان) وهذا المعنى فقد ذكره أبوه فى كل مكان بأنبيائه ذكرا كثيرا معرفا
اذا بجوهره والانبياء يرددون ترديدا متصلا صورة برهان ذلك وما
ذكروا ذكرا على بسيط ذات الذكر لكنهم اجتهدوا اذا فى ذكر ذلك
لقصدهم ابطال تشريف الاصنام لانه قال آلهة ما أبدعت السماء والارض
فلتهلك وقال أنا بيدى مددت السماء و وضع هذا فى كل مكان دالا على
لاهوته مظهرا له وهذا البشير فما اكتفى بهذه الالفاظ فقط لكنه
نادى اذا بان به كانت الحياة ونادى بأنه هو النور و بغير ذلك مما
يوضح معادلته لابيه فى كل شئ فاذا ما هو فان كان اذا مع أبيه دائما ان
كان هو أبدع البرايا كلها ان كان هو استخرجها كلها ويضمها اذا لانه
بالحياة أشار الى ايضاح هذا المعنى ان كان هو ينيرها كلها فمن يكون
بهذه الصورة زائلا فهمه حتى أنه يقول ان البشير بهذه الالفاظ يجتهد أن
يوردتنقيص اللاهوته وهو مقتدر أن يبين بها معادلته أباه فى كل شئ وزال
مباينته اياه تبيينا كثيرا فلا نخلط اذا الخليقة مع خالقها حتى لا نسمع
نحن انهم أكرموا الخليقة أكثر من مبدعها لانه ان قال قائل ان هذا
القول أى الذى هو قوله فى الابتداء قد قيل فى وصف السموات أيضا فأجيبه
الا أنه مع ذلك فى كلامه فى وصفها قد عرفنا أنها مخلوقة قد خلقها الله من
العدم وأوردانا ان حدا زمانيا مشتملا عليها وما تركنا أن نتوهم فيها
توهما أكثر من ذلك وقد منع بجملة المنع وأوعز انه ما يجب أن نعبد الخليقة

على نحو ما وجد الرأى الاوثانى عابدا الها

العظة الرابعة

(فى أنه يجب أن نشكر انعطف ربنا فى اجتناب الغيظ) فلا نخلص ذواتنا فى هذه العبادة فلهذا السبب جاء ابن الله ليستخلصنا من هذه العبادة لهذا الغرض أخذ صورة عبد حتى يحررنا من هذه العبودية لهذا المعنى لطم لهذا الحال صاب لهذا الغرض اصطبر على الموت الموجب العار فلا نجعل أفعاله هذه كلها خائبة من الانتفاع بها لا تعاودن أيضا الى الحادنا الاول وأليق ما يقال لا تعاودن الى أصعب من الحادنا الاول بزيادة كثيرة لان ليس يوجد فعلا مقياسا بأن نعبد الخليقة وأن نحط الخالق بعينه الى حقارة الخليقة اذا قضى الينا على انفرادنا أن لا نحطه الينا لانه هو ثابت على الحال التى هى موجود عليها لان النبى قد قال أنت هو وسنوك ما تنقضى ولا تفنى فسبيلنا أن نمجده على حذو ما تسلمنا من ابائنا وينبغى لنا أن نمجده بايماننا وأعمالنا لان ليس يحصل لنا نفع يوصلنا الى خلاصنا من اعتقادات معافاة نعتقدها اذا كانت حياتنا مفسودة عندنا فلذلك يجب علينا أن نقوم عيشتنا على حسب رأى الاهنا ونجعل ذواتنا نازحين عن كل فعل مستقبح وعن الظلم واستكثار القنية ويكون حالنا حال غرباء طائرين متغربين من الاشياء التى ههنا وان كان أحدنا يملك أموالا وأملاكا كثيرة فليستعملها هذا الاستعمال كاستعمال حال منتزح بعد مدة يسيرة عنها طائعا وكارها وان كان قد ظلمه أحد من الناس فلا يغتاظن عليه اغتياظا فديم أن يكون مانقا وأليق ما يقال فلا يغتاظن عليه اغتياظا وقتيا لان الرسول ما دفع الينا الاستعمال غيظ أكثر من يوم واحد لانه قال لا تغرب الشمس على اغتياظكم وذلك على جهة الواجب لان فعلا محبوبا هو أن لا نتكون

غيظا

غيظا مكروها ولا فى وقت من الاوقات ولو كان يسيرا اذا بهذه الصفة فاذا ماهو فان أدرك الليل غيظنا تكون الهواجس الكائنة منه أشد وأصعب تأثيرا اذ تجتمع لنا النار من ذكرنا كثيرا واذا بحثنا عن هواجسه ولدانا شغلا أمر الاشغال مراسا فيوعز الينا الرسول قبل أن يتسلمنا هذا الشغل المهلك وقبل أن يضطرم ناره اضطراما شديدا تأثيره أن نستدرك سورته الشديدة ونخمدها لان داء الغيظ هو حاد جدا أحد من كل لهيب فلهذا نحتاج الى مسارعة كثيرة لنستدرك لهيبه ولا نفسح له أن يرتفع الى العلو لان هذا المرض يصير علة لبلايا كثيرة لانه قد أقلب منازل كاملة بأهلها وفسخ ألفة قديمة واخترع فى مدة يسيرة صنوفا من الندب والعويل مسلوبة تسليتها لان لحظة عقيمة قد قال الحكيم انها ساقطة له سيراخ ١ ٠ ١٩ فلا نطلقن هذا الوحش خاليا من أن يكون ملجما لكن سبيلنا أن نحصل فيه خوف مجلس القضاء المنتظر كونه كونا شديدا من كافة جهاته فاذا غمك صديقك أو أحد المناسبين لك فتفطن فى الخطايا التى أخطأتها أنت الى الله وتأمل انك بالدعة التى تعتمد ذاك المحزن لك بها تجعل مجلس القضاء ذاك المريع أوفر رفقا بك لانه قال اغفروا فيغفر لكم فسيهرب داء الغيظ منك بأوفر الاسراع وتصفح مع هذه الزواجر ذاك العارض أى ان كنت فى وقت من أوقاتك انهبطت الى تنمر وغيظ فضبطت ذاتك وان كنت فى وقت من الزمان قد سحبك داء غيظك فوادعت أخلاقك نظير الذين قد صنعوا هكذا فقابل اذا الوقتين كلاهما أحدهما مقابل الآخر فتستمد من هذه الجهة اصلاحا كثيرا فتأمل لى متى أحمدت ذاتك أحين انقهرت من غيظك وأطعته أم حين ضبطت غضبك أولسنا حينئذ نشكوا ذواتنا أشد الشكوى ونستخزى وان كان ليس يوبخنا موبخ أى اذا أعطينا غيظنا يدخل الينا عارض الندامة عظيما بسبب أقوالنا وأفعالنا وأما اذا

قهرنا نحن غيظنا واستولينا عليه فاننا اذا نتنعم ونفرح من طريق اننا قهرناه
لان قهر الغيظ ليس هو انتصارنا للعوارض العارضة لنا بأمثالها لان هذا
الفعل هو هزيمة واصلة الى غايتها لكنه احتمالنا بأوفر الوداعة ما نقاسيه
من صنوف المكاره العارضة لنا ومن قوادح المسبات الصادرة الى استماعنا
لان هذا هو امتلاك الاكثر من الفائدة وليس هو ايصالنا الى غيرنا مكروها
فلا تقولن عند اغتياظك انا على كل حال استأصله أنا أبالغ فى الانتصار منه
ولا تضادد الذين يشيرون عليك أن تقهر باحتمالك فاذا لا تضاددهم قائلا
انى لست أستجير أن يضحك فلان على و ينصرف لانه ليس يضحك عليك
فى ذلك الحين فانما عرض له هذا العارض من طريق أنه قد زال فهمه
وأنت اذا قهرت غيظك فلا تطلب التشريف من الزائل فهمهم لكن استشعره
كافيا اذا حصل لك من المالكين عقولهم بل ما هى فائدتك فى اختلاس
مشهد يسير ذليل تنظمه أنت من أناس وأرفع اذا فى الحين طرفك الى الله
تعالى فذاك هو الذى يمدحك ومن يستنجبه ذاك ما ينبغى له أن يلتمس
من الناس تكريما لان التكريم من الناس ربما كان يعرض محمدا
وربما كان يعتمد معاداة أناس آخرين واغاظتهم وليس يجتلب فائدة
وأما القضية من الله تعالى فهى مخلصة من زوال التمهيد وتجتلب للمستجيب
نفعا كثيرا فينبغى لنا أن نلتمس هذا المديح ساعين وراءه أتشاء أن
تعرف الاغتياظ كم هو وتقدير فعله الردى قف فى السوق باناس متخاصمين
لانك ما تيسر لك ولا تقدر أن تعرف فى ذاتك فضيحتك عند اظلام فكرك
وسكره لكنك اذا انتفضت من المرض حينئذ تنظر الى أفعالك فى آخرين
غيرك ان لم يكن حكمك منفسدا فيك وانظر الى الجموع المتقاطرين
وقتئذ وعاين المغتاظين وهم فى وسطهم فتراهم كمثل المجانين لان الغضب
اذا غلى فى الصدر ينهض الغضوب و ينمره ويجعل فمه بيت نار ويورم

وجهه

وجهه من كل جهاته ويمد يديه مدا زائغا عن الترتيب ويقفز برجلاه قفزا يوجب الضحك عليه ويثب على ضابطه وليس يكون بينه وبين المجانين فرقا ومع هذه الافعال كلها فالذين يقهرهم هذا الداء يزول حمهم ويرفسون رفسا ليس يبدو ولا من الحمير الوحشية ويعضون فالرجل الغضوب ليست صورته حسنة ثم بعد هذا الضحك الكثير عليهم اذا اذا انصرفوا الى منازلهم وعادوا الى ذواتهم يشتملون الوجع أكثر تأثيرا والخوف جزيلا عند افتكارهم قائلين ترى من كان الحاضرون عندنا فى حين اغتياظنا لانهم كانوا نظير المصروعين يستجهلون المجتازين بهم لكنهم اذا استفاقوا حينئذ يفتكرون هذه الافكار قائلين أترى الذين أبصرونا أصدقاؤنا كانوا أو هل محاربين ومعاديين لنا كانوا لانهم يرتاعون ويخجلون من كلام الفريقين خجلا متساويا فيخجلون من أحبابهم من جهة انهم يلومونهم ويجعلون تخجيلهم وخزيهم أعظم مضضا ويخجلون من أعدائهم من طريق انهم يشمتون بهم وان كانوا حين صادم بعضهم بعضا قد أسرفوا فى الضرب والتهشيم فخيفتهم تكون أصعب وأشد جدا كقولك ان لا يكون يعرض للمضروب عارض من العوارض الاصعب من غيرها اما ان يتبع ضربه بجهة تورد له موتا واما ان يتولد له من ذلك ورم يعسر برؤه وينتهى به الى خطر أشد الاخطار ويقول ما الذى أحوجنى الى هذه المنازعة ما الذى استمالنى الى الشتائم والخصومة قد هلك لى كذا وكذا وكلهم يلعنون الشياطين الخبثاء وجميع الذين سببوا لهذه الافعال المميتة ابتداها والذين هم أعدم قياسا من غيرهم يجعلون سبب تلك الحوادث ساعة ردية الان تلك الافعال ليست هى أفعال ساعة ردية لان ما يوجد فى وقت من الاوقات ساعة ردية لان ذلك اذا ليس له أصل فى الوجود ولا تلك الافعال منسوبة الى شيطان خبيث لكنها أفعال خبث المقتنصين بها لان

أولئك يستجذبون الشياطين اليهم و يجتلبون الشدائد كلها الى ذواتهم واهل
قائلا يقول الان قلبي يتورم وتعضه المصيبات وتلدغه فاجيبه وأنا أعرف
ذلك لانى لهذا السبب أستعجب الذين يضبطون هذا الوحش الصعب مع اننا
اذا شئنا فممكن لنا ان ندفع هذا الداء وأنا أستخبرك لماذا اذا شتمونا الرؤساء
ليس يؤثر فينا هذا تأثير الغضب فانا أجاوبك نائبا عنك لان داء غيظنا يوقفه
خوف عديل له اذا أراعنا ولم يسمح ان يفرغ فينا من غضبنا ولا بتداوه ثم ولماذا
يحتمل عبيدنا منا بصمت كل الشتائم الجزيل عددها التى نشتمهم بها وأنا
أجيب عن ذلك أيضا فاقول لانهم ما يكون هذا الرباط نفسه موضوعا عليهم فاذا
ماهو فلا تتفطن فى الخوف من الله يا هذا فقط لكن تفطن أنت مع ذلك
موقنا ان الاله الذى أمرك ان تصمت اذا شتمت هو الذى شتمك حينئذ اذا فتحتمل
باوفر الوداعة جميع ما يجرى عليك وقل للمتوثب عليك ما الذى به انى منك
غيرك قد ضبط عينى ولسانى فتكون هذه الكلمة لك ولذلك موضع للفلسفة
فنحن الآن طالما احتملنا لاجل الناس مكاره يمتنع احتمالها وقلنا للذين يسبوننا
ويهينوننا فلان هو الذى شتمنى وما شتمتنى أنت أى الذى احتملناه فقد
احتملناه لاجله فان كنا نفعل هذه الافعال لاجل الناس أفمن أجل الله
ما نتملك هذا التورع والاحتمال وأى عفو يكون لنا فسبيلنا ان نقول
لانفسنا الهنا الآن يشتمنا وهو الضابط أيدينا فلا نرتبكض ولا يكون
عندنا الهنا أنقص كرامة من الناس ولعلكم قد ارتعتم لهذا الكلام
الا اننى أريد ان أريعكم ليس بالالفاظ فقط لكننى أريد كم ان ترتعدوا
بالفعل لان الهنا قد أمرنا اذا لطمنا ليس ان نحتمل فقط لكنه قد أوعز
مع ذلك الينا ان نبذل ذواتنا لتتكبد عارضا أشد من ذلك الا اننا اذا هانحن
قد نخالفه مخالفة يبلغ تقدير شدتها الى اننا لسنا نبذل ذواتنا فقط لمقاسات
ما يكون مكروها لكننا مع ذلك ننتقم ممن يؤذينا وربما آثرنا ان نروس

على

على الايدى الظالمة ونتوهم اننا ننقص منزلتنا اذالم نعمل بها أعمال المغضوبين باعيانها الان اذا هذا هو العارض المستصعب أى ان نظن اذا انهزمنا انهزاما فى أقصى غايته وحصلنا طريحين أسفل ومقتبلين من ابليس المحال جراحات جزيل عددها نتوهم اننا نحن قدقهروناه وضبطناه فلهذا السبب أتوسل اليكم ان تتعلم ماهى سجية هذا القهر ونستعمل نوع هذه السجية بعينه لان مقاساتنا أشد المكروه هذا هو الذى يكللنا بأكاليل الظفر فان شئنا نحن أيضا ان بذيع الله ذكرنا فلانحفظ شريعة الجهادات الواردة من خارج لكن ينبغى لنا ان نحفظ فى هذه المصارعات الشريعة التى أعطانا اها الهنا فى هذه المصارعات وان نحتمل الحوادث والعوارض كلها بتمهل وطول أناة لانناعلى هذه الجهة نقهر الذين يصارعونا حتى نحصل الخيرات التى ههنا والنعم الصالحة التى وعدنا بها اذ لك بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفه الذى به ومعه لابيه المجد مع الروح القدس الآن ودائما والى آباد الدهور آمين

المقالة الخامسة

فى قوله البرايا كلها به تكونت وخلوا منه ما تكون ولاشئ واحد مما كان

فان قلت ماهو اذا قوله البرايا كلها به تكوت وخلوا منه ماتكون ولاشئ واحد مما كان أجبتك أى ان الابن لم ينفرد بفعل شئ من دونه اذ كان جوهرهما واحدا وفعلهما واحدا فاذا أرانا بذلك شركته مع الاب فى خلقة الخلائق لان ما صار قط شيأ من الاب خلوا من الابن ولاصار قط شيأ من الابن دون الاب وهذا المعنى يقال على هذه الجهة فى وصف الروح القدس أى انه ماصار قط من الاب والابن شئ خلوا من الروح القدس ولاصار قط شيأ من الروح القدس

نحلوا من الاب والابن وذلك ان الثالوث واحد فى الجوهر والارادة والمجد
والقدرة والرتبة والسلطان والرأى والحكمة والفعل والتدبير وكل شئ
وليس منفصل من بعضه بعضا ثم اذاما هو اعلم ان موسى النبى لما ابتدأ فى
الشريعة العتيقة بوصفها وتصنيفها و بمفاوضته ايانا فى وصف البرايا المحسوسة
جعل يعددها باصناف كثيرة لانه لما قال فى الابتداء أبدع الله السماء
والارض استثنى بعد ذلك بان قال بان تكون نور وسماء ثانية وطبائع نجوم
وأجناس من الحيوانات مختلفة أصنافها والبرايا الاخرى كلها معرفا ايانا
اذا باحوالها حتى لا نتجاوز الحد فى وصف صنف صنف منها فنحرف الى خارج
الاعتدال فذلك اذا عددها صنفا صنفا وأما هذا البشير فضم هذه الاقوال كلها
كما صنع موسى وذلك اذا على جهة الواجب جدا كون انها معروفة اذا أى
ان عدد ما عدده اياها صنفا صنفا كما صنع موسى فذلك انما هو اذا من
هذه الجهة أى من جهة انها كانت معروفة عند الذين سمعوها فلذلك
اذا لم يعددها بل قد أحتوى بلفظة واحدة عليها اذا وعلى البرايا الاعلاء
فووقا منها ثم وليس فقط عدم أعداده للبرايا اذا هو من هذه الجهة فقط التى
هى كون انها كانت معروفة عند الذين سمعوها بل لسكون انه سارع
اذا فى موضوع أعظم اجلالا وهو ان يخاطبنا ليس فى وصف أعمال البارى
بل فى وصف مبدع البرايا كلها ومستخرجها عز وجل فلهذا السبب أما
موسى فعلى انه اشتمل بوصفه على القسم الادنى من الخليقة لانه ما يخاطبنا
فى ابداع القوات الملائكة العديمة ان تكون ملحوظة قد ثبت فى أوصافه
هذه وأما هذا الفاضل فلاسراعه ان يصعد الى الخالق بعينه تجاوز
عن هذه الاقوال كلها باشتماله على هذه البرايا وعلى تلك المصموت
عنها عند موسى بقول واحد يسير وهو ان (البرايا كلها به تكونت) ولكيلا
يتوهم ان قوله البرايا كلها انه انما يذكر البرايا فقط التى وصفت بلسان

موسى

موسى استثنى بقوله (وخلوا منه ما تكون ولا شئ واحد مما كان) ومعنى ذلك هذا هو أى ان البرايا كلها المكونة ان كان منها شيأ ملحوظا وان كان شيأ مفعولا فما استخرج منها شخص الى وجوده خلوا عن قدرة الابن الازلى لانه لا ينبغى لنا أن نضع النقطة التامة بعد قوله ولا شيأ واحدا على رأى المبدعين فى الدين بدع هواهم وللقائل ان يقول لماذا يوحنا قال به ولم يقول منه أى لماذا قال ان به كان كل شئ فاقول له منادياً اذا بذلك بمعادلته لابيه فى كل شئ فقوله به أى بقدرته لانه ليس دون أبيه فى شئ من الاشياء كافة لكنه عديله فى كل شئ وقدرته هى قدرة أبيه وقدرة أبيه هى قدرته وهكذا اذا فعلهما لان كما ان جوهرهما هو واحد بعينه فكذلك فعلهما هو أحد بعينه وقدرتهما هى واحدة بعينها فاذا قوله به أى بقدرته منادياً اذا بمعادلته لابيه فى كافة الاشياء أى انه تعالى هو سبب كل شئ لانه عديل أبيه فى كل شئ وليس هو شيأ آليا لكنه تعالى سببا أصليا لانه ليس دون أبيه فى شئ البتة لان كلام البشير الذى تكلمه فى هذا المعنى الذى هو قوله به ليس تكلمه اذا كمتكلم فى معنى شيأ آليا ولا كفى معنى خادم استخدمه الله و به خلق الاشياء كلها كما قال ويجانوس وار يوس من بعده ولهذا دعى أبا الاريوسين بل قد تكلمه اذا بهذا النوع من المعنى أى انه قد كون سائر الاشياء مع والده بقدرة واحدة بعينها له ولوالده فاذا لكون انه سببا أصليا لكل شئ مع والده بمعادلة له فى ذلك كمعادلته اياه فى كل شئ فلهذا قال به وذلك اذا كما جاء فى سفر الخليقة حيث قالت حواء انى قد اقتنيت انسانا بالله فقولها بالله هو اذا لكون ان الله تعالى هو سبب كل شئ وقال الرسول واذا هو ابن الله فوارث بالله وقال أيضا ان الله أمين الذى به دعيتم فاذا ما هو ها ان حرف الباء وها ان حرف به قد ينسبان فى هذه النصوص وغيرها لله الاب فهل تقول لاجل ذلك انه سببا آليا حاشا من ذلك وكلا ليس هو سببا آليا بل هو سببا أصليا وهكذا اذا لسنا نقول

لاجل حرف به الذى أورده البشير ههنا فى وصف الابن انه سببا اليا أى لسنا لاجل حرف به نقول ان الابن هو سببا اليا حاشا من ذلك وكلا ليس هو سببا اليا بل سببا أصليا لانه عديل لابيه فى كل شئ فاذا الباه كما انها دلت فى تلك النصوص على ان الاب هو سبب أصلى لكل شئ هكذا دلت فى هذا النص على ان الابن هو سبب أصلى لكل شئ لانه عديل أبيه فى الجوهر والفعل وكل شئ وبالنتيجة بانه القادر على كل شئ والاه على حد سوى ولهذا اذا ورد الرسول نص المرتل القائل أنت يارب منذ البدء أسست الارض والسموات من عمل يديك هى أورده اذا فى وصف الابن أى انه اذا ورد هذا النص أورده اذا فى وصف الابن فاذا ما هو فلولم يعتقد الرسول بان الابن خالق وليس بخادم لما قال هذا القول وانما قال ذلك لعلمه اليقين بان الاب والابن رتبة واحدة فى مقام واحد فاذا كانه يقول انه لا شئ مما كان قد خلق خلوا من الابن أى ان الاب لم ينفرد بفعل شئ من دونه اذ كان جوهرهما واحدا وفعلهما واحدا فاذا قوله وخلوا منه ما تكون ولا شئ واحد مما كان أرانا به شركته مع الاب فى خلقه الخلائق أى ان الاب كما سبق القول فى ذلك لم ينفرد بفعل شئ من دونه اذ كان جوهرهما واحد وفعلهما واحد قال (وخلوا منه ما تكون ولا شئ واحد مما كان) فههنا اذا ينبغى ان نضع النقطة التامة لان ليس ينبغى لنا ان نضع النقطة التامة بعد قوله ولا شئ واحد بل ينبغى ان نضعها اذا بعد كمال قوله مما كان كى يكون اذا أول الاستيخن الذى يتلوا ذلك هو هذا اللفظ الذى هو قوله (فيه كانت الحياة) فينبغى كما سبق القول ان نضع النقطة التامة بعد كمال قوله مما كان وليس ينبغى ان نضعها بعد قوله ولا شئ واحد لان هذا اذا هو على رأى المبدعين بدع هواهم لانهم اذا يضعون النقطة التامة عند قوله ولا شئ واحد ويجعلون اللفظ الذى يتلوا ذلك بداءة هذا

الاستيخن

الاستيخن الذى يتلواه هذا ويقرأونه اذا قرأة على هذا الوجه قائلين وما
تكون به كان حياة الاان هذا النحو اذا من هذه القراءة التى يقرأونها
هكذا ليس له أهل لان ليس كلما كونه فهو حياة لان هل الارض
اذا هى حياة أو هل الجبال اذا هى حياة أرأيت ان قراءتهم على ذاك النحو ليس
لها أصل الاانهم انما يقرأونها هكذا لابداعهم بدع هواهم فى الدين لانهم
اذا لايثارهم ان يقولوا ان الروح القدس مخلوق قالوا وما تكون به كان حياة
لكن انهضوا الى الاصغاء حتى لا يفوتكم ما نقوله وهات الآن نقرأ هذا
اللفظ على رأى أولئك المخالفين فستكون شناعة رأيهم على هذا النحو
أبين وضوحا عندنا ونقول فقد قالوا وما تكون به كان حياة أشاهدتم
اذا فساد رأيهم كيف هو وكم هو اذ قد جعلوا كل الموجودات حياة أرأيتم
ان الكلام اذا تدحرج عن الصدق الى أين ينحرف وكم شناعات تتولد
منه فقولهم ان ما تكون به كان حياة انما ذلك اذا هو لايثارهم كما
سبق القول ان يقولوا ان الروح القدس مخلوق هو فاذا ماهو فلتكون
ان الروح القدس يقال فى وصفه انه حياة لكونه حقا هو حياة
فلذلك قالوا ان كلما تكون بالابن كان حياة لايثارهم اذا ان يجعلوا الروح
القدس من جملة المكونات التى قالوا انها حياة فاذا ماهو الاان هذه
الحياة المذكورة ههنا توجد اذا نورا لان البشير استثنى بان قال (والحياة
كانت النور للناس) فاذا ماهو فالنور للناس المذكور فى هذا الموضع
فانه على رأيهم هذا مقولا اذا فى وصف الروح الاان الامر ليس هو هكذا
أى ان ذلك لم يكن اذا مقولا فى هذا الموضع فى وصف الروح ولعل أحدكم
يقول فما رأيك أفما يوجد الروح نورا فاجيبه نعم يوجد نورا الاان
الكلام ههنا ليس هو فى وصف الروح اذا ان الله قد يدعى روحا ومعنى
ذلك هو انه عديم ان يكون جسما لكن ليس فى كل مكان حيث يذكر

روح فيدل بلازم الضرورة على الله ولا تستعجبن اذا ان كنا نقول هذا
القول فى وصف الاب أى لا تستعجبن ان كنا نقول فى وصف الاب ان
ليس أينما يذكر روح فيدل بلازم الضرورة عليه لاننا مانقول
هذا القول ولا فى وصف الروح نفسه أى اننا مانقول ان أينما يذكر
روح فهو دليل بلازم الضرورة على الروح القدس على ان هذا الاسم
هو معروف به ابين التعريف لكن ليس يلزم على كل حال ان أينما
يذكر روح فيكون ذلك دليل على الروح القدس وألا فهاذا المسيح يدعى
قدرة الله وحكمة الله ولكن ليس يلزم على كل حال ان أينما ذكر قدرة
الله وحكمته ان يكون ذلك دليلا على المسيح فاذا على هذا المثال يكون المعنى
ههنا أى ان ليس من حيث ان الروح القدس هو نورا فيلزم من ذلك
ان يكون النور المذكور ههنا مقولا اذا فى وصف الروح القدس لان
ولئن كان الروح القدس يضىء الان مع هذا كله فما قال البشير هذا القول
فى وصفه اى انه ما قال ذلك فى هذا الموضع فى وصف الروح القدس
الا اننا نجيبهم اذا قاتلين لهم ماهو هذا الرأى الذى ترتابونه اذ تقولون ان
كلما تكون به كان حياة أفهل أفات أهل سادوم والطوفان وجهنم وماماثل
هذه الحوادث الجز بل عددها حياة هى ويوشك ان يقرلوا الان الكلام
عندنا انما هو فى الابداع ولكن لكى نطعن على كلامهم طعنا كثيرا زائدا
فنقول لاحدهم قل لى يا هذا هل العود عندكم حياة والحجر حياة هذان
الصنفان الخائبان من نفس وحركه وهل الانسان بجملة وصفه حياة
ومن يقول هذا القول لان الانسان ليس هو حياة من ذاته لكنه قابل الحياة
أرأيت يا هذا غباوتهم كيف هى وكم هى الا اننا فلنهمل هذه القراءة اذا
التى يقرأونها ولنثبت على هذا النحو ونحى اذا الى القراءة المشترعة والوصف
الصحيح ولنمسكن اذا الكلام من أوله قال (البرايا كلها به تكونت وخلوا

منه ما تكون ولا شيء واحد مما كان) أعرفت تعليمه البليغ استقصاؤه وازالته لسائر الالحاد الشنيع اذ قد اذكرك بان البرايا جميعها الملحوظة منها والغير ملحوظة ما صار شيء منها خلوا من الابن وليس اذا عرفنا فقط هذا المعنى الذى هو انه ما صار شيء من سائر الموجودات خلوا من الابن لكنه مع ذلك أزال أيضا بتلك الزيادة اليسيرة سائر الالحاد الشنيعة فان قلت وما هى اذا تلك الزيادة أجبتك هى قوله مما كان فبهذه الزيادة اذا أزال سائر الالحاد الشنيعة لانه باستثنائه بقوله مما كان فصل الروح القدس من الخليقة لان الروح القدس خالق هو وليس مخلوقا فاذا قد استثنى بلفظة مما كان ليصيد مكدونيوس القائل ان كانت الاشياء كلها قد خلقت بالابن فاذا الروح القدس أيضا قد خلق به وبالنتيجة كان مخلوقا قد دحض ذلك اذا أعنى هو البشير وقلعه وأزاله اذ زاد لفظة مما كان كانه يقول اننى اذ قلت ان الاشياء كلها به تكونت انما عنيت بذلك عن الاشياء المخلوقة فقط أى ان ليس شيء مما كان خلوا من الابن فاذا انما عنيت أنا هذا المعنى وما عنيت بذلك عن الروح القدس لاننى ما قلت قولا على الاطلاق ان البرايا كلها به تكونت وخلوا منه ما تكون ولا شيء واحد لكننى أضفت الى ذلك لفظة مما كان ومعنى ذلك هذا هو أى ان الاشياء جميعها المكونة ان كانت التى فى الارض أو التى فى السماء أو مهما كان من سائر الاشياء المكونة فانها انما استخرج منها شخص الى وجوده خلوا من الابن وأما الروح القدس فليس هو مخلوقا فاذا انما عنيت أنا هذا المعنى أى ان البرايا كافة المحسوسة كلها التى سبق موسى وعرف بها والمعقولة جميعها المضمون عنها عنده ومهما كان له وجود من سائر المخلوقات فانها جميعها ليس شيء منها اذا أصلا صار موجودا خلوا من الابن أعرفت كما سبق القول تعليمه اذا البليغ

استقصاؤه وعلى هذا النحو لما استمد بولس من النعمة بنفسه نادى هو أيضا بذلك أى ان البرايا كلها الملحوظة والغير ملحوظة ما تكون منها شئ أصلا لخلوا من الابن وأنظر اذا الى استقصاء مبالغته هو أيضا فى ذلك حيث ينادى هكذا قائلا ان به خلقت البرايا كلها التى فى السموات والتى على الارض التى ترى والتى لا ترى سوى كانت المنابر والربوبيات أو الرياسات أو السلطات فالبرايا كلها به وفيه خلقت أرأيت استقصاء مبالغته هو أيضا فى هذا المعنى لان حرف أو الموضوع فى كل واحدة واحدة من رتب الملائكة ليس يظهر لنا معنى آخر الا هذا المعنى الذى ذكره يوحنا الذى هو قوله ان البرايا كلها به تكونت وخلوا منه ما تكون ولا شئ واحد مما كان أى انه سبب أصلى لكل شئ كوالده فان توهمت ان حرف به يوجد حرف تنقيص لرتبته فاسمع هذا القول النبوى الذى ليس فيه لا حرف به ولا حرف آخر يشبه ذلك بل انما قد يوضح رتبته ومساواته لابيه أى قوله أنت يا رب منذ البدء أسست الارض والسموات من عمل يديك هى فما قيل فى وصف الاب على انه خالق هو يقال فى وصف ابنه والا فما كان الرسول قال لاجله هذا القول لو لم يكن حاله حال خالق ما فدا امتلاك شرفه شرف خادم لغيره فاذا ولئن كان حرف به يقال ههنا فلم يوضع لاجل معنى آخر الا البيان المعنى الذى تكرر ايراده أى انه سبب أصلى لكل شئ كوالده اذ كان على انه فى رتبة الابداع ليس يحوى فعلا أدنى من أبيه يتجه لنا ان نسمعه منه القائل كما ان الاب ينهض الاموات ويحييهم فكذلك الابن يحيى الذين يشاء ان يحييهم فان كان فى وصف الابن قد قيل فى العهد العتيق أيضا أنت يا رب منذ البدء أسست الارض فمرتبة ابداعه بينة اذا فان قلت ان النبى انما قال هذا القول فى وصف الاب وبولس الرسول فى نسب الى الابن ما قيل فى وصف أبيه فاقول لك كما سبق القول أولا فى هذا المعنى

أى

أى ما كان بولس الرسول اشترع وبين ان هذا المعنى لائق بالابن لولم يوقن ايقانا بليغا ان أفعال المرتبة لم تزل متساوية لان اصداره أفعالا لائقة بطبيعة تفوت القياس الى طبيعة أدنى من تلك وأنقص قد كان يكون من جراه واصلة الى غايتها الا ان الابن ليس هو أدنى ولا أنقص من جوهر أبيه فلهذا السبب ما وثق بولس ان يقول فى وصفه هذه الاقوال فقط لكنه قد قال معها أقوالا غيرها تماثلها لان حرف منه المقول فى التكلم فى وصف الاب قد ذكره اذا فى وصف ابنه اذ قال هذا القول الذى منه يستمد الجسم كله بآلات لمسه ور باطاته عطية نشوه وتدريجه فينتهى الى نموه لله وليس يكتفى بهذا القول وحده لكنه وباقوال أخرى أى بولس سد أفواهكم فيكم القائلين ان حرف به محله عندكم محل تنقيص للابن اذ قد ينسب هذا الحرف للاب أى حرف به اذ قاله صادق هو الهنا الذى به دعيتم الى شركة ابنه وقال أيضا فى موضع آخر ان البرايا كلها منه وبه واليه أرأيت ان ذلك ليس محل تنقيص أشاهدت انه اذا أى حرف به لم يوضع لمعنى آخر الا لبيان المعنى الذى تكرر ايراده كثيرا أى انه سبب أصلى لوجودنا من العدم الى الوجود وايهابه ايانا حسن الوجود وقد قال النبى بالله نصنع القوة فاذا ما هو فكما ان لفظة به لم يستنكف النبى ان ينسبها الى الله اذ قال اذا هذا القول أى الذى هو قوله بالله تصنع القوة ولم يستنكف بولس بان يضعها فى ألفاظه ان كان فى الاب أو فى الابن اذ قد وضعها فى ذكر الاب قائلا الذى به دعيتم الى شركة ابنه ووضعها فى ذكر الابن قائلا بالمسيح يسوع هكذا اذا لم يستنكف يوحنا ان يضعها فى ألفاظه اذ ليس فيها شئ يوجب تنقيصا فى الرتبة ونحن نجدد دفعات شتى هذه الالفاظ منقولة نقلا أدوم اتصالا فهذه الالفاظ ما كان يعرض لها ذلك لولم تكن فى كل مكان منقولة على جوهر واحد بعينه موضوع لها وانظر اذا الى ذلك لان

حتى لا نتوهم ان قوله الاشياء به تكونت انما قيل اذا فى وصف آياته لان باقى المبشرين قد تكلموا فى وصف آياته استثنى بقوله بعد ذلك فى العالم كان والعالم به كون ثم انظر اذا الى ما يتكلم به بعد ذلك ههنا اى بعد قوله ان البرايا كلها به تكونت وتمت لانه اذا اى يوحنا اذ تكلم فى وصف ابداعه اى ان البرايا كلها به تكونت وخلوا منه ما تكون ولا شئ واحد مما كان او رد الكلام فيما بعد فى وصف عنايته وسياسته قائلا (به كانت الحياة) لان حتى لا ينكر منكر فيقول كيف تكونت به هذه البرايا الجزيل تقديرها المفرط عظمها استثنى اذا بذلك اى بقوله به كانت الحياة مناديا اذا بان الوحيد ليس يحصل له نقصا من جهة ابداعه خلائقا كثيرة وكما ان العين المولدة مجمعا كلما اغترفت منها لم تنقص العين نقصا فكذلك الحال فى فعل الوحيد اى انه ولو ابدع مهما ابدع فما يتكون له نقص ولكى استعمل تمثيلا اخص من هذا واشد وضوحا اقول بمثل النور الذى استثنى به فى الحديث البشير بقوله (والحياة كانت النور للناس) فكما ان النور كلما انار ربوات فليس ينقص فى اشراقه نقصا فكذلك مبدع البرايا جل شأنه قبل ابداعه حاله حال واحد بالسواء ثابت عديما ان يكون ناقصا لا ينقص شيأ ولا يضعف من تلقاء ابداعه الكثير لكنه لو اردان تكون عوالم ربوات عددها هذا المثل مثالها قد عدمت ان تكون محبورة فى احصائها يلبث هو بعينه كافيا لها ليس كافيا الاستخراجه اياها فقط لكنه يلبث كافيا لضبطها وتمكينها بعد ابداعه اياها لان اسم الحياة ههنا ليس هو مناسبا ابداعه فقط لكنه مناسب ايضا عنايته المتنزهة ببقائنا فان قلت فاذا ماهو افهام هذه الحياة التى ذكرها البشير ههنا هى اذا المعرفة التى استنار الناس بها بمجئ ابن الله اذ قال اذا والحياة كانت النور للناس اجبتك نعم ولعلك تقول فلماذا انت لم تجعل ذلك مقولا فى معنى

المعرفة

المعرفة بل جعلته مقولا فى معنى الحياة نفسها اذ قد نقول ان اسم الحياة
هنا ليس هو مناسبا ابداعه فقط لكنه مناسب أيضا عنايته المعتنية ببقائنا
أجبتك ان قولى بان اسم الحياة ههنا ليس هو مناسبا ابداعه فقط لكنه
مناسب أيضا عنايته المعتنية ببقائنا لم أكن أعنى به عن بقائنا فى هذا العالم
بل عنيت به عن بقائنا فى العالم المزمع الذى نبقى فيه دائما ولا يعاين الموت أصلا
فانا اذا انما قد عنيت المعنى عينه الذى عينه البشير وذلك ان البشير اذ قال
به كانت الحياة انما عنى اذا بان من تلقاء مجيئه كانت المعرفة التى تعتقبها
الحياة الدائمة كما سيأتى بيان ذلك فان قلت ولماذا ما قال ان به صارت
لنا المعرفة التى ستكون لنا سببا للحظوى بتلك الحياة المسلوبة خبرتها ولماذا
اذا ما قال هكذا خلوا من ان يذكر اسم الحياة بل ذكر اسم الحياة أولا ثم
استثنى بان قال والحياة كانت النور للناس أجبتك ان السبب فى ذكره
اسم الحياة مع انه عنى بذلك عن المعرفة انما هو اذا لهذا الغرض أى
ليذكرنا باننا لسنا نلبث فى الموت دائما بل سنعود الى الحياة بحال أجل
وأبهى من هذا الحال بافراط كثير ولذلك قد تقدم فاورد لنا الكلام فى
قيامتنا وابتداء بهذه البشارات العجيبة مبشرا ايانا بتلك الحياة البهية
ذات البهجة الفائقة والضياء الذى لا ينعت التى أعطانا اياها معطى
الحياة وواهب النور وهو بذاته الحياة التى لا توصف والنور الذى لا ينعت
فاذا ذكر البشير الحياة أولا مذكرا ايانا باننا حتى اذا متنا فاننا لسنا نلبث
دائما لا فى الموت ولا فى الظلام بل سنعود الى الحياة ونكون دائما فى حياة
مبهجة وضياء مفرطا لان الحياة لما جاءت الينا حللت عزم الموت واقتداره
واذا شرق النور لنا ليس يوجد الظلام أيضا لكن الخاصة المحيية التى وهبها
هو لنا تبقى فينا كل حين دائما وليس يقتدر الموت ان يقهرنا وسنكون
دائما فى ذلك النور العجيب المفرح بهاه لا يخمد أصلا المعد لنا من قبل

نعمته تعالى العزيرة ضها اذهوالواهب النوروالمعطى الحياة فمن هذه
الجهة ماقيل فى وصف أبيه قدقيل بتحقيق فى وصفه هوانا به نحيا ونتحرك ونوجد
وهذا المعنى اذاوضحه بولس الرسول قال أن البرايا كلها به خلقت والاشياء
كلها به تثبت ولهذا السبب يدعى أصلها وأساسها فاذا ماهو فالابن اذاهو
عديل أبيه فى كل شئ فاذا سمعت أنه يمتلك حياة فى ذاته فلا تظنه مركبا والا
ماذا اذا فهل أبيه مركبا لانه اذا اذأمعن فى القول قال فى وصف أبيه كما ان
الاب يمتلك حياة فى ذاته فكذلك قد أعطى الابن أن يمتلك حياة فى ذاته
فها اذا قال فى وصف أبيه انه يمتلك حياة فى ذاته لكن كما انك ما تقول من
أجل هذا القول ان الاب مركب كذلك لا تقول ان لاجل هذا القول ان الابن
مركب وقد قال فى موضع من المواضع ان الله هو نور وذكر فى موضع
آخر غيره أنه ساكن فى نور يحتجز الدنو منه الا أن هذه الاقوال كلها ما قيلت
اذا على هذه الجهة حتى تظن ان فيه تركيب لكنها انما قيلت هكذا
حتى ننقاد قليلا قليلا الى علو الاراء والاعتقادات فلذلك كان يتنازل فى
ألفاظه والا فلو كان لم يستعمل حينئذ التنازل فى ألفاظه بل يتكلم
دائما بما يليق بشأنه تعالى لما كان أولئك الضعفى العزم يصلون الى ذلك
بالجملة أى الى علو الاراء والاعتقادات بل كانوا ينفرون دائما من استماع
أقواله ولا يربحون شيئا فلذلك كان يستعمل التنازل فى أقواله لكى
اذا نهضوا قليلا قليلا باستماع الالفاظ الوضيعة يجتذبهم بعد ذلك الى استماع
الاراء العالية فيسمعونها ويقبلونها ويربحون الخلاص الذى هو قصده
عزوجل فقوله اذا فى وصف ذاته بانه يمتلك حياة فى ذاته كما ان أبيه
يمتلك حياة فى ذاته فلذلك انما هو اذا ليوضح معادلته لابيه فى كل شئ
وأما تلك اللفظة التى أوردها فى ايراده هذا المعنى أعنى التى هى قوله بان
أبيه أعطاه ذلك فهذا انما هو اذا لضعف سامعيه أى ان قوله بان أبيه

أعطاه أن يمتلك حياة فى ذاته فلذلك انما هو اضعف أولئك والا فهو
اذا حياة فى ذاته لانه اذا أى الذى قال بان الاب أعطاه أن يمتلك الحياة
فى انه هو وقد قال اذا أناهو الحياة أى انه حياة بذاته أرأيت ان قوله
بان الاب أعطاه أن يمتلك حياة فى ذاته انما قاله اذا لاجل ضعف أولئك وما
قال فقط أناهو الحياة لكنه قال أيضا أناهو النور فقل لى اذا مثلا
ماهو هذا النور وأنا أجيبك ليس هو بهذه الصورة محسوسا لكنه
نور معقول ينير نفسنا بعينها فاذا ما قال فقط أناهو الحياة لكنه قال
أيضا أناهو النور موضحا فى كل مكان معادلته لابيه فى كل شئ وقد نادى
البشير اذا بهذا المعنى قائلا فى وصفه بانه النور الحقيقى الذى يضئ لان
المسيح اذ كان يزمع أن يقول لا يقتدر أحد الناس أن يجئ الى ان لم يجتذبه
أبى لهذا السبب تقدم البشير فقال ههنا ان هذا هو الذى يضئ حتى اذا
سمعت قولا مثل هذا فى وصف الاب لا تقولن ذاك القول مناسب لابيه
وحده لكن توقن أنه مناسب للابن أيضا لانه قد قال عز قوله جميع
مالابى فهو لى فأولا علمنا القول فى وصف ابداعه البرايا وبعد ذلك
هاهو يقول لنا المحامد الصالحة التى فى نفسنا التى انما جاء منحنا اياها وبلفظة
واحدة أغمض اذا أى البشير ايضاحها وأشار اليها بقوله (والحياة كانت
النور للناس) قوله النور للناس هو اذاعن المعرفة التى اكتسبناها من جوده
تعالى لانه عز وجل ما أفادنا الحياة فقط لكنه تعالى أفادنا أيضا العلم
والمعرفة لاننا اكتسبنا ذلك من تلقاء مجيئه ومن الانذار به تعالى وما
قال والحياة كانت النور لليهود لكنه قال والحياة كانت النور لجماعة
الناس لان ليس اليهود وحدهم لكن والوثنيين معهم جاؤا الى هذه
المعرفة بعينها وهذا النور وضع مشاعا للكل وان سألت لاى سبب
ما أضاف الملائكة الى الناس لكنه قال والحياة كانت النور للناس

فنقول لان الكلام يوجد الآن عنده فى وصف هذه الطبيعة أى طبيعة البشر
ولهم جاء مبشرا بالحظوظ الصالحة   فالحياة اذا التى ذكرها البشير ههنا
وقال فى وصفها انها نور للناس   انما هى اذا نور معقول ينير الانسان من
داخل   ويجعله ذو معرفة وعلما وتصرفا حسنا مؤديا الى الحياة الباقية
ولذلك اذا دعاها نورا أى البشير   لانه اذا قال فى وصفها هذا القول أى
قال والحياة كانت النور للناس   أى انها اذا أعنى هذه الحياة التى ذكرها
ههنا   فانها نور وهى قد حصل للناس   فكانه يقول أى هو البشير ان هذه
الحياة اذا التى قلت أنا عنها انها كانت بابن الله   فانها انارت هى من قبله
تعالى لانه هو النور الحقيقى الذى ينير كل أحد   فاذا هذه الحياة التى
قلت أنا ههنا انها كانت به   فانها انارة هى من قبله تعالى لكل الذين
ارتضوا بقبولها   ولم يغلقوا دونها أبواب ضمائرهم   ولكون ان هذه
الانارة هى مرشدة للفضائل التى يعتقب اقتفاءها الحياة الابدية   فلذلك
دعيتها حياة قبل ان استثنى بقولى انها نور الناس   لاننى قلت هكذا
أى قلت ان به كانت الحياة   والحياة كانت النور للناس   أى ان به كان
ذلك أعنى ان من قبله تعالى صارت اذا هذه الانارة الفائقة   التى أنا
دعيتها حياة فهذه الانارة اذا منحنا اياها بجميعه تعالى   لانه عز وجل هو
النور الفائق   وهو النور الغير مخلوق   وهو النور الذى ينير الكل   فان
قلت فاذا ماهو   أفهل قد تكونت به هذه الحياة فقط التى هى الانارة المؤدية
للحياة الباقية   أفما ان حياتنا الاخرى التى يحيى بها كل البشر فانها مكونة
من قبله تعالى   أجبتك نعم   والا فهو عز وجل لكون انه عين الحياة فهو
يمنح سائر الاحياء حياة   أى يمنح النباتات حياة نامية   والحيوانات حياة
حاسة والبشر حياة ناطقة   والملائكة حياة ملائكية   لان من قبله تعالى
حياة سائر الاشياء وقيامها وقوتها وصيانتها   فان قلت ولكن ما السبب فى

ان

أن يوحنا الغماذ ذكره هذه الحياة التى هى الانارة التى أنارنابها أجمعك
منادياً بذلك بجسامة مواهبه تعالى كما نادى بابداعه البرايا جميعها لانه
اذا كما سبق التكلم فى ذلك علمنا أولا بانه أبدع البرايا كلها وبعد ذلك
هاهو اذا يتكلم فى وصف الحياة الصالحة التى فى نفسنا التى لما جاء منحناها
لان هذه الانارة اذا التى منحنا اياها لما أتى هى للفوز بذلك المجد الابدى
فى تلك الحياة الدائمة السعيدة البهية الجليلة التى قال هو عز وجل فى وصفها
أتيت لتكون لهم الحياة وليكون لهم أفضل علينا بقوله أفضل عن
الملكوت التى يحيينا فيها الحياة الدائمة الشريفة السعيدة وينيرنا فيها
انارة لا يوصف بهاؤها اذ هو عز وجل واهب الحياة والنور وهو أصل
الحياة وهو النور الفائق وهو النور الغير مخلوق وهو النور الذى ينير
الكل عز وجل قال (والنور فى الظلام يضىء والظلام ما أدركه) يعنى
بالظلام الموت والضلالة وقوله يضىء هذا ظاهر معناه أى أضاء يعنى ظهر
واستبان لانه اذا ليس هو مثل هذا النور المحسوس لان هذا النور
المحسوس ليس يظهر فى الظلام لكن هذا النور منفصل من ذاك أما
الانذار بربنا أشرق فى وسط الضلالة عند استظهارها فغيبها ولما صار
ه وفى الموت قهر الموت هذا القهر الذى بلغ فيه الى أن يصعد من عقاله
الذين كان قد سبق فضبطهم فاذا ما قهره الموت ولا الضلالة لكنه وجد
فى كل مكان بهيا لامعا بقدرته لذلك قال البشير (والظلام ما أدركه) لانه
عز وجل مستولى على كل شئ ولا شئ يستولى عليه ولانه تعالى عديم
أن يوجد مقهورا فليس يجب أن يسكن فى النفوس التى ما تشاء أن تستنير

العظة الخامسة

(فى ان الخطية هى ظلمة وان العقوبة ليس لها نهاية) فان كان كل الناس

ماحفظوا به فلا يرجفنك ذلك لانه ليس ينقاد الينا بالزام وغضب أى أنه تعالى مايلزمنا ولا يغصبنا على أن نقبله لكنه انما يستمد بارادتنا وبعزمنا فلا تغلقن أبوابك لدى هذا النور فتمتع بالنعم الكثيرة به فهذا النور انما يجي بالامانة فاذا حضر فمن شأنه أن ينير من يقبله انارة واسعة جزيلة واذا خوالته عيشة نقية يلبث قاطنا فى باطنك دائما لانه قال عز قوله من يحبنى يحفظ وصاياى وساوى فى انا وأبى الى عنده ونجعل عنزلنا عنده وكمان شعاع الشمس لا يمكن أن يتمتع به على مايجب من ليس يفتح عينيه فكذلك لا يساهم لمعان هذا النور مساهمة واسعة من ليس يفتح ناظر نفسه جدا ويجعله حاد البصر من كافة جهاته وان استخبرت كيف يكون ذلك أجبتك اذا نقينا نفسنا من أدواء الهوى كلها وذلك ان الخطية هى ظلمة وظلام دامس عمقه وذلك واضح من افتعالها مستورة بابلغ الاستار والحذر من أن يعرفها عارف لان كل من يعمل اعمالا ردية يمقت النور وليس يجيء الى الضوء ومايتكون مستورا فمستقبح أن يوصف ويذكر وكمان فى الظلام ليس يعرف عارف صديقه ولا عدوه لكنه يجهل من الاشياء طبايعها كلها فكذلك فى الخطاء ليس يعرف أحد ناشيا وبيان ذلك ان المريدان يستكثر من القنية ليس يفصل صديقه من محاربه الحسود ينظر الى المختص به كثيرا بصورة عدوه والمغتال يحارب أهل بلده باسوء وكل من يعمل الخطية فهو على بسيط ذات تمثيله لافرق بينه وبين السكارى والمجانين من طريق أنه ليس يعرف طبيعة الاشياء فكما اننا فى الظلمة نبصر الخشب والحديد والرصاص والفضة والذهب والجوهر النفيس على مثال واحد كلها اذ ليس الضوء الذى يميزها حاضرا فكذلك من قدامتلك عيشة نجسة ماقد عرف فضيلة العفة ولا حسن الفلسفة لان الجواهر النفيسة على ماقد تقدمت فقلت اذا كانت طريحة فى الظلام فليس من شأنها أن يظهر حسنها

وليس

وليس ذلك من تلقاء طبيعتها لكنه من تلقاء جهل الناظرين اليها وليس
يعرض هذا العارض الصعب وحده لنا نحن المتسكعين فى الخطايا لكن
يعرض لنا مع ذلك أن نعيش فى خوف دائم وكما ان الذين يمشون فى ليل
دامس خاف من غير يرتعدون ويرتاعون وان كان ليس يحضرهم أحد
يريعهم فكذلك الذين يعملون الخطية ليس يتهيأ لهم أن يطمئنوا وان لم
يحضر لهم أحد يوبخهم لكنهم يرتاعون من الاشياء كلها ويتوهمون
كافة الاوهام وفطنتهم تلدعهم كلها عندهم مملوءة خوفا واجتهادا ويجيلون
ألحاظهم الى كل ما يتحرك حولهم ويخافون من جميع ما يدهمهم فسبيلنا
أن نهرب من هذه الحياة المؤلمة بهذه الصفة لان الذين هم هكذا بعد هذا
الوجع يعتقبهم موتهم وهو موت قد عدم أن يموت لان العقوبة هناك
ليس يوجد لها نهاية فلا يكونن أحدا غير منتبه ولا غير متيقظ ولا يكونن
أحدا متشفا بالاحوال الفانية لئلا يحصل له ما قد حصل لاولئك الذين
يحلمون بانهم قد حازوا شيأ وعند استيقاظهم من نومهم ما يجدون شيا
وهكذا اذا الذين يحلمون فى منام الاحلام ا تى ههنا التى اذا ليست هى ثابتة
وأعنى بذلك الاحوال الدنياوية التى لاثبات لها فانهم اذا لافرق بينهم وبين
المصروعين لانهم يظنون انهم قد أيسروا وليسوا هم موسرين ويتوهمون
أنهم يتنعمون وليسوا متنعمين وما يشعرون أولا بهذه الخدعة على
واجب الاحساس بها الى ان يتخلصوا من الجنون بها والى ان يستيقظوا
من نومهم الذى حوشناغاهم بها ولهذا السبب يوعز بولس الرسول
الى سائر المؤمنين ان يستفيقوا ويتيقظوا وربنا جل شأنه يقول لنا هذه
الاقوال باعيانها ولعمرى ان من يكون مستفيقا منتبها فذاك اذا
ولو اقتنصته خطية فانه يخصه ان يدفعها عنه بسارعة وأما من يكون نائما
ساهيا فليس يحس كيف انضبط بالخطية فلا نرقدن اذا فليس زماننا مناسب

الليل لكنه مناسب النهار فينبغي لنا ان نتصرف فيه أحسن التصرف كمتصرفين في النهار لان ليس يوجد عارض من سائر العوارض أقبح من الخطية وذلك ان تصرفنا عراة فانه اذا في موضع الشهرة والفضيحة أمرا أدنى ضررا اذا من تصرفنا خطأة مذنبين لان ذاك التعري ليس هو الا جزيل تقديره وطالما يكون من الفقر وأما الخطأ فانه اذا أمر قبيح جدا وليس يكون شيأ أقبح شهوة من الخطي ولا أ كثر هوانا وقد ينبغي لنا اذا ان نتفطن في الذين يساقون الى مجلس القضا بسبب اختلاسهم ما ليس لهم واستغنائهم كيف يستبانون مفضوحين كاتليهم مستقبحا فعلهم متواقحين في كافة حججهم كذابين فاقدين الخجل ونحن بهذه الصورة أشقياء نستحق ان يرثى لنا من طريق اننا ما نصبر ان نلبس ثوبا مقلوبا على بسيط ذات ابسنا اياه بل واذا أبصرنا رفيقنا قد عرض له ذلك نصلحه ونتلافا غلطه وها نحن كلنا ورفقاؤنا نمشي منكسين رؤسنا وما نحن بذلك ولا نشعر به لانه قل لي ما الذي يكون أقبح من رجل يدخل الى عند امرأة زانية ما الذي يكون أحق من الشاتم والحاسد ان يضحك عليه فان استخبرت قائلا فمن أية جهة ما نظن هذه الافعال مستقبحة منكرة مع كونها هي هكذا مستقبحة منكرة فاذا من أية جهة ما نظن انها مستقبحة ولا نستقبح مثلما يستقبح لنا ان نمشي عراة مجردين أجبتك ان ذلك اذا هو من عدم اعتنائنا بان نرفض الرذائل ونسعى في الفضائل وها قد جعلنا ذواتنا باختيارنا كاننا هذا الحال حالنا أي كاننا الاحس لنا لان أما لهذا التعري ما يعرض ولا في وقت من الاوقات ان يفعله أحدنا طائعا وأما ذاك الخطأ فنجري عليه كلنا بطلاقة عزم دائما فاذا لماذا لم نخف لماذا لم نرتعد أليس ان هذه الامور مستوجبة العقوبات أما اننا اذا نقاصص على افتعالها فلو دخل داخل بشيء منكر الى جماعة ملائكة ما صار عندهم في وقت من الاوقات شيأ منكرا مثله لعرف حينئذ معرفة بليغة تضاحكهم

الجزيل

الجزيل عليه وما معنى قولى لو دخل الى جماعة ملائكة لان فى قصور
الملوك هذه التى عندنا ان احضر محضر زانية اذا أوان قبض عليه وقد سكر من
الخمر أوان استهزاء باحد الافعال المنكرة فسيقابلونه و يعاقبونه
بعقوبة فى غايتها فان كان فى قصور الملوك ما يستجاز التجاسر على هذه
الافعال وأمثالها فاليق بنا وأوجب اذا تجاسرنا على هذه الافعال ونظائرها
لدى ملكنا الحاضر فى كل مكان الناظر الى الافعال الكائنة منا ان
نعاقب عقوبة واصلة الى غايتها فلذلك أتوسل اليكم ان نظهر فى عيشتنا
هدوا كثيرا واصطلاحا جزيلا لاننا قد حوينا ملكنا ناظرا الى أفعالنا
كلها كل حين دائما حتى ينيرنا هذا النور أبدا أنارة واسعة ونستجذب
شعاعه الينا فاننا على هذه الجهة نتمتع بالخيرات التى ههنا و بالحظوظ
الصالحة المأمولة بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفه الذى به ومعه
لابيه المجد مع الروح القدس الصالح وصانع الحياة الآن ودائما
والى الابد

المقالة السادسة

قال البشير كان انسان مرسل من الله اسمه يوحنا

المسكنى بالمعمدان من معمودية التوبة التى أنشاها وقد أرسل هذا
القديس كما يقول لوقا ان فى سنة خمسة عشر من سلطنة طيبار يوس قيصر حينئذ
حلت كلمة الرب عليه فى البرية فجاء الى كل البلاد المحيطة بالاردن وتمت فاذا
ماهو لما خاطبنا اذا أى هو البشير فى مبادى كلامه بالاقوال التى استحثته

الى وصف الله الكلمة سلك فى طريق وصفه وترتيبه وجاء الى التدبير
بالكلمة يوحنا سمية فاذا سمعت أنت انه مرسل من الله فلا تظن ان
لفظة من ألفاظه التى يقولها توجد انسانية لانه ليس يتكلم أقواله لكنه
انما يتكلم أقوال مرسله كلها ولهذا المعنى دعى ملاكا الذى معناه البشير
وفضيلة البشير هى ان لا يقول قولا يخصه لكنه كما سبق القول انما يتكلم
أقوال مرسله ولفظة كان فى هذا الموضع ليست دالة على بروزه الى وجوده
لكنها لفظة دالة على ارساله لان قوله كان مرسل من الله هو بدلا من قوله
أرسل من الله زعم (هذا جاء للشهادة ليشهد للنور) ولعل قائل يقول فما معنى
هذا أفالعبد يشهد لسيده فنقول له فاذا رأيته ليس فقط يشهد
له عبده لكنه اذا أبصرته مع ذلك جاثيا اليه ومصطنعا منه مع اليهود اتراك
ما تتحير أكثر وتدهش ولكن ما سبيلك ان ترتجف ولا تقلق لكن
ينبغى ان تنذهل من خيريته الفائقة الوصف وان لبث أحدنا متحيرا من
ذلك مرتجفا سيقول هذا القول الذى قاله له يوحنا أترك الان هذا
فان لا ئقا بنا هو ان نتمم على هذه الجهة كل عدل وان ارتجف لذلك ارتجافا
كثيرا فيقول له أيضا ما قاله لليهود اننى لست أستمد الشهادة من
انسان فان قلت فان كان ليس يحتاج الى هذه الشهادة فلماذا أرسل
يوحنا فاقول لك ما أرسل يوحنا لانه هو يحتاج الى شهادته له لان هذا
القول هو مناسب لتجديف فى أقصى غايته لان أرسل المعمدانى ليشهد اذا
له لم يكن انه يحتاج الى ذلك بل انما ذلك لاجل ضعف أولئك لكى
بانذار الذى قبيلته قبيلتهم يؤمنون بابن الله فيتبررون بالايمان به تعالى
كون ان قصده جل شأنه انما هو اذا خلاص الجميع لا كانه هو يحتاج الى
شهادة ذاك ويوحنا البشير اذا يستثنى بايضاح هذا المعنى قائلا (ليؤمن الكل
به) أى بانذاره به فاذا قوله به معناه هذا هو أى على يده لان الضمير

فى

في قوله به عائد الى يوحنا المعمدان فاذا لم يكن مجيئه للشهادة للمسيح هو ان المسيح يحتاج الى ذلك حاشا من هذا التجديف بل انما كان ذلك لاجل ضعف أولئك ليقتادوا على يده الى الايمان بابن الله ويحصلوا على الخلاص الذي هو قصده عز وجل وليس هو تعالى فقير يحتاج الى شيء البتة وقد قال هو جل شأنه لست استمد شهادة من انسان ثم انه اذا حتى لا يتوهم عند الذين قد زال فهمهم انه مخالف لذاته اذا قال أحيانا آخر هو الذي يشهد لي وأنا عارف ان شهادته صادقة هي يعني بقوله هذا يوحنا المعمدان واذا قال أحيانا لست أستمد شهادة من انسان استثنى بان قال وحل هذا المعنى باسراع بقوله لكنني انما أقول هذه الاقوال لاجلكم حتى تتخلصوا كانه قال انني اذا لكون انني اله أنا وابن خالص لله ومن ذلك الجوهر السعيد الفاقدان يكون ميتا فلذلك لست أحتاج الى شاهد واحد وان لم يؤثر مؤثر ان يقول هذا القول في وصفي فلست أنقص أنا في طبيعتي نقصا واذ الاهتمام عندي انما هو خلاص الكثيرين لهذا السبب انحدرت الى هذا المقدار من التواضع الذي أبلغ فيه الى ان أفوض الى انسان الشهادة لي أرأيت ان ذلك انما هو اذا الاجل ضعف أولئك لان بسبب جوح اليهود الى الاوهام الارضية وضعفهم أثر ان يكون التصديق به عندهم بهذه الصورة أسهل ادراكا وأيسر مراما أي بان يجعل عبده شاهدا له الذي قبلته قبيلتهم وكانه صار جسما أعني الكلمة الاله الكل حتى لا اذا صادمنا بلاهوته غير متجسد يهلكنا كلنا فلذلك أرسل انسانا نذيرا به حتى اذا سمعوا صوته الذي يناسبهم يصغي اليه من يسمعه حينئذ أسهل اصغاء والدليل على انه ما كان محتاجا الى شهادة يوحنا قد كان يكفيه فقط لايضاح ذلك ان يظهر مجده كما أظهره قدام تلاميذه حين تجلى قدامهم على الجبل وارتاع أولئك من غزارة بهاء أشراقه كما قال مرقس الانجيلي عن بطرس

الرسول بانه لم يكن يدرى مايقول لانهم كانوا متخوفين الا انه لاشفاقه تعالى على الجميع ماعمل هذا العمل لئلا يجعلهم فى حيرة وارتياعة لهذا المعنى ماعمل هكذا ولقصده اذا خلاص الكل فوض الى أحد الذين يواخوننا فى العبودية الشهادة له اذ كان انما عمل كلما عمله مكتسبا للناس خلاصهم ليس ناظرا الى رتبته بل ناظرا الى مايتيسر قبوله على سامعيه ويكون نافعا لهم وهذا المعنى فقد ذكره هو ذكرا غامضا فقال وهذه الاقوال أقولها من أجلكم حتى تخلصوا والبشير اذا تكلم فى وصفه هذه الاقوال باعيانها بعد ان قال على المعمدان ليشهد للنور استثنى بقوله (ليؤمن الكل به) فقارب ان يكون قائلا هكذا لاتظن ان يوحنا الصائغ لهذا السبب شاهدا حتى يزيد سيده قولا مؤهلا لتصديقه فانما جاء اذا لهذا السبب لكنه انما جاء لكى يصدق الذين قبيلتهم قبيلته ورود سيده والدليل على انه انما استثنى بهذا الحرصة ان يتقدم فيبطل هذا التوهم فذلك واضح مما قاله بعد ذلك لانه استثنى فقال (لم يكن هو النور) فان كان ما استعاد هذا القول مبطلا ذاك الوهم فيكون قد أزاغ ماقاله عن الصواب على بسيط ذات ازاغته ويكون قد حصل لتعليمه تكرير اللفظ أكثر مما حصل له ايضاح المعنى فان قلت ان يوحنا أرسل ليشهد للنور ومعلوم اذا انه لم يكن هو النور فما معنى قول البشير أيضا عنه بانه لم يكن هو النور أجبتك ماقال ذلك على بسيط ذات القول ولا قاله قولا باطلا لكن اذ قد تحقق عندنا من أكثر الجهات وعلى أكثر الحالات ان الشاهد أعظم من المشهود له ونظن فى أكثر الاوقات انه موهل للتصديق أكثر من المشهود له فلكيلا يتوهم متوهم فى يوحنا هذا التوهم بطل البشير فى الحين من مبادى قوله هذا التوهم الخبيث واقتلعه من قرمته وبين من هو هذا الشاهد ومن هو ذاك المشهود له وماهو الفرق بين الشاهد و بين

المشهودله وعلى هذا العمل من سمو محله الفائت المقايسة وبالغ في الشرح في هذا المعنى وقال اذا هكذا اي عن الشاهد (بل أرسل ليشهد للنور) مبالغا اذا في شرح ذلك بهلة وان كان في اوهام الزائل فهمهم شنعة من الشناعات المانعة للاراء القويمة انتزعها اذا بالغ الاستقصاء واقتلع أثرها وحصل في جميع المؤمنين كلام التعليم على سياقه بايسر مرام خاليا من تعريق

العظة السادسة

في انه لا يحصل لنا نفع من امتلاكنا أراء متقومة في ديننا اذا كانت عيشتنا عيشية ملتوية

فسبيلنا الان ان نبتهل ان تكون لنا مع انكشاف هذه المعاني لنا ومع تقوم أرائنا في ديننا عيشة نقية أيضا وسيرة بهية اذ كان لا يحصل لنا من هذه الاعتقادات نفع اذ كانت الاعمال الصالحة حاضرة عندنا لاننا ان امتلكنا الامانة كلها وتفهم الكتب ومعرفتها وكنا عراة فقراء من نجدة لنا من عيشتنا فليس مانع يمنعنا من حشرنا الى نار جهنم التي يحرقنا لهيبها المسلوب خموده احراقا قد عدم أن يكون مخبورا وعلى نحو ما ان العاملين صالحا يقومون الى الحياة الدهرية على نحو ذلك يقوم المتجاسرون على الافعال الضدية الى العقوبة الابدية التي ما تحري في وقت من الاوقات غاية فلذلك سبيلنا ان نظهر كل حرص واجتهاد حتى لا تنفسد الفائدة الحاصلة لنا من أمانتنا المتقومة برداوة أعمالنا لكن اذا تهسذبنا ههنا امكننا ان نعاين المسيح بدالة لان ليس يوجد حظ جليل يكون لهذه السعادة عديلا فليكن لنا كلنا ان ننال هذه الحظوظ الجليل قدرها وان نعمل كلما نعمله لمجد الهنا الذي له المجد مع ابنه الوحيد والروح القدس

الى آباد الدهور آمين

المقـــالة السابعة

قال كان النور الحقيقي الذي يضيء لكل انسان أت الى العالم

يا أولادي المأثورين عندي كثيرا بهذا السبب تعدو كم بمعاني من الكتب قليلا قليلا وماندفعها كلها عليكم في دفعة واحدة بل قليلا قليلا ليكون حفظ ماتتقونه دائما سهلا عليكم لان على مايعرض في البناء من يضع على الحجارة الاولى التي ماقد سندت بعد ولاتمكن نظامها حجارة أخرى غيرها فانه انما ينظم الحائط كله نظاما ضعيفا ويكون انهدامه سريعا وأما من يصبر الى ان يتمكن رصيف البناء أولا ويضع بعد ذلك باقي ما يبنيه قليلا قليلا فذاك اذا يتم البيت كله بابلغ وثاقته ويجعله ليس بيتا قصيرا مدى ثباته ولاسريعا انهدامه لكنه يجعله بيتا مكينا فنحن نماثل هؤلاء البنايين وعلى هذا النحو بعينه نبتني نفوسكم لاننا خشينا ان لا يكون في الموضع طرادة يمكنها ان تفسد الافهام الاولى بسبب وضع الثانية فوقها قبل ان تتمكن هي أولا اذ لم يكن في تمييز كم كفاية ان تضبطها كلها فان سأل سائل وماهو القول الذي قرئ اليوم عندنا أجيبه هو قول البشير (كان النور الحقيقي الذي يضيء لكل انسان أت الى العالم) لانه البشير اذ تكلم قبل هذا الكلام في وصف يوحنا الصائغ وذكر انه جاء للشهادة ليشهد للنور وانه أرسل في ذلك الوقت فلكيلا ذا سمع سامع أقواله هذه يتوهم في المشهود له بسبب ان ورود الشاهد له يحدث

توهما

توهما مناسبا لهذا   أصعد تمييزه وأرسله الى الوجود المتجاوز كل ابتداء
الذى ماينتهى البتة الى غاية ولا يقف ثابتا عند نهاية بمناداته اذا هكذا
قائلا كان النور الحقيقى الذى يضىء لكل انسان آت الى العالم   منادياً اذا
بخاصته هذه   أى التى هى انه عادم الابتداء   ولعل قائلا يقول وكيف
يحوى هذه الخاصة من هو موجود أيضا فاقول ان كلامنا فى وصف الاله هو
أفتستخبر أنت كيف ذلك   أفما ترتاع ولا تجزع ثم لو سألك سائل كيف
تملك نفوسنا أو أجسادنا بعد هذه الدنيا حياتها عديمة ان توجد منقضية
لضحكت على سؤاله هذا   من طريق انه ليس لتمييز انسانى ان يطلب
هذه المطالب وأمثاله   لكنه يجب عليه ان يصدق فقط ماقد قيل له
ولا يفحص عنه   اذ قد امتلك برهانا كافيا   لما فى هذا المعنى من قدرة قائلة
فاذا قلنا انه خالق النفوس والاجساد الفائق سموه على كل الخليقة فوقا
يفوت القياس   لم يزل عديما ان يكون مبتدئا   أتطالبنا بحال ذلك
ومعناه   ومن يوجد يقول هذه الاقوال من نفس ثابتة   من يوجد ينطق
بها من فكر معافى صحيح   قد سمعت انه قد كان النور الحقيقى فمابالك تماحك
جزافا وباطلا اذ تظفر بفكرك الى أعلا من هذه الحياة العديمة ان تكون مخبورة
لان ليس ذلك ممكنا   مارأيك فى أن تطلب ماقد عدم أن يكون مطلوبا
ماغرضك أن تفتش ماقد عدم ادراكه   مابالك تقتفى أثر ماقد سلب تفتيشه
ثم تأمل أصل اشعة الشمس بعينك   الا انك ماتقدر على ذلك   ولكنك
ماتغتاظ على ذاتك ولا تستصعب ضعفك عن ذلك   فكيف قد صرت متجريا
متهجما على المطالب الاعظم قدرا   فان الرعد يوحنا الحاوى البوق
الروحانى   اذ سمع من الروح القدس لفظة كان ماطلب مطلوبا أكثر من
هذا   وأنت الفاقد نعمة ذلك الفاضل مع انك تتكلم من أفكارك الجزوعة

تظفر فوق مقدار معرفته فلهذا السبب ما نستطيع أن تصل ولا الى دون
مقدارها لان حيلة ابليس المحال هذا الفعل فعلها لانه يخرج الذين
يقبلون منه من الحدود التى أعطاناها الله بالترغيب فى حدود أعظم منها
بكثير واذ أطغاهم بهذه الامال يخرجهم من نعمة الله وبعد ذلك ليس
من شأنه فقط ان يدايدفع اليهم شيئا أكثر لانه كيف يخولهم شيئا صالحا
وهو محال لكنه مع ذلك لا يتركنا أن نعود الى الحدود الاولى التى لنا فيها
بابلغ الصيانة وأتم الحياطة لكنه يحيلنا فى كل مكان تائهين لا نملك البتة
ثباتا فعلى هذه الجهة جعل المخلوق الاول آدم أن يعدم المقام فى الجنة لانه
طرده بتأميل معرفة أعظم وكرامة أكثر واستلبه ما كان له حينئذ بثقة
وطمأنينة لانه ما أصابه فقط أنه ما صار مثيلا لله على حذو ما وعده ذلك
بل سقط الى تمرد الموت عليه وليس أصابه فقط انه ما استمد من الشجرة
فائدة لكنه وأضاع مع ذلك من المعرفة التى كان قد امتلكها جزءا لم يكن
يسيرا منه له معرفة أكثر لان استخزاءه وتوشحه بعريه فى ذلك الحين حصلا
له لانه قبل انخداعه كان أعلى من هذا الاستخزاء لان نظره الى ذاته قد
صار عاريا واحتياجه بعد ذلك من الثياب الى سترتها وامتلاكه أمراض
عزم غير هذا أكثر منها من هذه الجهة حينئذ أفرغت فيه فحتى
لا يصيبنا نحن هذا المصاب فسبيلنا أن نخضع لالهنا ونثبت فى الحدود التى
أوعزها الينا أن نثبت فيها ولا نستبحث عن شئ يتجاوزها حتى لا نعدم
الفوائد الصالحة التى أعطيناها فيما سلف على حذو ما أصاب هؤلاء لانهم
لما التمسوا أن يجدوا للحياة فائدة أن تكون مبتدأة ابتدا أضاعوا
ما كانوا اقتدروا أن يمتلكوه لانهم ما وجدوا مطلوبهم لانه ليس يوجد
ممكنا وخابوا من الامانة الصحيحة المعافاة المذكورة فى وصف الابن الوحيد
لكننا نحن لا ننقل الحدود الدهرية التى وضعها أباؤنا ولا نزعزعها بل سبيلنا
ان

أن تخضع في كل مكان لشرائع الروح وإذا سمعنا انه كان النور الحقيقي فلا نطلب أن نجد معنى أكثر لانه لا يجب لنا أن نجاوز هذه اللفظة لان الاب لو كان ولد كما يلد الانسان للزمت الضرورة أن يوجد زمان فيما بين الوالد والمولود واذ كان انما ولد ولادة لا يمكن وصفها وعلى ما هو لائق بالاه فانفصل عن حرف قبل وعن حرف بعد لان هذين الاسمين يناسبان الازمان والابن فهو خالق الازمان والدهور كلها ولعل قائلا يقول فليس هو اذا اباه لكنه أخاه فأقول له قل لي وأية ضرورة تلزمنا بذلك لاننا لم نقل أن الاب والابن من أصل آخر مختلف لكننا نقول حينئذ هذه الاقوال على جهة الصواب وأما ان كنا نهرب من هذا الكفر بعينه ونقول ان الاب مع أنه يوجد عديما أن يكون مبتدئا لم يولد والابن يوجد عديما أن يكون مبتدئا وهو مولود من الاب فأية ضرورة من هذا المعنى تستورد ذاك القول الكافر ليس اذا ولا ضرورة واحدة تستورده علينا لانه اذا أعنى الابن شعاع هو والشعاع انما يفطن به مع الطبيعة التي هو شعاعها لان لهذا الغرض سماه بولس هذا الاسم حتى لا يتوهم فيما بين الاب والابن وهما أوسط لان الشعاع دالا على أصله وما يتلو التمثيل يتلافى من الذين قد زال فهم الشناعة المانعة صديقهم لانه قال اذ قد سمعت أنه شعاع فلا تتوهم انه قد تبرأ من أقنومه بعينه فان هذا القول هو كفر مناسب لاصحاب ماباليوس ومجنون الناشئين من مركلاس فنحن ما نقول هذا القول لكننا نقول أنه موجود في أقنومه بعينه الخاص به ولهذا المعنى اذ ذكر الرسول بولس أنه شعاع استثنى بان قال وانه صورة أقنومه ليبين أقنومه الخاص به وانه موجود من الجوهر بعينه الذي هو صورته لان ما يكفي على ما تقدمت فقلت لفظة واحدة لتبين للناس الاعتقادات في الله لكن فعل محبوب عنده اذا انتفعنا بالفاظ كثيرة أن ننتخب من كل

لفظة منها المعنى اللائق به فاننا على هذه الجهة نقتدر على الوصول الى التمجيد الموهل له على حذو قوتنا لانه ان ظن ظان أنه يقتدر أن يقول قولا فى التمجيد الموهل له بالحقيقة ويماحك قائلا أنه يعرف الله على هذا النحو ما قد عرف هو ذاته فهذا هو الذى يجعل الله أكثر من غيره كثيرا

العظة السابعة

فى انه ما يجب ان نبحث فيما ليس هو تحت البحث والتفتيش لكن ينبغى ان نصدق ما قاله الكتاب بغير بحث وان نتذكر خطايانا

واذ قد عرفنا هذه المعانى فينبغى لنا ان نتمسك باثم الصيانة بما سلمه الينا الذين كانوا معاينين بذاتهم الكلمة وخدما قاله منذ ابتداء ورود ولا ننقلب الى ما يجاوز ذلك لان السقماء بهذا السقم من شأنهم ان يعرض لهم عارضين رديين أحدهما انهم يشقون شقاء باطلا فى ابتغائهم ما ليس وجوده ممكنا والثانى انهم يغيظون الله بمحاولتهم ان يقلبوا الحدود التى هو وضعها وهذا الفعل فالسخط الجزيل الذى من شأنه ان يحركه لستم محتاجين ان نعرفكم اياه لانكم كلكم تعرفونه فلهذا السبب سبيلنا ان نتجنب تحير أولئك الفاعلين هذا الفعل ونرتعد من أقوال ربنا ليحوطنا حياطة دائمة لانه قال الى من انظر الا الى المتواضع الهادى المرتعد من أقوالى فينبغى لنا ان نباين هذا الاستبحاث المهلك ونطحن قلوبنا ونخشعها وننوح على ما أوعز المسيح الينا على ما اجترمناه من خطايانا ونخشع على ما أذنبناه ونتفكر أبلغ الافكار فى كلما اجترانا عليه فى السالف من زماننا ونمقته ونتجنبه بكل حال فى سائر الجهات لان الله عز وجل قد فتح لنا طرقا كثيرة الى هذا الاصطلاح لانه قال قل أنت ولا خطاياك حتى يتحقق عدلك وقد قال النبى أيضا أدعت لك اجتنابى شريعتك

فانتزعت

فانتزعت أنت نفاق قلبي لان ليس يفيدنا التنقيص جماعة خطايانا فائدة يسيرة بتذكرها ومواصلة ثلبها وقد يوجد طريق أخرى أبلغ فعلا من هذه وهي ان لا نحقد على الذين اخطأوا الينا وان نغفر لجميع من أذنب الينا ما أذنبوه لنا وما عملوه من المكروه بنا وان شئت ان تسمع طريقا ثالثا اسمع دانيال القائل لبختنصر الملك لهذا السبب سبيلك ان تفتدي من خطاياك بصدقاتك وتخلص من مجانبتك الشر بسعة برافاتك على الفقراء وقد توجد مع هذه طريقا غيرها وهي اتصال الصلوات واستمرارها لان ذلك مفيد جدا والدوام في التضرع الى الله يورد لنا تسلية ليست يسيرة وحلا اذا الخطايانا والصوم اذا قارن التعطف على رفقائنا فانه يطفي شدة سخط الله علينا لان النار المضطرمة يطفيها الماء وبالصدقات تنهدم خطايانا فسبيلنا ان نسلك في هذه الطرق كلها لاننا اذا حصلنا فيها كل حين ان أفنينا جهدنا في هذه الطرق فسنغتسل ليس من الذنوب فقط التي سلفت لكننا مع ذلك سنربح فيما يستأنف أعظم الفوائد نفعا لاننا ما نخول ابليس المحال مهلة يصادمنا فيها لا بونية في عيشتنا ولا باستبحاث يهلكنا لانه يورد هذه المطاغي مع غيرها من أقسام البحث التي قد زال الفهم منها ومن الحرب بالكلام الضار الردي حتى نصير فارغين بطالين ولا نعتني ولا عناية واحدة بالفضيلة في عيشتنا لكن نحن ينبغي لنا ان نسد هذا المدخل الذي يخنس فيه الينا وننتبه ونستفيق

حتى اذا تعبنا في هذا الزمان القصير تعبا يسيرا ننال النعم
الصالحة المسلوبة الموت في الدهور العديدة ان
تكون مخبورة فيه بنعمة ربنا يسوع المسيح
وتعطفه الذي له المجد دائما
والى آباد الدهور

المقـــــالة الثامنة

قال كأن النور الحقيقى الذى يضىء كل انسان آت الى العالم فى العالم كان والعالم به تـــكون

ليس مانع يمنعنا ان نلامس اليوم هـذه الالفاظ بعينها لان شرحنا فيما سلف ماترتابه فى الدين منعنا عن الاطناب فى ايضاح كافة ماقرى علينا فاين هـم القائلون انه ليس الهاحقيقيا لانه عز وجـل قد دعى ههنا نورا حقيقيا فاذا كما قلنا أين هم القائلون انه ليس هو الها حقيقيا وقوله النور بأل التعـريف أشار به الى ذلك المعـنى أى انه هو ذاك النور الشريف الروحى الذى لاقياس له المضىء من عـين ذاته الذى هو نور ذاتا و ينبوع كل نور وفى جهة أخرى دعى حقا بذاته وحياته بذاته لـكننا اذا وصلنا الى ذاك الموضـع فى كلامنا فسنبالغ هناك فى شرحه ونجعله أبين وضوحا وأما فى هـذا الوقت الحاضر يلزمنا ضرورة ان نخاطب حبكم ذلك الخطاب الذى يسألناسائل عن معناه قائلا ان كان ينير كل انسان آت الى العالم فـكيف قـد تبقى أناس جزيل عددهم عديمون ان يكونوا منارين لان ليس جميع الناس قـد عرفوا عبادة المسيح فـكيف قال انه ينير كل انسان آت الى العالم فنقول له انه قـد أنار الـكل الانارة التى كان اليـه عـلى انفراده افتعالها فان لبث أناس يغضون بابصارهم الحاظ تمييزهم اذلم يريدوا يقتبلوا اشعاعات هذا النور فالظلام انما حصل لاولئك ليس من تلقاء طبيعة النور لـكنـه من جهة سوء صناعة الذين

أصدموا ذواتهم موهبته باختيارهم لان نعمته مندفقة الى كل الناس ليس من عادتها أن ترد لا يهوديا ولا وثنيا ولا عجميا ولا كرديا ولا حرا ولا عبدا ولا رجلا ولا امرأة ولا شيخا ولا صبيا لانها تقترب الى كل المؤمنين على مثال واحد وتدعوهم بتكريم متعادل فاما الذين لم يريدوا ان يتمتعوا بهذه الموهبة فلينسبوا الى ذواتهم عمايتهم هذه على جهة الواجب لان اذا كان مدخلها مفتوحا لكل من يعتمده ولم يوجد مانع يمنعهم فيلبث أناس خارجا مؤثرين الشر فانما يكون ليس من جهة أخرى لكن هلاكهم انما يتكون من جهة خبثهم وحده قال (فى العالم كان) الا انه ليست حاله حال قرين العالم فى زمانه أكفف عن هذا الكفر لان البشير اهذا المعنى استثنى بقوله (والعالم به تكون) وبهذا القول يصاعدك الى فوق أيضا الى الوجود الذى قبل الدهور وجود الوحيد لان من يسمع ان هذا العالم كله تكون به فانه اذا لو كان فاقد حسه جدا ولو كان عدوا ولو كان محارب المجد الله فسطر على سائر وجوه الاضطرار الى ان يعترف طائعا وكارها ان الصانع هو قبل أعماله ومصنوعاته ومن هذه الجهة يعرض لى ان استعجب دائما جنون بولس الشميساطى كيف اجتر أان يعكس نظره عن حق ظاهر بهذه الصفة وضوحه وهو ذاته طائعا لانه ما أخطأ جاهلا لكنه أخطأ عارفا أبلغ معرفة اذ أصابه ما أصاب اليهود بعينه لان على حذو ما ان اليهود لنظرهم الى الناس دفعوا قوة ايمانهم المعافاة لانهم اذ قد عرفوا انه هو ابن الله الوحيد ولاجل رؤسائهم ما اعترفوا به لكيلا يصيروا مفصولين من مجمعهم فكذلك أصاب هذا الشقى لتحمده الى امرأة واحدة كما قد ذكروا اذا عنه انه أساغ خلاصه لتحمده الك لان تمرد الشرف الفارغ صعب على الحقيقة ومستصعب فيه كفاية ان يعمى أبصار الحكماء اذا لم يستفيقوا ولئن كان اقتبال الهدايا يقتدر على هذا

الاضرار فالداء الذى هو أشد اغتصابا منه أليق ان يقتدر على هذا الاضرار أكثر منه . ولهذا السبب قال المسيح ربنا لليهود كيف تقتدرون ان تؤمنوا اذا كنتم تستمدون من الناس تشريفا وما تطلبون الشرف الذى من الله وحده قال البشير أيضا (والعالم ما عرفه) فالعالم ههنا الذى قال فى وصفه انه لم يعرفه انما عنى به اذا من الجماعة المفسدة الذائبين شوقا الى الاشياء الارضية الشعب المرذول المتزعزع الزائل فهمه من طريق ان أحباء الله المحببين كلهم قد عرفوه قبل وروده فى جسمه فقد قال المسيح بعينه فى وصف رئيس الاباء باسمه ان ابراهيم أباكم ابتهج لكى يرى يومى فابصره وفرح (يوحنا ص ٨ ع ٥٦) وقد قال فى وصف داود حين وبخ اليهود كيف يدعوه داود بالروح ربه اذ يقول قال الرب لربى اجلس عن يمينى (متى ص ٢٢ ع ٤٣) وفى معان كثيرة يذكر موسى عند معاندة أولئك وقد قال الرسول فى وصف جماعة الانبياء لان جميع الانبياء منذ صموئيل قال بطرس انهم قد عرفوه ويتقدم فى ذبيح وروده من بعد ناذح اذ يقول هذا القول وجميع الانبياء منذ صموئيل والذين بعده كلهم تكلموا وأذاعوا هذه الايام (أعمال ص ١٣ ع ٢٠) وقد ظهر ليعقوب ولابيه كما ظهر لجسده وخاطبه ووعده ان يعطيه حظوظا كثيرة عظيمة صالحة وأوصل وعده الى فعله ولقائل ان يقول فكيف قال هو قوله ان أنبياء كثيرين اشتهوا ان يبصروا ما قد رأيتم فلم يبصروا وان يسمعوا ما قد سمعتم فما سمعوه (لوقا ص ١٠ ع ٢٤) افتراهم ما ساهموا المعرفة الموثقة به فاقول له انهم قد ساهموا جدا وسأروم ان أجعل ذلك ظاهرا من هذا القول الذى منه يتوهم متوهمون انهم يسلبون الانبياء هذه المعرفة لانه قال ان كثيرين اشتهوا ان يبصروا ما قد رأيتم على نحو ما أبصروه واردا الى

الناس مدبر الافعال التى دبرها لانهم لولا انهم عرفوا لما كانوا
اشتهوا لان ما يستطيع احدنا ان يشتهى أشياء ما قد اشتمل عليه
افتكارها فمن هذه الجهة قد عرفوا ابن الله وانه سيجىء الى الناس
ولو كانوا سألوه يا سيدنا وماهى الاشياء التى ما عرفوها وماهى الاقوال
التى ما سمعوها لاجابهم هى هذه الافعال التى قد رأيتموها الآن أنتم
والاقوال التى قد سمعتموها لان الانبياء قد سمعوا صوته وأبصروه الا انهم
ما راؤه فى جسم ولا راؤه على هذه الحال متصرفا مع الناس ولا راؤه
يفاوضهم مجاهرة جزيل تقديرها وهذا المعنى عندما أوضحه هو ما
قال على بسيط ذات القول انهم اشتهوا ان يبصرونى لكن ما الذى
قال قال انهم اشتهوا ان يسمعوا ما قد سمعتموه أنتم فيجب من ذلك انهم
وان كانوا ما أبصروا وروده الحاصل فى جسمه لكنه مع ذلك قد عرفوا
وروده المنتظر الذى اشتهوه وآمنوا به وما أبصروه فى جسمه ومتى
ما شككنا الوثنيون وقالوا لنا هذه الاقوال ما الذى اعتمده المسيح اذ لم
يتعهد جنس الناس فى الزمان السالف وما الذى عضديه خلاصنا لما جاء
فى الزمان الاخير وقد اهمل تخليصنا ازمانا هذا مبلغ كثرته نقول
لهم انه قبل هذا الورود فى العالم كان معتنيا باعماله وكان معروفا
عند كافة المؤهلين له بسبب انه لم يعرفه حينئذ جميع الناس بل انما عرفه
أولئك الاجلاد المكينين فى فضيلتهم وحدهم فعلى قولكم هذا ولا
الان تعترفون ان الناس يجحدون له اذ ليس الان جميعهم قد عرفوه لكن
كما ان فى وقتنا الحاضر ليس يجوز ان ننكر الذين عرفوه منكر لسبب
الذين جهلوه فكذلك ليس ينبغى ان يرتاب مرتاب لاجل الازمان السالفة
لانه قد عرف عند الكثيرين وأليق ما يقال انه قد عرف عند جميع أولئك
الرجال الاجلاد العجيبين فان قال قائل فلم ما أصغى اليه كل الناس فى

ذلك الوقت ولاخدموه كلهم ولاأرضوه لكن أصحاب العدل لله وحدهم
استرضوه أقول له فلم مايعرفه الاالناس ومامعنى قولى عن المسيح لاننى
أوردا اياه وأقول لم ماعرفه كل الناس لافى ذلك الحين ولا الان لكن
بعضهم قالوا ان البرايا كلها مسيرة بحركة ذاتها و بعضهم يسلمون العناية
بالكل الى شياطين ويوجد أناس يخترعون الها آخر غير هذا وأقوام
منهم يجدفون عليه بانه يوجد قوة معاندة و يتوهمون ان شرائعه شرائع
شيطان مريد خبيث فما رأيك أفن تلقاء هذا القول مانقول نحن انه
يوجد اله اذ قد يوجد أقوام يقولون هذا القول و يعترفون انه يوجد خبيثا
لان قد يوجد أناس يجدفون عليه بهذا القول أبعد عنك انحراف بصيرتهم
وجدوتهم الواصل الى غايته لاننا ان اعتزمنا ان نمثل اعتقاداتنا من حكم
المصروعين فليس مانع يمنعنا نحن من ان نجن جنونا أصعب تأثيرا و بعد
ذلك فليس يقول قائل ان الشمس بسبب المرضى فى ألحاظهم توجد
مفسدة لابصارنا لكنه يقول انها منيرة لالحاظنا مستمدا من الاصحاء
المعافين قضاياهم بحقيقة ذلك والعسل ليس قائل انه مر اذ يظن
عند حسن السقما انه مر أفينبغى من جهة توهم المرضى فى عقولهم ان
يحكم أقوام ان الاله ليس هو موجودا أم انه يوجد خبيثا أو انه أحيانا
يعتنى بالبرايا و يسوسها وأحيانا ليس يعتنى بها ولا يسوسها ومن يقول ان
الذين هذه الاقوال أقوالهم معافون لكننا نقول ان هؤلاء قد انحرفوا عن
تمييزهم وقد صرعوا وجنوا جنونا فى أقصى غايته وقد قال البشير والعالم
ماعرفه الان الذين ما كان العالم عديلا لهم هولاء عرفوه لانه
لما ذكر الذين ماعرفوه وضع بلفظ يسير علة استجهالهم اياه لانه ماقال على
بسيط ذات القول انه ماعرفه عارف لكنه قال ان العالم لم يعرفه
ومعنى ذلك هو ان الذين قد تسمروا فى العالم وحده والناس الراغبين

فى

فى أشياء الدنيا و يفخمونها أولئك ما عرفوه وحدهم لان المسيح من عادته ان يسميهم هذه التسمية على نحو ما اذ قال يا أبى القدوس والعالم فلم يعرفك فالعالم اذا ما جهله هو وحده لكنه قد جهل اياه معه أيضا فعلى حسب ما قلنا ان ليس عارض يكدر على هذا النحو غير تامل نلهفنا الى الاشياء الحاضرة حتى يضوينا شوقنا اليها

العظـــــة الثامنة

طعن على من يحب المال وانه ما يتعبد لله لكنه يتعبد لغصب المال فاذ قد عرفنا الاقوال فانتزحوا عن الدنيا وانفصلوا من الاشياء الجسمانية بحسب امكانكم لان ما يحصل لكم منها الخسارة فى أشياء حقيرة وانما يتكون منها الخسران لكم فى هامة الصالحات لان ليس يوجد فى هذه الدنيا انسان متشبث باحوالها تشبثا شديدا يقتدر ان يمتلك امتلاكا خالصا النعم التى فى السموات لكن الحريص المجتهد فى هذه الدنيا الزائلة يفقد بلازم الضرورة تلك النعم و يعدمها لانه قال ما تقدرون ان تتعبدوا لله ولغصب المال (متى ص ٦ ع ٣٤) لان الضرورة تلزمكم ان تشنئوا بأحدهما وتمقتوا الآخر وهذه الاقوال فممارسة الاشياء تهتف بها وذلك ان الذين يقهقهون على شهوة الاموال فهؤلاء هم الذين يحبون الله حبا جزيلا على ما ينبغى كما ان الذين يحبون تلك الرياسة و يستجبونها فهؤلاء هم أكثر من جميع الناس توانيا فى حبه لان النفس التى اقتنصها حب الاموال فى دفعة واحدة ما تتأبى ان تقول وتعمل بايسر مرام عملا من الاعمال التى تسخط الله من طريق انها قد صارت عبدة لسيد آخر موعز بكل ما يخالف الله فاستيقظوا اذا فى وقت من أوقاتكم وتيقظوا وانهضوا فاذا تفطنا ان نحن عبيد فينبغى

أن نحب الله وحده وسبيلنا ان نبكى وننوح من أجل أزماننا السالفة التى فيها تعبدنا لغصب المال وينبغى ان نحذف عنا فى دفعة واحدة نيره الثقيل المستصعب حمله ونثبت حاملين نير المسيح الخفيف السهل فانه ليس يأمرنا أمرا يماثل ما يأمر به غصب المال لان هذا المال يأمرنا ان نصير اعداء لكل الناس وربنا يأمرنا بضد ذلك ان نود جميع الناس ونحبهم وذلك يوعز الينا ان نحبن فى الطين واللبن لان الذهب هو طين ومايتركنا ان ننام فى الليالى قليلا والمسيح يأمرنا ان نجتذب هذا الاهتمام الزائل الخالى من المنفعة وان نجمع ذخائرنا فى السموات ليس من ظلم يصل الى غيرنا لكن من عدلنا وذلك فعند أعراقنا الكثيرة وضروب شقانا الجزيلة ما يقتدر ان يقف بنا اذا حصلنا معذبين هنالك متكبدين ضنك العقوبة لاجل شرائعه وربنا فاذا أمرنا ان نعطى قدحا من الماء باردا فليس يطاق ان يضيع منا ثوابه ومجازاته فى وقت من اوقاتنا لكنه يعوضنا الجزاء بتوسعة كثيرة فكيف ليس يكون هذا الفعل من غباوة فى غايتها ان نتوانى فى سيادة رافقة بنا هذا الرفق البليغ مملوءة خيرات جزيل تقديرها وان نتعبد لغاصب زائل شكره وحفاظه ليس يفيد الخاضعين له لاههنا ولاهنالك نفعا ولا يمكنه ذلك وليس هذا الفعل المنكر فعله فقط ولا هذه الخسارة تصيبنا منه انه ما ينتصر لنا اذا حصلنا معاقبين فقط لكن مع ذلك يلقينا فى بلايا جزيل عددها على ما قدمت ذكره الى الخاضعين له لان أكثر الناس الذين يعذبون هنالك يراهم الناظر معاقبين من جهة هذه العلة لانهم تعبدوا الاموالهم وأحبوا ذهبهم وما واسوا المحتاجين فحتى لا نقاسى نحن هذه البلايا سبيلنا ان نبذل ما نمتلكه ونعطيه للفقراء ونستخلص نفسنا من الهموم التى ههنا الضارة ومن العقوبات الراتبة لنا هنالك

لاجل

لاجل هذه الافعال ولنخزن لنا في السموات عدلا بدلا من أموال نخزنها في الارض ولنجمع لنا ذخائر قد عدمت امحاقها ذخائر مقتدرة ان نسير معنا الى السماء قادرة اذا تورطنا في الشدة ان تقف معنا وتجعل القاضي حينئذ غفورا لذي فليكن لنا كلنا ان نخاطبه متعطفا علينا الان وفي ذلك اليوم وان نتمتع بدالة كثيرة بالنعم الصالحة المستعدة في السموات للذين أحبوه على ما يجب التي فليكن لنا كلنا ان ننالها بنعمة يسوع المسيح وتعطفه الذي معه ولابيه المجد مع الروح القدس الآن ودائما والى أباد الدهور أمين

المقالة التاسعة

في قوله الى خاصته جاء وخاصته لم تقبله (١١)

ان كنتم تذكرتم المعاني الاولى فسنبني عليها المعاني التي تتلوها بنشاط أوفر وأكثر عاملين هذا العمل كمن يعمله في فائدة عظيمة لانكم على هذه الجهة يكون كلامنا عندكم سهلا تعليمه اذا تذكرتم ما قيل لكم سالفا وما نحتاج الى تعب أكثر اذا اقتدرتم أنتم بكثرة ايثاركم التعليم ان تنظروا في باقي ما تعلمكم اياه أحد نظر الان من يهلك من قد يدفع اليه من العلم ويضيعه دائما يحتاج الى من يعلمه دائما وليس يعرف في وقت من الاوقات شيأ ومن يحفظ ما يتسلمه ويحصل باقي ما يتلقنه هذا التحصيل ليكون سريعا بدلا من تلميذ معلما وليس يكون نافعا لنفسه فقط لكنه سيكون مع ذلك نافعا الاخرين كلهم وهذا الحظ أتوقع أنا ان تحصله الجماعة كلها مستدلا عليه من حبها الاستماع هذا

الجزيل تقديره فهات الان نستودع فضة ربنا فى نفوسكم كانها فى خزانة صائنة للذخائر ونفتح معانى ما قد تقدم اليوم لنا على نحو ما تخولنا نعمة الروح قال البشير ان العالم ما عرفه بعد ان تكلم فى وصف الازمان التى فوق أحد وفيما بعد كلامه الى أزمان المناداة به وقال الى خاصته جاء وخاصته لم تقبله فاذ قال الان خاصته انما عنى اليهود من طريق انهم شعب متكاثر وللناس كلهم من جهة انه هو كونهم وعلى حذو ما يخبر فيما سلف من كلامه عن غباوة الكثرين وخجل فى وصفه طبيعتنا المشتركة وقال ان العالم به تكون وما عرف خالقه فكذلك استصعب ههنا زوال شكر اليهود وقلة وفاء الناس الكثرين أيضا وجعل ثلبهم أشد لذعا بقوله الى خاصته جاء وخاصته لم تقبله وهذه أفعالهم مع انه هو جاء اليهم وليس هذا وحده مستعجبا لكن أعجب من ذلك ان الانبياء قد قالوا هذا القول بعينه متعجبين من فعله وبولس بعد ذلك قد انذهل من هذه الحوادث باعيانها والانبياء هتفوا هذا الهتاف نائبين عن وجه المسيح قائلين الشعب الذى ما عرفته يعبدلى وبسماع أذنه اطاعنى والبنون الغرباء كذبونى البنون الغرباء عتقوا وعرجوا ان سلبهم (مزمور ٨٧ع ٦) وأيضا سيبصره الذين لم يخبروا بوصفه والذين ما سمعوه يفطنون به وقد صودفت عند الذين لم يطلبونى فقد صرت ظاهرا عند الذين لم يسألوا عنى (اشعياص ٦٥ع ١) وبولس حين راسل أهل رومية قال ما الغرض فى ان ما طلبه اسرائيل ذلك ما وصل اليه بل قد وصل انتخابه (روميةص ١١ع ٨) وقال أيضا ماذا نقول فى ان الامم التى ما سعت وراء العدل وصلت الى العدل واسرائيل مع سعيه وراء العدل ما وصل الى شريعة العدل (روميةص ٩ع ٣٠) لان هذا الحادث بالحقيقة أهل للانذهال منه كيف الذين تربوا فى كتب الانبياء وكانوا يسمعون موسى كل يوم قائلا أقوالا كثيرة فى ورود المسيح وبعد ذلك سمعوا باقى الانبياء يصفون حضوره

وعاينوا

وعاينوا المسيح بعينه مجترحا كل حين عجائبه لهم متفرغا لهم وحدهم لايطلق
عاجلا لتلاميذه ان يذهبوا فى طريق الامم ولا يدخلوا الى مدينة السامريين
ولا يعمل هو هذا العمل لكنه يقول فى أعلا خطابه وأسفله انه انما
أرسل الى الغنم الضالة من بيت اسرائيل وقد سمعوه يذكرهم اذ كار امتصلا
باياته وباقوال أنبياء أعموا نفوسهم وتصامموا فى دفعة واحدة على
هذا النحو حتى انهم ولا بصنف من هذه الاصناف انقادوا الى تصديق
المسيح وأما الجموع من الامم ما استمتعوا ولا بصنف واحد من هذه الاصناف
ولا دائما فى أحاديث المجانين التى يحاكى الحق لفظها لان هذا للفظ يخترعه
الفلاسفة والشعراء الذين خارج محلتنا ويهذرون هذه الهذايانات مستمرين
فى شغفهم بالخشب والحجارة لا يعرفون احتجاجا نافعا معافى عن معتقداتهم
وسيرتهم لان سيرتهم كانت أنجس من اعتقاداتهم وذلك على جهة الواجب جدا
لانهم اذا كانوا الهتهم مسرورين بكل رذيلة يسترضون بالفاظ قبيحة و باعمال
أقبح منها ويستشعرون هذا الفعل عيدهم وتكريمهم مكرمين أيضا
بصنوف من القتل بخسة وبقتل الصبيان كيف ما كانوا عاثلون الهتهم الا انهم
بعد انهباطهم الى قعر الرذيلة بعينه ظهروا عندنا على غفلة من ذروة السموات
بعينها لا معين كانهم قد حصلتهم فى علوها حيلة من الحيل صاعدتهم اليها وان
سألت كيف صار هذا ومن أين تكون أجبتك اسمع بولس القائل لان ذلك
السعيد اذ بلغ فى التماس هذه المطالب ما انتزح عن ابتغائه الى ان وجد
علة ذلك وأوضحها للناس الاخرين كلهم وان استخبرت وما هى هذه العلة ولمن
هى ومن اين عرض لهم هذا العمى الجزيل تقديره اسمع المؤتمن على هذه
السياسة قائلا هذه الاقوال ادخل شك الناس الكثيرين فى هذا الوجه فقال
انهم اذ جهلوا عدل الله ولا لتماسهم ان يثبتوا عدلهم ما خضعوا لعدل الله
(رومية ص ١٠ ع ٣) ولذلك عرضت لهم هذه العوارض وقال أيضا اذا ترجم هذا

المعنى بعينه على جهة أخرى ماذا نقول ان الامم التى ماسعت وراء العدل وصلت الى العدل الذى من الايمان واسرائيل اذ سعى وراء شريعة العدل ما وصل اليها (رومية ص ٩ ع ٣٠) وان سالته لم ذلك لاجابك ما التمسوها من الامانة لانهم عثروا بحجر العثرة فالذى يقوله هذا هو معناه زوال تصديقهم صار علة لبلاياهم وزوال التصديق ولده تجبرهم لانهم اذا امتلكوا قبل هذا الوقت من الاوثانيين اختصاصا بتسلمهم الشريعة ومعرفتهم الله والمواهب كلها التى ذكرها بولس ثم أبصروا أولئك مدعوين وهم الى الامانة بمساوة واحدة بعينها وعاينوا الواحد من أهل الختانة ليس يمتلك حظا أفضل من الواحد من الاسم بعد ايمانه غصهم تجبرهم وبغيهم اذ صعدوا الى الحسد وما احتملوا ودسيدنا للناس الذى لا يوصف المفرط فضله وهذا العارض عرض لهم ليس من جهة من الجهات البتة الا من تجبرهم وخبثهم ومقتهم للناس وأنا أخاطبهم يا من هم أقل الناس كلهم فهما ما الذى يضركم من الاشفاق الواصل فى أناس آخرين ما الذى ينقص حظوظكم الصالحة اذ تحوزون أناسا آخرين يساهمونكم فالخبث أعمى بالحقيقة وليس يقدر أن يعرف باسراع صنفا من الاصناف الواجبة فلما الذعوا اذا بامتلاكهم شركا فى دالتهم بعينها دفعوا السيف على أنفسهم اذا خرجوا اذ واتهم من تعطف الله وذلك على جهة الواجب جدا لانه قال يا صاح لست أظلمك أريد ان أعطى هؤلاء كما أعطيك أنت (متى ص ٢٠ ع ١٣) وأولى ما يقال ان هؤلاء ليسوا موهلين لهذه الاقوال لان ذاك ان كان استصعب تخويل الفاعل الاخر نظيره لكنه مع ذلك يحتج له ان يذكر اتعاب نهاره وشقاه وحر النهار واعراقه وهؤلاء فما الذى ينساغ لهم ان يقولوا العمرى انه ما يحتج لهم ان يقولوا قولا هذا معناه الا انهم يوردون ونيتهم وتفريطهم وسيئاتهم الجزيل عددها التى كانت الانبياء كلهم قد لبثوا كل حين يقرعونهم بها التى لاجلها صدموا الله بشتيمتهم الاسم وهذا المعنى اذا أوضحه بولس قال لان ليس فوق

فاصل

فاصل فيما بين اليهودى واليونانى لان الناس كلهم أخطأوا وأعدموا مجد الله
وانما تحقق لهم العدل مجانا بنعمته (رومية ص ٣ ع ٢٣) وهذه المقدمة كلها
بروضها فى تلك الرسالة رياضة نافعة زايدة فى الفهم جدا وقد ذكر فى أعلى تكلمه
فيها انهم مؤهلون لعقوبة كثيرة أعظم لانه قال جميع الذين أخطأوا فى حين
شريعتهم سيحكم عليهم بشريعتهم (رومية ص ٢ ع ١٢) ومعنى هذا هو انهم
يحكم عليهم أصعب حكومة اذ قد امتلكوا شريعتهم مع طبيعتهم ثالبة اياهم
وليس هذه علة عقوبتهم وحدها لكن علتها مع هذه انهم صاروا علة للافترا على
الله عند الامم لانه قال ان اسمى بكم يفترى عليه فى الامم (أشعيا ص ٥٢ ع ٥)
(رومية ص ٢ ع ٢٤) ولعمرى ان هذا الاحسان السابغ على الامم كان الذى
لذعهم لذعا شديدا لان هذا الحادث قد اشتهر عند الذين آمنوا من أهل الختان
انه بديع مستعجب ولذلك شكوا بطرس عند عودته اليهم من مدينة قيسارية
وقالوا له انك دخلت الى عند رجال مشتملين غلفتهم وأكلت معهم وبعد ذلك
اذ عرفوا سياسة الله استعجبوا ايضا هذا الاستعجاب الجزيل وأظهروا اندهالهم
من ان كيف قد اندفقت على الامم موهبة الروح القدس من طريق انهم
ما توقعوا فى وقت من الاوقات هذا الحادث البديع فلما عرف بولس ان هذا
الحادث قد لذعهم أكثر اللذع وأشده ابصر كيف استفرغ صلفهم وحال تجبرهم
بعد تورمه شديدا لانه بعدما تكلم فى وصف الوثانيين وظهرهم لا يمتلكون البتة
ولا عذرا واحدا ولا تأميل خلاص وفند اعوجاج اعتقاداتهم تفنيدا بليغا وتجاستهم
فى عيشتهم نقل كلامه الى اليهود وتلفظ من النبي كافة الاقوال التى بها قال
ذلك انهم كانوا أناسا نجسين غشوشين مستنبطين الخبث وانهم كلهم قد زال الانتفاع
بهم معا وان ليس فيهم ولا واحد يطلب الله لكنهم كلهم قد انحرفوا
عنه جامحين (رومية ص ٣ ع ٩) وما ناسب هذه وماثلها واستثنى
بقوله وقد عرفنا ان كان ما تقوله الشريعة انما تخاطب به الذين

فى الشريعة لينسد كل فم ويصير العالم كله عند الله تحت جناية
لان الناس كلهم أخطأوا وأعدموا مجد الله فما بالك أيها اليهودى
تعلى ذاتك مترفعا ما بالك تتفخم تفخماً عظيما لان فلك قد انسد ودالتك
قد أزيلت و بطلت وصرت أنت مع العالم كله تحت جناية وحصلت
بسوية غيرك محتاجا ان يتحقق لك العدل مجانا وقد كان سبيلك ولو كنت
متهذبا ما لكا دالة جزيلة عند الله ان لا تحسد ولا على هذه الجهة المؤسلين
ان يرجوا ويستخلصوا بتعطف الله على الناس لان هذا العارض
من خبث فى غايته وهو ان تذوب حسدا لحظوظ غيرك الصالحة
ولاسيما اذا أزمع هذا الحادث ان يحدث ليس بخسارة تنالك لان لو أفسد
خلاص الناس الآخرين حظوظك المستحسنة لكان توجعك لذلك يمتلك
اختجاجا على ان هذا التوجع لن يجوز احتجاجا عند من تعلم ان يتفلسف
فاذا كنت لا اذا عوقب رفيقك تتكاثر لك فوائد أجرتك ولا اذا أحسن اليه
تنقص فلم تقطع ذاتك من أجل الفوائد التى يتخلص بها غيرك مجانا وقد
كان ينبغى لك على ما قد قلت ولو كنت من المتهذبين الافضلين ان لا يمضك
الخلاص الصائر الى الامم بنعمة الله فاذا كنت عند سيدك تحت جناية هذه
الجرائم بأعيانها وأنت مصادم له بافعالك أتستصعب الحظوظ الصالحة
الحاصلة لآخرين وتتفخم تفخماً عظيما كانك وحدك مستوجب
ان تساهم نعمته فليس هذا العارض من حسدك و بغيك فقط لكنه من
غباوة فى غايتها تجعلك مستوجبا لكافة العقوبات الاصعب من غيرها
لانك غرست فى ذاتك قرمة الشرور كلها التى هى الكبرياء ولهذا المعنى
قال حكيم من الحكما ان ابتدأ الخطية الكبرياء (سيراخ ص ١ ع ١٥)
ومعنى ذلك ان الكبرياء هى أصل الخطية و ينبوعها وأمها

العظة

العظـــــة التاسعة

طعن على الكبرياء

فعلى هذه الجهة خان المخلوق الاول من ذلك التصرف السعيد على هذه الطريقة اهبط ابليس المحتال الذى طغا من علو مرتبته تلك السامية فمن هذه الجهة اذ عرف الشيطان النجس طبيعة هذه الخطية ان فيها كفاية ان تهبط من السموات بأعيانها سلك هذه الطريق حين حرص ان يهبط آدم من كرامته تلك الجزيل تقديرها لانه بوعده اياه انه يكون عديلا لله نفخه وبعد ذلك أهبطه وكردسه الى مهاوى الجحيم باعيانها لان ابليس عارض بهذه الصورة يغرينا من تعطف الهنا ويدفعنا الى نار جهنم مثل اغتصاب الكبرياء لان هذه اذا حضرت فينا تصير عيشتنا كلها نجسة ولو أحكمنا عفافنا ولو أمتلكنا بتولية ولو مارسنا صوما ولو داومنا الصلوات ولو افتعلنا صدقه ولو اصطنعنا مهما كان من الصلاح لانه قال ان نجس عند الله كل متوقع قلبه فينبغى ان نقبض تبذخنا ونقلع تعظمنا ان شئنا ان نكون أنقياء وان نتخلص من العقوبة المعدة لابليس المحتال والبرهان على ان المستعظم يقاسى النوائب باعيانها والشدائد الموجبة على ذلك المحتال اسمع بولس يقول فى من يختار اسقفا قال لا يكونن غرسة جديدة لكيلا يتصلف فيسقط الى حكومة ابليس المحتال ونخفه وان سألت وما معنى حكومة ابليس أجبتك لكيلا يسقط الى الحكومة الموجبة عليه بعينها فى عقوبته نفسها ولسائل ان يسألنا فكيف ينفلت أحدنا من هذه النائبة الصعبة فنجيبه ينفلت ان فكر فى طبيعته وفى كثرة خطاياه وفى عظم التعاذيب التى هنالك وفى مدى الحظوظ المظنونة ههنا بهيئة الوقتى زوالها انه لا فرق بينها وبين الحشيش تضمر ذابلة

أكثر من ذبول أزهار الربيع ان أهجسنا هذه الافكار فى ذواتنا دائما
وحصلنا فى حاسة ذكرنا الذين أحكموا المحامد الجسيمة فليس يقتدر
ابليس المحتال ان يرفع وهمنا ولو ماحك دفعات كثيرة ان يرفعه ويصافه
بل ولا يمكنه ان يعرقلنا فى رياسة والهنا الله المتواضعين الصالح الوديع
هو يهب لكم ولنا قلبا متخشعا متطحنا متذللا فاننا على هذه السجية نقتدر
ان نحكم المحامد الاخرى بايسر مرام لمجد ربنا يسوع المسيح الذى به ومعه
لابيه المجد مع الروح القدس الى أباد الدهور كلها آمين

المقالة العاشرة

فى قوله (١١) الى خاصته جاء وخاصته لم تقبله

الهنا أيها الاحباء لم يزل محب اللناس محسنا اليهم من شأنه ان يعمل كل
أعماله ويحيل بها حتى يشرق نورنا فى الفضيلة ويريدنا ان نكون
متهذبين وهذا العمل يعمله لكى يجتذب به اليه جميع المريدين
ليس بصنف من غصب ولا بالزام بل بقبولهم منه وباحسانه اليهم
يستميلهم اليه ولهذا السبب عند مجيئه قبله أقوام من الناس وأقوام
منهم ما قبلوه لانه ما شاء ان يملك ولا عبدا واحدا كارها ولا مضطرا لكنه
يشا ان يحوزنا كلنا طائعين مختارين عارفين منه التعبد له لان الناس من
طريق انهم محتاجون الى خدمة عبيدهم يضبطون بشريعة سيادتهم أناسا
كثيرين ما يكونون يريدون ان يخدموهم فاما الهنا فقد عدم ان يكون محتاجا
الينا وليست به حاجة الى صنف من صنوف خدمتنا وانما يعمل كما يعمله
لاجل خلاصنا فقط وقد جعلنا بأعياننا أصحاب هذا العزم ولهذا السبب
ما وضع ولا على واحد من الذين ما يريدون التعبد له قسرا ولا الزاما لانه انما

ينظر

ينظرالى الفعل الموافق لنافقط لان اجتذابه ايانا كارهين الى هذا التعبد
له هوعديل لاجتنابنا التعبد له بجملة عزمنا ولعل قائلا يقول فما
الرأى فى انه يعاقب الذين ما يريدون ان يطيعوه وماغرضه فى انه يهول
بجهنم على الذين ما يقبلون أوامره فنجيبه لاننا اذا لم نخضع له ولا نقبل منه
يشفق علينا جدا لانه لم يزل صالحا واذا طفرنا جامحين عنه وهربنا
منه ما ينتزح عنا ولعمرى اذا أبعد طريق احسانه الاولى الذين لم يريدوها
بالقبول منه وبسبوغ انعامه عليهم أو رد الطريق الاخرى التى
تستحوذ عليهم بتعذيبه وعقوباته وانها الاشد مرارة من كل استمرار الا انها
مع ذلك ضرورية لازمة اذا أهونوا بالطريق الاولى ومع ذلك فشترعوا
الشرائع قد رسموا عقوبات كثيرة صعبة على الذين يخطئون وما نرجع
عنهم بسبب هذه الفرائض لكننا نكرمهم أكثر لاجل التعاذيب على
مخالفتهم ولانهم ما يحتاجون الى فائدة من الفوائد المستفادة منا وطالما
لم يعرفوا من هم المزمعون فى وقت من الاوقات ان يتمتعوا بالمعونة مما
شرعوا الا انهم مع ذلك اهتموا بحسن ترتيبنا فى عيشتنا اذا أكرموا
العائشين فى الفضيلة ومنعوا بالتعاذيب التى رسموها للفاسقين عن تفريطهم
والمفسدين بهم وباقى أصحابهم فان كنا نستعجب هؤلاء ونحبهم أفما يجب
علينا ان نذهل من الهنا ونحبه أكثر لاجل اهتمامه هذا الجزيل
فقديره بنا جدا الان الفرق بين اهتمام أولئك بنا وبين عناية هذا السابغة
علينا هو عديم ان يكون مخبورا لان غنى خيرية الهنا بالحقيقة لا يوصف
قاهرا كل افراط فى وصفه وتأمل هذا قال الى خاصته جاء ليس
لاجل حاجة لان الذات الالهية على ما قلت عديمة ان تكون محتاجة لكنه
انما جاء من أجل الاحسان الى خاصته وما قبله ولا على هذه الجهة خواصه

عند مجيئه الى أصحابه لنفعتهم لكنه دفعوه وما فعلوا به هذا الفعل فقط
لكنهم أخرجوه الى خارج كرمه وقتلوه وما حجزهم هو ولا على هذه الجهة
من التوبة لكنه خولهم متى أرادوا بعد تجاوزهم شريعته هذا الجزيل
تقديره ان يغتسلوا بايمانهم به من سائر ما اجترموه وان يعادلوا الذين
ما فعلوا هذه صفته لكنهم لم يزالوا يحبونه أكثر من كل الناس
والدليل على ذلك انى ما قلت هذه الاقوال على بسيط ذات القول ولا لاجل
رفق وملاطفة اذا أبدى بايضاح ذلك صوتا بهيا أبينه به أخبار بولس
السعيد كلها تحقيقا لاقوالى هذه لان هذا المضطهد للمسيح بعد صلبه
الراجم استفانوس شهيده بايادى كثيرة لما تاب وذم الخطايا المخترعة به أولا
وبادر جريا الى من كان يضطهده حسبه للحين من أحبائه المالكين
المراتب المتقدمة عنده وأظهره نذيرا به ومعلما للمسكونة كلها وأعلى
شأن المفترى المضطهد الشتام ورفع اسمه على حذو ما قد أذاع هو ذلك
مبتهجا بتعطف الهنا عليه وما خجل من ذلك بل صنف لكل الناس
وبين الجرائم التى اجترمها أولا بكتائب كانها فى تمثال مشهورة مستشعرا
ان تصنيفه لدى جميع الناس عيشة الاولى لاظهار جسامة موهبة الله
يكون أفضل من ستره تعطفه عليه الممتنع ان يكون موصوفا اذا تكاسل
ان يشهر للناس كلهم ضلالته فلهذا السبب يردد فى أعلا رسائله وأسفلها
اضطهاداته واغتيالاته وحروبه التى آثارها على كنيستنا بقوله أحيانا
لست أنا مستحقا ان ادعى رسولا لاننى اضطهدت كنيسة الهى (قرنثية ١ ص
١٥ ع ٩) وأحيانا ان يسوع جاء ليستخلص الخاطئين الذين
انا أولهم (تيموثاوس ١ ص ١ ع ١٠) وقال أيضا وقد سمعتم
بتصرفى قديما فى اليهودية اننى كنت اضطهد كنيسة الله بافراط فى
ذلك وأهدمها (غلاطية ص ١ ع ١٣) لان حاله حال من يقضى

المسيح

المسيح هذا الاقرار مكافأة له على تأهيله باظهاره من كان سالفا وكيف
خاص بفضله عدوه ومحاربه فعلى هذا الحال ينادي بحرية الكنيسة
بمجاهرة كثيرة الذي حارب به المسيح في ابتداء ايمان الناس به بنشاط
جزيل ومع ذلك يبسط للذين يئسوا من أنفسهم آمالا صالحة لانه قال
ان المسيح لهذا الغرض قدمه وأدناه اليه ليبين فيه أولا تمهله كله وافراط
ثروة خيريته تمثالا للمزمعين ان يؤمنوا به يوصلهم الى حياة دهرية لان
الافعال التي اجترى عندهم عليها كانت أعظم من كل عفو وهذه
الافعال فقد أظهرها البشير وقال الى خاصته أتى وخاصته لم تقبله
ولعلك تسأل فمن أين جاء المالي الكل الحاضر في كل مكان وأي
مكان فرغ من حضوره فيه المحتوى على البرايا كلها في يده وضابطها
فاجيبك انه ما استبدل ولا مكانا واحدا لان كيف كان يكون ذلك
وانما فعل هذا الفعل بتحدره الينا لانه اذ كان في العالم موجودا ولم يظن
انه حاضر فيه لانه لم يكن بعد معروفا أظهر ذاته أخيرا لما أهلنا الاستيطانه
جسمنا فالرسول أعني يوحنا البشير يدعو ظهوره هذا وتحدره ورودا
وقد يتعجب متعجب من هذا التلميذ اذ لم يخجل من امتهان معلمه لكنه
كتب بمجاهرة المشيئة الصائرة اليه وهذا الفعل ليس هو دلالة صغيرة
على تحقيق حبهم للصدق ولمعنى غير ذلك هو ان المستخزي لاجل الممتهنين
ما سبيله ان يخجل لاجل الممتهن الشتوم لان هذا الممتهن قد أشرق نوره
أكثر اشراقا بامتهانهم اياه واعتنى بالذين امتهنوه بعد امتهانهم اياه عناية
جزيل تقديرها وأولئك فاستبانوا عند جميع الناس مكابرين غادرين
نجسين اذ أبعدوا من جاء اليهم بخيرات هذا المقدار الجزيل مقدارها
وأحلوه محل عدوهم ومحاربهم وما أنضروا بهذه المضرة وحدها لكنهم
أنضروا معها بانهم ما اتفق لهم امتلاك ما اتفق للذين قبلوه تحصيله وان

سألت وما الذى اتفق لهؤلاء الذين قبلوه امتلاكه أجبتك هو قول الرسول
الرسول ١٣ وجميع الذين قبلوه أعطاهم سلطانا ان يصيروا أولاد الله واذا
خاطب الرسول ما رأيك أيها السعيد فى انك تذكر لنا العقوبة الراتبة
للذين لم يقبلوه لكنك قلت كانوا خاصته ولما جاء الى خاصته لم تقبله
وما وصفت ما يقاسونه بدلا من أفعالهم هذه ولا استثنيت أيضا بذكر
العقوبة التى يتكبدونها على انك كنت على هذه الجهة قد أرعتهم أعظم
الارتياع وأشده وكنت بتهويلك قد لينت جفاوة تجبرهم فلم صمتّ عن
ذكر ذلك وما الذى حدث من الحوادث فى وقت من الاوقات أعظم من هذه
العقوبة عقوبة غيرها اذا كان السلطان مبذولا لهم ان يصيروا أولاد الله فلم
يصيروا لكنهم أعدموا ذواتهم طائعين شرف هذه المجانسة والكرامة
الجزيل تقديرها ومع ذلك فما قد وقف فى هذه الاقوال عوارض العقوبة
الراتبة لهم ولا أنهاها الى انهم ما يحصلون حظا صالحا لكنه اذا معن
فى قوله كشف النار العادمة ان تكون خامدة التى تقتبلهم كشفا أبين وضوحا
الا انه يصف الحظوظ الصالحة للذين قبلوه ويبينها بلفظ يسير بقوله هذه
الالفاظ باعيانها على هذه الجهة وكافة الذين قبلوه أعطاهم سلطانا
ان يصيروا أولاد الله ولو كانوا عبيدا ولو كانوا أحرارا ولو كانوا
أوثنيين ولو كانوا أعجميين صقالبة ولو كانوا حكماء ولو كانوا غير حكماء
ولو كانوا نساء ولو كانوا رجالا ولو كانوا صبيانا ولو كانوا شيوخا ولو كانوا
مهانين ولو كانوا مكرمين ولو كانوا أغنياء ولو كانوا فقراء ولو كانوا
رؤساء ولو كانوا عامة فكلهم قد أهلوا لكرامة واحدة بعينها وبيان
ذلك ان الامانة ونعمة روح القدس (التى نقتبلها فى المعمودية) اذا
انتزعت من أشخاص الناس العالمية زوال التساوى خلقهم كلهم
صورة واحدة ومثلتهم بصورة التمثال الواحد الملكى فما الذى يكون

عديلاهذا التعطف على الناس فالملك المخلوق معناه من طين واحد بعينه ليس يؤهل الذين يواخونه فى العبودية لله ويشاركونه فى طبيعته بعينها وربما كانوا أفاضل فى أخلاقهم ان يحسبوا فى جنسه الملكى ان اتفق ان يكونوا عبيدا الا ان ابن الله الوحيد لم يستكبر ان يحسب أناسا مشارين ساحرين وعبيدا واقوا واما أفقر الناس كلهم وأكثرهم هوانا وكثيرون أجسامهم فيها عاهات مشتملين عيوبا كثيرة فى وصف أولاده فقوة الايمان به جزيل تقديرها وافراط نعمته جزيل مقدار سموه وكما ان طبيعة النار اذا لامست أرض معادن الذهب جعلت ترابها فى الحين ذهبا هكذا كونا من أرضها هذا الفعل تفعله المعمودية (فى فعل المعمودية) بالذين يستحمون فيها وأكثر منه كثيرا لانها تجعلهم بدلا من ترابيين ذهبيين اذ حصلت نار الروح فى ذلك الوقت فى نفوسنا وأحرقت تمثال الترابى وجددت اغرس تمثال السموى وأظهرته بهيا لامعا صقيلا كصقالة الذهب الخالص الخارج من الكور فان سألت فما غرضه فى انه جعلهم ان يصيروا أولاد الله أجبتك انه أراد بذلك اننا نحتاج الى حرص كثير حتى يرتسم تمثال البنوة بالوضع فينا بالمعمودية وان نصونه بجملته ناجيا من ان يصير متدنسا او ملوسا مظهرا مع ذلك ان هذا السلطان ليس يقتدر أحد ان يسلبنا اياه اذ لم نسبق نحن فنوصل سلبه الى ذواتنا ولئن كان الذين يتسلمون من أناس سلطانا على بعض الاعمال يمتلكون قوة تقارب فى تقديرها القوة التى يمتلكها الذين أعطوهم السلطان باعيانهم فالذين قد اتفق لهم ان يمتلكوا من الله هذه الكرامة أحق وأولى بذلك اذا لم يعملوا عملا عديما ان يكون أهلا لهذا السلطان وان يكونن أشد قوة من جميع الناس لاجل ان الذى خولنا هذه الكرامة هو أعظم من الكل وأوفر صلاحا ومع ذلك فيريد ان يوضح ان النعمة ما تتبع على بسيط ذات الاتباع لكنها انما تتبع الذين يريدونها والمجتهدين على امتلاكها الان فى سلطان هؤلاء قد وضع

ان يصيروا أولادا فان لم يشاء ذلك هؤلاء فما تتبعهم الموهبة ولا تعمل عملا يخصها فعند انتزاعه فى كل مكان البهجة الضاطرة وايضاحه البهجة المؤثرة المستولية على ذاتها فال الان هذا القول لان فى هذه المواهب الصالحة الممتنع وصفها باعيانها اما اعطاء النعمة فهو لله واما اصدار الامانة فهو للانسان وفى الزمان الذى بعد ذلك نحتاج ان يكون حرصنا واجتهادنا كثيرا لاننا ليس يكفينا لصيانة الطهارة فينا ان نصطبغ وان نؤمن فقط لكننا نحتاج اذا اعتزمنا ان نستمتع كل حين ببهجة المعمودية هذه الى ان نخولها عيشة موهلة لها فهذا الفعل قد فوضه الهنا الينا الان تولدنا اسريا وتنظفنا من كافة الخطايا المجترمة بنا انما يكون من المعمودية لنا وثباتنا فيما يتلو ذلك انقياء ولا نقتبل أيضا فيما بعد من الوسخ ولا صنفا فهو لسلطاننا واجتهادنا ولهذا المعنى أذكرنا ببهجة الولادة وأرانا من مقايسة اتعاب الطلق الجسمانية عظمها وشدتها بقوله ١٣ الذين ما ولدوا من دم ولا من مشية لحم ولا من ارادة رجل لكنهم من الله ولدوا فعمل هذا العمل حتى اذا تأملنا حقارة ولادتنا الاولى ومذاتها الكائنة بالدماء وبمشية اللحم وعرفنا علو ولادتنا الثانية وشرف حسبها الكائنة بالنعمة نستفد من هذه الجهة وهما عظيما من أجله موهلا لموهبة الذى ولدنا وتظهر فيما بعد حرصنا كثيرا الان خوفا ليس يسيرا نحتاج حتى لا ندنس فى وقت من الاوقات هذه الحلة الحسنة بونيتنا فيما بعد ونخرج بذنوبنا من الحجلة والخدر مثل أولئك العذارى الجاهلات الخمس نظير ما أخرج الذى ما استلك لباس العرس لان ذاك قد كان من الندماء لانه قد دعى و بعد اكرامه الاكرام الجزيل سب من دعاه واسمع أية مقابلة قوبل وكيف يستوجب الترثى لها والدموع الغزيرة جاء ليتناول من تلك المائدة البهية فامنع من الوليمة فقط لكنهم شدوا يديه ورجليه وساقوه الى الظلام البرانى الاقصى بعيدا متكبدا العويل الدهرى الفاقد ان يكون مخبورا وصريف الاسنان

العظة

العظـــة العاشرة

في من لا يعيش عيشة صالحة ما يستفيد من المعمودية المقدسة نفعا

فلا نظن نحن يا أحبتي ونتوهم ان أمانتنا فيها كفاية لخلاصنا الا اننا ان لم نظهر عيشة نقية بل نحضر لابسين ثيابا ودعية ان تكون أهلا لهذه الدعوة السعيدة فليس مانع يمنعنا ان نقاسي ما قاساه ذلك الشقي بعينه لان منكرا ان يكون هو لم يزل الها وملكا لم يأنف ان يدعوا أناسا حقيرين مكديين ليسوا مؤهلين لشيء لكنه ساقهم من طريق المسكنة ذات الثلث جهات الى تلك المائدة فنظهر نحن زوال حس يبلغ في كثرته الى ان لم نصر في هذه الكرامة الجزيل تقديرها افضل مما كنا لكننا ثابتون بعد دعوته ايانا في رذيلته بعينها الا انه ليس لهذا الغرض دعانا الى مشاركة اسراره هذه الروحانية الرهيبة حتى ندخل الى وليمته لرذيلتنا بل انما دعانا حتى اذا نزعنا قباحتنا فلبس الثياب التي يجب ان يلبسها المدعوون الى الاكل في قصور ملكه فان لم نشا ان أعمالا مؤهلة لدعوته تلك النفيسة فليس ذلك من جهة الذنب أكرمنا لكنه من جهتنا الان ليس يخرجنا داعينا من صف ندمائه العجيب لكننا نحن ذواتنا الا انه هو قد استكمل كل ما هو منسوب اليه لانه قد رسم افراح عرسه وقد أصلح مايدته وقد أرسل رعاته واستقبل الواردين لما جاؤا الى عنده وأكرمهم الاكرام الاخر كله ونحن أوصلنا الهوان اليه والى الحاضرين عنده والى عرسه بثيابنا الوسخة التي هي أعمالنا النجسة فعلى جهة الواجب يكون اخراجنا فيما بعد لانه بهذا الفعل يكرم عرسه والمدعوين اليه يطرده أولئك الوقحين المسلو بين استحيائهم لانه لو ترك في عرسه اللابسين ذلك الثوب الوسخ لتوجه الطعن عليه انه هو يهين الاخرين لكن لا صار ان يمارس واحد منا أو من الناس الاخرين ما مارسه ذلك المدعو الذي هذه الحال حالة لان لهذا الغرض كتب هذه الحوادث كلها قبل كونها حتى نرتدع بتهويل الكتب

الواصفة هذه العثرات ولا تطاق ان يصل هذا الهوان وهذا العذاب الى فعله وان توقف العذاب فى الالفاظ وحدها و يصير كل واحد منا الى تلك الدعوة بحلة ملكية التى فلتكن لنا كلنا ان نتمتع بها بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفه الذى به ومعه لابيه المجد مع الروح القدس الى أباد الدهور كلها آمين

المقالة الحادية عشر

فى قوله (١٤) والكلمة صار لحما وسكن فينا

أريد ان أستميحكم كلكم قبل ان الامس الفاظ الانجيل منة واحدة وعساكم ماتنجحون الى استماحتى مع انى لست أطلب فعلا ثقيلا صعبا وليس هونا فعالى أخذه وحدى لكنه نافع لكم أنتم أيضا الذين تجودون به على وأكثر منفعته واصله اليكم وان أنتم سالتمرنى عما استميحكم اياه أجبتكم أريد انى ان كل واحد منكم يأخذ الاصحاح من الاناجيل التى ينتظر ان تقرأ عليكم فى يوم الاحد أو السبت بيده قبل هذين اليومين وليقرآه جالسا فى منزله قراءة متصلة وليتصفح ماقد قيل فيه تصفحا بليغا دفعات كثيرة وليتأمل المعانى المخزونة فيه وليبحث عنها كلها بحثا صائبا و يميز ماهو منها واضحا وماهو غامضا وماهو على مايظن مناسبا الاضداد معناها وماليس هو على مايظن به و يستبرئها كلها على بسيط ذات الاستبراء و يعتبرها وبعد ذلك تستقبلون استماع مايقرأ عليكم فان الفائدة لكم ولنا من هذا الحرص والاجتهاد ماتكون صغيرة لانا نحن ماتحتاج تعبا كثيرا الايضاح ماقيل فى الاصحاح واظهار قوته لكم اذا كان تمييز فهمكم قد تقدم فاختص بمعرفة ألفاظه وأنتم تصيرون

بهذه الرياضة بصايركم أسرع فهما واحد نظرا ليس في استماعكم فقط ولا في تعلمكم لكن في تعليمكم آخرين غيركم فمن هذه الجهة أقول ان كثيرين من الحاضرين الان ههنا يلزمون ذواتهم ان يتعلموا هذين الصنفين جميعا وهما ألفاظ الاصحاح كلها وما نقرله نحن في ترجمتها ولو استكملوا يعملون هذا العمل سنة كاملة لما كانوا يقتطفون فائدة من الفوائد يسيرة وكيف يمكنهم ذلك وهم انما يتفرغون لما يقال ههنا في وقت قصير كانه من عمل منحرف عن غرضهم فان احتج عندنا محتجون باشغالهم ومهماتهم وبكثرة أشغالهم بالنظر الى أحوال المدينة والعامة فهذا العارض بعينه أولا هو ذلل ليس صغيرا لهم ان يحدق بهم كثرة أشغال جزيل تقديرها وان يتهمكوا على هذا النحو في أشغال الدنيا كل حين انهما كا يفضي بهم الى ان يتفرغوا فراقا يسيرا للفوائد التي هي الزم ضرورة من الاشغال كلها وبعد ذلك نثلبهم بان أقوالهم هذه احتجاج ومدافعة لان التئامهم مع أصدقايهم ومقامهم في مشاهد اللعب وجموعهم التي يجمعونها من أجل النظر الى تهاجن الخيل وسباقها التي طالما أفنوا فيها أياما كاملة وما يحتج فيها أحدهم البتة اشتغاله باشغال مهمة تحجزه عنها ومع ذلك فالاشغال المذمومة قد أزلتم عنكم توجه الحجة عليكم فيها ويمكنكم ان تتفرغوا لها تفرغا غريقا واذا وجب ان تصغوا الى أقوال الهنا تظنون انها أحقر من كل ما يوجد فضلة زائدة وأشد هوانا وتبلغون في استحارها الى ان تعتقدوا انها ما يجب ان توزعوها ولا فراغا يسيرا فاذا كانت هذه الحال حالكم فكيف تكونون أهلا لاستنشاق الهواء والنظر الى هذه الشمس وقد يوجد الاكثرون ونية من غيرهم حجة أخرى وهي اعدم الحجج احتجاجا وهي أنهم ما يستقنون ولا يملكون مصاحف فالاغنياء من المحتجين هذا الاحتجاج يتكاثر الضحك عليهم من أجل احتجاجهم واذ الاكثرون من الفقراء على حسب ظني يستعملون هذه الحجة استعمالا متصلا أقول لهم ذلك القول بأوفر الالتذاذ هل يوجد صانع من الصناع ليس

يقتنى لصناعته كافة أدواتها اقامة كاملة ولومنعته موانع من فقره جزيل
عددها فكيف ليس يكون هذا الفعل منكرا ان يكون ذلك الصانع
ليس يحتج بفقره لكنه يعمل كل ما يعمله حتى لا يكون له عائق من العوائق
فى صناعته ولا من جهة من الجهات واذا اعتزمتم أنتم ان تستثمروا
منفعة هذا المبلغ الجزيل مبلغها تنتحبون على أشغالكم وتحتجون بفقركم
ومع ذلك ان كان أناس منكم فقرا فى الغاية القصوى من فقرهم فقد
يمكنهم من استماع القراءة المتصلة ههنا ان لا يجهلوا ولا معنى واحدا من
المعانى المخزونة فى الكتب الالهية فان تكن هذه الفائدة تظن عندكم
ان وجودها ممتنع فعلى جهة الواجب تظنون هذا الظن لان الاكثرين
منكم اذا جاؤا الى ههنا ما يسمعون ما يقال بكافة نشاطهم لكنهم انما
يستكملون هذا السماع الى ان يضىء النهار فقط ويرجعون فى الحين
الى منازلهم وان لبث عندنا أناس فلم يكن حالهم أفضل من حال الذين
انصرفوا وانهم حاضرون عندنا ههنا بجسمهم وحده لكن لكى
لا نثقل عليكم بتطويل العذل كثيرا ونفنى كافة الوقت فى مذماتكم
سبيلنا ان نسير الى ألفاظ البشارة لان الوقت يسوق كلامنا الى الموضوع
له ولكن انهضوا حتى لا يفوتكم صنف مما يقال قال والكلمة صار
لحما وسكن فينا لما قال ان الذين اقتبلوه قد ولدوا من الله وصاروا أولاد الله
ثبت علة هذه الكرامة الجزيل مقدارها المغتاص وصفها وسببها وهذه
العلة هى كون الكلمة صار لحما واتخاذ سيدنا صورة عبده لانه صار ابن
انسان وقد كان ابنا خالصا لله لكى يصير بنى الناس بنين لله لان
ذا الحظ العالى اذا خاطب الرجل الذليل وصاقبه فليس يصل الى شرفه
هو ضرر وقد أنهض ذاك من تذلله الكثير وهذا الفعل فقد كان
فى تمثن ربنا لانه من تحذره هذا ما نقص من طبيعته نقصا ورفعنا نحن

الجالسين

الجالسين كنا فى الظلام كل حين   ونزوال الشرف الى شرف يغتاص
وصفه   فعلى هذه الجهة اذا خاطب ملك فى مكان من الاماكن رجلا مسكينا
فقيرا بحرص وتودد   فهو لعمرى ما قد أذل بذلك ذاته   وقد جعل ذلك
ان يكون عند كل أهل بلده بهيا شائع ذكره   فان يكن فى مرتبة الناس
الزائلة   ليس يضر من كان فيها أكرم من غيره محلا مخاطبته ومصاقبته من
كان فيها أدنى من غيره قدرا   فاليق وأوجب ان لا يؤثر ذلك فى الجوهر السعيد
ذلك العديم ان يكون باليا   الذى ليس يحوى فعلا دخيلا ولا باطلا الذى
يمتلك أفعاله كلها على الكمال ثابتة عادمة ان تكون متحركة   فقد وجب
من ذلك اذا سمعت ان الكلمة صار لحما   ان لا ترتجف ولا تسقط   لانه
ما انتقل من جوهره الى اللحم   لان هذا الافتكار هو من كفر والحاد لكن
جوهره بقى على ما هو   فاتخذ على هذه الجهة صورة عبد   وان سألت ولم
استعمل البشير لفظة صار أجبتك   انه استعملها حتى يسد بها أفواه أصحاب
بدع الهوى فى الدين   لان اذ قد يوجد أناس يقولون ان أفعال تدبيره كلها
انما كانت خيالا ومراياة وتوهما   وضع البشير قوله صار لحما اذ تقدم فابطل
من أعلى كلامه تجديفهم   ليس مريدا ان يبين انتقال جوهره   أبعد
هذا الوهم   لكنه قاله مؤثرا ان يبين اتخاذه لحما حقيقيا   وعلى نحو ما ان
بولس اذ قال ان المسيح ابتاعنا من لعنة الشريعة   اذ صار من أجلنا لعنة
ما قال هذا القول   ان جوهره انتزح عن شرفه   وتجوهر لحما لان هذا
القول ولا الجن فطنوا به   ولا الذين قد زال فهمهم جدا   وقد عدموا
بصائرهم أيضا الطبيعية   امتلكوا مع الحادهم انحراف تمييزهم هذا الجزيل
تقديره   فما قال الرسول اذا هذا القول   لكنه انما قال ان المسيح اقتبل
اللعنة الموجبة علينا   وما أهملنا ان نوجد فيما بعد ان نوجد ملعونين على
هذا النحو قال البشير ههنا انه صار لحما   ليس انه أحال جوهره الى لحم

اذ بقي جوهره ناجيا من ان يدانيه تحول فان قالوا انه اذ لم يزل الها
قادرا على كل ما يشا قد اقتدر ان ينتقل الى لحم نقول لهم ذلك القول
انه يقتدر على كل ما يريد الى ان يبقى لم يزل الها فان اقتبل انتقالا وتحولا
الى حال أشرف كيف يكون الها لان الانتقال والتحول منتزح عن تلك
الطبيعة الفاقدة ان تكون بالية ولهذا الغرض قال النبي ان كافة
البرايا تعتق كما يعتق الثوب ومثل الردا تطويهم فيتغيرون وأنت على
ماهيتك أنت هو وسنوك لا تفنى (مزمور ١٠١ ع ١٧) لان هذا
الجوهر أعلى من كل حول لان ليس شئ أفضل منه حتى عند نجاحه واقتباله
يصل الى ذلك الشئ وما معنى قولي ليس شئ أفضل منه بل ولا يوجد
عديل له ولا قريب منه قليلا فاقتباله اذا الانتقال الى الجوهر الادنى
ينقص شرفه ولو انتقل هذا الانتقال لما كان يكون الها ولكن هذا
التجديف فلينعطف الى رأس القائلين هذه الاقوال والبرهان على انه
لهذا الغرض وحده قيل صار لحما حتى لا تظنه خيالا اسمع البشير باقواله
التالية هذه ينقض قول المعارضين الردى ويعكس توهمهم الخبيث
لانك ان سألت وما هو القول الذى استثنى به أجبتك هو قوله وسكن
فينا فقارب ان يقول لا تتوهموا توهما اشنعا من قولي وصار لحما لانى
ما ذكرت تحولا لتلك الطبيعة الفاقدة ان توجد مستحيلة لانى انما
ذكرت سكنى واستيطانا والساكن والمسكن ليس معنى واحدا بعينه
لكن شئ آخر يسكن فى شئ آخر والا فما كان يكون سكنا لان ليس
شئ يسكن فى ذاته وانما ذكرت آخر فى الجوهر لان الاله الكلمة
واللحم هما فى اتحادهما واقترانهما واحد اذ لم يصر لجوهرين بينهما تشويش
تخليط ولا تغييب لكن صار لهما اتحاد عديم ان يقال أو يوصف قد
عرف هو كيف تكون بالبلغ الاستقصاء وان سألت وما هو المسكن الذى

سكنه

سكنه أجبتك اسمع النبي القائل ولا نهض مسكن داود الهابط (عاموص ٩ ع ١١) لان طبيعتنا سقطت بالحقيقة وكان سقوطها سقوطا عديما سفارة واحتاجت الى تلك اليد العزيزة وما تجه لاخران ينهضها الا الذى خلقها فى القديم ومد يده لمعونتها ومثلها ونشلها من فوق باعادة ولادتها بالماء والروح وانظر لى الى السر المريع الممتنع وصفه لانه يسكن فى هذا المسكن دائما لانه ليس مجمنا وليس حاله حال من قد خلاه أيضا لكن حاله حال مشتمل اياه كل حين ومعه دائما ولو كان ليست هذه الحال حاله لما كان أهله لعرسه الملوكى وسجدت له وهو لابس مجمنا كافة جيوش الملائكة التى فى العلو ورؤساء الملائكة والكراسى والربوبيات والرياسات والسلطان فاى قول وأى تمييز يقتدران يبين هذه الكرامة الجزيل تقديرها الواصلة الى جنسنا المريعة على هذه الجهة الفائقة على الطبع أيما ملاك أيما رئيس ملائكة أمكنه ذلك ما اقتدر البتة ان يبين هذه الكرامة ولا واحد من الذين فى السماء ولا من الذين فى الارض لان المحامد التى أحكمها الهنا هذا المحل محلها واحساناته عظيمة على هذا المثال وفائقة على الطبيعة حتى ان وصفها البليغ يفوق ليس على اللسان الانسانى فقط لكنه يعلو مع ذلك على القوة الملكية

العظة الحادية عشر

فى اننا اذا عشنا عيشة متقومة لسنا نوصل المنة الى الهنا بل الى نفوسنا فلهذا السبب نحبس كلامنا فى الصمت وأوصيكم ان تكافئوا المحسن الينا العظيم محله بنحو من المكافأة يبلغ تقديرها الى ان تثبت كافة فائدتها الينا وهذه المكافأة هى ان نهتم نحن بانفسنا بابلغ الاهتمام لان هذا العمل فعل لتعطفه

لانه ليس محتاجا الى عمل من أعمالنا وهو يقول ان يستمد منح المكافأة منا اذا اهتممنا نحن بانفسنا فلهذا السبب يكون فعلنا من غباوة فى غايتها ؤهلا لعقوبات جزيل تقديرها اذا كنا قد استمتعنا بكرامة هذا المبلغ الجزيل مبلغها فلا نقدم ما تصل اليه قوتنا على ان المنفعة من هذه الاعمال الصالحة موافية الينا أيضا والنعم الصالحة الجزيل عددها موضوعة لنا فيها فسبيلنا من أجل هذه الاحسانات كلها ان نعلى تمجيد الهنا الواد للناس ليس بالفاظنا وحدها لكن نعلى له تمجيدا أكثر وأزيد باعمالنا لكى يتفق لنا فيما بعد امتلاك النعم الصالحة التى فاتكن لنا كلنا ان نمتلكها بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفه الذى به ومعه المجد لابيه مع الروح القدس الى أباد الدهور كلها أمين

المقالة الثانية عشر

فى قوله (١٤) وعاينا مجده مجدا كمجد وحيد من أبيه مملوأ نعمة حقا

لعلنا ظهرنا عندكم مستثقلين خارج الواجب متكرهين اذا استعملنا كلامنا لكم فيما لف ألذع من غيره وأسهبنا على توانى الكثيرين منكم تقريعا طويلا لكننا ان كنا فعلنا ذلك معتمدين هذا الغرض بعينه ان ننفعكم فقط فعلى جهة الواجب قد استصعب ذلك كل واحد منكم وان كنا قد أعرضنا عن التحمد اليكم باقوالنا ناظرين الى ما يوافقكم فان كنتم من غباوتكم ما تريدون ان تقبلونا الا انكم اذا كنتم أصحاب عدل ستعرفون خلوص ودنا الجزيل تقديره لاننا نرتاع ارتياعا شديدا

اذا

اذالم نحرص نحن ان ننبهكم ولولم تؤثروا أنتم ان توضحوا ايثار التعب بعينه فى
استماعكم ان تصير عقوبات العاجزين منكم أصعب ايلاما فلهذا
الغرض نضطر ان ننهضكم وننبهكم تنبيها متصلا حتى لا تسقط عنكم
لفظة من الالفاظ التى نقولها لانكم على هذه الجهة ينساغ لكم ان
تعيشوا الان عيشة جيدة وان تقفوا فى ذلك اليوم أمام منبر المسيح بدالة
كثيرة فاذا كنا قد لذعناكم فيما سلف لذعا كافيا فهات نتوجه اليوم
الى أقوال البشارة باعيانها من مباديها قال وعاينا مجده مجدا كمجد وحيد
من أبيه لما قال اننا قد صرنا أولاد الله وبين باى حال صار الكلمة لحما
ذكر أيضا فائدة أخرى منه بعينه فان استخبرت وما هى هذه الفائدة أجبتك
انه اذ قال وعاينا مجده مجدا كمجد وحيد من أبيه فلو لم يظهر لنا بمجد
مناسب لنا لما كنا عايناه ولئن كان الذين كانوا فى زمان موسى النبي
الذى كان مساهما لنا فى طبيعتنا بعينها ما صبروا على معاينة وجهه فقط لما
مجد لكن احتيج الى برقع للصديق يقتدر ان يحجب خلوص مجده ويوضح
لهم وجه النبي أنيسا وديعا فكيف كنا نستطيع نحن الترابيون الارضيون
ان نحتمل لاهوتا عاريا يعتاص على القوات التى فى العلو مقارنته لهذا
السبب سكن فينا حتى نستمكن ان ندنو منه وان نخاطبه ونتصرف معه
بمجاهرة كثيرة وان سألت وما معنى قوله مجدا كمجد وحيد من
ابيه أجبتك لما كان كثيرون من الانبياء قد مجدوا كقولك موسى
هذا بعينه وايليا واليشع فاليشع أحاطت به مركبة نارية (ملوك ص
٦ ع ١٧) وايليا صعد على هذه الجهة عليها وبعدهما دانيال
والثلاثة فتية وآخرون كثيرون أظهروا العجائب ومجدوا واستبانوا
عند الناس ملائكة وأبرقوا طبيعتهم اذ فتحوا للناظرين اليهم وقد ظهر
للنبي أشعيا ليس ملائكة فقط بل قد ظهر له أيضا السكاروبيم بمجد كثير

وقد ظهر له السارافيم بشبه ذلك فالبشير حجرنا عن هؤلاء كلهم وأنهض تمييز فهمنا من الخليقة ومن بهجة المتواخين فى العبودية وأقامنا عند هامة النعم الصالحة بعينها لانه ماقال علينا مجد نبي ولا مجد ملاك ولا رئيس ملائكة ولا مجد القوات الاعلى سموا ولا مجد طبيعة أخرى مخلوقة ان كانت توجد طبيعة اخرى لكنه قال اننا علينا مجد سيدنا بعينه ملكنا نفسه مجد الابن الوحيد الخالص بعينه ربنا كلنا وسيدنا وحرف مثل ههنا ليس هو حرف تشبيه ولا مقايسة لكنه حرف تحقيق وتحديد خال من ارتياب كانه قال علينا مجدا كما لاق ووجب ان يملكه ابن وحيد خالص لاله البرايا كلها وملكها وهذه عادة الكثيرين من الناس لانى لست استحقى ان أحقق كلامى من عادتهم الشائعة لان ماقد وضع لنا الان ان نتكلم كلاما يتوخى حسن الاسماء ونظام الشروط لكنه يعتمد منفعتكم فقط فمن هذه الجهة ليس يمنعنا مانع ان نحققه من عادة الناس الكثيرين وان سألت ماهى عادة الناس الكثيرين أجبتك اذا أبصر فى أكثر الاوقات أناس ملكا مزانا الامعانى كافة جهاته مكرمة جدا اذا أرادوا ان يصفوا القوم آخرين ذلك الحسن و ينعتوا زينته وشرفه يقولون مايمكنهم فيصفون زهر حلته وعظم جواهرها وبياض بغلته والذهب الذى يشتمل اقترانهما ومفرشه الناعم اللامع صقاله فاذا عددوا هذه الاوصاف وغيرها معها ولم يمكنهم ان يبينوا بكلامهم بهجة زينته كلها استثنوا فى الحين بهذا اللفظ وقالوا ما حاجتنا ان نقول أوصافا كثيرة نقول فى دفعة واحدة انه مثل ملك يريدون ان يبينوا بحرف مثل من ذكروا هذه الاوصاف كلها فى نعته ليس انه شبيه بملك لكنهم يؤثرون ان يوضحوا بذلك انه ملك بذاته خالص فعلى هذه الجهة وضع البشير حرف مثل فى قوله مثل مجد وحيد من أبيه مريدا ان يبين جسامة مجده وتجاوزه الغاية فيه تجاوزا

يفوت

يفوت المقايسة   لان الآخرين كلهم أعنى الملائكة والانبياء كانوا اذا أوعز
اليهم يعملون جميع ما يعملونه وأما هو فعمل كل ما أراد بسلطان لائق بملك
وسيد   وهذا الفعل فقد تعجبت منه الجموع   انه علمهم تعليم مالك سلطانا
عليهم   وعلى ما فات فقد ظهرت فى الارض ملائكة بمجد كثير   على نحو
ما أظهروا فى زمان دانيال وفى أيام داود وفى عصر موسى   الآن حالهم
كانت حال عبيد يحوزون سيدا يمتلكهم   وربنا فحاله حال سيد ضابط
براياه كلها   فعلى أفعاله هذه لما ظهر بشكل حقير ذليل   الآن الخليقة
مع ذلك عرفت على هذه الحال سيدها   فالنجم من السماء استدعى مجوسا
الى السجود له   ورهط ملائكة جزيل عددها انبث فى كل صقع من تلك
البلدة يحيطون بسيدهم ويسبحونه   وآخرون منهم أفرعوا على غفلة منذرين
به وكلهم يستقبل بعضهم بعضا   مبشرين بهذا السر المقتاص التكلم
به فالملائكة بشروا الرعاة   والرعاة بشروا أهل المدينة   ومريم واليشبع
بشرهما جبرائيل   ولما جاؤا أيضا   الى الهيكل بشر بهم حنه وسمعان
أيضا   وليس رجال ونساء فقط استطاروا فرحا من شدة التذاذهم   لكن
ويوحنا أيضا سعى هذا البشير   وما كان بعد قد ظهر الى الضوء طفلا ارتكض
وكان فى بعد فى أحشاء أمه مسرورا   وكلهم كانوا مستعلين بآمالهم الى أفعاله
المستأنف كونها   فهذه الحوادث كانت فى الحين عند مولده   فلما أظهر
ذاته أكثر اظهارا   ما دل عليه أيضا نجم وسماه   ولا ملائكة ورئيس
ملائكة ولا جبرائيل وميخائيل   لكن اياه بعينه أشار به من فوق السموات
ومع أبيه أيضا طار عليه المعزى مع صوت أبيه وثبت عليه   فعلى الحقيقة
لاجل هذه البدائع قال البشير   وعاينا مجده مجدا كمجد وحيد من أبيه وليس
لاجل هذه الحوادث الباهرة فقط قال هذا القول   لكنه قال أيضا لاجل
ما يكون بعدها   لانه لم يبشرنا به رعاة فقط   ولا نسوة أرامل   ولا رجال

فقراء لكن صوت أفعاله بعينها تف أبهى من كل بوق هتافا شديدا يبلغ تمثيله الى ان صارت نغمته تسمع فى الحين ههنا لان سماعه وصل الى الشام وأعلن ذاته عندهم كلهم وصاح الى سائر الجهات بكافة أفعاله ان ملاك السموات قد وافى لان الجن هربوا من كافة الجهات وتقار وا مولين وابليس المحتال انصرف مستترا والموت توارى حينئذ وتغيب بعد ذلك تغيبا كاملا وانحل نوع كل سقم والقبور أطلقت الاجساد الميتة والجن أهملت المجانين والاسقام تركت المرضى وكان للناظران يرى حينئذ أفعالا معجزة عجيبة كان الانبياء على جهة الواجب قد اشتهوا ان يروها فما أبصروها لان الناظر كان يرى عيونا مخلوقة يعنى عينى الضرير اللتين أبدعهما من طين وذلك الابداع المأثور الذى اشتهى جميع الناس ان يبصروه وهو كيف خلق الله آدم من الارض هذا صار فى مدة يسيرة عند جميع الحاضرين حينئذ ملحوظا فى العين التى هى جزء أفضل أجزاء جسمنا وشاهدوا أعضاء جسدنا المتخلعة ملتصقة منضما بعضها ببعض ويدين ميتة قد عادت متحركة وأرجل متخلعة منفكة قد صارت على غفلة تقفز واثبة وآذانا صماء قد عادت مفتوحة ولسانا صائحا صياحا عظيما وقد كان مربوطا فيما سلف بزوال نعمته لانه تسلم حينئذ طبيعة الناس الشائعة بمنزلة صانع فاضل قد تسلم بيتا قد نخره الزمان فجدد على هذه الجهة اجزاءها بعد تكسرها وتممها ووضع أعضاءها المتباعدة المنفسخة ونظمها وأنهض الواقعة منها على التمام وأقامها وما الذى يقوله قائل فى اعادته ابداع أنفسنا وقد كان أعجب من اختراعه الصحة فى أجسامنا بكثير لان عافية أجسامنا عظيمة المحل الان عافية نفوسنا أعظم من تلك بكثير ومقدار عظمها بمقدار ما ان نفسنا أفضل من جسمنا وليس هذا المقدار فقط بينهما بل ان طبيعة أجسامنا اذا شاء

خالقنا

خالقنا ان يقتادها الى الصحة تتبعها وليس لها ولا صنف واحد معاند
وأما نفسنا فصائرة متأمرة على ذاتها حاوية سلطانا على أعمالها واذا لم تشاء
فالتخضع لله كافة قواتها وليس يشاء هو ان يجعلها جيدة أصيلة فى الفضيلة
كارهة مضطرة غصبا اذ كان هذا الزام ليس هو فضيلة لكنه يشاء ان تطيعه
وتكون هذه الحال حال امر يدة طائعة فمن هذه الجهة توجد مداواة
النفس أصعب من مداواة الجسم لكن هذه المداواة مع امتناعها قد
اصطلحت وتمت وانطرد منها كل نوع من الرذيلة وكما انه ما أعاد أجسامنا
التى شفاها الى صحتها فقط لكنه نقلها مع ذلك الى أتم الصحة التى كانت لها
فيما سلف فكذلك ما نقل مستخلصا نفوسنا من رذيلتها فقط الواصلة الى
غايتها لكنه مع ذلك استقادها الى عامة الفضيلة بعينها فصار العشار رسولا
واستوضح الطارد الشتام المفترى نذيرا للمسكونة وصار مجوس معلمين
لليهود واستبان لص ساكن الجنة وأشرقت زانية فى أمانة كثيرة واستبانت
امرأة سامرية نذيرة أيضا للذين كانت قبيلتهم قبيلتها واصطادت مدينة
بجملة أهلها واقتادتهم خارجين الى المسيح وصيرت امرأة كنعانية بامانتها
والجاجها جنيا خبيثا منطردا من نفس ابنتها وحسب أناسا أشر من هؤلاء
بكثير فى جملة تلاميذه وكافة أمراض أجسامنا انتقل شكلها بغتة واسقام
نفوسنا أيضا انتقلت الى صحتها والى الفضيلة البليغ استقصاؤها وما عوفى
من هذه الاسقام اثنان أو ثلاثة أناس ولا خمسة وعشرة وعشرون أو مائة
وحدهم لكن مدنا بجملة أهلها وأمما ونقلت الى صحتها بسهولة كثيرة
وما الذى يقوله قائل فى فلسفة أوامره وفى فضيلة شرائعه السماوية وفى
حسن ترتيب طريقته الملائكية لانه استورد لنا عيشة هذا النحل محلها
ووضع عندنا شرائع هذا التأثير تأثيرها وثبت سيرة هذا الفعل فعلها أوصلت
الذين استعملوها الى ان يصيروا فى الحين ملائكة ومتشبهين بالله على حذو

قوتهم ولو اتفق ان يوجدوا أكثر من الناس كلهم فهذه العجائب كلها اذ جمعها البشير الكائنة فى أجسامنا والحادثة فى أنفسنا والمتكونة فى الاستقصات من أوامره ومواهبه وأفعاله تلك المحتجز وصفها التى محلها أعلا من السموات وشرائعه وسيرته وطاعته ومواعيده المنتظرة وآلامه لما بدى هذا الصوت العجيب الممتلى آراء وافهاما عالية قائلا عاينا مجده مجدا كمجد وحيد من أبيه مملوء نعمة وحقا لاننا لسنا نستعجبه لاجل عجائبه فقط لكننا مع ذلك نستعجبه بسبب آلامه كقولك اننا نستعجبه اذ سمر على الصليب بعد ان ضرب بالسياط اذ لطم اذ بصق عليه اذ ضربوه على خده الذى هو أحسن اليهم لانه بهذه الحوادث المظنونة انها تجلب عارا حصل مؤهلا ان يقال فيه أيضا هذا القول بعينه اذ كان موسى هذا الفعل مجدا لان الحوادث الكائنة ما كانت سمات اشفاقه وحبه فقط لكنها كانت مع ذلك دلايل قدرته الممتنع وصفها لان الموت حينئذ غيب واللعنة انحلت والشياطين أخزيت وانشهروا مفتضحين وصك خطايانا سمر فى صليبه ثم لما اجترحت هذه العجائب اجتراحا عادما ان يكون ملحوظا تكونت عجائب شوهدت ملحوظة موضحة انه كان بالحقيقة ابن وحيد الله سيد الخليقة كلها لانه اذ كان جسده المغبرط بعد معلقا عطفت الشمس شعاعاتها واهتزت الارض وأظلمت البرايا كلها وتشققت القبور وانتفضت البطحا وطفر من الاجسام الميتة رهط يغتاص خبرته ودخل الى مدينة أورشليم وقام الميت الذى سمر وصلب وكانت حجارة قبره منظومة فى وضعها وسماتها راتبة على حالها وملأ تلاميذه الاحد عشر من قوته الكثيرة وأرسلهم حينئذ الى الناس الذين فى المسكونة ليكونوا أطباء مشاعين لطبيعتهم كلها فقوموا ديشتهم وهذبوها وزرعوا فى كل مكان معرفة الاراء السماوية وحلوا تمرد الشياطين وعلموهم التعاليم العظيمة الصالحة الممتنع وصفها وبشرونا

بزوال

بزوال موت نفسنا وبحياة دهرية لجسدنا وبجوائز يتجاوز عقلنا سموها ان تحوى غاية فى وقت من أوقاتها فهذه النعم وأكثر منها تأملها هذا السعيد وعرفها هو الا انه ما استجار أن يكتبها كلها لاجل ان العالم ليس يطيقها ولا يسعها لانه قال هذه النعم كلها ان وصفها واصف فعلى حذو ظنى ان ولا العالم يطيق المصاحف المكتوبة فى وصفها ولا يسعها (يوحنا ص ٢١ ع ٢٥) وهذه كلها اذ افتكر فيها صاح هاتفا عاينا مجده مجدا كمجد وحيد من أبيه ممتلئ نعمة وحقا

العظــــة الثانيه عشر

فى العيشة الجيدة وفى العقوبة الدهرية وانما نحتاج الى عيشة متقومة من طريق ان ليس يقتدر صنف غيرها أن ينجينا من العقوبة فيحتاج الذين قد أهلوا لمعاينات هذا مقدار جلالتها ولاستماعات هذا محل منفعتها واستمتعوا بموهبة هذا مبلغ فضلها الى أن يظهروا عيشة مؤهلة لارائهم حتى يستمتعوا أيضا بالنعم المستحسنة هناك لان لهذا الغرض جاء ربنا يسوع المسيح حتى لا نعاين مجده ههنا فقط لكن نعاين مع ذلك مجده المنتظر ظهوره لهذا المعنى قال أشاء أن يكونوا هؤلاء حيث أكون أنا لكى يعاينوا المجد الذى لى (يوحنا ص ١٤ ع ٣) فلئن كان هذا المجد على هذا المثال بهجا ظاهرا شرفه فما الذى يقوله قائل فى وصف ذلك المجد المنتظر لانه ليس يظهر فى أرض بالية ولا فى أجساد فاسدة توجد لنا لكنه انما يظهر فى خليقة قد عدمت أن تكون بالية شايعة بهجة هذا المقدار الجزيل مبلغها ليس ممكنا أن يبين بقولنا فبالحقيقة ان المؤهلين لان يكونوا معاينين ذلك المجد السعيد الكثير والغبطة مستوجبون هذا النعت دفعات كثيرة الذى فى وصفه قال النبى فليدفع

المنافق لكيلا يعاين مجد الرب لكن لا كان أن يدفع أحد منا ولا نكون
فى وقت من الاوقات عادمين معاينته لاننا ان كنا مأمول أن نستمتع به فقد
انساغ لنا أن نقول فى أوفق وقت لذلك قد كان جيدا لنا ان لا كنا قد
ولدنا لان ما الذى ينفعنا أن نعيش ونستنشق الهواء ما فائدتنا قد حصلنا
موجودين اذا اتفق لنا أن نخيب من تلك المعاينة اذا لم يسمح لنا أحد
حينئذ أن نعاين سيدنا ولئن كان الذين ما يعاينون ضوء الشمس يصابرون
حياة أشد مرارة من كل موت فالذى يقاسيه على ما يليق بذلك الذين
يعدمون ذلك النور لان الخسارة ههنا فى هذا العارض فقط هى والخسران
هناك فليس ينتهى الى هذا العمى فقط على ان العارض المستصعب لو كان
هذا فقط لما كان على هذه الجهة عديلا لشدة العقوبة بل مقدار تأثيره
الاصعب من غيره بقدار ما توجد تلك الشمس أفضل من هذه بتقدير يفوت
القياس الا أنه الآن ينتظر عذابا غير هذا لان من ليس يبصر ذلك النور
ليس يجب أن يؤدى الى الظلام فقط لكنه يكون يحترق كل حين ويذوب
وتتقعقع أسنانه ويقاسى شدائد أخرى جزيلا عددها فلا نتغافلن عن
أنفسنا بتضجرنا هذا اليسير وتراخينا فنسقط فى تعذيب دهرى لكن
سبيلنا أن نتيقظ ونستفيق ونعمل ونتحيل بكل ما يمكننا لكى يتفق لنا
امتلاك ذلك التمتع ونكون بعيدا من نهر النار الساحب بدوى عظيم قدام
المنبر الرهيب لان من قد سقط فيه دفعة واحدة فهنالك يستوجب أن يبقى
كل حين وليس أحد يستنقذه من تعذيبه لا أبوه ولا أمه ولا أخوه وهذه
الحوادث فالانبياء أنفسهم يهتفون بها فأحدهم داود يقول أخ ما يفدى
أفيفدى انسان وحزقيال فيبين أكثر من هذا العارض ويقول ان وقف
نوح وأيوب ودانيال فما ينقذون بنيهم وبناتهم (حزقيال ص ١٤ ع ١٤)
وانما توجد هنالك عناية واحدة وحدها وهى التى تكون من أعمالنا

والعادم

والعادم هذه العناية فليس يجد من جهة أخرى استخلاصه فاذا رددنا هذه الحوادث فى نفوسنا وكررنا أفكارنا فيها دائما فسبيلنا أن ننقى عيشتنا ونجعلها بهية لكى نعاين ربنا بدالة ويتفق لنا تحصيل نعمه الصالحة التى وعدنا بها بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفه الذى به ومعه لابيه المجد مع الروح القدس الى أبد الدهور كلها آمين

المقالة الثالثة عشر

فى قوله (١٠) يوحنا شهد من أجله وصاح قائلا * هذا كان الذى قلت أنه جاء ورآى وهو الذى كان قبلى * لانه كان أولا لى متقدما على

أترانا الساعة نعدو فى سعى باطل وتتعب تعبا باطلا فارغا أترانا الساعة نزرع على الصخور هل ليست زروعنا قد خفى عنا أنها واقعة على الطريق وفيما بين الاشواك لاننى أجتهد وأخشى لئلا تكون فلاحتنا خالية من أن تكون نافعة لنا على اننى مع ذلك لست أتوقع أن أنظر وأخيب من أجر هذا التعب لان اتعاب الذين يعملون ليس هى نظير اتعاب الفلاحين ولا يعرض لهؤلاء مثل ما يعرض لاولئك لان الفلاح ربما بعد اتعابه طول سنته وبعد شقائه ذلك الجزيل واعراقه اذا لم تقدم له أرضه ثمرا أهلا لاتعابه ليس يقدر يجد من أحد غيره سلوة لاتعابه لكنه يرجع من بيدره الى بيته بخجل واكتئاب وتقطيب وليس يجد له أن يطالب امرأته وأولاده بمكافأة ايثاره

التعب الطويل مداه وليس يوجد فى أحوالنا نحن المعلمين عارض هذه صفته لان الارض التى نفلحها نحن ان لم تبرز ثمرة واحدة بعد ان نظهر فيها كافة تعبنا فربها وربنا ليس يغفل عنا أن نتصرف بآمال فارغة لكنه يعطينا منح مكافاتنا لانه قد قال ان كل أحد يتسلم أجرته على حذو تعبه (قورنثية ١ ص ٣ ع ٨) ليس على نحو غاية أعماله فقد قال فى حزقيال وأنت يا ابن الانسان حذره هذا الشعب ان كانوا لعلهم يسمعون ان كانوا لعساهم يفطنون (حزقيال ص ٢ ع ٥) وقال أيضا اذا تقدم الرقيب فقال ما يجب أن يهرب منه وما ينبغى أن يختار فهو نجى نفسه ولو لم يكن من يصغى اليه (حزقيال ص ٣ ع ٩١) لكننا مع انه قد حوينا هذه التسلية قوية ومع ثقتنا بالمكافاة الواصلة الينا اذا رأينا عملكم ليس ناميا ولا منجحا لن يكن حالنا أفضل من حال أولئك الفلاحين المتحسرين النائحين المستترين الحازنين لان هذا هو ترثى المعلم هذا هو اشفاق الاب لان موسى لما أمكنه الخلاص من زوال محافظة اليهود واقتدر أن يتقلد رياسة أمة أخرى أيهى من تلك الرياسة سموا وأعظم كثيرا لان الله قال له * ذرنى أبيدهم وأجعلك رئيسا لامة عظيمة أكثر من هذه الامة (خروج ص ٣٢ ع ٩) فاذ كان قديسا ولله عبدا خالصا جدا شهما ما احتمل أن يسمع هذا القول لكنه اختار أن يهلك مع الذين حصلوا رهطه أفضل من أن يتخلص خلوا منهم وان يكون فى رتبة أعظم من رتبته * هذا العزم يجب أن يكون عزم المتقدم على نفوس الناس لان فعلا شنعا منكرا علينا أن يكون من يجرى بنين طالحين ليس يشاء أن يدعوه غيرهم أبا لهم * لكنه يشاء أن يدعوه الذين أولدهم أبا لهم ونكون نحن قد استغنينا تلاميذ فنستبدل دائما آخرين من غيرهم ونختلس التقدم حينا على هؤلاء وحينا أيضا على أولئك وبعد هؤلاء نتقدم على غيرهم ولا يكون حالنا حال من يختص ولا بواحد منهم لكن لا كان لنا أن

نتوهم

تتوهم هذه الاوهام من أجلكم فى وقت من أوقاتنا لاننا موقنون انكم
قد زدتم اكثر فى ايمانكم بربنا يسوع المسيح وفى حبكم الذى يخاصه احدكم
للآخر ولكل الناس وانما نقول هذه الاقوال مريدين ان يزيد بها حرصكم
وان تنمى فضيلة سيرتكم الى أعظم مبلغ لانكم على هذه الجهة تقدرون
ان تحزنوا معا فى الاقوال التى توضع لكم فى قعر قلبكم بعينه اذا لم يظلم
ألحاظ تمييزكم صنف من رمد الخبث ويكدر قوته الباصرة الحاد نظرها
وان أنتم ماهو القول الذى قد قيل اليوم لنا اجبتكم هو يوحنا شهد من
أجله وقد صرخ قائلا هذا كان الذى قلت انه جاء ورائى وقد كان
قبلى لانه كان أولا لى متقدما على هذا البشير يوجد فى أعلى كلامه
وأسفله يردد ذكر يوحنا كثيرا ويورد شهادته فى جهات ويعمل
هذا ليس على بسيط ذات العمل لكنه باوفر فطنة وأكثرها لان
اليهود كانوا قد حووا استعجاب هذا الرجل عظيما لان يوسيبس يحتسب
الحرب الذى اشتملهم لوفاة هذا الفاضل الحرب الذى لم توجد لليهود
المدينة التى كانت فى وقت من الزمان أم مدنهم وينتخب فى وصف يوحنا
أقوالا من المديح طويلة مريدا ان يخجل اليهودية منه ويذكرهم أذكارا
متصلا بشهادة السابق ولعمرى ان البشيرين الآخر يذكرون
الانبياء الاقدم من غيرهم وفى كل فعل صائر بربنا يرسلون سامعهم
الى هنالك فعندما ولد قالوا هذا كله كان حتى يتم ماقيل بلسان
أشعيا النبى القائل هاهى العذراء تحبل فى البطن وتلد ابنا (متى ص
١ ع ٢٢ أشعيا ص ٧ ع ١٤) ولما اغتيل عليه وطاب فى كل
مكان هنالك بمبالغة على هذه الجهة وعندما ذبح هيرودس الاطفال
يذكرون أرميا القائل صوت سمع فى الرامة كان عويلا وبكاء ونوحا
عظيما رحيل تبكى على أولادها (أرميا ص ٣١ ع ١٥) ويذكرون

هوشع النبي أخذت عبد من مصر لانه قال من مصر دعوت ابني (هوشع ١١ ع ١) وفي كل موضع يعملون هذا العمل وهذا البشير يجعل الشهادة أفصح الناس جهارا وأطرى زمانا من طريق انه ناطق بصوت أعظم نعمة من المبشرين الآخرين فيسوق الى وسط كلامه سوقا متصلا ليس الانبياء القدماء فقط لكنه يقتادا الى وسط قوله النبي الحي الذي أظهر بنا لما جاء وحده ليس حريصا ان يجعل سيدنا من جهة عبده أهلا لتصديقه لكنه فعل ذلك متحدرا مع ضعف الاطفال في عقولهم وكأنه لولا انه (أعني ربنا) أخذ صورة عبد لما كان يتيسر لنا قبوله فكذلك لولا انه سبق فراض اسماع المتواخين في طبيعتهم بصوت العبد لما كان كثيرون من اليهود اقتبلوا قوله على هذه الجهة ومع ذلك فقد أصلح بذلك صنفا آخر عظيما عجيبا لانه اذا كان أحدنا متى قال عن ذاته أوصافا عظيمة يجعل شهادته لذاته متهمة وربما ثبتت عند كثيرين من سامعيه اذا جاء آخر شاهدا له بها وخلوا من هذه الاصناف فاكثر الناس قد اعتادوا النحو من الانحاء ان يحطوا أكثر الى الصوت المألوف عندهم المناسب لهم من طريق انهم يعرفونه أكثر من الاصوات الاخرى ولهذا الغرض صار الصوت من السماء دفعة أو دفعتين وصار صوت يوحنا دفعات كثيرة متصلا لان الافضلين هم الذين قد صاعدوا فوق ضعف شعبهم وتخلصوا من الاشياء المحسوسة كلها واقتدروا ان يسمعوا الصوت من العلو وما قد احتاجوا الى الصوت الانساني جدا لكنهم قد أطاعوا في كل الاحوال ذلك الصوت وانقادوا له وغير هؤلاء هم متصرفون أسفل أيضا محتجبون بحجابات كثيرة يحتاجون هذا الصوت الادل من غيره فعلى هذه الجهة اذ عرى يوحنا ذاته من الاملاك المحسوسة كلها ما احتاج الى معلمين آخرين لكنه آدب من السموات لانه قال ان الذي أرسلني لاعمد بالماء ذاك قال لي

على

على من تبصر روح الله منحدرا فذلك هو واليهود الذين هم بعد
صبيان لا يستطيعون ان يصلوا الى ذلك العلو بعد امتلكوا معلمهم
انسانا ليس قائلا أقوال نفسه بل مخبرا بالاقوال التى سمعها من العلو
فان سألت ما الذى قال هذا البشير أجبتك انه قال هذا الفاضل شهد من
أجله وقد هتف قائلا وان استخبرت وما معنى هتف أجبتك انه ينادى
بمجاهرة وبجراءة خلوا من انقباض ولعلك تسأل وما القول الذى
نادى به عندما شهد وهتف أجبتك انه قال هذا كان الذى قلت
انه جاء ورائى وهو قبلى كان لانه أقدم منى فشهادته هذه محجوبة
حاوية أيضا الرأى الذليل جزيلا لانه ما قال ان هذا هو ابن الله الوحيد
الابن الخالص لكنه قال هذا كان الذى قلت انه يأتى ورأى وقد
كان امامى لانه أقدم منى لانه على مثال أمهات الطيور انها ما تعلم
أفراخها فى الحين ولا فى يوم واحد الطيران كله لكنها تخرجهن أحيانا
بهذا المقدار بمقدار ما يصرن خارج عشهن وأحيانا ثم يحهن أولا وتزيدهن
أيضا فى طيرانهن وفى اليوم التالى هذا تطير معهن مسافة أكثر من تلك
كثيرا وعلى هذه الجهة بسكون قليلا قليلا تقتادهن الى العلو الواجب
فعلى هذا المثال كان يوحنا السعيد ما اقتاد اليهود فى الحين الى الآراء العالية
لكنه علمهم عاجلا ان يطيروا ويعتلوا من الارض قليلا قليلا بقوله ان المسيح
كان أفضل منه لان ولا هذا الاعتقاد صغيرا اذ يقتدر ان يحقق عند سامعيه
ان الذى لم يكن بعد ظاهرا ولا اجترح عجائبه هو أفضل من العجيب بهذه الصفة
أعنى انه أفضل من يوحنا الظاهر عندهم شرفه الذى تحاضروا اليه كلهم
الذى كانوا قد دعوه ملاكا ولعمرى انه حرص عاجلا ان يحصل فى تمييزات
سامعيه هذا الرأى ان المشهود له أفضل من الشاهد وان الوارد فيما
بعد هو أفضل من الذى جاء أولا وان الذى لم يكن بعد قد ظهر أفضل

من الواضح اظهاره شرفه وانظر كيف استتر ورد الشهادة باتم فطنة لانه ما أوضحه حين ظهر فقط لكنه أنذر به قبل ان يظهر لان قوله هذا هو الذى قلت هو موضح هذا المعنى على نحو ما قال متى انه عند مجىء جماعتهم الى عنده قال انا انما أعمدكم فى ماء والجائى ورائى هو أقوى منى الذى لست أنا كفوا ان أحل سيور حذائه (متى ص ٣ ع ١١) وان سألت ولم عمل هذا العمل قبل ظهور المسيح أجبتك لكى تكون شهادته عليه اذا أظهر أسرع قبولا اذا كانت سريرة سامعيه قد سبقت فتمسكت بما قد قيل فى وصفه وليس يفسدها حاضر من حجاب الشهادة الحقير لانهم لو كانوا أبصروا بنا ولم يسمعوا البتة عنه قولا واقتبلوا مع ما نظروا اليه شهادة أوصافه الشهادة العجيبة على هذه الجهة والعظيمة لقد كانت حقارة شكله تحصل حقارة لجسامة ما يقال فيه لان المسيح اشتمل شكلا حقيرا عاما لجميع الحاضرين يبلغ تمثيله الى ان كان نسوة سامريات وزانيات وعشارين يجيئون بكل طمأنينة الى ان يتقدموا اليه وان يخالطوه فعلى ما قلت لو كانوا سمعوا ألفاظ الشهادة هذه مع ما أبصروه لكانوا ضحكوا على شهادة يوحنا فالآن لما سمعوا الشهادات قبل ان يظهر المسيح دفعات كثيرة وتباهوا بما قيل فى وصفه عوض اهم خلاف ذلك لانهم ما أخرجوا تعليم ألفاظ يوحنا الشاهد من وجه المسيح المشهود له لكنهم من تصديق ما قيل سالفا فيه اعتقدوا انه أبهج فضلا وأما قوله الجائى ورائى فيدل على الذى ينذر بعدى وما قال الصائر بعدى وهذا المعنى يذكره متى غامضا عند قوله يجىء ورأى رجل فليس قوله هذا فى وصف ولادته من مريم القديسة لكنه انما قاله فى وصف وروده فى انذاره لانه لو كان قال ذلك فى وصف ولادته لما كان قال يجىء لكنه كان قال قد جاء لانه كان مولودا حين قيلت هذه الاقوال وان

استخبرت

استغبرت وما معنى قوله وقد كان قدامى أجبتك قد كان أمع نورا وأكرم
قدرا منى كانه قال لا تظنوا اذا جئت أنا أولا ونذير الاتتوهموا من هذا الفعل
انى أنا أعظم من ذلك لانى أنا دونه كثيرا واذا بهذا المقدار دونه وأدنى
منه اشتهى اذا امتلأت قدرى الى انى لست مؤهلا لان أحسب فى منزلة
عبده لان هذا هو معنى قد كان قدامى وقد أوضحه متى البشير على نحو
آخر وقال لست كفوا ان أحل شسع حذائه والدليل على ان قوله قد
كان لم يقل فى وصف خروجه الى وروده الينا فهو واضح بالقول الذى يتلوه لانه
لو كان أراد ان يقول هذا القول لكان قوله الذى يتلوه هذا لانه قد كان
قبلى متقدما على يكون فضلة زائدة لان من يكون بهذه الصفة حجريا زائلا
فهمه حتى يغبى عنه ان الكائن قبله قد كان أولا له متقدما عليه لان قوله لو كان
فى وصف وجوده الذى قبل الدهور لما كان ما قيل يوجد معنى آخر الا ان
الجائى ورائى قد كان قدامى لكن هذا القول قد عدم ان يكون معنى وما
والعلة فقد وضعت فيه باطلة لانه ان كان أراد هذا المعنى فانما يبين خلافه
وضده وقد كان يجب عليه ان يقول ان الجائى ورأى قد كان أولا لى
متقدما على لانه قد كان قدامى لان على جهة الواجب قد كان يحتاج
الواضع الى هذه العلة لوجوده أولا وليس معنى وجوده أولا علة لكونه أولا
وهذا القول قد نقوله نحن لو كان يحوى حجة بينة جدا لانكم قد عرفتم
كلكم هذا المعنى ان المعانى الواضحة لن تحتاج الى ذكر العلة لكن
المعانى العديمة ان تكون واضحة تحتاج دائما الى ذكر العلة فيها فلو
كان كلام البشير فى وصف تجوهر بنا لما كان غامضا ان الكائن أولا يجب ان
يوجد أولا واذ كان انما يخاطبنا فى وصف كرامته فعلى جهة الواجب
حل الشبهة المظنونة لان واجبا كان ان يشتبه على أناس كثيرين فيقولون
من أين ومن أية جهة ان يكون الجائى أخيرا قد كان قدام يوحنا وقبله

ومعنى هذا من أين يستبين أكرم منه وافضل فلهذه الطلبة والبحث وضع العلة فى الحين والعلة فهو انه يوجد أولاله ومتقدما عليه لانه قال ليس من نجاح واقبال كان أولالى فلما حصل ورائى صار قدامى وانما قال انه كان أولالى ومتقدما على وان كان قال أخيرا ولقائل ان يقول فان كان يتكلم فى وصف ظهوره للناس وفى ذكر المجد العتيد ان يكون منه فكيف يصف مالم يصل بعد الى غاية كانه قد كان سالفا لانه ما قال سيكون لكنه قال قد كان فنقول له هذه عادة توجد للذين يتباهون منذ أعلى الزمان ان فى جهات كثيرة يتكلمون فى وصف العوارض المستأنفة كتكلمهم فى ذكر الحوادث التى قد كانت لان أشعيا النبى لما تكلم فى وصف ذبحه ماقال يساق كما تساق النعجة الى ذبحها وهذا فقد كان مستأنفا لكنه انما قال سيق كالنعجة الى الذبح (اشعيا ص ٥٣ ع ٧) على انه ما كان بعد قد تجسد الا ان النبى يقول ما سيكون كما يصف ما قد كان وداود النبى لما أوضح صلبه ماقال سيثقبون يدى ورجلى لكنه قال ثقبوا يدى ورجلى واقتسموا ثيابى بينهم وألقوا اقتراعا على لباسى (مزمور ٢١ ع ١٨) ولما تكلم فى وصف دافعه الذى لم يكن بعد قد ولد قال هذا القول الذى أكل خبزى رفع غشه على (مزمور ٤٢ ع ٩ يوحنا ص ١٣ ع ٢٦) وذكر فى وصف الافعال الكائنة فى حين صلبه قائلا جعلوا فى طعامى مرارة وسقونى عند عطشى خلا (مزمور ٦٨ ع ٢١) أفتؤثرن ان استثنى بما يتلو ذلك أو هذه الاقوال تجزيكم فاذا اظن ان فيها كفاية لاننا اذا لم نحفر فى مكان عظيم واسع لكننا نحفر فى قعر عميق فلن يحوى عملنا هذا تعبا أنقص من ذلك العمل فنخشى ان لا عدكم مدا فقد عدم الاعتدال فنجعلكم ان تسقطوا فلهذا السبب نجعل كلامنا غاية واجبة وان سألتم وما هى هذه النهاية الواجبة أجبتكم هى تمجيدنا اللائق بالله بنطقنا

وقد

وقد يليق بنا ان نمجده ليس بالفاظنا فقط وحدها لكن الاوجب بنا كثيرا ان نمجده باعمالنا لانه قد قال ليشرق نوركم قدام الناس لكي اذا ابصروا أعمالكم الحسنة يمجدوا أباكم الذي في السموات (متى ص ٥ ع ١٦) ولعمري انه ليس يوجد صنف ألمع من السيرة الفاضلة على نحو ما قال واحد من الحكماء ان طريق أصحاب العدل تلمع لمعانا شبيها بالنور (امثال ص ٤ ع ١٨) وهذه الطرق تدسر وترشد الى الطريق القويمة ليس الذين باعمالهم قد اشعلوا نورهم وحدهم لكنها تضيء أيضا الذين يوجدون قريبين منهم

العظة الثالثة عشر

في الصدقة وفي ان لا تكون من الاستغنام

فسبيلنا ان نسكب الزيت في مصابيحنا هذه حتى تصير نارها أعلى سموا لكي يستبين ضوءها غنيا واسعا لان هذا الزيت ليس يمتلك الآن قوته كثيرة ولكن اذا أزهرت حينئذ ضحايا الصالحات يضيء قوة تلك الضحايا بحاله الجزيل فضله لانه قال أريد رحمة ولست أريد ضحية (هوشع ص ٦ ع ١٣) وذلك على جهة الواجب جدا لان تلك الضحية محرابها خائب من نفس وهذه محرابها ذو نفس وهنالك فالضحية التي تقدم كلها تصير مادة للنار وتنتهي الى غبار وتنبث الى تراب ويتحلل دخانها الى طبيعة الهواء وههنا فالصدقة ليس فيها صنف هذه صفته لكنها تأتي بثمرات آخر وهذه الثمرات فقد أوضحها بولس بقوله لانه لما وصف ذخائر حب أهل مدينة قرنثية للمساكين كتب هذا اللفظ ان خدمة هذه المهنة ليس مستجيبا انها فقط متممة اعوازات القديسين لكنها مع ذلك زائدة نامية بصنوف كثيرة من الشكر لله اذا مجدوا الله على خضوع

اعترافكم للبشارة وعلى ثروة مشاركتكم اياهم والكل الناس وعلى توسلهم من أجلكم فائقين اليكم (قرنثية ١ ص ٩ ع ١٣)أرأيت ان هذه الرحمة متخللة الى شكر وتسبيح لله والى صلوات متصلة من الذين قد وصل المعروف اليهم والى حب أوفر حرارة فينبغي لنا يا أحباى ان نذبح ونضحى على هذه المحاريب كل يوم فان هذه هى ضحية أعظم من الصلاة والصوم ومن محامد غيرها كثيرة اذا صارت من ربح عدل فقط ومن اتعاب عدله وكانت نقية من كل استغنام وخطف وغضب لان الله انما يقتبل هذه القرابين وأمثالها ويرجع عن غيرها ويمقتها لانه ليس يشاء ان يكرم من مصائب غريبة لان هذه الضحية نجسة مرفوضة وتغيظ الله على من يقدمها أكثر مما تستعطفه فلذلك سبيلنا ان نستعمل كافة حرصنا حتى لا نشتم من نكرمه فى غرض استرضائنا اياه لان قايين ان كان اذ قرب كالاثمار الادون من غيرها على انه قدمها وما ظلم غيره قوبل مقابلة عدله فى غايتها فاذا قربنا نحن من اختلاس واستغنام كيف ما نقاسى عقوبات أصعب مراسا لان الله لهذا السبب أرانا نوع هذه الوصية لكى نرحم الذين يواخوننا فى العبودية ليس حتى نعاقبهم لان من يأخذ أشياء آخرين ويعطيها الغيرهم فما قد رحم لكنه قد عاقب وظلم ظلما واصلا الى غايته وكما ان الحجر ليس يولد زيتا فكذلك ولا القساوة تولد تعطفا لان الفعل الذى هذه صفته ليس هو صدقه اذا كان يحوى قومه هذه الحال حالها فلهذا المعنى أسألكم ان لا ننظر الى هذا العزم فقط وهو كيف نعطى المحتاجين لكن ننظر مع ذلك الى هذا الفعل أيضا كيف يكون ما نعطيه ليس من اختلاس أناس آخرين لان واحدا يصلى و واحدا يأمن فاى صوت منهما يسمع السيد (سيراخ ص ٣١ ع ٢٥) فاذا سقناذ واتناهذا المساق بالغا استقصاء نقتدر بنعمة الله ان نحصل

تعطفا

تعطفا كثيرا علينا ورحمة لنا واغتفارا لما اجترمناه من خطايانا فى مدا زماننا هذا الطويل وننفلت من نهر النار الذى فليكن لنا كلنا ان نتخلص منه وان نطلع الى ملكوت السموات بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفه الذى معه ولابيه المجد مع الروح القدس الى أباد الدهور كلها آمين

المقالة الرابعة عشر

فى قوله (١٦) ومن امتلائه نحن كلنا أخذنا ونعمة بدل نعمة

قد قلنا سالفا ان يوحنا حل الشبهة عن المزمعين ان يلتمسوا فى ذواتهم من أين يستبين ان الرب حين جاء الى الانذار أخيرا جاء أولا ليوحنا متقدما عليه وألمع نورا منه واستثنى بانه كان أولا متقدما عليه فهذه علة واحدة وقد وضع علة أخرى التى قالها الآن وان سألت ماهى هذه العلة قال لك من امتلائه نحن كلنا نعمة ومع هذه الاقوال أقول أيضا علة أخرى وان استخبرت وماهى أجابك ان الناموس بيد موسى أعطى والنعمة والحق بيسوع المسيح صارا ولعلك تسأل وماهو المعنى بقوله من امتلائه أخذنا كلنا فاجيبك لعمرى ان فى قوله هذه الجهة متقوم جدا كانه قال ليس يمتلك الموهبة لكنه هو بذاته عين المواهب الجيدة كلها وهو بذاته أصلها وهو حياة بذاته وحق بذاته ليس يحصر فى ذاته ثروة خيراته لكنه يدفقها على براياه الاخر كلها ويغمرهم بها وهو باقى بعد ان يفرضها عليه ويدفقها ممتلئا وليس ينقص من تلقاء افاضتها على آخرين ولا نوع فى واحد منها لكنه فائض دائما ويخول براياه كلها هذه الهبات الحسنة

و يبقى فى كماله بعينه ثابتا   والذى أورده أنا فهو مثال موصول اليه (لانى من آخر أخذته) وهو كمن يأخذ جزءا صغيرا من الكل   و بمنزلة لفظة حقيرة باضافتها الى لجة قد فاتها الوصف   والى قعر مسلوب خبرته   والليق مايقال   ان ولا هذا المثال يقتدر ان يبين لنا ما نتعاطى ان نصفه   لانك اذا استخرجت نقطة من لجة   فقد نقصت اللجة بتلك النقطة بعينها   وان كان التنقص قد عدم ان يبين ظاهرا   وليس يتجه ان يقال هذا فى تلك العين الفائضة   لكن بمقدار ما يغترف منها مغترف   تبقى ليست ناقصة شيأ فلذلك نحتاج أكثر احتياجا ان نجىء الى مثال غير هذا   وهو لعمرى ضعيف ليس قادرا ان يبين   ماطلبه وأليق به انه يقتادنا الى المثال الاول   والى المعنى الموضوع لنا الآن   نتصور ان هين نار موجودة   ثم توقد من تلك العين سرج ربوات عددها   وتوقد منها أيضا دفعة ثانية وثالثة   ودفعات كثيرة نظير تلك السرج الجزيل عددها   أفهل ما تبقى النار فى كمالها بعينه بعد تخويلها تلك السرج   الجزيل عددها فعلها فهذا واضح فى كل مكان   فلئن كان يوجد فى الاجسام المتوزعة المتفوضة   من جهة ماينتزع منها غريرة هذه صفتها   بعد ايزاعها أشخاصا أخر   الاجزاء المأخوذة منها ماتنضر ضررا   فهذا العارض أليق وأوجب ان يعرض لتلك القوة العديمة ان تكون باليئة الخائبة من جسم   لانه وان كان يوجد الشىء المأخوذ جوهرا وجسما   و ينزع ومايتجزأ   فاليق وأوجب اذا كان كلامنا فى وصف فعل الجوهر الخائب من جسم ان يعرض له هذا العارض واجبا   فلهذا المعنى قال يوحنا   من امتلائه أخذنا نحن كلنا   و يقرن شهادته بشهادة الصابغ لان قوله من امتلائه أخذنا نحن كلنا   ليس هو قول السابق   لكنه قول يوحنا التلميذ   فالذى يقوله هذا هو معناه لا تظنوا اننا نحن المقتربين به زمانا طويلا   وقد ساهمناه فى ملح ومائدة نشهد له بتحمد   لان يوحنا

الذى

الذى لم يعرفه قبل هذا الوقت الذى لم يقارنه الا فى ذلك الحين
فقط حين عمده مع الآخرين لما عاينه هتف قد كان أولا لى ومتقدما على
لما أخذ من هنالك أى من فوق كل ماشهد به فنحن الاثنا عشر كلنا والثلثمائة
والخمسمائة والثلاث آلاف والخمسة آلاف والربوات الكثيرة من اليهود وجميع
أفواج المؤمنين فى ذلك الحين والمؤمنين الآن والذين سيؤمنون فيما بعد من
امتلائه أخذنا فان سألته ماذا أخذنا أجابك أخذنا نعمة بدل نعمة فان قلت فاية
نعمة أخذناها بدل أية نعمة فيقول لك الحديثة بدل العتيقة وكما انه قد كان
عدل وعدل لانه قال (أعنى بولس) انه كان فى العدل الذى فى الشريعة عديما
ان يوجد معيبا (فيلبى ص ٣ ع ٦) وأمانة لانه قال من امانة الى امانة
و بنوه بالوضع لانه قال الذين لهم بنوة بالوضع ومجد لانه قال والمبطل
ان كان ذا مجد فالثابت فى المجد أليق من ذاك وأوجب (قرنثية ٢ ص ٣ ع ١١)
وشريعة وشريعة لانه قال ان شريعة روح الحياة اعتقتنى (روميه ص ٨ ع ٢)
وديانة وديانة لانه قال الذين لهم الديانة ويخدمون الله بروحهم وعهد
وعهد لانه قال أعهد لهم عهدا جديدا ليس نظير العهد الذى عهدت به
لآبائهم (أرمياص ٢١ ع ٣١ عبرانيين ص ٨ ع ١٠) وقداسة وقداسة
ومعمودية ومعمودية وذبيحة وذبيحة وهيكل وهيكل وختانة وختانة
فكذلك كانت نعمة ونعمة لكن تلك الاصناف كانت محلها محل رسوم
وهذه الاصناف حالها حال حق فتلك العتيقة حافظة اتفاقا فى الاسم واختلافا
فى الحد وليست موضحة اتفاقا فى الاسم والحد لان فى الرسوم والتماثيل تمثال
الانسان المرسوم بخطوط على لوح لونه اسود يسمى انسانا والتمثال المقتبل
حقيقة الالوان يسمى أيضا انسانا وفى التماثيل المجسمة التمثال الذهب منها
يسمى انسانا وقالبه الطينى يدعى أيضا انسانا لكن ذاك الرسم والقالب محله
محل رسم الصورة وقالبها وهذا الكامل بالالوان أو الجسم من الذهب هو

بمنزلة حقيقتها فلا يكون حالك حال من يظن الاشياء من اشتراك الاسماء
غريزية ذاتها ولا اغترابها لانه ان كان رسماً فما كان غريباً من الحق
وان كان رسم الصورة فقد حفظ ظلها فقد كان أدنى من حقيقتها
فما هو الفرق اذاً فيما بين هذه الاصناف كلها أتريدون ان نتعاطى
شرح صنف واحد منها أو صنفين لان على هذه الجهة يصير باقيها واضحاً لكم
فسنبصر كلنا ان تلك الاصناف العتيقة كانت تعاليم صبيان وهذه الاصناف
الجديدة تعاليم رجال شجعان معظمين وان تلك محلها محل فرائض أفرضت
لاناس وهذه منزلتها شرائع أشرعت للملائكة فمن أين ينبغي ان نجعل ابتداء
بحثنا أتريدون ان نبتدئ من البنوة بالوضع بعينها وننظر ما هو الفرق بين تلك
البنوة كانت كرامة من كلام وهذه البنوة يتبعها الفعل فقد قال فى
وصف تلك البنوة انا قلت انكم تكونون آلهة وأبناء العلى كلكم
(مزمور ٨٢ ع ٦) وقال فى وصف هذه البنوة ولدوا من الله وان
سألت كيف وباى حال ولدهم الله أجبتك ولدهم بجسم اعادة الولادة
وتجديد الروح القدس وأولئك فبعد تسميتهم بنين كانوا اقتنوا روح
عبودية أيضا لانهم لبثوا عبيدا وعلى هذه الجهة كرموا بهذا اللقب ونحن
فصرنا حينئذ أحرارا فتسلمنا تكريمنا ليس بالاسم لكن بالفعل وهذا
المعنى اذا وضحه بولس الرسول فانكم ما تسلمتم روح عبودية للخوف بل
أخذتم روح التبنى بالوضع الذى به نهتف للاب يا أبانا (رومية ص ٨
ع ١٥) لاننا لما ولدنا من فوق وأعيد تعنصرنا على ما يقول قائل دعينا
على هذه الجهة بنين وسجية القداسة ان تأملها متأمل عرف ما هى هذه
وما هى تلك وأبصر الفعل فيها أيضا كثيرا لان أولئك متى كانوا قد
عبدوا الاصنام ومتى ما كانوا قد زنوا ومتى كانوا فسقوا كانوا يسمون بهذا
الاسم ونحن فنكون قديسين ليس فى حال ابتعادنا من هذه الرذائل لكننا

نكون

نكون قديسين فى اقتنائنا الفضائل الاعظم محلا ونحصل أولا هذه الموهبة من حلول الروح القدس علينا بعينه ثم نحصلها بعد ذلك من سيرتنا التى هى أعظم من السيرة اليهودية بمقدار كبير والدليل على ان أقاويلنا هذه ليست تخمينا اسمعه ماذا قال لاولئك أما تخافوننى أما تطهرون أبناءكم فانكم شعب قدوس أنتم (تثنية ص ١٨ ع ١٠) فالقداسة عند أولئك انما كانت من تخلصهم من شرائع الاصنام والقداسة فليست حالها عندنا هذا الحال لكنه قال اتكن الجماعة قديسة فى جسمها وفى روحها واسعوا وراء السلامة والقداسة اللتين خلوا منهما ما يبصر ربنا باصر (عبرانيين ص ١٢ ع ١٤) وتمموا القداسة بخوف الله (قرنثية ٢ ص ٧ ع ١) واعمرى ان الاسم بانه قديس اذا قيل على كل من يدعى به ليس هو كافيا ان يبين معنى واحدا بعينه لان الله يدعى قديسا الا انه ليس كما ندعى نحن قديسين وتأمل بالنبى حين سمع اسم القدس هذا متوجها اليه من السارافيم ماذا قال ويلى أنا الشقى فانى موجود انسانا حاويا شفتين نجستين وأنا ساكن فيما بين شعب حائز شفاه نجسة (أشعيا ص ٦ ع ٥) على انه قد كان قديسا ونقيا ولكننا نحن اذا قسنا أنفسنا بالقداسة التى فى العلو نحن نجسون والملائكة قديسون ورؤساء الملائكة قديسون والسارافيم والشاروبيم باعيانهم قديسون الا ان فضل هذه القداسة آخر هو أيضا باضافتها الينا والى القوات الفائقة علينا ويمكن لنا ان نتكلم فى الاصناف الاخرى كلها الا ان مقالتنا تصير طويلة طولا جزيلا فلذلك نعبر الى ما يتجاوزها ونهمل لكم باقيها تمارسون شرحها لان ممكنا لكم ان تجمعوا هذه الاصناف اذا حصلتم فى منازلكم وان تشرحوا الاصناف الباقية شبيها بشرح هذه فقد قال أعطى الحكيم شيأ فيكون أوفر حكمة لانه يلزمنا نحن اضطرارا

ان نشرح ألفاظ البشارة التي بقيت لانه لما قال من امتلائه أخذنا نحن كلنا
استثنى بقوله نعمة بدل نعمة لان اليهود بنعمته خلصوا لانه قال
ما اخترتكم لاجل تكاثركم كثيرا لكنني من أجل أبائكم انتخبتكم
فالذين ما اختارهم الله من تلقاء محامد أحكوها فانما اتفق لهم تحصيل
هذه الكرامة بنعمته ونحن كلنا أيضا فانما خلصنا بنعمته لكن
ليس ذلك متشابها لاننا ما خلصنا بمواهب أولئك باعيانها لكن
بمواهب أعظم محلا بكثير وأعظم سموا لان هذا المعنى عندنا نعمة لاننا
لم يوهب لنا اغتفار خطايانا فقط لاننا ساهم أولئك في هذا الصنف لان
الناس كلهم أخطاؤا لكننا قد وهب لنا عدل وقداسة و بنوة بالوضع
ونعمة روح أبهج اشراقا بكثير وأوسع فيضا وبهذه النعمة صرنا مأثورين
عند الهنا وليست منزلتنا منزلة عبيده فقط لكن محلنا محل ابنائه واصدقائه
ولهذا الغرض قال البشير نعمة لان فرائض الشريعة قد كانت من
نعمته وكوننا بعينه مما ليس موجودا أناسا من نعمته كان لاننا
لا تقدمت لنا محامد أحكمناها فاخذنا هذه المنة مكافأة عنها وكيف
يمتلك ذلك الذين ما كانوا موجودين لكن الهنا في كل مكان ابتدانا باحساناته
وما استمدينا كوننا فقط مما لم يكن موجودا لكننا حصلنا أيضا مع
كوننا ان نعرف ما نعمله وان نمتلك هذه الشريعة في طبيعتنا ومجلس
قضاء فطنتنا استبدعه مبدعنا فينا عديما ان يكون محابيا وذلك
كان من نعمة جسيمة وأخذنا بعد تلك نعمة أخرى واستعادة هذه
الشريعة بالشريعة المتكونة بعد افسادها من نعمته كانت لان قد كان
فعلا تابعا للنظام ان يعذب ويعاقب الذين يلبوا الوصية التي
دفعت اليهم دفعة وغيرها الان الذي صار اليهم ما كان هذا الفعل لكنه
كان تلافيا لهم لم يكن واجبا لهم لكنه كان وهو بامن رحمته ونعمته

والدليل

والدليل على انه كان من نعمته اسمع ما قال له داود ربنا صانع رحماته وانصافه لسائر المظلومين قد عرف موسى طرقه وعرف بني اسرائيل ميثاقه (مزمور ١٠٢ ع ٦) وقال أيضا ربنا صالح ومستقيم لهذا السبب يشترع للذين اخطأوا فى طريقهم فاخذ الشريعة اذا انما كان من رحمته ورأفاته ونعمته فلهذا قال البشير أخذنا نعمة بدل نعمة واذ كان مجتهدا ان يوضح جسامة المواهب التى أعطيناها أبين وضوحا قال البشير الشريعة بموسى أعطيت والنعمة والحق بيسوع المسيح صارا أفطنت كيف يوحنا الصابغ ويوحنا التلميذ صاعد السامعين منهما بلفظة واحدة الى معرفة أعلا محلا بسكون مهلا مهلا لما راضهم بالفاظ أدل من غيرها أولا لان ذلك الصابغ فليس بذاته المستولى على البرايا كلها خلوا من مقايسة وبعد ذلك أوضح على هذه الجهة موسلطانه قائلا والذى كان امامى ثم استثنى بقوله لانه قد كان أولا لى متقدما على وهذا التلميذ فعمل فى المقايسة أعظم مما فعل ذلك الصابغ بكثير وانقص من رتبة الوحيد لانه ما قايسه بيوحنا لكنه قايسه بموسى المستعجب عند اليهود أكثر من يوحنا عندما قال ان الشريعة بموسى أعطيت الا ان النعمة والحق بيسوع المسيح صارا وانظر الى فهمه فليس يجعل البحث من الوجه لكن من الافعال لان الاعمال اذا تبرهنت واستبانت أعظم بيانا وأكثره كان اقتبال الزائل حفاظهم قضيته فى وصف المسيح وشهادته من لازم الضرورة واجبا لان اذا كانت أعمال المسيح التى ليست لها ولا علة واحدة تشهد انه يعمل هذا العمل لتحمد الى أحد أولمعاداة فقد تبين عند الزائل حفاظهم قضيته خالية من ارتياب بها لان الاعمال على نحو ما عملها الذين يعملونها على ذلك النحو تلبث ظاهرة فلهذا المعنى توجد الشهادة البادية منها أكثر من جميع الشهادات خالية من تشكيك فيها وانظر كيف يجعل وضعه

خاشيا من ان يكون مستقلا حتى عند الاضعفين تمييزا أيضا لانه ليس يصلح التعظيم لكلامه لكنه يرينا الفصل من أسماء علوية لانه جعل بازاء الشريعة نعمة وحقا وجعل بحذاء أعطى صارا والفرق بينهما عظيم لان معنى أعطى هو مناسب لخادم أخذ شيأ من جهة أخرى ودفع اياه الى الذين أوعز اليه ان يدفعه اليهم ومعنى صارت النعمة والحق هو مناسب لملك غافر بسلطانه الخطايا كلها مصلح الموهبة له ولهذا السبب قال للمخلع قد غفرت لك خطاياك (مرقص ص ٢ ع ٩) وقال أيضا لكى تعرفوا ان ابن الانسان يملك سلطانا ان يغفر فى الارض الخطايا ثم قال له انهض احمل سريرك واذهب الى منزلك أرأيت كيف تكونت النعمة به تأمل الان الحق أيضا ولعمرى انه قد أرانا النعمة وأوضحها لنا أفعاله هذه ومنحته التى جاد بها على اللص وموهبة المعمودية ونعمة الروح التى أعطيناها به ومنح أخر غيرهذه كثيرة وسنعرف الحق أبين معرفة وأوضحها اذا تأملنا الرسوم لان السياسات المنتظرة كونها فى الحديثة كانت رسومها قد سبقت فارتسمت على انها رسوم فلما جاء المسيح تممها فسبيلنا ان نتأمل الرسوم فى أصناف يسيرة لان ليس مناسب الوقت الحاضر ان نستقربها كلها فاذا عرفتم من الاصناف اليسيرة جملة المطلوب ستعرفون الاصناف الباقية منها أفتؤثرون ان نبتدئ من تألم سيدنا بعينه وان سألتم وما الذى قاله الرسم أجبتكم قال خذوا خروفا فى بيتكم واذبحوه واعملوا به على حذو ما أومرتم واشترع لكم (خروج ص ١٢ ع ٣) والمسيح فما أوعز هذا الايعاز ولا أمر ان يكون لكنه هو صار هذه الضحية اذ قرب ذاته لابيه ضحية وقربانا فانظر كيف أعطى الرسم بموسى وأما الحق فصار بيسوع المسيح وأيضا فى طور سينا لما حضرت فيه جيش العمالقة أسندهرون وهور يدى

موسى

موسى عندبسطه اياهما واقفين من كلى جانبيه والمسيح لما جاء وقف بذاته وبسط يديه فى صليبه أرأيت كيف الرسم أعطى والحق صار والشريعة أيضا قالت ملعون كل من لا يثبت فى هذه الفرائض المكتوبة كلها فى هذا المصحف الان النعمة قالت تعالوا كلكم أيها المتعوبون المحتملون الاوساق فانا أريحكم وبولس يقول المسيح ابتاعنا من لعنة الناموس اذصار من أجلنا لعنة

العظـــــة الرابعة عشر

ايعازبعيشة مكينة فى الفضائل وفضل المواهب الموهوبة من الله لنا ولليهود وفى ان لا نتوجع اذا شكينا شكوى متصلة اننا مضجعون فى العيشة القويمة بل ينبغى لنا ان نقبل ذلك بحسن وفاء

فاذقد استغنا بنعمة وحق جزيل بهذه الصفة مبلغهما فاتوسل اليكم ان لا نصير لاجل عظم الموهبة أكثر توانيا وتضجيعا لاننا بمقدار ماقد أهلنا لكرامة أعظم من غيرها بقدر ذلك نحن غرماء مطالبون بفضيلة أكثر من غيرها وبيان ذلك ان من قد أحسن اليه احسانات يسيرة ان اظهر صنوفا من الفضيلة يسيرة فليس هو مؤهلا لائمة واحدة بعينها فاما من قد طلع الى هامة الكرامة الاعلا سموا ثم أظهر أفعالا ذليلة منسحبة على الارض سيكون مؤهلا لتعذيب أعظم من غيره بمقدار كثير ولكن لا كان ان نتوهم من أجلكم فى وقت من الاوقات هذه الاوهام وماناسبها لاننا مستحقون تمكنكم فى حب ربنا انكم قد ريشتم نفوسكم للاستطارة الى السماء وقد باينتم الارض وانكم فى الدنيا وماتمارسون خدائع الدنيا الا اننا مع تحققنا ذلك منكم لسنا نكف أن نتوسل اليكم وسائل هى هى باعيانها توسلا متصلا لان فى الجهادات التى هى خارج محلتنا ليس

يستميل اليها سائر الناظرين الى صفوفها المضجعين ولا المطروحين على ظهورهم لكنهم انما يستنهضون اليها العمولين فيها الساعين بعد فى صفوفها لانهم يكون حالهم فى استدعائهم أولئك حال عاملين أعمالا مسلوبة الانتفاع بها وليس يمكنهم ان يستنهضوهم بتعليقهم اياهم لانهم قد انفصلوا فى دفعة واحدة من الظفر وقد كفوا عن الجهاد على هذا المثال لما آيسوا من قهرهم وههنا يتجه لنا ان نؤمل أملا صالحا ليس منكم المستفيقين وحدكم لكننا ننتظر مع ذلك المستلقين أيضا تأميلا صالحا ان أرادوا أن ينتقلوا عن عجزهم ولهذا الغرض نعمل كلما يمكننا ونلبث متوسلين ومبكتين وموعزين ومادحين حتى نكتسب خلاصكم فلا تستصعبوا تنبيهنا المتصل فى تهذيب سيرتكم فليست أقوالنا أقوال ذامين توانيا توهمناه فيكم لكنها أقوال حائزين آمالا صالحة جدا فيكم وهذه الاقوال قد قيلت وتقال ليس لكم وحدكم لكنها تقال لنا معكم نحن الذين نقولها الا اننا محتاجون الى هذا التعليم بعينه وليس كنا نحن نقولها الا انه ليس مانع يمنع ان تقال لنا لان الكلام اذا وجد قائله حاصلا تحت تبعة مخالفته تلافاه وأصلحه واذا وجده خارجا من التبعة متخلصا منها حجزه أيضا عن الزلل الى أبعد بعد منه ولعمرى اننا لسنا نقيا من الخطايا فالمداومة مشاعة لكافتنا والادوية قد وضعت لكلنا الا ان الشفاء ليس هو مشاعا لكنه انما يصير على حذو اختيار من يستعمل الدواء لان من أراد ان يستعمل فقد انتفع بالشفاء ومن لم يضع المرهم على جرحه فذاك قد جعل الداء أعظم تأثيرا وقد انعكس الى عاقبة مستصعبة فلا نتوجع اذا اعتمدنا بالمداواة وطبنا لكن سبيلنا ان نفرح بذلك أكثر الفرح وأزيده وان أوردت صناعة التعليم علينا أوجاعا مستمرة فانها توضح لنا أخيرا ثمرتها لذيذة كثيرا فينبغى لنا ان نعمل كل ما نعمله ونقول كل ما نقوله لهذا

الغرض

الغرض لكى نرتحل الى ذلك الدهر أنقياء من جراحاتنا وعقورنا التى وضعتها أنياب الخطيئة فى نفوسنا حتى نصير مؤهلين لمعاينة وجه المسيح ولا ندفع فى ذلك اليوم الى القوات المعاقبة القاسية لكن ندفع الى الملائكة المقتدرين ان يدخلونا الى المورث أى مورث الممرات المستعد للذين أحبوه الذى فليكن لنا كلنا ان يتفق لنا امتلاكه بنعمة ربنا يسوع الذى له المجد الى آباد الدهور كلها أمين

المقالة الخامسة عشر

فى قوله (١٨) الله ما أبصره قط باصر الابن الوحيد الذى لم يزل فى حضن أبيه هو خبر بهذا

ان الله ليس يريدنا ان نسمع الاسماء والالفاظ الموضوعة فى كتبه على بسيط ذات سماعها لكنه يريدنا ان نسمعها بتفهم كثير ولهذا المعنى تقدم داود النبي فكتب فى جهات كثيرة من مزاميره لمعنى يؤدى الى تفهم وقال اكشف الحاظى فاتأمل من شريعتك معانيها العجيبة (مزمور ١١٨ ع ١٨) وبعد ذلك الفاضل قال ابنه اننا ينبغى لنا ان نبتغى الحكمة كالتماسنا الفضة وان نبحث عنها كبحثنا عن كنز وربنا قد وصى اليهود ان يفتشوا الكتب وما قال فتشوها لو كان ممكنا ان نتأملها ونتفهمها من قراءتنا الاولى اياها بذاتها لان الشئ الطريح فى الوسط والسهل وجوده ليس يفتش عليه وعنه مفتش لكنه انما يفتش عن الشئ المستور الموجود باستبحاث كثير ولهذا السبب قال ان الكتب هى كنز مستور مستنهضا

ايانا الى ابتغائه فهذه الاقوال قلناها حتى لا نمارس الفاظ الكتب على بسيط المراس وعلى ما اتفق لكن نتصفحها بابلغ الاستقصاء واكثره لانه ان سمع سامع ما يقال فيها سماعا خاليا من تصفح واقتبله كله هذا الاقتبال على حذو ما قد قيل على نحو لفظ الكتاب فسيتوهم في الله أوهاما انه يوجد انسانا ومركبا من نحاس وانه سخوط غضوب ويظن فيه أوصافا غير هذه كثيرة أشر من هذه بمقدار كثير وان تأمل معنى الاسرار المخزونة في قعرها سيتخلص من هذه الشناعة كلها لان القراءة الموضوعة الآن لنا قد ذكرت ان الله بمثابة حضننا وهذا الحضن فهو خاصة الاجسام ولكن ليس يصرع أحدنا هذا الصرع حتى يتوهم ان الخائب من جسم هو جسم ولكيما نحصل كلفة المعنى المطلوب وهلا للمعنى الروحاني فهات نستبحث عن الاصحاح من اعلاه قال البشير الله ما أبصره قط باصر ولقائل ان يقول فهذا البشير من أي نظام جاء الى هذا القول فنقول له لما بين افراط مواهب المسيح كثيرة وان الفرق بينها وبين الرسوم التي دبرت بموسى قد عدم ان يكون مخبورا استثنى بعلة واضحة للفصل بينهما الان ذاك كان خادما اذ صار خادما أفعالا أذل محلا وهذا سيد وملك وابن ملك أورد لنا المواهب الاعظم كثيرا من غيرها بمقدار كثير عند اتفاقه دائما مع أبيه ونظره اليه أبدا سرمدا ولهذا المعنى قال البشير الله ما أبصره قط باصر فما الذي نقوله لاشعيا العظيم صوته القائل رأيت الرب جالسا على كرسي عال شاهق وليوحنا هذا الشاهد له بانه قال هذه الاقوال حين أبصر مجده وحزقيال لان هذا قد أبصره جالسا على الساروفيم وما الذي نقوله لدانيال لان هذا قال أن عتيق الايام جالس وما الذي نقوله لموسى بعينه القائل ارني مجدك فابصرك بمعرفة وليعقوب عن هذا النظر تسلم لقبه اذ دعي اسرائيل لان معنى اسرائيل هو الناظر الى الهه وآخرون كثيرون قد أبصروه فما غرض يوحنا في قوله الله ما أبصره قط باصر اصلا موضحا ان تلك المعاينات كلها انما كانت

مناسبة لتحدره وليست مناسبة لجوهره العاري بعينه لانهم لو كانوا أبصروا طبيعته بعينها لما كانوا أبصروها بصرا مختلفا لان طبيعته بسيطة عديمة ان تكون ذات شكل فاقدة ان توجد مركبة أو محصورة ولا تجلس ولا تقوم ولا تمشي لان هذه كلها خواص أجسام وهو وحده قد عرف كيف هو ومعنى هذه المعاينات فقد أظهره بلسان نبي من أنبيائه وقال أنا أكثرت معايناتهم وتشبهت في يدي أنبيائي (هوشع ص ١٢ ع ١٠) ومعنى هذا هو انني تحدرت لهم وما ظهرت على ما أنا لانه لما أزمع ابنه ان يظهر بجسم حقيقي تقدم فراضهم من أعلى الزمان ان يبصروا جوهر الله على حذو ما كان ممكنا لهم ان يبصروا اذ هذه الماهية (أعني ماهو الله) ليس مستعجبا ان الانبياء ما عرفوها لكن أعجب من ذلك ان ولا الملائكة ولا رؤساء الملائكة عرفوها ولكنك ان سألتهم ان تسمع قولا في وصف جوهره ليس يجاوبونك جوابا وانما يملون الى الله مجدا في الاعمال وسلامة في الارض ومسرة في الناس وان اشتهيت ان تعرف من الشاروبيم أو من السارافيم شيئا فانما تسمع لحن تقديسهم السماوي وان السماء والارض ممتلئة من مجده وان استخبرت القوات الاعلا فووقا سيجيبونك أيضا ان عملا واحدا يوجد عندهم هو ان يسبحوا الله لانه قال يا كافة قواته سبحوه وانما يبصره ابنه وحده والروح القدس لان الطبيعه المخلوقة كلها كيف تقدر ان تبصر العديم ان يكون مخلوقا ولئن كنا ما نستطيع ان نقتبل النظر على بسيط ذاته الى قوة خائبة من جسم على انها مكونة وهذا الاغتياص فقد استبان غير مرة في الملائكة أي اغتياص النظر اليهم فاليق بنا وأوجب ان لا نقتدر ان ننظر الجوهر الخائب من جسم العادم ان يكون مكونا ولهذا المعنى قال بولس الرسول الذي ما أبصره أحد من الناس ولا يستطيع ان يراه لعلك تقول فهل هذه الخاصة الفاضلة للآب وحده خالصة وليست هي لابنه فاقول لك أسمع بولس القائل

هذه الاقوال الاولى بعينه قائلا ان الابن هو صورة الاب العديم ان يكون ملحوظا وصورة العادم ان يكون ملحوظا هي عديمة ان تكون ملحوظة والا فما كانت توجد صورته وتمثاله لهذا المعنى قال انه ظهر في جسم لان ظهوره انما كان بجسم وما كان ظهوره في جوهره والدليل على ان الابن بعينه عديم ان يكون ملحوظا ليس عند الناس فقط لكن عند القوى أيضا التي في العلو معهم يستبين من ان بولس الرسول اذ قال انه ظهر في جسم استثنى بانه ظهر للملائكة فيجب من ذلك انه في ذلك الحين ظهر للملائكة حين لبس لحما وقبل ذلك ما أبصروه على هذه الجهة اذ كان جوهره عديم ان يكون ملحوظا عندهم ولقائل ان يقول فكيف قال هو لا تستحقروا واحدا من هؤلاء الناس الصغار فانى أقول لكم ان ملائكتهم كل حين يبصرون وجه أبي الذي في السموات (متى ص ١٠ ع ١٨) فنقول له فما رأيك هل الله يحوي وجها وهو محصور في السموات لكن ليس يصرع أحد الناس هذا الصرع الذي يفضى به الى ان يقول هذه الاقوال فان قال فما هو القول الذي قد قيل أجبناه على نحو ما اذا قال مغبوطون الانقياء قلبهم فانهم يبصرون الله انما ذكر البصر الذي في سريرتنا المقتدر فينا على تصفح أوهامنا وعلى التفكر في الهنا فكذلك ينبغي لنا ان نعتقد في الملائكة انهم لاجل نقاء طبيعتهم وسهرها وتيقظها ليسوا يعملون عملا آخر الا تخيلهم الله دائما ولهذا المعنى قال المسيح ربنا ليس يعرف الاب أحد الا ابنه ولعلك تقول فما رأيك أفكلنا في الجهل به فاقول لك لا كان ذلك ولكن لم يعرفه أحد على هذا المثال مثل ما يعرفه ابنه وكما ان كثيرين قد أبصروه على نحو البصر الممكن لهم وجوهره فما أبصره أحد منهم فكذلك نعرف نحن الكثيرون الله وأما جوهره فما عرفه أحد منا في وقت من الاوقات ما هو سوى الابن الذي ولد منه وحده والمعرفة ههنا انما يعنى بها معاينته البليغة

وادراكه

وادرا كه ومقدارها بمقدار المعرفة التى يحويها الاب فى وصف ابنه لانه قال
على نحو ما يعرفنى أبى وانا أعرف أبى فلذلك أبصر البشير باى مقدار
من تكاثر التكريم يتكلم لانه اذ قال ان الله ما أبصره قط باصر ما قال ان
ابنه لما أبصره خبرنا لكنه وضع لفظا آخرا أكثر من النظر اذ قال الذى لم يزل فى
حضن أبيه لان معنى اقامته فى حضن أبيه هو أكثر من نظره اليه بمقدار كثير
لان الباصر على بسيط ذات البصر ليس يحوى معرفة الناظر له بليغة مستقصاه
على كل حال والمقيم فى حضونه ليس يجهل فى وقت من الاوقات شيأ فاذا سمعت
ان ليس يعرف الاب أحد الا ابنه حتى لا نقول ان الابن وان كان قد عرف
أباه أكثر من الكل الا انه ما عرف ما هو فلهذا الوهم ذكر البشير اقامته فى
حضن أبيه فقال ان المسيح بعينه بهذا المقدار يعرف أباه بمقدار ما يعرف
الاب ابنه فاسأل أنت معاندك أفالاب الازلى يعرف ابنه فيقول على كل
حال اذا لم يصرع نعم انه يعرفه فنقول له بعد ذلك ذاك القول فما زأيك
فهل يبصره بصرا بليغا او يعرفه معرفة مستقصاه وقد عرفه ما هو بعينه معرفة
واضحة فسيقول هذا القول على سائر الجهات ومن هذا اجمع ادراك الابن
البليغ لابيه لانه هو قال ان على نحو ما يعرفنى أبى على هذا النحو أعرفه
أنا (يوحنا ص ١٠ ع ١٥) وقد قال فى موضع آخر ليس ان الله أبصره باصر
سوى من لم يزل من الله لهذا المعنى على ما قلت ذكر البشير حضنه مظهرا لنا
هذه المعانى كلها بهذه اللفظة الواحدة ان مجانسة جوهره كثيرة وقريبة وان
معرفته قد عدم ان يجوز اليها غيره وان سلطانه عديل لسلطانه لان الاب
الازلى ما حاز فى حضنه جوهرا غير جوهره لكن ولا ذاك كان قد اجترى اذ لم
يزل عبدا او واحدا من الكثيرين ان يتقلب فى حضن سيده لان هذه خاصة
ابن خالص فقط مستعمل دالة كثيرة لدى أبيه ليس ما لكا شيأ أدنى منه
افتشاء ان تعرف خاصة الازلية اسمع ما قاله موسى فى وصف الاب الازلى لانه

سأله فان سألتني اليهود من هو الذي أرسلك ماذا تأمرني ان أجيبهم فقال
قل لهم ان الموجود دائما أرسلني ومعنى الموجود دائما دليل على ان الموجود
خلوا من ابتداء والموجود بالحقيقة ومعنى الموجود دائما يدل بتحقيق على انه
لم يزل ويظهر انه كان في الابتداء فيوحنا البشير استعمل هذا القول ههنا
موضحا ان الابن هو في حضن أبيه موجود وجودا أزليا خاليا من زمان لان حتى
لا تظن لاجل اشتراك اسم البنوة انه يوجد ابنا واحدا من البنين الصائرين
بنعمة تقدم أولا فوضع حاشية الاسم فاضلا اياه من البنين بالنعمة فان
كان هذا ليس يكفيك لكنك أيضا تنحني الى أسفل فاسمع اسمه
الاخص من غيره وهو الوحيد فان كنت بعد هذا الاسم تنظر الى أسفل
فقط قال لست استحق ان أقول في وصف الهنا كلمة انسانية أعني
لفظة حضنه حتى لا تتوهم فيه توهما ذليلا أعرفت تعطف الهنا وسيدنا
واهتمامه بنا فقد وضع الهنا الذاته ألفاظا عديمة أن تكون أهلا له لكي
ولو على هذه الجهة تبصر وتفهم رأيا عظيما عاليا وأنت ثابت أسفل لان
قل لي لم أخذ في هذا الموضع الحضن هذا الاسم الكثيف اللحمي
حتى تتوهم الهنا جسدا معاذ الله أبعد هذا الظن فلم قيل هذا
الاسم لانه ان لم يكن قيل ليبين به خلوصية الابن ولم تكن هذه اللفظ
قد طرحت ههنا دالة على ان الله ليس يوجد جسدا فليست تتم ولا
حاجة واحدة والا فلم قيلت فانني لست أنترح مستخبرا اياك عن هذه
اللفظة حتى ماذا تطرز بها أوليس من البين أنها انما قيلت ليس لمعنى آخر الا
لتدلنا على خلوصية الوحيد وعلى اتفاقه مع أبيه في أزليته وقد قال
البشير ذلك خبرنا فان سألته وما الذي أخبرنا به أجابك أخبرنا ان الله
ما أبصره قط باصر وان الله هو واحد لكن هذا القول قد قالته الانبياء
وموسى قد هتف به في أعلا كلامه وأسفله قائلا الرب الهك رب واحد هو
وأشعيا النبي فقد قال ما صار اله آخر امامي ولا يوجد بعدي (أشعياص

٤٣ ع ١٠)فان استخبرت وما الذى تعلمناه من الابن أكثر اذ حاله حال موجود فى حضن أبيه وما الذى استفدناه من الوحيد أجيبك استفدنا منه هذه الفوائد بأعيانها التى هى من فعل ذلك وبعد ذلك اقتبلنا تعليمه أفصح وأبين كثيرا وهو ان الله روح والذين يسجدون له ينبغى أن يسجدوا له بروح وحق (يوحنا ص ٤ ع ٢٣ و ٢٤) وان هذا بعينه أعنى النظر الى الله ممتنع وأن ليس يعرفه أحد الا ابنه وانه هو أب لابن وحيد خاص والعلوم الاخرى التى قيلت فى وصفه كلها ومعنى قوله أخبرنا تبين تعليمه الاجلى والاوضح من غيره الذى لم يعتقد به اليهود وحدهم لكنه جعله لكافة أهل المسكونة وتلافيهم لان الانبياء ما أصغى اليهم ولا اليهود كلهم وأما وحيد الله اطاعته المسكونة كلها وقبلت منه فأخباره ههنا يدل على لفظ تعليمه الواضح ولهذا المعنى دعى كلمة ورسول الرأى العظيم

العظـــــة الخامسة عشر

(فى الحب الذى يخاصه أحدنا للآخر وان أحدنا سبيله أن لا يطلب ما ينفعه فقط لكن ينبغى أن يطلب ما ينفع قريبه أيضا) فاذا كنا قد أهلنا التعليم الاعظم والاكمل ولم يخاطبنا الله بأنبيائه لكنه كلمنا بابنه فى هذه الايام الاخيرة فينبغى أن نظهر سيرة أعظم من كرامتنا وأهلا لها لان منكرا علينا أن يكون هو قد تحدر تحدرا هذا مقداره حتى انه لم يشاء أيضا أن يخاطبنا بعبيده لكنه خاطبنا بذاته فلم نظهر نحن خضوعا أكثر من القدماء فأولئك حاز وا موسى معلما ونحن فقد استفدنا سيد موسى والهه معلما وانما نظهر فلسفة مؤهلة لهذه الكرامة اذا لم نمتلك شيئا مشاعا بيننا و بين الارض لهذا السبب أورد الينا تعليمه من فوق السموات لينقل تمييزنا الى هناك لكى نصير مماثلين معلمنا على حذو قوتنا وان استخبرتم كيف يتجه لنا أن نصير

بماثلين المسيح أجبتكم انما نماثله اذا عملنا كل ما نعمله ونكسبه لمنفعة
بين جماعتنا واذا لم نلتمس فوائد لذواتنا وما يخصنا لان الرسول قد قال
ان المسيح ما أرضى ذاته لكن كما كتب ان عار معيريك وقع على (رومية
ص ١٥ ع ٣) فلا يطلبن أحدنا فائدة لذاته لان أحدنا على هذه الجهة
يلتمس فائدة لذاته اذا راقب فائدة تحصل الى قريبه لان فوائد أولئك
هي فوائدنا لاننا نحن جسم واحد وبعضنا أوصال بعضنا وأعضاؤهم فلا
نجعلن حالنا حال منفصلين لا يقولن أحدنا ان فلانا ليس هو لي صديقا ولا
مجانسا ولا جارا الي ولست أمتلك بيني وبينه حظا مشاعا فكيف
أدخل الى عنده أو كيف أخاطبه الا انه ان كان ليس هو نسيبك ولا صديقك
الا انه انسان مثلك مساهم طبيعتك هذه بعينها وسيدنا بعينه سيده
مواخينا في العبودية وفي السكنى لانه قد تكون في عالمنا هذا بعينه وان
كان يساهم أمانتنا بعينها فها قد صار عضوا لك لان أية صداقة تقتدر
أن تخترع اتحادا هذا مقداره بمقدار مناسبة الامانة أن تبدعه لاننا لسنا
نحتاج أن نظهر اختصاصا لبعضنا بمقدار ما يجب أن يختص صديق لصديقه
لكن كمثل العضو منا للاعضاء له لان ليس يجد أحدنا مثل هذه الصداقة
والاهتمام والاشفاق وكما ان أحدنا لو جاء حتى ينكر عضوه لكان
مضحوكا عليه كذلك ليس يقول هذا القول في مناسبة اخيه الروحاني لان
الرسول قد قال اننا كلنا اصطبغنا بجسد واحد (قرنثية ١ ص ١٢ ع ١٣)
وان سألت وما معنى اصطبغنا كلنا بجسد واحد أجبتك معناه حتى لا ننفصل
لكن نحفظ نظام جسم واحد في اتفاق أحدنا مع الآخر ومحبته له فلا
يستحقرن أحدنا رفيقه حتى لا نغفل عن ذواتنا فان أحدنا ما مقت في
وقت من أوقاته جسمه لكنه يغذيه ويدفيه لهذا المعنى وهب الله لنا
الدنيا منزلا واحدا مشاعا وأشعل لكافتنا شمسا واحدة ومد لنا السماء

سقفا

سقفا واحدا وبسط لنا الارض مائدة واحدة وأعطانا مائدة أخرى
أعظم من هذه بمقدار كثير الا أن هذه المائدة أيضا واحدة وأصحاب
سرها يعرفون ما قد قلناه ووهب لكافتنا محبة واحدة لولادتنا وهى
المحبة الروحانية ووطنا واحدا لجماعتنا فى السموات وكلنا نشرب
من كاس واحدة بعينها وما وهب للموسر من دعوته حظا أكثر وللفقير
قسما منها أنقص وأحقر لكن دعا كل الناس بالسواء ووهب لهم
مواهبه الجسدانية متعادلة والروحانية متساوية وللقائل أن يقول
فمن أين فى معيشتنا زوال اعتدالها الكثير فنقول له من استغنام الموسرين
وعتوهم ولكن لا نصبرن يا أخوتى على هذه الافعال أيضا ولا ننفصل من
المحامد الكلية اللازمة الضرورية التى تجمعنا الى الفة واحدة بعينها من
تلقاء الاحوال الارضية الحقيرة وهى الغناء والفقر والمجانسة الجسدانية
والعداوة والصداقة فان هذه كلها ظل وأحقر من الظل
عند الذين قد استلموا رباط الحب من العلو فسبيلنا
أن نصونه ناجيا من أن يكون منفسخا فليس يقدر
أن يندس الينا ولا مرض واحد من أسقام
هوانا الخبيثة الفاصلة الاتحاد الجزيل تقديره
الذى فليكن لنا كلنا أن نمتلكه بنعمة
يسوع المسيح ربنا وتعطفه الذى
به ومعه لابيه المجد مع الروح
القدس الآن والى
آباد الدهور كلها
آمين

المقالة السادسة عشر

فى قوله (١٦) لان هذه هى شهادة يوحنا حين ارسلت اليهود اليه من آورشليم كهنة ولاويين ليسألوه انت من انت

ان الحسد أيها الحبيب ردى ومهلك للحاسدين ليس للمحسودين لان أصحابه يفسدون ذواتهم أولا ويهلكونها اذ فعله فعل صدى مميت مستكن فى نفوسهم وان أضروا بعض الاوقات المحسودين فضررهم يسير ليس أهلا لشئ حاو فائدته أعظم من خسارته وان يتولد ذلك فى داء الحسد فقط لكنه يتولد معه فى أدواء هوانا الاخرى كلها ليس يتضرر من يقاسى مكروها لكن من يعمل عملا رديا هذا هو المقتبل الضرر لان لو لم يكن هذا الفعل هذه خاصته لما كان بولس أوعز الى تلاميذه أن يتظلموا أنفع لهم من أن يظلموا قائلا لم لا يظلمكم غيركم فذاك أفضل من أن تظلموا أنتم آخرين ولم لا تخسرون اكثر (قرنثية ١ ص ٦ع ٧) لانه عرف معرفة بليغة ان الهلاك تابع فى كل مكان ليس لمن يقاسى مكروها لكن لمن يعمل ذلك فهذه الاقوال كلها قلتها بسبب حسد اليهود لان الذين تقاطروا من مدنهم الى يوحنا ذموا خطاياهم واصطبغوا هؤلاء أرسلوا بعد اصطباغهم عنه يستخبرونه استخبارا كأنه من تندم خاطرهم أنت من أنت لقد كانوا بالحقيقة حيات وأولاد أفاعى ومهما كان أردى من هذا جيلا خبيثا فاسقا ملتويا أبعد اصطباغك تفتش صابغك وتستبحث عنه وماذا يكون أعدم قياسا من زوال هذا القياس كيف خرجتم اليه كيف

اعترفتم

اعترفتم له بخطاياكم كيف عدوتم احضارا الى صابغكم كيف سألتموه عن أعمالكم فهذه الافعال كلها عملت عندكم خلوا من قياس اذ قد جهلتم ابتداءها وموضوعها الا انه ما قال لهم صنفا من هذه الاقوال ولا شكاهم (أعنى يوحنا السعيد) ولا عيرهم لكنه أجابهم بكافة الدعة ولعمرى ان غرضه فى ذلك يستوجب أن يعرف وهو ايثاره أن يصير سوء عملهم واضحا عند كل من يسمعه ظاهرا فيوحنا قد شهد دفعات كثيرة للمسيح وحين عمدهم قد ذكره متصلا لدى الحاضرين وقال انا انما أعمدكم بالماء والجائى ورائى هو أقوى منى هو يعمدكم بروح قدس ونار فعرض لهم فى أمره عارض انسانى اذ كانوا باهتين الى شرف الدنيا ناظرين الى ما يرضى الوجه فتوهموا ان خضوع يوحنا للمسيح قد عدم أن يوجد أهلا له لان صنوفا كثيرة كانت تظهر يوحنا عندهم بهيا جليلا فأولها جنسه وجلالته وظهور شرفه لانه كان ابن الرئيس كهنتهم ثم طعامه وصعوبة طريقته واعراضه عن الاملاك الانسانية كلها لانه كان مهوبا بشربه ومائدته ومنزله وطعامه بعينه قد أقام دهره السالف فى البرية وجميع ما أبصروه فى المسيح كان بخلاف ذلك لان جنسه كان عندهم حقيرا قد أوردوه مرارا التهجينه قائلين أفما هذا ابن النجار هو أوما أمه تدعى مريم واخوته يعقوب ويوسى والموضع المظنون انه وطنه كان التعبير يتجه عليه على ما ذكر ناثانايل وأمن الناصرة يوجد شئ صالح وطعامه مكان مشاعا مستقنيا ثيابه ليست أكثر من ثياب الكثيرين حقارة لانه ما كان يحوى حقويه منطقة جلد ولا كان لباسه من وبر ولا أكل عسلا وجرادا لكنه تدبر بمشابهة لكل الحاضرين وقد حضر فى مجالس شرب مع اناس خبثاء وعشارين حتى يستجذبهم اليه وهذا العرض فما فطن به اليهود فعيروه لاجل هذه الافعال على ما قال هو

جاء ابن الانسان آكلا وشاربا فقالوا هوذا انسان أكول وللخمر شروب صديق العشارين والخاطئاة فلما أرسلهم يوحنا من ذاته ارسالا متصلا الى ذلك المظنون عندهم انه أحقر محلا منه خجلوا واستصعبوا ذلك وأرادوا ان يستقنوا يوحنا معلما أفضل وتجاسروا ان يقولوا له عزمهم هذا ظاهرا فأرسلوا اليه متوقعين انهم بذ كازتهم له يستجذبونه الى ان يعترف من ذاته انه المسيح وما أرسلوا اليه اناسا يتيسر التهاون بهم كما أرسلوا الى المسيح لانهم لما أرادوا أن يقبضوا على المسيح ارسلوا خدامهم وأصحاب هيرودس وأقواما هذه الحال حالهم وههنا أرسلوا كهنة ولاويين وما انفذوا كهنة على بسيط ذاتهم لكنهم أرسلوا كهنة من أورشليم وهم اوفر كرامة من غيرهم لان البشير ما صنف هذه الاقوال على بسيط ذات تصنيفها وأرسلوهم ليسألوه أنت من انت وقد كان مولده واضحا عند جماعتهم حتى ان جميع الذين حضروا قالوا ترى ماذا يكون هذا الصبي وهذا القول فقد انبث الى سائر الناحية الجليلية ولما جاء أيضا الى الاردن استطارت اليه تلك المدن كلها كالريش وتبادروا اليه من أورشليم ومن كافة بلد اليهودية ليصطبغوا منه فان سألت فما رأيهم الآن فى سؤاله اجبتك ما كانت حالهم حال من قد جهله وكيف كانوا يجهلون الصائر عندهم واضحا فى جميع الاحوال لكنهم انما سألوه مريدين ان يستميلوه الى هذا القول الذى قلته واسمع السعيد يوحنا كيف أجابهم نحو المعنى الذى به سألوه ليس على نحو سؤالهم بعينه لانهم اذا قالوا له أنت من أنت ما قال لهم فى الحين ما كان ينساغ ان يقال على استواء اللفظ أنا صوت هاتف فى البرية لكنه القول الذى توهمه أولئك بطله هو قال البشير لما سئل أنت من أنت اعترف وما جحد وأقر انى انا لست المسيح وانظر الى حكمة البشير اذ قال هذا القول بعينه ثلاث دفعات موضحا فضيلة

الصابغ مبيناخبث أولئك وغباوتهم ولوقافقدقال ان الجموع اذتوهموا
انه هوالمسيح أزال أيضاتوهمهم هذاقول عبد محافظ ليس من شأنه انه
مايختلس فقط شرف سيده لكنه اذخوله اياه الكثيرون يرده ويدفعه
الاان الجموع حينئذ انماأفضوا الى هذا التوهم من سذاجتهم وغباوتهم
وهؤلاء فسألوه من عزم خبيث على مافات متوقعين على ماذكرت انهم
يستجذبونه من تلقاء كلامهم الى ماحرضوافيه لانهم لولاانهم توقعوا هذا
الامل لما كانواجنحوا الى سؤال آخر لكنهم قداغتاظوا اذأجابهم
جوابامنافرالم يكن نحوسؤالهم وكانواقدقالوا ألعلنانحن توهمناهذا التوهم
أترانالهذا المعنى جئنانسأله لكنهم اذصارت حالهم حال خائفين قد
صيدوا وجنحوا الى سؤال آخر وقالوا فماذا نقول ايلياأنت فقال لست
أناايليا لانهم قدكانوامنتظرين هذا ان يجيء على ماقال المسيح لانه
اذ سأله تلاميذه كيف تقول الكتاب ان ايليا ينبغي أن يجيء أولا
قال لهم ان ايليا يجيء ويعهد الاحول كلها ثم سألوه أفالنبي أنت فاجابهم لا
وقد كان لعمري نبيافلم جحد لعمري انه قال هذا القول انظره الى سريرتهم
أيضا لانهم كانواينتظرون نبيامستخصايجيء لاجل قول موسى ان الرب
الهكم سيقيم لكم نبيامن اخوتكم مثلي فاسمعوه (تثنية ص ١٨ ع ١٥)
وهذا فكان المسيح فلهذا الغرض ماقالوا له أنبي أنت معتقدين اعتمادا
مستورا أي واحدامن الانبياء لكنهم انماسألوه بحاشية الاسم أفالنبي
أنت زعموا الذي تقدم موسى فأنذرنابه فلهذا المعنى جحد وماجحد
انه نبي لكنه ليس هوذاك النبي (٢٢) فقالوا فمن أنت حتى نردجوابا الى
الذين أرسلونا ماالذي تقوله عن ذاتك أرأيت أولئك مسارعين في السؤال
أشدا سراعا لاينتزحون عن سؤالهم وذلك الفاضل مبطلا بدعته أولا
أوهامهم فيه التي لم تكن موجودة واضعا بعد ذلك اللقب الموجود

له (٢٢) لانه قال أنا صوت هاتف فى البرية قوموا طريق الرب على ماقال اشعيا النبى لانه اذ كان قد قال فى المسيح وصفا عظيما عاليا اعتمد به توهم أولئك التجأ فى الحين الى النبى جاعلا قوله فى هذا الوجه مؤهلا لتصديقه (٢٤) وكان المرسلون من الفريسيين (٢٥) فسألوه وقالوا له فما بالك تعمد ان كنت لست انت المسيح ولا ايليا ولا النبى أرأيت انى ما قلت قولا باطلا انهم انما أرادوا ان يستميلوه الى هذا الغرض وما ذكروه منذ ابتداء سؤالهم حتى لا يصيروا عند جميع الحاضرين مشهورين ثم اذ قال لست انا المسيح لا يشاء أولئك ان يستروا أيضا ما قد اضمروه فى باطنهم جنحوا الى ايليا والى النبى فلما قال انه ليس هو واحدا منهما تحيروا بعد ذلك واطرحوا تظاهرهم المشابه وجوه لعب الخيال وأظهروا برأس حاسر عزمهم المحتال قائلين فما بالك تعمد ان كنت لست انت المسيح ثم لا يشاءون هم ايضا ان يستروا عزمهم تطاولوا بالاثنين ايليا والنبى لانهم اذ لم يمكنهم ان يعرقلوه بدكلامهم توقعوا بشكواهم اياه انهم يقتدرون ان يضطروه الى ان يقول ما ليس هو الا انهم ما اقتدروا فترحا لغباوتهم و بؤسا لتجبرهم وتوهم واستبحاثهم المسلوب وقته أرسلتم تستعلمون منه من هو ومن أين كان واستم واضعين له شرائع لان هذا الالزام كان الزامهم أن يعترف عن ذاته انه المسيح الا انه مع ذلك ما اغتاظ الآن عليهم ولا قال لهم قولا هذا معناه نحو ما يليق بهم أنتم توسوسونى تشترعون لى لكنه أظهر أيضا دعة كثيرة (٢٦) لانه قال انا أصبغ فى الماء وقد وقف فى وسطكم الذى ما عرفتموه أنتم (٢٧) ذاك هو الجائى ورائى وقد صار امامى الذى لست أهلا وهلا ان أحل شسع حذائه فاليهود ما الذى يتجه لهم فيما بعد ان يقولوه ردا على هذه الاقوال لان الجناية عليهم فى هذه الجهة قد سلب اعفاؤهم منها والحكم الموجب عليهم خائب من

العفو

العفو لانهم هم أبرزوا القضية على أنفسهم وان سألت كيف قوبلية
حال أجبتك لانهم احتسبوا يوحنا مؤهلا للتصديق صدوقا على هذا
المثال الذي أحله عندهم محل من ليس يصدق قط اذا شهد لاناس آخرين
لكنه مع ذلك يصدق في قوله عن ذاته بعينه لانهم لو لم يكن هذا الحال
حاله عندهم لما كانوا أرسلوا يستعلمون منه ما يقوله عن ذاته لانكم
قد عرفتم اننا انما نصدق أولئك وحدهم أبلغ تصديقا فيما يقولونه عن أنفسهم
الذين نستشعر انهم لم يزالوا اصدق من أهل بلادهم كلهم وليس هذا المعنى
وحده هو الذي يسد أفواههم فقط لكن العزم أيضا الذي أتوا به أيضا
وقصدوه لانهم خرجوا الى عنده بنشاط كثير وان كانوا قد انتقلوا
عن ذلك أخيرا والعزمان كلاهما فقد أوضحهما المسيح وقال ذلك كان
السراج المتوقد فاردتم أنتم ان تبتهجوا بنوره مقدار ساعة (يوحنا ص
٥ ع ٣٥) وجوابه أيضا يجعله مؤهلا للتصديق أكثر لانه قال
ان من لم يلتمس للشرف الذي له فهو صادق وليس يوجد فيه ظلم وهذا
فالتمس تشريفا لكنه أرسلهم الى آخر والذين أرسلوا فانما أرسلوا
أقواما من المؤهلين للتصديق عندهم الحاوين الرتب المقدمة في شرفها حتى
لا يوجد لهم ولا في جهة من الجهات مهربا ولا مفيضا لانكارهم الذي به
أنكروا المسيح فانا أخاطبهم لم ما قبلتم الاقوال التي قالها يوحنا في وصفه
أنتم أرسلتم اليه المالكين الرتب المقدمة في الشرف أنتم سألتموه بهم
أنتم سمعتم ما أجابوا به للصابغ أولئك أظهروا كل بحث واستبحثوا عن
كل ما أرادوا فكافة الاوهام التي توهموها قالوها له ومع ذلك
فقد اعترف بمجاهرة كثيرة انه ليس هو المسيح ولا ايليا ولا النبي وما
وقف عند هذه الاقوال لكنه علم من هو وبين ذلك بكلامه من المعنى في
طبيعة صبغته انها صغيرة حقيرة ان تملك شيأ أكثر من الماء ووصف

سمو المعمودية المعطاة من المسيح واقتادا أشعيا النبي شاهدا من أعلا الزمان
قبل زمان كثير اذ سمى المسيح ربا ودعاه هو خادما له وأما ههنا فما الذي قد
وجب عليك أليس قد وجب ان تصدق المشهود له وتسجد له وتعترف
انه الهك والبرهان على ان الشهادة ما كانت من دكازة لكنها كانت من
صدق وحقيقة فقد أوضحها حال الشاهد بها او فلسفته وذلك بين
أيضا من تلك الجهة اذ أحدنا ليس يشاء ان يفضل قريبه على ذاته ولا
عمكان توهب له كرامة فيحيلها الى غيره ويكون هذا المقدار الجزيل
مقدارها فيجب من ذلك ان ولا يوحنا كان أبرز هذه الشهادة للمسيح
لوكان ليس هو الها لانه وان كان قد دفعها عن ذاته من جهة انها كانت
أعظم من طبيعته الا انه ما كان يضعها أيضا الطبيعة أخرى أذل محلا وقال
قد وقف في وسطكم الذي ما عرفتموه أنتم لانه قد كان لائقا به ان
يختلط بالشعب كواحد من الكثيرين لانه يعلمنا في كل مكان السجية
الخالية من الصلف والتفخيم والمعرفة ههنا يريد بها المعرفة البالغة كقولك
ما قد عرفتم من هو ومن أين هو ومعنى الجائي ورائي قد ذكره ذكرا متصلا
فقد قارب بذلك ان يقول لا تظنوا ان جملة المطلوب موضوعة في المعمودية التي
لي فلو كانت تامة لما كان قد جاء آخر بعدي يخولكم معمودية
أخرى لكن هذه المعمودية استعداد لتلك وتطريق لها فأفعالي
ظل وصورة ويجب ان يجيء آخر واضعا الحق فيجب من ذلك ان
يكون قوله الجائي ورائي بين به أكثر بيانا رتبته لان لو كانت هذه الصبغة
كاملة لما طلب موضع صبغة ثانية وقد صار قبلي ومعنى ذلك هو
أكرم قدرا مني وأبهى محلا ثم حتى لا تظنوا ان سمو المسيح يوجد من مقايسته
به ولا يثاره ان يبين سمو الفائت المقايسة استثنى قائلا الذي لست أنا
بمستحق ان أحل سيور حذائه يعني قال ليس هو صار امامي على بسيط ذلك

لكن

لكن على هذا المثال الذى تقديره انى لست أوجد مؤهلا ان أعد ولا فى خدامه الآخرين لان معنى حل الشسع هو الخدمة الاخيرة

العظة السادسة عشر

طعن على الكبرياء والايسار وحث على الصدقة

فلئن كان يوحنا ليس مؤهلا ان يحل شسع حذائه وهو الذى ما صار فى المولودين من النساء أعظم منه فاين نرتب نحن ذواتنا ان يكن عديل المسكونة وأوجب ما يقال وأعظم منها (لانه قد قال من أفاضل أهلها ان العالم ما كان عديلا لقيمتهم) قد قال انه ليس يوجد مؤهلا ان يعد ولا يحسب فى جملة الآخرين من خادمى ربنا فما الذى نقوله نحن المملوؤون من أعمال ردية جزيل عددها الناقصون بهذا المقدار عن فضيلة يوحنا الصابغ بمقدار ما تنقص الارض عن السماء فهذا الفاضل قال عن ذاته انه ليس مؤهلا ولا ان يحل شسع حذائه وأما أعداء الحق فصرعوا صرعا هذا المقدار مقداره حتى انهم يقولون عن أنفسهم انهم مؤهلون ان يعرفوه كما قد عرف هو ذاته فالذى يكون أشر من هذا الصرع ما الذى يوجد أشد جنونا من التجبر والكبرياء ولقد قال رجل حكيم قولا صائبا ان ابتداء الكبرياء لا يعرف صاحبها ربه (سيراخ ص ١٠ ع ١٤) ولعمرى ان ابليس الحال ما كان أهبط وسقط ولا كان محالا أولا لولا انه انسقم بهذا السقم هذا السقم أخرجه من تلك الدالة هذا الداء ارسله الى جهنم هذا السقم صار له علة الافعال الردية كلها لان فيه وحده كفاية ان يفسد فضيلة نفسنا كلها ولو وجد لها صدقة ولو صادف لها صلاة ولو وجد لها صوما ولو وجد لها مهما كان من الفضائل أفسده لانه قد قال ان العزم المترفع فى الناس نجس عند الله وليس من عادة الزنا

فقط ولا في طباع الفسق ان يدنس مستعمله لكن الكبرياء أيضا تدنس
مستعملها أكثر من الزنا والفسق بكثير وان سألت لم ذلك أجبتك
لان الزنا وان كان فعلا رديا خائبا من العفو الا ان صاحبه مع ذلك يتجه ان
يقول شهوته كانت علته فاما الكبرياء فليس يجد صاحبها علة يوردها
لها ولا حجة مهما كانت تمتلك لاجلها ظلا من عفو فليست الكبرياء
عارضا آخر الا انقلاب نفسنا وسقمها الاصعب من جميع الاسقام وليست
متولدة ولا من جهة من الجهات الا من غباوتنا وجهالتنا لان ليس
يوجد أعدم فهما من انسان متكبر ولو كان مشتملا ثروة ولو كان
مالكا الحكمة التي خارج محلتنا كثيرة وحاصلا في اقتداره ولو كان
حاويا الحظوظ كلها المظنونة عند الناس انها مرغوب فيها محسودة ولئن
كان من يستعظم بالمحامد المستحقة بالحقيقة فانه يكون شقيا خائبا قد
أضاع ثوابها كلها فمن يترفع في الاحوال التي ليست توجد شيئا الاشبه
ظل وزهر الحشيش لان هكذا هو الشرف الحاضر فالذي ينتفخ به ويصلف
ذاته كيف لا يكون أحق من كل الناس بالضحك عليه لانه يشبه
مسكينا فقيرا ذائبا بالجوع طول زمانه ان عرض في بعض أوقاته ان
يبصر في ليلة واحدة مناما صالحا صار لاجله مبتذخا فيا شقيا منكودا
حظه نفسك فيك مفسودة بسقم أشد الاسقام ضنكا مفتقرة فقرا واصلا
الى غايته وأنت تتعظم في عقلك بانك تمتلك من الذهب أوزانا مبلغها
كذا وكذا وانك تستقني جماعة من المماليك الا ان هذه الاملاك
ليست لك وان لم تقبل أقوالي فاعرف ذلك مما قاساه الذين سلف انصرافهم
من الدنيا فان سكرت هذا السكر الذي ينتهي بك الى ان لا تتأدب من
هذه العوارض العارضة لاناس آخرين فتمهل قليلا وتعرف بما يعرض
لك ان ليس لك من هذه صنف نافع حين تنتزع نفسك وما تكون

مالكا

مال كساعة صغيرة ولا لحظة حقيرة وتبذر هذه الاملاك الى أناس آخرين كارها وربما لا تكون تشتهي هؤلاء ان يملكوها لان كثيرين ما سمح لهم ان يتصفحوا أحوالهم لكنهم ذهبوا على غفلة وقد كانوا أرادوا ان يتمتعوا باملاكهم فما سمح لهم ذلك لكنهم اجتذبوا وغيبوا من حضور أهلهم وأصدقائهم عندهم فاطلقوها عند كراهيتهم وأباحوها الاناس ما أرادوهم ان يملكوها فلكيلا يصيبنا هذا المصاب سبيلنا مادمنا ههنا اصحاء معافين ان نرسلها الى مدينتنا فاننا على هذه الجهة وحدها نستطيع ان نستمتع بها وليس يمكننا ان نتمتع بها على جهة أخرى غيرها البتة فعلى هذه الطريقة نخزنها في مكان حريز ناج من السلب لان ليس يوجد هنالك ولا يصادف صنف من الاصناف القادرة ان تسلبها منا وليس يوجد هنالك موت ولا مواثيق كاذبة ولا خلوف وارثين ولا سعيان واغتيالات لكن المنصرف من ههنا المتزود زادات كثيرة يستثمرها هو كل حين دائما فمن يكون بهذه الصورة شقيا ينتهي في زوال توفيقه الى ان لا يشاء ان ينتعم باموالة كلها فينبغي لنا ان ننقل ثروتنا ونخزنها هنالك فليس نحتاج حميرا أو جمالا ولا مركبات وعجلات ولا سفنا لننقلها الان الهنا قد أراحنا من صعوبة هذا الاهتمام لكننا انما نحتاج الى فقراء وحدهم من المساكين ومن العرج والعميان ومن ذوي العاهات من السقما هؤلاء هم الذين قد فوض اليهم نقل أموالنا الى السماء هؤلاء يوجرون أصحاب هذه الاموال الى ميراث النعم الصالحة الدهرية الذي فليتفق لنا كلنا امتلاكه

بنعمة ربنا يسوع المسيح ونعطفه الذي به ومعه

لابيه المجد مع الروح القدس الآن ودائما

والى آباد الدهور كلها

آمين

المقــــالة السابعة عشر

فى قوله (٢٨) هذه الخطوب صارت فى بيت عنيا جائز الاردن حيث كان يوحنا يعمد (٢٩) وفى الغد ابصر يسوع جائيا اليه فقال ابصر حمل الله الحامل خطايا العالم

ان مجاهرة أحدنا واصلاحه فهما ووضعه الحوادث كلها ثانية لاعترافه بالمسيح لعمل صالح كبير وهو عظيم عجيب بليغ فى تمثيل جلالته الى ان يشيد بمن هذه الحال حاله ابن الله الوحيد بحضرة أبيه على ان هذه المقابلة ليست بالسواء لانك أنت تعترف بحضر الناس فى الارض وهو يعترف بك فى السموات أنت تعترف به لدى أناس حاضرين وهو يعترف بك لدى أبيه وملائكته أجمعين ويوحنا فهذه السجية كانت سجيته ماهاب رهطا ولا شرفا ولا شيأ غيرهما من الاشياء الانسانية لكنه وطأ هذه العوائق كلها وأذاع عند كافة الحاضرين بحرية واجبة ماشهد به للمسيح لان لهذا الغرض وصف البشير المكان حتى يوضح مجاهرة النذير العظيم صوته لانه ما أشار به فى بيت ولا فى زاوية لكنه توجه الى الاردن وانذر به فى وسط جماعة الناس الحاضرين الذين اصطبغوا منه كلهم لان اليهود وقفوا به عند تعميده فنادى لديهم بذلك الاعتراف العجيب المملوء من تلك الاراء العالية التى يغتاص وصفها بالمسيح وقال انه ليس كفؤا ان يحل شسع حذائه لهذا الغرض قال البشير هذه الخطوب صارت فى بيت عنيا وما كان من النصح أبلغ استقصاء من

غيرها

غيرها يوجد فيها ان هذه صارت فى بيت عفارا لان بيت عنيا ليس موقعها
جائز الاردن ولا هى عند البرية لكن موقعها يقرب اورشليم ولعمرى ان
البشير بين المواضع لعلة أخرى لانه اذا اعتزم أن يصف أفعالا ليست قديمة
لكنها عارضة منذ زمان يسير جعل الذين حضروها وعاينوها شهودا
للاقوال التى قالها وخولهم برهانا من المواضع لانه لثقته انه مازاد من ذاته
لفظا فى الاقوال التى قالها لكنه انما وصف الحوادث التى حدثت كلها
على بسيط ذاتها وحقيقتها أخذ من المواضع الشهادة بها التى تصير برهانا
(على ماذكرت) ليس حقيرا لصدقها فقال وفى الغد أبصر يسوع جائيا
فقال أبصر حمل الله الحامل خطية العالم لعمرى ان البشيرين قد قسما
الاوقات فتى حذف الاوقات التى كانت قبل القبض على يوحنا الصابغ
واندفع الى الاوقات التى تتلوها ويوحنا البشير ثبت فى تلك الاوقات
أكثر ثباتا فذاك ذكر ماجرى بعد مجىء المسيح من البرية وألغى ماجرى
فى أثناء ذلك وصمت عما تكلم به يوحنا وعما قاله لليهود الذين أرسلوا
اليه وحذف جميع ماجرى بعد ذلك وانتقل فى الحين الى حبس يوحنا
لانه قال ولما سمع يسوع ان يوحنا قد أسلم الى الحبس انصرف من هنالك
وأما يوحنا فما عمل هذا العمل لكنه صمت عن طريقه الى البرية لان
متى كان قد وصفها ووصف ماجرى له بعد انحداره من الجبل واذ شرح
أوصافا كثيرة استثنى بقوله ان يوحنا لم يكن بعد محبوسا فى السجن
فان سألت ولم قال الآن ان يسوع جاء الى عنده وما قال هذا القول
دفعة واحدة لكنه قاله دفعتين ولعمرى ان متى قال ان مجيئه اليه كان
ضروريا بسبب اصطباغه لانه قال ان يسوع استثنى بقوله هذا لائق
بنا على هذه الجهة ان نتمم كل عدل الا ان يوحنا الصابغ عند مجىء يسوع
أيضا اليه قال بعد اصطباغه وبين هذا المعنى ههنا لانه قال أنا رأيت

الروح منحدرا بصورة حمامة وقد ثبت عليه فلم جاء الى عند يوحنا الا انه ماجاء على بسيط ذات المجيء لكنه مضى الى عنده لانه قال انه أبصره جائيا اليه فان استخبرت لم جاء الى عنده أجبتك اذ كان هو عمده مع كثيرين فحتى لا يظن ظان انه من تلقاء هذه العلة التي بها جاء الكثيرون من الناس الى يوحنا جاء هو أيضا اليه كقولك انه قصده معترفا بخطايا وانه انما جاء مستحما فى نهر الاردن لتوبة فوض الى يوحنا ان يتلافى هذا الظن ويصلحه لان قوله أبصر حمل الله الحامل خطايا العالم بطل هذا الظن كله وأزاله لان الظاهر على المثال الذى ينتهى تقديره الى ان يقتدر ان يطلق خطايا آخرين قد استبان واضحا انه ماجاء حتى يعترف بخطايا لكنه انما جاء حتى يعطى ذاك النذير العجيب حجة ان يحصل بها أبلغ تحصيلا فى الذين سمعوا اقواله الاولى التى قالها صوتا ثانيا ويزيدهم شهادة اخرى ايضا ومعنى قوله أبصر انما قيل لاجل التماس الكثيرين اياه غير مرة من تلقاء ما قيل فيه ومنذ حين طويل ولهذا المعنى لما حضر وأوراه للجمع فقال ابصر هذا هو المطلوب قديما هذا هو حمل الله وانما سماه حملا منذكرا لليهود نبوة اشعيا النبى وبالظل الذى فى كتاب موسى حتى يقتادهم ابلغ اقتيادا من الرسم الى الحق فذاك الخروف ما اخذ فى دفعة واحدة خطية احد الناس وهذا فاخذ خطية المسكونة كلها الا انها لما هلكت وتورطت فى الخطر استخلصها من رجز الله سريعا (٣٠) وهذا كان الذى قلت فى وصفه انه جاء ورائى وقد كان امامى أرأيت ولو فى هذا الموضع كيف يترجم قوله امامى لانه اذ قال خروفا وانه يحمل خطية العالم قال حينئذ انه كان امامى موضحا ان هذا هو معنى امامى أى اخذه خطايا العالم واعماده بروح القدس لان ورودى انا لن يحوى فعلا أكثر من الانذار بالمحسن المشاع الى المسكونة وايزاع الصبغة بالماء وورود

هذا يحوى فعله ان يطهر الناس كلهم وان يهب لهم فعل المعزى قال وهذا
قد كان امامى ومعنى ذلك هو انه استبان ابهى منى لمعانا لانه كان
أولا لى متقدما على فليستحى خلفاء بولس السميساطى ومقتبلى جنونه
المعاندين حقا ظاهرا بهذه الصورة واضحا فقد قال يوحنا (٣١) وانا
ما كنت اعرفه فقد جعل شهادته فى هذا الموضع عديمة ان تكون متهمة
اذا وضحها انها ليست من صداقة انسانية لكنها صادرة من استعلان الهى
لانه قال (ما كنت اعرفه) وأنا أخاطبه فكيف تكون شاهدا مؤهلا
للتصديق كيف تعلم أناسا آخرين اذا كنت جاهلا به الا انه ما قال ما عرفته
لكنه انما قال (ما كنت أعرفه) فيجب من ذلك انه بهذه الشهادة صار مؤهلا
لتصديقه كثيرا لانه كيف فرح بمن هو مجهول عنده لكن لكى يظهر لآل
اسرائيل لهذا الغرض جئت اذا صابغا فى الماء فربنا اذا ما احتاج الى
معمودية وذلك الاستحمام فما امتلك علة أخرى الا ان يطرق لباقى الناس
كلهم الايمان بالمسيح لانه ما قال انى جئت لكى أطهر المصطبغين ولا قال
انى جئت صابغا حتى اريحهم من خطاياهم لكن لكى يظهر لآل اسرائيل
ولعلك تقول أفما كان يمكنه خلوا من التعميد ان ينذر به و يقتاد الجموع على
هذا المأخذ بايسر مرام فاجيبك لم يكن ذلك ممكنا البتة لانه لو كان نادى
وانذر خلوا من معمودية لما كان أهل ذلك البلد تقاطروا اليه كلهم على
هذا المثال فى كثرتهم ولا كانوا عرفوا من المقايسة بينهما سموا أحدهما
ولعمرى ان كثرة الشعب خرجت اليه ليس اذ سمعوا الاقوال التى قالها لكنهم
انما خرجوا اليه يصطبغون و يعترفون بخطاياهم ولما جاؤا الى عنده
علمهم وعرفهم ما شهد به فى وصف المسيح والفرق بين المعمودية التى له والتى
للمسيح على ان معموديته كانت أشرف من المعمودية اليهودية ولهذا
السبب تبادروا اليه كلهم الا انها مع ذلك على هذا المثال قد كانت خائبة

من تمامها الآن ان سألته فكيف عرفته قال لك عرفته بانحدار
الروح عليه وحتى لا يظن أيضا ظان انه كان محتاجا الى الروح مثل
ما نحن نحتاجه اسمع كيف يبطل هذا الظن اذ بين ان انحدار الروح
عليه ومجيئه انما كان لينذر بالمسيح لانه لما قال وأنا ما كنت أعرفه
استثنى بقوله لكن الذى أرسلنى أعمد بالماء ذاك قال لى على من ترى
الروح منحدرا وثابتا عليه ذاك هو الصابغ بروح القدس أرأيت
ان هذا الفعل كان فعل الروح ان يرى المسيح لان شهادة يوحنا كانت
مدعة ان تكون متهمة ولا يثاره ان يجعلها مؤهلة للتصديق أكثر من غيرها
أعلاها الى الله والى الروح القدس لانه اذ كان قد شهد على هذه الجهة
شهادة عظيمة عجيبة فيها كفاية ان تريع سامعيه ان المسيح وحده يأخذ
خطايا المسكونة كلها وان جسامة موهبته تحوى لفداء هذا مقداره
جزيل أصلح فيما بعد قضيته هذه وبرهنها واصلاحه اياها هو قوله
ان المسيح هو ابن الله وانه ما احتاج الى معمودية وان فعل انحدار الروح
انما صار حتى يصيره بينا واضحا فقط لان ما كان لقوة يوحنا اقتدار ان
يعطى روحا وهذا المعنى بينة على الذين اصطبغوا منه اذ قالوا الا اننا ما
سمعنا ان كان الروح القدس موجودا فالمسيح اذا ما احتاج الى المعمودية
ولا الى شئ غيرها لكن المعمودية احتاجت الى قوة المسيح لان نقصها
هذا كان وهو هامة الخيرات كلها وذلك هو ان يؤهل المصطبغ للروح
فلما جاء هو زادها منحة الروح هذه الجليلة (٣٢) وشهد يوحنا قائلا انى
عاينت الروح منحدرا عليه بصورة حمامة وقد ثبت عليه (٣٣) وأنا
فما كنت أعرفه لكن الذى أرسلنى أعمد بالماء ذاك قال لى على من
تبصر الروح منحدرا وثابتا عليه فهذا هو الصابغ بروح القدس (٣٤)
فانا قد رأيت وشهدت ان هذا هو ابن الله فالصابغ يوحنا قد وضع

ما

ما كنت أعرفه وضعا متصلا فان سألت فلم ذلك ولماذا فعل
ذلك أجبتك انه كان مناسبا له فى ذات الحكم لان الملاك قال ها هى
نسيبتك اليشبع حاملة ابنا فلكيلا يظن به انه يتعمد اليه بسبب المناسبة
قال ما كنت أعرفه وهذا فعرض برأى صائب لانه أقام زمانه كله
فى البرية خارجا عن بيت أبيه ولعلك تقول فان كان ما عرفه قبل انحدار
الروح وان كان حينئذ ما عرفه أولا فكيف منعه قبل اصطباغه قائلا
قائلا انى محتاج ان اصطبغ منك فهذا القول دليل على انه قد كان يعرفه معرفة
بليغة فنقول فى ذلك الا انه ما كان يعرفه فيما سلف ولا قبل زمان كثير
وذلك على جهة الواجب لان العجائب التى صارت لما كان صبيا كقولك
العجائب التى حدثت فى ورود المجوس وغيرها مما يناسبها التى كانت
قبل زمان كثير كلها حدثت وكان يوحنا صبيا اصغر جدا وقد سلف
فى أثناء ذلك الزمان كثير فعلى جهة الواجب كان ربنا مجهولا عندهم كلهم
والا فلو كان معروفا لما كان قال لكى يظهر لاسرائيل لهذا الغرض
جئت صابغا فمن هذه الجهة يستبين واضحا عندنا ان تلك الآيات التى
يقولون انها آيات المسيح فى حين صباه هى كاذبة واختراعات أناس دخلين
لانه لو كان ابتدأ منذ سنة الاول يجترح آيات لما كان جهله لا يوحنا بعينه
ولا كان جماعة الشعب فيما بعد احتاجوا الى معلم يظهره لهم فقد قال
الان يوحنا انه لهذا الغرض جاء ليظهر لآل اسرائيل فان قلت فكيف
قال أنا المحتاج ان تعمدنى أنت وكانه اذ عرفه أخيرا أبين معرفة انذر به عند
الجميع قائلا هذا كان الذى قلت انه سيجىء ورائى رجل قد كان امامى وان
الذى أرسلنى أعمد بالماء لهذا الغرض أرسلنى لكى يظهر عند آل اسرائيل
وهو قد أعلمه له قبل انحدار الروح عليه ولذلك قبل ان يجىء الى عنده
قال سيجىء ورائى رجل قد كان امامى قلت لك ان يوحنا قبل ان يجىء الى

الاردن ويعمد كل من قصده ماعرف ربنا ولكن حين اعتزم ان يصطبغ حينئذ عرفه وذلك لما أعلنه أبو يوحنا النبي وأراه لليهود الروح عند اصطباغه وصار انحدار الروح لاجلهم لان حتى لاتستحقر شهادة يوحنا القائل انه كان متقدما علي وانه يعمد بروح القدس وانه يحكم على المسكونة أبدى أبوه صوته منذرا بابنه وتلا الروح صوته منحدرا الى رأس المسيح لانه لما كان يوحنا قد عمد والمسيح قد عمد فلكيلا يتوهم متوهم من الحاضرين ان القول الذي قيل من أجل يوحنا قيل جاء الروح متلافيا هذا التوهم فيجب من ذلك ان يوحنا اذ قال انني ما كنت أعرفه انما يقول الزمان السالف ليس زمان صبغته القريب والا فكيف منعه قائلا انا المحتاج ان تعمدني أنت كيف قال في وصفه هذه الاقوال وأمثالها ولقائل ان يقول فكيف ما آمن به اليهود وصدقوه لان ليس يوحنا وحده أبصر الروح بصورة حمامة فنقول له ان هذه البدائع وأمثالها تحتاج الى عيني جسمنا فقط لكنها تحتاج قبلها الى بصر سريرتنا أيضا حتى لا تظن ان الحادث خيالا زائدا ولئن كانوا قد أبصروه مجترحا عجائبه لامسا بيديه السقيمين والمائتين معيدا اياهم على هذه الجهة الى حياتهم والى عافيتهم فاسكرهم حسدهم سكرا بلغ تقديره الى ان حكموا باضداد العجائب التي أبصروها فكيف كانوا من حلول الروح وحده قد حذفوا كفرهم والتصديقهم وقد قال قائلون ان الروح ما عاينه الحاضرين كلهم لكن انما عاينه يوحنا وحده والذين كان عزمهم أخلص من غيرهم لانه ان كان ممكنا ان يبصر الروح منحدرا بصورة حمامة باعين محسوسة ولكن ليس يلزم لهذا الغرض بكل الضرورة ان يكون انحداره واضحا لجميع الحاضرين وذلك ان زخريا النبي قد عاين أشياء كثيرة ببصر محسوس ودانيال وحزقيال أيضا وما اشتركوا أحدا من الناس شريكا لهم في معاينتهم وموسى

فقد

فقد رأى صنوفا كثيرة لم يبصرها ولا واحد من الناس الآخرين والتجلي الكائن على الطور ما استمتع به التلاميذ كلهم ومع ذلك معاينته في حين قيامته ما تمتعوا بها كلهم ولهذا المعنى بينه بيانا شافيا لوقا البشير بقوله انه أظهر ذاته للشهود الذين انتدبهم الله سالفا قال يوحنا وأنا قد رأيت وشهدت ان هذا هو ابن الله فان قلت وأين شهد ان هذا هو ابن الله لانه قد سماه خروفا وذكر انه سوف يعمد بروح القدس وما ذكر البتة انه ابن الله على ان البشيرين الآخرين ما كتبوا انه قال بعد تعميده اياه قولا فيه لكنهم صمتوا عن ما في اثناء ذلك وكتبوا عجائب المسيح الكائنة بعد القبض على يوحنا أجبتك من هذه الافعال يتجه لنا ان نحدس حدسا واجبا انهم قد ألغوا هذه الاقوال وأمثالها أكثر منها بكثير وهذا المعنى فقد أوضحه هذا البشير بعينه بما قاله عند تمام البشارة التي صنفها لانهم ابتعدوا ابتعادا جزيلا تقديره من ان يختلقوا قولا عظيما في وصفه لان الافعال المظنونة انها تجتاب عارا وصغرها كلهم فيما كتبوه بابلغ الاتفاق وبكافة الاستقصاء واست تجد ولا واحدا منهم قد صمت ولا عن صنف من هذه الاصناف وأما عجائبه فبعضها أهملها بعضهم وبعضهم ذكرها وبعضها أيضا صمتوا كلهم عنها فهذه الاقوال ذكرتها ليس على بسيط ذكرها لكنني قلتها طعنا على وقاحة الاوثانيين لان غرضهم هذا ايضاح كاف لسجيتهم المحبة للصدق بيين انهم لم يقولوا قولا يعتمد تمجدا وموضوع أقوال البشيرين هذا بعينه تقتدرون ان تشتملوه سلاحا مع الحجج الاخرى للطعن عليهم أعني الاوثانيين

العظـــــة السابعة عشر

في انه يجب علينا ان نعرف الحجج عن أماننا معرفة بالغة حتى نقتدر ان نجاوب الذين يسألوننا عنها

لان منكرا علينا ان يكون الطبيب يجتهد أبلغ الاجتهاد فى صناعته والحداد والنساج والذين يمارسون كافة الصنائع على بسيط ذاتها ويكون القائل انه سيجىء ليس يمكنه ان يقوم بالحجة على أمانته على ان تلك الصنائع اذا غفل وأعرض عن التمهر فيها أورد ذلك الخسارة الى الاموال وحدها وأما براهين أمانتنا اذا توانينا فيها أفسد ذلك نفسنا بعينها فينا الا اننا مع ذلك قد حصلنا أشقياء على هذا المثال الذى قد بلغنا فيه الى ان نوزع تلك الصنائع كافة حرصنا واجتهادنا والعلوم اللازمة الضرورية التى هى سبب خلاصنا نتهاون بها كانها ليست مؤهلة لصنف من الاهتمام وفعلنا هذا ليس يترك الاوثانيين ان يضحكوا باسراع على ضلالتهم لانهم اذا كانوا متمكنين فى الكذب يعملون كل ما يمكنهم حتى يستروا خزى رأيهم واعتقادهم ونحن الخادمون الحق ما يمكننا ان نفتح فمنا فيكف ما يذمون كثرة ضعف معتقدنا كيف ما يتوهمون ان فرائضنا خدعة وحماقة كيف ما يجدفون على المسيح ويحلونه محل مداهن ومخادع مستعملا غباوة الكثيرين فى اختداعهم ونحن هم علل هذا التجديف اذا ما نشاء ان نسهر فى البحث فى الاقوال والحجج عن شرف ديننا لكننا نجعل هذه العلوم منحرفة عن قصدنا اذ نهتم باعمال الارض واذا أحب أحدكم راقصا أو رائضا أو مصارعا للوحوش يحرك كافة عزائمه ويعمل كل حيلة حتى لا ينصرف فى اجتهادات احتجاجية عنه دون غيره وتنظمون لهم مدائح ملوالا طاعنين على ثالبيهم وتؤلفون احتجاجا عنهم وترشقون مضاديهم بمثالب جزيل عددها ومتى ما حضرت أقوال فى معنى الديانة المسيحية أطرقتم الى أسفل كلكم وحكيتم رؤسكم وتثاءبتم وانصرفتم اذا ضحك عليكم وكيف لا تكون هذه الافعال مؤهلة لسخط جزيل تقديره اذا كان المسيح يستبين عندكم أهون قدرا من راقص أو رائض اذا كنتم درستم حججا كثيرة جزيل عددها عن الافعال الكائنة

باولئك على انها أقبح الافعال وأشنعها وما تستحيزون ان تظنوا بمعنى واحد
فى وصف عجائب المسيح على انها هى التى استجذبت المسكونة الى الايمان
ولا تهتموا بذلك أكثر ما تقولون فنحن نؤمن باب وابن و روح قدس ونصدق
قيامة اجسادنا والحياة الدهرية فان سألكم سائل ماهو هذا الاب ماهو
هذا الابن ماهو هذا الروح القدس ها أنتم قد قلتم ثلاثة آلهة وتشكون
منا كثرة الالهة عندنا فما تقولون له ما الذى تجاوبونه به كيف تستطيعون
رشق هذه الاقوال ماذا تعملون اذا سكتتم فاورد عليكم سؤالا آخر أيضا مستخبرا
منكم ماهى هذه القيامة بجملة تحديدها وهل بهذا الجسد نقام أيضا أم
بجسد غيره وان كنا نقام بهذا الجسد فما الحاجة الى تفسخه وتحليله فما
الذى تقولونه ردا على هذه الاقوال أو ماذا تقولون ان قال لكم لم جاء المسيح
الآن وما جاء فى الازمان السالفة فهل الان ارتأى رأيا صائبا عنده ان يعتنى
بالناس وتهاونهم مدى زمان آخر كله و يستبحث مع هذه المسائل عن مسائل
أخرى أكثر منها لان ليس يلزمنا اضطرارا ان نضيع مطالب ومسائل
يتلو بعضها بعضا كثيرة ونصمت عن حلها حتى لا نضر بذلك الا كثرين
سذاجة من غيرهم لان هذه المسائل التى قد ذكرناها فيها كفاية ان تنقض
النوم عنكم ما الذى تعملون اذا استبحثوكم عن هذه المسائل وأنتم فما
قد اقتدرتم ان تسمعوا ألفاظها قل لى ترى نقاسى تعذيبا يسيرا اذا صرنا
محلا لضلالة هذا مبلغ كثرتها للجالسين فى الظلام قد كنت أشاء لو استمعتم
بفراغ كثيرا ان أحضر الى وسطكم كلكم مصحفا لفيلسوف أو ثانى نجس مقولا
فى الرد علينا ومصحفا غيره لفيلسوف آخر أقدم منه أيضا حتى انهضكم على
هذه الجهة واستميلكم من كثرة عجزكم فان كان أولئك قد سهروا أوقاتا
جزيلا تقديرها حتى تقولوا ما يطعنون به علينا فلاى معنى نكون نحن
مؤهلين اذا لم نعرف ان نسالم ونداقع رشق طعنهم علينا ولم خلقنا ألم نسمع من

الرسول القائل كونوا مقتدرين الاحتجاج لكل من يسألكم جوابا عن الرجاء الحاصل فيكم (بطرس أولى ص ٣ ع ١٥) و بولس يوصينا هذه الوصايا بأعيانها بقوله كلام المسيح فليسكن فيكم بغزارة (كولوصايس ص ٣ ع ١٦) ولكن اسمع مايقوله الاعدمون نطقا من النحل الباطل جوابا لهذه الاقوال ان النفس المباركة بسيطة كلها والسالك بغريزة بسيطة يسلك واثقا مطمئنا (أمثال ص ١٠ ع ٩) فاجيبهم ان هذا العزم علة الافعال الردية كلها لان الكثيرين منا مايعرفون ان يوردوا شهادات الكتب على واجبها وذلك ان الحكيم ماذكر في هذه الالفاظ من كان فاقد الفهم ولا اعتمد من كان لا يعرف علما لكنه انما اعتمد بقوله هذا من كان قد عدم ان يكون خبيثا ومن ليس هو عاملا الشر ومن كان فهما فطونا والا فلو كان ماهذا معناه لكان قول ربنا فضلة زائدة وهو كونوا فطونين كالحيات وساذجين كالحمام ولكن ماحاجتي ان أقول هذه الاقوال اذا كان هذا الكلام ليس ينتهي الى اهتمام واجب ومع هذه المناقص التي ذكرناها فولا النقائص الآخر نقائص معيشتكم وحياتكم قد اصطلحت لنا لكنكم من سائر الجهات أشقياء مفضوح عليكم يتيسر لكم دائما أن يتعالل بعضكم ببعض فقد حصلنا عاجزين عن اصطلاحنا وعن تلافي العيوب التي تنسب العلة فيها الينا ونشكي بها فلهذا السبب أتضرع اليكم أن لا نثبت الآن صائرين الى تقريعنا ذواتنا فقط لان هذا التقريع ليست فيه كفاية أن يستغفر الله لنا لكن سبيلنا أن نظهر انتقالا جيدا من كافة حالاتنا لكن نعيش لتمجيد الله بنا ونستمتع بالمجد المنتظر كونه الذي فليتفق لنا كلنا امتلاكه بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفه الذي له المجد الى آباد الدهور كلها آمين

المقالة

المقـــالة الثامنة عشر

في قوله (٣٠) وفي الغد ايضا وقف يوحنـا واثنان من تلاميذه واذ ابصر يسوع ماشيا فقال هذا حمل الله فسمعه تلميذاه قائلا هذا القول ولحقا يسوع

ان طبيعتنا الانسانية لوانية بجهة من الجهات وسريعة الجنوح الى هلاكها وليس ذلك من جهة تركيب طبيعتها لكنه من جهة ونية اختيارها ولهذا المعنى تحتاج الى اذكارات كثيرة وقد قال بولس وايثارى ان اكتب اليكم أقوالا هي هي باعيانها ليس يجـلني عاجزا وذلك لكم حياطـة وافيـة (فيـلبي ص ٣ ع ١) لان الارض اذا تسـلمت البـذور دفعـه واحدة أينعت بعد ذلك أثمارهـا وما تحتاج الى طرح البذور دفعة ثانية فيها وليس يجـري الحـال في أنفسنا هـذا المجرى لـكن فعلا محبو با ان نزرع فيها دفعات كثـيرة وان نظهر اهتماما كثـيرا لنقتدر ان نتسلم ثمرتهـا دفعـة واحدة فاولا لان باشد صعوبة تتمكن في سريرتنا الاقوال التي تقـال لنا لاجل ارتساخ القساوة فينا كثيرا وتشبكنا باشواك جزيل عـددها متـكاثفة فينا ولان الذين يغتالون علينا ويختطفون البذور منا كثيرين وبعـد ذلك اذا تمـكن الزرع وتأصـل يحتاج الى هـذا الحرص بعينه أيضا الى ان يبلغ نشره واذا وصـل الى نشره يحتاج الى هذه الصيانة

ليبقى سالما لئن يلحقه ضر ولا يضره صنف من الاصناف الضارة لان البذور
من الحنطة اذا تكاملت السنبلة منها واستمدت قوتها واكتنزت
طبيعتها بخصبها ان تحتقر باسرها مرام الشرب والقحط والعوارض الاخرى كلها
ولن يجري الحال في الاراء والاعتقادات هذا المجرى لكنها بعد ان تعمل
كل ما يحتاج اليه فيها عملا تاما ربما وافاها شتاء واحد وزوبعة مداهمة
فاهلكتها واذا صادمتها صعوبة الاحوال وقارعها أناس يعرفون ان
يغتالوا عليها وداهمتها محن أخر مختلفة ألوانها أفسدتها فهذه الاقوال
قلتها ليس على بسيط ذات القول لكنني قلتها حتى اذا سمعت يوحنا الصابغ
قائلا أقوالا هي هي باعيانها الا تتوهمها هذيانا ولا تظنها انها فضلة زائدة
مستثقلة لانه قد كان يشاء ان نستمع اذا قالها دفعة واذ كان الكثيرون
من الناس ما أصغوا من الابتداء الى الكلمات التي قالها بسبب نومهم
الكثير نبههم أيضا بصوت ثان وتأمل هذا قال الجائي ورائي كان امامي واني
لست كفوا ان أحل شسع حذائه وان هذا يعمد بروح قدس ونار وانه
عاين الروح منحدرا بصورة حمامة عليه وشهد هذا هو ابن الله فما أصغى أحدهم
الى قوله ولا سأله ولا قال له ما بالك تقول هذه الاقوال ولاجل من تقولها وقال
أيضا أبصر حمل الله الحامل خطية العالم ولا على هذه الجهة لذع زوال
حسهم فلهذا السبب اضطر الى ان يقول تلك الاقوال باعيانها أيضا
فكانت سجيتهم عنده سجية أرض صلبة جاسية لينها بفلاحته وأنهض
تمييزهم الطيني بكلامه كمن يحرثه بتقن حتى يلقي زروعه في قعره ولهذا
الغرض أسهب كلامه طويلا لانه اجتهد في غرض واحد وهو ان يقدمهم
الى المسيح ويلصقهم به لانه عرف انهم اذا اقتبلوا قوله هذا وقبلوه منه
ما يحتاجون فيما بعد الى الشاهد له وهذا الغرض فقد كان لان السمرة
ان كانوا قالوا للامرأة بعد استماعهم منه لسنا نؤمن به أيضا لاجل كلامك

لانّنا نحن قد عرفنا ان هذا هو المسيح مخلّص العالم (يوحنا ص ٤ ع ٤٢)
فتلاميذ يوحنا كان يليق بهم أكثر ان يصطادوا سريعا وهذا
قد تمّ وكان لانهم لما ذهبا معه وسمعاه عيشة واحدة ما رجعا الى يوحنا
أيضا لكنهم التصقوا به التصاقا أوصلهما الى أن اقتبلا خدمة يوحنا
وأندراوس بهما لانه قال ان هذا وجد سمعان أخاه وقال له قد وجدنا
ماسيا الذى تأويله المسيح وانظر لى الى ذلك المعنى ان الصابغ حين قال
الجائى ورائى كان امامى واننى لست كفؤا أن أحل شسع حذائه ما اقتنص
بهذا الكلام أحدا وحين تكلم فى وصف تدبيره وحط كلامه الى أذل
درجاته حينئذ لحق تلميذاه المسيح وليس ينبغى أن نتأمل هذا المعنى فقط
لكن سبيلنا أن نتأمل ان الكثيرين من الناس لم ينقادوا الى الله هذا
الانقياد السريع حين قال يوحنا فى وصفه وصفا عظيما عاليا مثل
ما انقادوا لما سمعوا قولا صالحا متعطفا عاطفا الى خلاص الناس الذين
سمعوه لانهم سمعوا انه يحمل خطيئة العالم فبادروا فى الحين لانهم
قالوا ان كان يوحنا اغتسالنا من جرائمنا فلم نتباطى وقد حضر من يعتقنا
منها خلوا من اتعاب فيكف ليس تكون مدافعتنا موهبته من غباوة
واصلة الى غايتها فليسمع الموعوظون الذين يؤخرون خلاصهم الى أنفاسهم
الاخيرة فقد قال وقف يوحنا وقال أبصر حمل الله وما خاطبه المسيح
خطابا لكن يوحنا قال هذه الاقوال كافيا وهذا الحادث يحدث فى باب
الختن ليس يقول هو حينئذ للعروس قولا لكنه انما يحضر صامتا
وأناس آخرون يوضحون فضله وغير أولئك يسلمون اليه عروسه وهى انما
تظهر فقط وليس يأخذها هو من ذاته و يذهب لكنه يأخذها اذا دفعها
اليه غيره واذا أخذها مدفوعة اليه يجعل حالها هذا الحال التى توصلها
الى أن لا تتذكر الذين دلوا عليها واستزفّوها هذا العارض عرض فى فعل

المسيح جاء خاطباً للكنيسة فما قال هو قولا لكنه حضر فقط فوضع
يوحنا صديقه يمينه بأقواله في يد العروس وسلم اليه نفوس الناس فلما
تسلمها هو جعل حالها هذه الحال فيما بعد التي أوصلها الى أن لا ترجع أيضا
الى من دفعها اليه وما نتأمل في أفعاله هذه هذا المعنى فقط لكن يتجه
لنا أن نتأمل فيها فعلا آخر لان على نحو ما يعرض في فرائض التزويج ان
الجارية ما تمضى الى الختن لكنه هو يقتاد اليها ولو كان ابنا للملك ولو
اعتزم أن يتزوج امرأة حقيرة مطرحة ولو كانت خادمة هذا الحادث حدث
ههنا ما طلعت طبيعة الناس الى السماء لكنه هو جاء الى هذه الحقيرة
المطروحة المحتقرة ولما صار العرس ما تركها الختن أن تبقى فيما بعد
ههنا لكنه لما تسلمها اصاعدها الى بيت أبيه ولقائل أن يقول فما غرض
يوحنا في أنه ما أخذ تلاميذه وخاطبهم في هذه المعاني على انفرادهم ودفعهم
بعد ذلك الى المسيح لكنه قال لهم مع جميع الناس الحاضرين قولا شائعا
أبصر حمل الله فنقول لكيلا يتوهم عمله هذا من تغبية ومخاتلة لانه لو
كان هو تملقهم على انفرادهم وحالهم حال ممتنعين عليه بقبولهم منه لعلهم
كانوا قد ظفروا بأسراع منحرفين عن المسيح فالآن اذ رغبوا في لحوقه من
تعليم يوحنا الكائن مشاعا ثبتوا فيما بعد تلاميذ حقيقيين وحالهم حال
لا حقين المسيح ليس بمنة يمتنون بها على معلمهم لكنهم لحقوه لحوقا
خالصا ناظرين الى الفائدة الحاصلة لهم ولعمري ان الانبياء والرسل أنذروا
به غائبا فالانبياء أنذروا به قبل وروده بذات جسمه والرسل أنذروا
به بعد ارتقائه ويوحنا وحده أنذر به حاضرا ولذلك قال البشير انه
صديق الختن لانه هو وحده في العرس وهو عمل وحده كافة فرائض
العرس وتممها وهو فتح الابتداء لفعل خلاصنا واذ أبصر يسوع ماشيا
قال أبصر حمل الله لانه ما شهد للمسيح بصوته فقط لكنه شهد له مع ذلك

بعينه

زعينه واستعجبوه مسرورا مبتهجا ولم يجعل كلامه عاجلا على جهة التوسل
لكنه استعجب الحاضر فقط واندهل منه وأذاع لهم كلهم الموهبة التي جاء
يجود بها وبين حال التطهير لان معنى الحمل يبين هذين الصنفين كليهما
وما قال الآخذ خطية العالم أو الذى قد أخذها لكنه قال الحامل خطايا
العالم من طريق ان هذا الفعل لفاعله دائما لانه ما أخذ حينئذ
خطايانا حين تألم فقط لكنه منذ ذلك الحين والى وقتنا الحاضر يحمل خطايانا
ليس انه يحصل مصلوبا دائما لانه انما قدم عن خطايانا ذبيحة واحدة لكنه
بتلك الضحية الواحدة مطهرا ايانا دائما وكما ان البشير اذا قال الكلمة
فقط عرف بزنة الفاضلة واذا قال الابن فقد أظهر خاصته التي خالفت البنين
الاخرين فكذلك اذا قال الحمل والمسيح والنبي والنور الحقيقي والراعي
الصالح وكل ما يقال عليه بزيادة الحاشية التي هي الالف واللام في الاسم فقد
بين الحد المحدود كثيرا لان حملان كثيرة قد كانت وانبياء ومسيحين
وبنين لكنه هو قد انتزح عن أولئك كلهم بفرق كثير بينه وبينهم
وما استوثق في ذلك بهذه الحاشية فقط لكنه قد استوثق معها بزيادة الوحيد
لان بينه وبين الخليقة تسمية مشاعة مشتركة فان ظن ظان ان ذكر هذه
الحوادث في الساعة العاشرة يوجد وقتا منافرا للخطاب والتعليم لان هذا
الوقت كان حينئذ من ذلك اليوم لان البشير قال وكانت الساعة مقدارها
مقدار ساعة عاشرة فقد غلط على حسب ظني من هذا الظن ظنه جدا
لان الناس الكثيرين المتعبدين لجسمهم يقال فيهم على جهة انواجب ان
الوقت الذى بعد أكلهم ليس يوجد ملائما جدا الفعل من الافعال الضرورية
لاجل ان قلبهم يثقل بالاطعمة فاذا كان انسان في مكان ليس مستعملا
الطعام المشاع بين الناس لكنه بايت الى المساء بافاقة هذا تقديرها بمقدار
افاقتنا نحن بعد الغلس وأولى ما يقال بافاقة أكثر من المقدار بكثير لاننا

نحن فى اكثر أوقاتنا اذا بقيت فينا بقايا من الطعام المسائى نحتمل نفسنا وذلك ما ثقل سفينته بصنف من هذه الاغذية فعلى جهة الواجب يتكلم عند المساء فى هذه المعانى وامثالها ومع ذلك فيوحنا أقام فى الفقر عند الاردن فى المكان الذى كانوا كلهم يتبادرون الى المعمودية بدعوة كثيرة فيه مهتمين حينئذ بالحوايج العالمية اهتماما يسيرا وقد ثبت وامع المسيح ثلاثة أيام وكانوا فاقدين الاغتذاء لان هذا عمل نذير بليغ وفلاح مهتم حريص ليس يتعمد أولا الى ان يصير الكلام الذى قد غرسه مضبوطا ثابتا فان قلت فما غرضه فى انه ما طاف كل مكان من بادية اليهودية منذرا بالمسيح لكنه وقف عند النهر منتظرا مجيئه ويريهم اياه عند مجيئه أجبتك لانه شاء أن يصير تعريفه نافعاله والغرض المحروص عليه عنده كان أن يصيره عاجلا معروفا فقط وان يستميل اناسا الى سماع الحياة الدهرية واستقباله الشهادة الاعظم محلا التى باعماله على حذو ما قال هو انا لست أطلب شهادة من انسان الا الاعمال التى أعطانيها أبى تلك هى الشاهدة من أجلى وانظر كيف كان هذا التعريف أبين فعلا لانه اذا القى شرارة صغيرة ارتفعت النار الى العلو بغتة لان الذين لم يصغوا فيما سلف الى الاقوال التى قالها قالوا فيما بعد كافة الاقوال التى قالها يوحنا صادقة ومع هذه الاقوال لو كان قال هذه الاقوال جايلا لتوهم متوهم ان الحوادث الحادثة انما حدثت من حرص انسانى وكان انذاره يوجد مملوا توهما وظنا فسمع تلميذاه ولحقاه على انه قد كان له تلاميذ آخرون الا ان أولئك ليسوا ما لحقوا ربنا فقط لكنهم مع ذلك لبثوا يحسدونه لانهم قالوا ليوحنا يا معلمنا ذاك الذى كان معك جايز الاردن الذى شهدت انت له هاهو يعمد وجميع الذين ههنا يتبادرون اليه وقد استبانوا أيضا يشكونه اذ قالوا له ولم نحن نصوم وتلاميذك ما يصومون الا ان الذين كانوا أفضل من تلاميذه الاخرين ما عرض لهم

عارض

عارض هذا تأثيره لكنهم معما سمعا الحقاه ولحوقهم المسيح ليس مستحقرين معلمهما لكنهما الحقاه لحوق قابلين منه كثيرا ولعمرى ان مسارعتهما الى لحوقه دلالة عظيمة على تمييز أفكارهما القويم لانهما ما عملا هذا العمل لما تملقهما معلمهما وهذا فقد كان منهما لكنه لما تقدم فقال فعلة المستأنف فقط انه يعمد بروح قدس لحقاه فما انتزحا عن معلمهما لكنهما أرادا ان يعرفا ما الذى يورده اكثر من يوحنا وانظر الى حرصهم الصاير من استحيايهم واحتشامهم لانهما حين اقتربا من يسوع ما سألاه فى الحين عن أشياء ضروريه عظيمة على بسيط ذات السؤال وعلى ما اتفق علانية بحضور الحاضرين لكنهما اجتهدا أن يخاطباه على انفراد لانهما عرفا انها ليست ألفاظ تذال عزم لكنها كانت ألفاظ صدق وكان اندراوس أخو سمعان بطرس أحد الاثنين الذين سمعا ولحقاه ولقائل ان يقول ولما ما عرفنا البشير اسم الاخر فاقول له قد قال قائلون لاجل انه كان الكاتب هذه الاقوال واناس أخر ما قالوا هذا القول لكنهم قالوا ان ذاك ما كان من التلاميذ المعروفين وما احتاج أن يقول شيئا اكثر من أمر ضرورى لان ما الفائدة النافعة من معرفتنا اسم ذاك التلميذ اذ البشير ما قال لنا أسماء الاثنين وسبعين رسولا وهذا العمل قد عمله بولس الرسول لانه قال وقد أرسلنا معه الاخ اذ قد وجدناه دفعات كثيرة ممكننا فى الفضيلة فى جهات كثيرة الذى مديحه فى البشارة (قرنثية ٦ ص ٨ ع ٨ ١) واغماذ كراندراوس بسبب علة أخرى وان سألت وما هى أجبتك اغماذ كره حتى اذا سمعت ان سمعان لما سمع مع أخيه اتبعانى فاجعلكما صيادى الناس ولم يتحير من هذا الوعد البديع العجيب تعرف ان أخاه كان قد تقدم فالقى مبادى تصديقه وامانته (٣٨) فالتفت يسوع وأبصرهما تابعين اياه فقال لهما ماذا تطلبان من هذه الجهة نتأدب ونتعلم ان الهنا ليس يسابق بمواهبه ارادتنا لكننا اذا بدانا

نحن اذا نحولناه ان نشاء مواهبه حينئذ يعطيناها وأسباب خلاصنا كثيرة فقال
لهما ماذا تطلبان فان قلت فما المعنى فى هذا السؤال هل العارف قلوب الناس
الذى يغوص فى أفكارنا سأل هذا السؤال فاجيبتك ما سأل ليعرف لان
كيف يكون ذلك لكنه بسؤاله اياهما جعلهما يختصان به اكثر اختصاصا
ونحولهما من الدالة عنده اكثر قدرا و بين انهما وهلان للاستماع منه
لان قد كان لا تقابحالهما أن يخجلان ويرهبا من جهة انهما ما عرفاه وقد سمعا
معلمهما شاهدا من أجله شهادات هذا محلها فبسؤاله حل خجلهما وخوفهما
وأوهامهما كلها ومازكهم أن يصلوا الى المنزل صامتين على ان هذا
العارض قد كان عرض لو لم يستخبرهم لانهما لبثا تابعين اياه ماشيين فى أثره
و وقفا بالمنزل فجواب معنى لم سألهما هو هذا الذى قلته لايثاره اصلاح
وجاههما وسكن الفكر فيهما اذ كان خجلا مضطربا أيضا وأفادهما
ان يطمأنا أظهر شوقهما اليه ليس بلحوقهما اياه فقط لكنه بينه بسؤاله
اياهما لانهما اما كانا قد عرفا منه فعلا ولا سمعا منه قولا فسمياه معلما
ودخلا مع تلاميذه و بيناله العلة التى لاجلها لحقاه وهى حتى يسمعا قولا من
الاقوال النافعة وانظر الى فهمنا لانهما ما قالا له علمنا تعليما فى الاراء
والاعتقادات أو صنفا غير ذلك من الاصناف الضرورية لكنهما قالا اين
تقيم لانهما على ما تقدمت فقلت أرادا اذا قالا له قولا أو سمعا منه جوابا ان
تكون كلمهما بهدو وسكون ولذلك ما تباطيا ولا قالا نجىء على سائر
الاحوال غدا ونسمعه يخاطب الجماعة خطابا عاما لكنهما أوضحا حرصهما
الكثير الذى اشتملهما الى استماع خطابه بانهما لم يعطفهما الوقت عن ذلك
لانه اتفق انه كان عند غروب الشمس لان الساعة كان مقدارها مقدار العاشرة
من النهار ولهذا الغرض لم يصف لهما المسيح علامات المنزل ولا المكان
لكنه استجذبهما الى لحوقه اكثر موضحا انه قد اقتبلهما ولهذا المعنى ما قال

هذا

هذا الوقت الان هو وقت مناوِر لدخولكما الى المنزل ستسمعان غدا ما شئتما استماعه انصرفا الان الى منزلكما لكنه خاطبهما خطابا مثاله مثال خطاب اعتمد به اصدقاه الايقفين به زمانا طويلا ولقائل أن يقول فكيف قال واما ابن الانسان فليس يمتلك مكانا يسند رأسه اليه (لوقا ص ٩ ع ٥٨) وقد قال ههنا تبعاني وابصرا اين أقيم فنجيبه ان قوله انه ليس يمتلك مكانا يسند اليه رأسه هو موضح انه لم يقتن منزلا يخصه وليس دالا على انه ما سكن فى منزل لان المثل المشتمل على هذا القول يعتمد هذا المعنى فان قلت فقد قال البشير انهما أقاما عنده ذلك اليوم كله فلاى سبب ما استثنى أيضا بايضاح علة لحوقهما اياه أجبتك لانهما ما لحقاه لاجل قصد آخر ولا استجذبهما المسيح الا لاجل التعليم الذى استمتعا به هذا الاستمتاع بسعة وباوفر نشاطهما وفى ليلة واحدة أوصلهما الى ان بلغا فى الحين الى اقتناص أهلهما مع أناس آخرين

العظة الثامنة عشر

فى ان كل وقت ملائم للاستماع الالهى وفى انه يجب علينا أن نهرب من الاحاديث الضارة

ففى هذه الجهة نتعلم أن نجعل أشغالنا كلها بالاضافة الى الاستماع الالهى عملا منحرفا عن قصدنا ولا نظن انه يوجد ولا وقت واحد مناوِر له لكن ان احتجنا أن نذهب الى منزل غريب وان شئت أن تكون معروفا عند اناس معظمين قد كنت عندهم مجهولا وان بلغت الى آخر النهار وان كنت فى أى الاوقات كان فلا تتوان فى هذه التجارة أعنى استماع الاقوال الالهية فى وقت من أوقاتك لان الاطعمة والحمامات والغدوات والعشوات والافعال العالمية كلها فتمتلك الوقت المحدود لها وأما التعليم فى الفلسفة العلوية فما

يحوى وقتا محدودا ولا ساعة واحدة   ولكن كل وقت فليكن وقتا له لان
الرسول قد قال لتلميذه وبخهم أشهرهم لاطفهم في وقت يلائم ذلك وفي وقت
ينافره (تيموثاوس ٢ ص ٣ ع ٢) وقد قال النبي انه يتلو في
ناموسه نهارا وليلا (مزمور ١) وموسى فقد أوعز الى اليهود ان يعملوا
هذا العمل كل حين   لان المتع العالمية أعني الحمامات والغدوات
والعشوات اذا ما استعملناها استعمالا متصلا فمن شأنها أن تجعل جسدنا
ضاويا   وأما تعليم النفس فبمقدار دوامه واتصاله بقدر ذلك يجعل النفس
التي تقبله أوفر قوة فنحن الان قد أفرزنا زمانا كله لهذيانات واهذارات
خالية من المنفعة ونلتئم جموعا عند الغلس وعند الظهر والعصر والمساء
في باطل ونترك في هذا العمل مواضعنا ونجعل استماعنا للتعاليم الالهي
دفعة من الاسبوع أو دفعتين   ونكون متدوخين شباعى منها وان
سألت وما علة ذلك أجبتك لان حال نفسنا جعلناها حالا ردية   لاننا قد
فسخنا في الاعمال المذمومة قوتها المشتهية المرتاحة فلهذا السبب ما تمانى
معافاة توصلها الى اشتهاء الطعام الروحاني   لان هذا المرض مع أمراضها
الاخر كلها دلالة على سقمها عظيمة وهوانها ليست جائعة ولا ظامئة الى
الغذا النافع لكنها متكرهة للصنفين كليهما   فان كان هذا العارض اذا
عرض في أجسامنا كان دلالة على مرض صعب مبدع سقما   أعني زوال
الجوع والعطش فالبق وأولى اذا عرض في أنفسنا أن يكون دلالة على
شدة سقمها   فان سألت كيف يمكننا أن نستعيدها الى صحتها بعد انهوائها
في المرض وتحال قوتها ما الذي نعمله بها ما الذي نقوله لها أجبتك
ينبغي لنا أن نلامس الاقوال الالهية أقوال الانبياء والرسل والاناجيل
وأقاويل الاباء الاخر كلها فاننا حينئذ نعرف ان اغتذائنا بهذه الاغذية
أفضل لنا كثيرا وأنفع من أكلنا الاطعمة النجسة   لاننا بهذا الاسم

ينبغي

ينبغى أن نسمى الجامع الردية والهذايانات الفايت وقتها لان ما الافضل
قل لى ان نتفاوض فى الامور السوقية وفى الخصومات الناشئة فى مجلس
القضاء وفى الاخبار الحادثة فى المعسكر أو نتحدث فى ذكر النعم التى فى
السموات وفى الحظوظ الحاصلة لنا بعد انصرافنا من ههنا ما الافضل عندك
ان تتحدث بحديث جارك وفى أفعاله وأحواله وأن تستبحث عن الاحاديث
الغريبة منك أو ان نلتمس محامد الملائكة والفوائد المختصة بنا ونبحث
عنها الان أحوال جارك ليست على كل حال هى أحوالك ونعم السموات
فهى لك ولعلكم تقولون فقد يوجد من يتكلم فى هذه المعانى دفعة واحدة
ونعم كافة مطلوبه فاقول لكم فما بالكم ما فهمتم هذا المعنى فى
الاقوال التى تتكلمون فيها جزافا وباطلا لكنكم تفنون عمركم كله فى هذا
الحديث وما قد اقتنيتم ذكر هذه الاقوال وما قد وصفت بعد الافعال
التى هى أثقل من هذه بكثير لان الاكثرين وداعة وتحرزا يتكلمون بامور
نافعة جدا والمتوانين المضجعين يرددون أقاويلهم فى ذكر محاكين وراقصين
فيدنسون سمع سامعهم ويفسدون طبيعة نفسه الى الجنون بهذه الاحاديث
وبهذه المفاوضة يوردون الى سريرتهم كل نوع من الرذيلة لان مهما يذكر
اللسان اسم الراقص فقد مثلت نفسه فى الحين وجهه وجمته وحلته الناعمة
فيوجد ذلك الذاكر بعينه أشد رخاوة وتضجيعا من هؤلاء الراقصين
اللاعبين وقد يوجد انسان آخر قد دروح من جهة أخرى لهيب الفسق
اذا استورد فى مفاوضته امرأة زانية وألفاظها وأشكالها وطموح عينيها
ورطوبة وجهها وتجعيد شعرها وحف حواجبها وتحمير وجنتها ونقش
يديها ورجليها افترا كم ما قد أثر فيكم تأثيرا حين وصفت لكم هذه الاوصاف
لكن لا تخجلوا ولا تستحوا لان ضرورة طبيعتنا تقتضى هذا العارض
وتجعل هذه الحال حال نفسنا بحسب ما تحويه قوة الاوصاف التى توصف لنا فان

كنتم عند تكلمى أنا وأنتم واقفون فى كنيسة ومنترحون عن أولئك قد أثر
فيكم تأثيرا عند استماعكم فتفهم على ما يليق بالقياس كيف يكون حال
الجالسين فى مشهد اللعب بعينه الحاوين فسحة كثيرة الذين هم خارج هذا
الجمع الشريف الرهيب الذين يبصرون تلك الافعال ويسمعونها بوقاحة
كثيرة ولعل قائلا من الذين لا يصغون ولا يحترسون يقول لى اذ ضرورة
طبيعتنا تجعل حال نفسنا هذه الحال فما غرضك فى أن تهمل تلك وتشكونا
نحن فاجيبه لعمرى ان فعل طبيعتنا من شأنه أن يتراخى و يلين اذا سمع هذه
السماعات وأمثالها الان استماع هذه الاصناف ونظايرها ليس هو
خطأ الطبيعتنا لكنه ذنب لاختيارنا اذ كان من يلامس نارا ينبغى له ان
يحترق وهذا الفعل بريده ضعف طبيعتنا الان طبيعتنا ليس من
شأنها أن تقتادنا أيضا الى النار ولا الى الحريق الكاين منها لان هذا
الفعل انما يتولد من الانقلاب الذى يناسب اختيارنا فاسألكم ان
تبطلوا هذا الاتو وتتلافوه حتى لا تكردسوا ذواتكم طائعين الى
اعماق الرذيلة متتابعين ولا تحاضروا الى النار بنفسكم
ومن ذاتكم حتى لا تجعل ذواتنا مستوجبين التعذيب
باللهيب المعد لابليس المحتال الذى ليكن لنا
كلنا أن نتخلص من هذا اللهيب ومن
ذلك وان نحصل فى حضن ابراهيم
باعيانها بنعمة ربنا يسوع المسيح
وتعظمه الذى به ومعه
لابيه المجد مع الروح
القدس الى أباد
الدهور كلها آمين

المقـــالة التاسعة عشر

فى قوله (٤١) هذا وجد سمعان أخاه وقال له قد وجدنا المسيا الذى ترجمته المسيح (٤٢) واقتاده الى يسوع

ان الهنا الذى خلق الانسان فى الابتداء ما تركه ان يكون وحده لكنه أعطاه الامراة معينة له وجعله ان يسكن معها لعلمه ان الفائدة من هذه المسألة ستكون عظيمة وماذا عليه ان كانت الامراة ما استعملت هذا الاحسان على واجبه ولكن ان تأمل متأمل طبيعة عمله سيبصر المنفعة من هذه المساكنة عظيمة حاصلة للمالكين عقلهم صحيحا ولن تحصل هذه المنفعة للرجل والامراة فقط لكن الاخوة ان عملوا هذا العمل أيضا سيتمتعون بهذا الاحسان ولهذا المعنى قال النبى ماذا يكون أحسن وأجود من مساكنة الاخوة جميعا (مزمور ١٣٢ ع ١) و بولس يوصينا ان لا نترك الالتئام والائتلاف بهم وهذا هو الفعل الذى به ننفصل عن الوحوش لهذا السبب نبتنى مدنا وأسواقا ومنازل ليكون بعضنا مع بعض ليس من المساكنة فقط لكن من رباط الحب أيضا الذى يحوينا لان طبيعتنا اذ كونها فينا خالقنا معوزة وليست مكتفية بذاتها دبر الله فى هذه الجهة تدبيرا موافقا ان يصلح اعوازها من المنفعة الكائنة من مساكنة أحدنا مع الآخر وائتلافنا حتى يتم الناقص فى الرفيق من رفيقه و يصير المعوز على هذه الصحبة مكتفيا وكما ان طبيعتنا اذ صارت مائتة انجبلها بالخلف و يتداول النسل ان يحفظ زوال الموت عنها وان تخرج الى

طول مداه فكذلك قد استبان اقوالنا المنافع الصائرة للمؤتلفين من
ائتلاف أحدهم بصاحبه الخالص التهذب الان المعنى الذى استخبنا الان
هو غير هذا ولاجله قلت هذه الاقوال عندنا لان اندراوس لما أقام
عند يسوع وعرف ما عرفه ما ضبط الكنز عند ذاته لكنه بادر وحاضر الى
أخيه باسراع وجاد عليه بالفوائد الصالحة التى استمدها وان استخبرت
لاجل اى غرض ما وصف انا يوحنا ماهى الاقوال التى خاطبهما المسيح بها ومن
أين تبين واضحا انهما لهذا الغرض أقاما عنده فنقول لك قد استبان انا ذلك
فيما أسلف وقد ينساغ لنا ان نعرفه من الالفاظ التى فوهت اليوم علينا
لان ما الذى قال هذا الاخيه قال قد وجدنا المسيا الذى يترجم المسيح أعرفت
كيف ما عرفه اندراوس فى مدة يسيرة بين به يوحنا حكمة المعلم الذى استمالهما
وأوضح نشاطهما و بين انهما كانا من أعلا ستهما ومن ابتدائه مهتمين بهذه
الآمال لان هذه اللفظة هى لفظة نفس طلقة بوروده منتظرة مجيئه منذا على
سنها مسرورة باوفر السرور بعد امتلاكها مأمولها مسارعة ان توصل
البشارات بوجوده الى آخرين غيرها فهذا فعل الود الاخوى هذا عمل
الصداقة الجنسية هذا فعل المحبة الصالحة ان يجتهد أحدنا فى الفوائد
الروحانية وان يمد يد معونته الى رفيقه فاسمع هذا الفاضل أيضا قائلا هذا
الاسم بحاشيته التى هى الالف واللام لانه ما قال ماسيا لكنه قال المسيا
لانهم انتظروا مسيحا واحدا ليس ما لكما مناسبة مشاعة بينه و بين الآخرين
وانظر لى الى تمييز بطرس السرى مع الخضوع والانعطاف منذ ابتداء تتلمذه
بعينه لانه سارع فى الحين وما دافع لان البشير قال انه اقتاده الى
يسوع لكن لا يلومن لائم سرعة انقياده فلو لم يكن قد التمس هذه
التباشير مرارا كثيرة لما كان اقتبل قوله لانه على ما يليق بالمعنى ان
أخاه قد خاطبه خطابا أبلغ استقصاء فى هذه الاقوال الان البشيرين قد

حذفوا

حذفوا في كل مكان أقوالا كثيرة لاهتمامهم بقلة اللفظ واختصاره وعلى جهة أخرى فما قيل انه صدق على بسيط ذات التصديق لكنه انما قيل انه اقتاده الى يسوع دافعا اياه الى سيدنا حتى يتعلم منه كل ما يريد لان التلميذ الآخر كان معه موافقا في هذه الفوائد لان ان كان يوحنا الصابغ حين قال انه حمل وانه يعمد بروح القدس أوعز بذلك ان يتعلموا من المسيح التعليم الابين وضوحا في هذا المعنى فاليق وأولى باندراوس ان يكون قد عمل هذا العمل لانه لما اقتاده لم يكن فيه هو كفاية لوصف المعنى كله فاجتذبه الى عين النور بعينها باسراع وفرح جزيل تقديرهما مع ان ذلك الفاضل ما دافع المضي ولا ابطاء ولا مدة يسيرة قال واذا أبصره يسوع قال له أنت هو سمعان بن يونا أنت تدعى صفا الذي يترجم بطرس فهذا ابتداء ربنا ان يكشف الان أفعال لاهوته ويظهر قليلا قليلا من نبواته وتقديم أوصافه ما سيكون وهذا العمل عمله في استجذاب ناثانائل وفي خطابه الامرأة السامرية لان النبوات تقتاد ليس بدون اقتياد الآيات والعجائب وهي تحوي الصحة الخالية من الطرمذة لان العجائب التي اجترحها وان كانت قد ثلبت عند الزائل فهمهم لانهم قالوا لان بيعلزبول يخرج الشياطين (متى ص ١٢ ع ٢٤) الان مثل هذا القول ما قيل في وقت من الاوقات في معنى نبوته فهذا النحو من تعليمه استعمله لسمعان ولناثانائل وما عمل هذا العمل باندراوس وفيلبس وان سألت وما غرضه في ذلك أجبتك لان أولئك قد مثلكوا شهادة يوحنا استعدادا ليس يسيرا وأما فيلبس فاما أبصر الحاضرين استمد لتصديقه اياه دلالة مؤدلة لتصديقها ولو ارتاد واذ لك وتعاطوه جدا لان العجائب قد يتمكن فيها التخيل وأما خاصية النبوة التي تتقدم فتقول الحوادث المنتظر كونها ابلغ الاستقصاء فهي خاصة تلك الطبيعة الفاقدة ان توجد بالية أو دائرة وان عمل الشياطين هذا

العمل فى مكان انما يعملونه ليختدعوا به الناس الزائل فهمهم فمن هذه الجهة تكون أفعال حدسهم معروفة فى كل مكان مدر وكة الاان بطرس ما أجاب جوابا لهذه الاقوال لانه ما كان قد عرف بعد لكونها ايقانا واضحا الا انه مع ذلك قد عرف وانظر الى تقديم وصفه ما يكون ليس موضوعا وضعا كاملا لانه ما قال له أنا أحيل اسمك وألقبك بطرس وأبنى كنيستى على هذه الصخرة لكنه قال له أنت تدعى كيفاس لان ذلك القول كان يكون قول تأمر وسلطان أعظم والمسيح فلم يبين فى الحين ولا منذ ابتدى ظهوره أفعال سلطانه كلها لكنه يتكلم عاجلا كلاما أذل لفظا وحين خول برهان لاهوته وضع ذلك باوفر تأمر قائلا فانا أقول لك أنت هو بطرس وعلى هذه الصخرة ابنى كنيستى فعلى هذه الصفة سمى هذا المعظم وسمى يوحنا و يعقوب ابنى الرعد ولعلك تسأل ولم عمل هذا العمل فاجيبك ليبين انه هو الذى خولنا الشريعة العتيقة وهو الذى أحال الاسماء فيها وقومها وهو الذى سمى ابرام ابراهيم وساراى سارة و يعقوب اسرائيل وقد وضع الكثيرين أسماءهم منذ مولدهم كما وضع لاسحق ولشمشون وكما وضع أسماء للذين فى نبوة أشعيا وهوشع و وضع أسماء لاناس بعد الاسماء التى سماها بها والدهم كما وضع أسماء المذكورين حينئذ وليشوع نارى وقد كان للقدماء عادة ان خضعوا الاسماء من أفعال أصحابها وهذا الفعل قد فعله ايليا وهذا الفعل فما صار على بسيط ذاته لكنه صار ليكون اللقب تذكارا يذكرهم باحسان الله اليهم ليهتف عند السامعين ذكرا دائما للنبوة بالاسماء وعلى هذه الجهة سمى يوحنا منذ اعلى كونه لان قال له أنت هو سمعان بن يونا لكى يحقق عنده من الحاضر الفعل المنتظر وتقديم قوله بديع فما كان قول ملاق مدلكنز لكنه قول من قد سبق فقال الحظ المنتظر وذلك بين من هنالك اسمعه اذا كيف يجعل تقديم وصفه

مجيبة السامرية موبخا اياها باسراع لانه قال لها قد حويت خمسة رجال والذى تتملكينه الآن ليس هو رجلك فكذلك أبوه يمشى فى النبوة قولا جزيلا لما ناصب تشريف الاصناف قائلا ليخبر وكم مايزمع أن يوافيكم وأيضا أخبرت وخلصت وما كان فيكم غريب وهذا القول يسوقه بالنبوة الى الوسط لان هذا هو عمل الله خصوصا الذى ماتقتدر الشياطين أن تماثله الذين أزمعت الفضيلة ان تشرق فيهم منذ سنهم الاولى أخذوا أسماهم من هنالك والذين أزمعوا ان تحصل فيهم عطية الفضيلة بعد ذلك وضع اهم لقبهم أيضا بعد ذلك ولكن فى ذلك الحين أخذ كل واحد من أولئك أسماء مختلفة والآن فقد حوينا كلنا لقبا واحدا وهو ذلك اللقب الاعظم من الاسماء كلها ان نكون مدعوين مسيحيين وبنين لالهنا وأصدقائه وجسده لان هذا اللقب الافضل من تلك الالقاب كلها فيه كفاية ان ينهضنا ويجعلنا أشد الناس اسراعا الى افتعال الفضيلة

العظـــــة التاسعة عشر

فى انه يجب علينا ان نستعمل ثروتنا فيما يجب ولا نطمرها

فلانعمان اذا أعمالا عديدة ان تكون مؤهلة للكرامة التى تناسب اسمنا نفهم اذا افراط تكريمك لاننا ندعى أولياء المسيح لان بولس قد سمانا بهذا الاسم فينبغى لنا ان نفهم جسامة لقبنا لان ان كان أحدنا منتسبا الى قائد من القواد شريف المحل أو الى بهى الحظ فى مرتبة أخرى يفتخر بذلك فخرا عظيما اذا سمع انه صاحب فلان أو فلان ويستشعر هذا الاسم مرتبة عظيمة ويعمل كل عمل حتى لايخترع بونيته تجديفا على من هو منتسبا اليه فنحن من تسميتنا ندعى ليس باسم قائد ولا باسم رئيس من الرؤساء الذين فى الارض ولا باسم ملاك ولا رئيس ملائكة ولا باسم الشاروبيم أو السارافيم

لكن باسم ملك هؤلاء كلهم   أفما يجب علينا أن نبذل نفسا بعينها حتى
لانشتم من أكرمنا   أما قد عرفتم ان المواكب الملكية الحاملين الاتراس
والحراب المحيطين بالملك   بكم كرامة تتمتع   فكذلك نحن قد أملنا الان
نصير بقربه   وأقرب من أولئك بكثير   فنحن بهذا المقدار أقرب اليه
من اقتراب أولئك بملكهم   بل بمقدار اقتراب الجسد من رأسه   وأليق
ما يقال ان اقترابنا منه   أقرب من هذه الاصناف كلها   فينبغي لنا أن
نعمل كافة الاعمال التي نشابه المسيح بها   وتأمل ما قاله المسيح   قال ان
الثعالب تمتلك أوكارا   وطيور السماء تستقني لها مساكن   وأما ابن
الانسان فليس يمتلك موضعا يسند اليه رأسه   (لوقا ص ٩ ع ٥٨) فهذا الزهد
ان طالبتكم به   لعساه يظن عند الكثيرين منكم أنه ثقيل مستصعب
فلهذا السبب اترك هذا الاستقصاء في الزهد بسبب ضعفكم   وأسألكم
ان الذي كتب موسى من أجله في الشريعة   والانبياء وجدناه يسوع بن
يوسف الذي من الناصرة   فقال هذه الالفاظ جاعلا انذاره به   مؤهلا
لتصديقه من موسى ومن الانبياء   متوسلا في هذا الوجه الى سامعه ومستعطشا
اياه   لان نثانائيل اذ كان بليغ الاستقصاء   متصفحا للشهادات كلها بتحقيق
على حذو ما شهد به المسيح وبينه عمله   أرسله على جهة الواجب الى موسى
والى الانبياء   لكي على هذه الجهة يقتبل من قد أنذر به   وان كان قد
دعاه ابنا ليوسف فلا ترتجف   لانه قد كان بعد يظن انه ابن له   وأنا استخبره
يا فيلبس   من أين يكون واضحا ان هذا هو ذاك   ما الدلالة التي تقولها لنا
لات حكمك بذلك وحده ليس كافيا   أية علامة رأيت أية عجيبة   لان
تصديقنا أسيا هذا المحل محالها على بسيط ذاته   ليس يوجد نا جيا من خطر
أي برهان تمتلكه فيجيبني قد امتلكت البرهان بعينه   الذي تحقق عند
اندراوس   لان ذاك ما أمكنه أن يبين الثروة التي وجدها   ولا اقتدر

ان

أن يبين بألفاظه الكنز الذى صادفه فاقتاد أخاه الى من قد وجده وكذلك فيلبس ما قال لناثانائيل كيف يوجد هذا ذاك المسيح وكيف تقدمت الانبياء فأنذرت به لكنه اجتذبه الى يسوع عالما انه اذا ذاق ألفاظه وتعليمه ليس يوجد فيما بعد منتزحا عنه (٤٦) فقال له ناثانائيل أمن الناصرة يمكن أن يوجد فائدة صالحة فقال له فيلبس تعال وانظر (٤٧) فلما أبصر يسوع لناثانائيل جائيا الى عنده قال فى وصفه ها اسرائلى بالحقيقة ليس يوجد فيه غش فان قلت اذ قال هذا القول أمن الناصرة يمكن أن يوجد فائدة صالحة مدحه واستعجبه أجبتك انه ما كان فيجب البتة أن يشكى و يذم لان ألفاظه ما كانت ألفاظ جاحد ولا كانت موهلة لذم وتهجين بل كانت موهلة لمديح وان سألت كيف ذلك وبال حال أجبتك ان هذا كان متصفحا كتب الانبياء أكثر من فيلبس لانه جمع من الكتب ان المسيح ينبغى له أن يجىء من بيت لحم ومن الصيغة التى كان داود النبى فيها وهذا القول كان قد ثبت عند اليهود وقد نادى به النبى منذ أعلى الزمان اذ قال وأنت يا بيت لحم لست أنت فى جهة من الجهات حقيرة فى قواد يهوذا لان منك يخرج المقتاد الذى يرعى اسرائيل شعبى (يوحنا ص٧ ع ٤٢ متى ص٢ ع٦ ميخا ص٥ ع٢) فاذ سمع انه من الناصرة ارتجف وتحير اذ لم يجد تخبير فيلبس موافقا السابق قول النبوة وانظر الى فهمه ودعته فى حيرته لانه ما قال فى الحين يا فيلبس قد أطغيتنى وكذبت ولست أقبل منك ولا أجىء معك لانى قد علمت من الانبياء ان من بيت لحم ينبغى أن يجىء المسيح وأنت تقول من الناصرة فهذا اذا ليس هو ذاك لكنه ما قال قولا من هذه الاقوال بل ذهب معه موضحا بعزمه الذى لم يقبل انه يوجد من الناصرة تعمقه البليغ فى الكتب وتهذب أخلاقه للفاقد أن يكون منخدعا مظهرا تجمله اذ لم يرفض مخبره من كثرة شوقه الشديد

الشائق الى حضور المسيح لانه افتكر ان جائزا كان أن يغلط فيلبس فى ذكر المكان وانظر كيف جعل امتناعه من القبول ودبعا فى درجة استخبار لانه ماقال ان الجليل ليس يجيب فائدة صالحة لكنه قال أمن الناصرة يمكن أن يوجد فائدة صالحة وفيلبس فقد كان فهيما جدا لانه ما اغتاظ اغتياظ من قد أنكر قوله ولا استصعب ذلك لكنه ابث مريدا أن يقتاد الرجل موضحا لنا منذ مبادى تلمذته حسن الثبات اللائق بالرسول ولاجل هذه المحامد قال المسيح سيدنا ها اسرائيلى بالحقيقة ليس يوجد فيه غش فيجب من ذلك أن يوجد اسرائيلى كاذبا الاان هذا لم تكن هذه الحال حاله لانه قال ان حكمه قد عدم ان يكون محابيا فليس يتكلم لتحمد ولا لمعاداة على ان اليهود لما سئلوا أين يولد المسيح قالوا فى بيت لحم واستوردوا للشهادة قايلين وأنت يا بيت لحم لست على سائر الجهات حقيرة فى قواد يهوذا الاان أولئك شهدوا بهذه الاقوال قبل أن يعرفوه فلما عرفوه كتموا من وفور حسدهم هذه الشهادة قائلين هذا ما نعرف من أين هو لكن ناثانائيل لم تكن هذه الحال حاله لكن العزم الذى كان قد حواه منذ ابتداسنه من أجل المسيح ثبت حافظا اياه انه ليس يوجد من الناصرة ولقايل أن يقول فكيف دعاه الانبياء ناصريا فنجيبه من تربيته ومن تصرفه هنالك ولعمرى ان ربنا أهمل أن يقول له لست اذا من الناصرة على حذو ما أخبرك فيلبس لكننى من بيت لحم حتى لا يجعل للحين كلام ذلك مشككوكا فيه ولو كان قبل هذا القول خلوا من هذه الاقوال لما كان قد خولة دلالة كافية تدل على انه هو المسيح لان ما المانع الذى منع أن يوجد من بيت لحم مثل الناس الآخرين المولودين هنالك ولا يكون مسيحا فألغى اذا هذا القول وذكر القول الذى يقتدر أن يقتاده خصوصا وأظهر ذاته حاضرا فى حين مفاوضتهما جميعا لان ذاك اذ قال

(٤٨) من أين عرفتني قال له قبل أن يصوت بك فيلبس اذ كنت تحت التينة رأيتك فأبصر انسانا ثابتا متمكنا لانه لما قال له المسيح ها اسرائيلي بالحقيقة ما تراخى للمديح ولا حاضر مع المتانى لكنه لبث طالبا مستفحصا بابلغ الاستقصاء مريدا أن يعرف قولا بينا فهو استفحص استفحاص انسان أيضا الان يسوع أجابه اجابة اله لانه قال قد عرفتك منذ أعلى سنك (وخبرت خلقك ودعتك ولا عرفته معرفة انسان تابع اياه فيما سلف) لانني والآن رأيتك تحت التينة حين لم يكن أحد حاضرا هنالك لكن فيلبس فقط كان وناثانائيل يتخاطبان بهذه الاقوال على انفرادهما ولهذا المعنى قيل انه اذا أبصره من بعد قال هذا اسرائيلي حقاني ليعرف انه قبل أن يقترب من فيلبس قال المسيح هذه الاقوال حتى لا تصير شهادته متهمة ولهذا المعنى ذكر الوقت والمكان والشجرة لانه لو كان قال فقط قبل أن يجيء فيلبس الى عندك رأيتك لكان يتهمه بانه هو أرسله وما كان قد قال قولا عظيما فالآن انما يذكر المكان الذى لبث فيه لما صوت به فيلبس واسم الشجرة ووقت مخاطبتهما ليوضح تقديمه وصف ذلك خاليا من ارتياب به وما أوضح له سبوق تخبير فقط لكنه أدبه أيضا على جهة أخرى لانه اقتاده الى تذكر الالفاظ التى تكلما بها حينئذ كقوله أمن الناصرة يمكن أن يوجد فايدة صالحة وبهذا القول اقتبله خصوصا أعظم الاقتبال لان بعد ان قال هذه الاقوال ما ذمه لكنه مدحه واستجبه ومن هذه الجهة علم ناثانائيل انه هو المسيح بالحقيقة من سبوق تخبيره ومن تصفحه عزم ناثانائيل بابلغ الاستقصاء وهذا فكان فعل موضح انه قد عرف الافكار التى فى سريرته لان ناثانائيل على جهة أخرى ارتاى أن يقول فى ذاته انه ليس يلام لكنه يمدح فقد قال ان فيلبس قد صوت به وكنى عن ما قاله ذاك له وما قال هذا لذاك وأهمل ذلك لوهمه

العالم وماشاء أن يوبخه كثيرا فان قلت فما معنى قوله انه قد أبصره قبل أن يصوّت به فيلبس فقط أفما قد أبصره قبل ذلك الوقت بعينه الفائدة أن تكون نائمة فأقول لك قد أبصره وما يعاند الا أن هذا القول كان الذى قد اقتاده الى أن يقول ما قال وان سألت وماذا قال أجبتك لما تسلم دلالة خالية من ارتياب بها على سبوق معرفته أفضى الى الاعتراف وأوضح بتباطيه الاول مبالغة استقصائه وبين بجنوحه بعد ذلك حسن حفاظه أجاب وقال له يا معلم أنت هو ابن الله أنت هو ملك اسرائيل أرأيت نفسا صائرة على غفلة مسرورة جدا معتبلة يسوع بألفاظها قال أنت هو ذاك المأمول المطلوب أرأيته من افراط التذاذه منذهلا مستبجما رتكض طافرا

العظة العشرون

فى انه يجب علينا ان نحب الهذا ليس بكلامنا فقط لكن بعملنا أيضا

فيجب علينا أن نفرح هذا الفرح اذ قد أهلنا أن نعرف ابن الله ونفرح ليس فى سريرتنا فقط لكن سبيلنا أن نبين ذلك بأفعالنا باعيانها وعمل المسرورين هو أن يطيعوا من قد عرفوه وفعل المطيعين هو أن يعملوا ما يريده ذلك المعروف والا فان أزمعنا أن نعمل الاعمال التى تغبطه فمن أين يبين اننا فرحنا به أما قد رأيتم ما يجرى فى المنازل اذا اقتبل أحد نافيها من كان تائقا اليه كيف يعمل كلما يعمله بفرح ويحاضر الى كل مكان وان احتاج أن يقدم له كل ما يكون موجودا عنده فليس يشفق على صنف منها حتى يرضى الحاضر عنده فان دعاه داع ولم يكرمه ولم يعمل الاعمال التى ترضيه وتنجيه فلو قال ذلك الداعى ربوات دفعات انه قد فرح بحضوره لما صدقه وقت من الاوقات المدعو الذى قد ضيف وذلك على جهة العدل والواجب اذ يحتاج أن يبين حبه له وفرحه به بأعماله ونحن فقد جاء المسيح الينا فسبيلنا

ان

أن نريه اننا قد سررنا به ولا نعمل عملا من الاعمال التى تغبطه وتزين البيت الذى قد جاء اليه لان هذا هو عمل المسرورين وتقدم له الطعام الذى يشاء أن يأكله فان هذا هو فعل المبتهجين وان سألت وأى ما هو هذا الطعام أجبتك هو قد قال طعامى هو أن أعمل مشيئة من أرسلنى (يوحنا ص ٤ ع ٣٤) فينبغى لنا أن نطعمه اذا كان جايعا ونسقيه اذا كان عطشانا ولو أعطيته قدح ماء بارد فهو يقتبله لانه يحبك والصلات من المحبوبين وان كانت صغارا تستبين عند من يحبهم عظيمة فلا تكسل أنت فقط فان طرحت ولو فلسين فلن يردهما لكنه يقتبلهما كاقتباله ثروة جزيلة لانه اذ هو عديم أن يكون محتاجا وليس يأخذ الصلات بسبب حاجته اليها فعلى جهة الواجب تجد جلة المجازاة ليس بمقدار العطايا التى تدفع اليه لكن باختيار معطيها ونيته فأوضح أنت فقط انك مسرور به عند مجيئه اليك وانك مجتهد فى الافعال كلها لاجله وانك فرح بحضوره تامل كيف هو تايق اليك وقد بذل نفسه من أجلك وما يتأتى بعد ذلك أن يتضرع اليك فقد قال بولس نحن عوض المسيح نتوسل اليكم كان الهنا متوسل اليكم بنا (قرنثية ٢ ع ٥ ص ٢٠) فان قلت ومن يكون بهذه الصورة مصرعا يبلغ فى تمثيل حاله الى أن لا يحب سيده وهذا القول أنا أقوله وأعرف أن كلا منكم ليس ينكر هذا الحب بألفاظه وبسريرته لكن يراد منا أن نبين ذلك ليس من أقوالنا فقط لكن من أفعالنا أيضا لاننا ان قلنا اننا نرتاح اليه وما نعمل أعمال المشاقين فهذا القول هو ضحك ليس عند الهنا فقط لكن عند الناس أيضا اذ كان اقرارنا بكلامنا فقط اننا نحبه ومخالفتنا اياه بأفعالنا ليس هو غير نافع لنا فقط لكنه مع ذلك صار لنا فينبغى أن نضيف الى ذلك الاعتراف بأفعالنا حتى نتملك منه أيضا أن يعترف هو بنا فى ذلك اليوم اذا ما هو اعترف بالمستحقين بحضرة أبيه

بتوفيق يسوع المسيح ربنا الذى به ومعه المجد لابيه مع الروح القدس الآن ودائما والى آباد الدهور كلها آمين

المقـــالة الحادية والعشرون

(٤) أجاب ناثانائيل وقال له يا معلم انت هو ابن الله انت هو ملك اسرائيل (٥) اجاب يسوع وقال له لانى قلت لك انى رايتك تحت التينة آمنت ستبصر اعظم من هذه فى المحاسن

يا أحبائ نحتاج الى اهتمام كثير والى سهر جزيل حتى نقتدر ان نعاين الغور من الكتب الالهيـة لان ليس ممكنا اذا كنا راقدين ان نجد مرادها وغرضها على بسـيط ذات الوجود لكننا نحتاج الى بحث بليـغ والى صلوات دائمة حتى يمكننا ان نبصر فى غوامض الاقاويل الالهية معنى صغيرا فها قد حصل لنا اليوم ليس مطلوبا يسيرا لكنه مطلوب محتاج حرصا كثيرا وبحثا جزيلا لان ناثانائيل لما قال أنت هو ابن الله قال له المسيح لانى قلت لك انى رأيتك تحت التينة آمنت ستبصر أعظم من هذه المحاسن فان سأل سائل وما هو هذا المعنى المطلوب فى هذه الاقوال التى قيلت لان بطرس لما اعترف بعد عجائب جزيل تقديرها وتعليم بليغ معناه انه هو ابن الله طوبه تطويب مقتبل من الاب الازلى اعلان ذلك له وناثانائيل

لما

بتوفيق يسوع المسيح ربنا الذى به ومعه المجد لابيه مع الروح القدس الآن
ودائما والى آباد الدهور كلها آمين

المقالة الحادية والعشرون

(٤) أجاب ناثانائيل وقال له يا معلم انت هو
ابن الله انت هو ملك اسرائيل (٥) اجاب
يسوع وقال له لانى قلت لك انى رايتك
تحت التينة آمنت ستبصر اعظم من هذه
فى المحاسن

يا أحبائى نحتاج الى اهتمام كثير والى سهر جزيل حتى نقتدر ان نعاين
الغمر من الكتب الالهية لان ليس ممكنا اذا كنا راقدين ان نجد
مرادها وغرضها على بسيط ذات الوجود لكننا نحتاج الى بحث بليغ
والى صلوات دائمة حتى يمكننا ان نبصر فى غوامض الاقاويل الالهية معنى
صغيرا فها قد حصل لنا اليوم ليس مطلوبا يسيرا لكنه مطلوب محتاج
حرصا كثيرا وبحثا جزيلا لان ناثانائيل لما قال أنت هو ابن الله قال
له المسيح لانى قلت لك انى رأيتك تحت التينة آمنت ستبصر أعظم من هذه
المحاسن فان سأل سائل وما هو هذا المعنى المطلوب فى هذه الاقوال التى قيلت
لان بطرس لما اعترف بعد عجائب جزيل تقديرها وتعاليم بليغ معناه
انه هو ابن الله طوبه تطويب مقتبل من الاب الازلى اعلان ذلك له وناثانائيل
لما

لما قال هذا القول بعينه قبل الآيات وقبل التعليم ما سمع قولا من التطويب هذا معناه لكن حاله كانت حال من لم يقل قولا يزيد مقداره على ما يجب ان يقال ويقدم الى أعظم منزلة فالعلة فى ذلك نقول له لعمرى ان بطرس وناثانائيل قالا أقوالا هى باعيانها وما قالا كل منهما بمعنى واحد بعينه ولكن بطرس اعترف بذلك انه ابن الله على انه اله صادق وناثانائيل اعترف بذلك على انه انسان ساذج وان قال السائل ومن أين يكون هذا الغرض واضحا لنا أجبته يستبين من الاقوال التى قيلت بعد ذلك لانه اذ قال أنت هو ابن الله استثنى بقوله أنت هو ملك اسرائيل وابن الله فليس ملك اسرائيل فقط لكنه ملك المسكونة كلها أيضا وهذا المعنى فليس هو واضحا من هذه الجهة فقط لكنه يستبين من الاقوال التالية ثلاث لان المسيح ما زاد بطرس فيما بعد قولا لكن لان امانته كانت عنده كاملة أوجب ان يبنى كنيسته على امانته وفى هذا الموضع ما عمل عملا هذا معناه لكنه فعل بخلاف ذلك لانه اذا كان محله عنده محل ناقص فى اقراره جزءا كثيرا أفضل من غيره زاده ما تبقى من أقواله لانه قال (٥١) الحق الحق أقول لكم ستبصرون منذ الان السماء مفتوحة وملائكة الله طالعين ونازلين على ابن الانسان أرأيت كيف يصاعده من الارض قليلا قليلا ويجعله ان لا يتخيله أيضا انسانا على بسيط ذاته لان من تخدمه الملائكة وتطلع وتنزل عليه كيف يكون هذا انسانا لهذا المعنى قال ستبصر أعظم من هذه المحاسن واذ بين له ذلك استثنى بخدمة الملائكه فالذى يقوله هذا هو معناه يا ناثانائيل اهذا التوهم عندك قول قد توهمته عظيما ولهذا السبب اعترف انى ملك اسرائيل فما الذى تقول اذا رأيت الملائكة منحدرين الى فيهذه الاقوال حقق عنده ان يعترف انه سيد الملائكة لان الملائكة صعدوا ونزلوا اليه كخادمين ابن ملكهم الخالص فكانت كذلك

حينا عند وقت صلبه وحينا فى وقت قيامته وعند أوان ارتقائه وقبل
ذلك حين تقدموا وخدموه وحين بشروا بمولده لما صاحوا المجد لله فى الاعالى
والسلامة فى الارض واذ جاؤا الى مريم والى يوسف وهذا القول نقوله الآن
فى معان كثيرة فقد قال صنفين من سبوق تخبيره فن الصنف السالف أبدى
توبيخه وحقق الصنف المنتظر من الحاضر لان الاقوال التى قالها بعضها قد تسلم
ناثانائيل برهانها وهى قوله قبل ان يصوت بك فيلبس وأنت تحت
التينة رأيتك وبعضها انتظر نفوذها الى تمامها وخروجها الى الفعل جزءا
جزءا وهى طلوع الملائكة ونزولهم اليه الكائن فى حين صلبه وانبعاثه
وارتقائه وهو يجعل هذا المعنى باقواله التى قالها مؤهلا لتصديقه قبل وصوله
الى غايته لان من قد عرف قدرته فى الافعال السالفة وسمع بها فى الافعال
المأمولة يقتبل سبوق تخبيره هذا اسهل اقتبالا ولعمرى ان ناثانائيل ما أجاب
عن هذا الكلام جوابا ولهذا الغرض وقف المسيح عند هذا الحد خطابه اياه
مفرجا له ان يفتكر على انفراده فيما قاله له وماشاء ان يقاطر عليه اقواله كلها
بغتة لكنه ألقى زروعه فى أرض خصيبة وأهملها ان ترفع منها وبها
فيما بعد على فراغ وهذا الفعل فقد ذكره فى فصل آخر ان ملك
السموات يشبه رجلا زرع زرعا جيدا وفى حال رقود ذهب عدوه فزرع
فيما بين تلك الحنطة زوانا الاصحاح الثانى قال البشير (١) وفى اليوم
الثالث صار عرس فى قانا الجليل (٢) ودعى يسوع الى العرس وكان
هنالك أم يسوع وأخوته قد سبقت فقلت انه كان معروفا فى الجليل أكثر
من غيره ولذلك دعوه الى العرس فجاء اليه لانه ما نظر الى رتبته
لكنه نظر الى احسانه الينا لان من لم يستنكف ان يشتمل صورة عبد فاولى
به وأليق انه ما أنف ان يحضر فى عرس عبيده ومن اتكأ مع عشارين
وخطاة فاليق به انه ما تأبى ان يتكى مع الحاضرين فى العرس والذين

دعوه

دعوه ما امتلكوا التمييز الواجب من أجله ولا دعوه على انه واحد عظيم لكنهم دعوه على بسيط ذات الاستدعاء كواحد من الكثيرين على انه معروف عندهم وهذا المعنى فقد ذكره البشير مستورا اذ قال وكانت هناك أم يسوع واخوته فعلى نحو ما دعوها ودعوهم فكذلك دعوا يسوع أيضا (٣) فقالت أمه ليس عندهم خمر ففي هذا الموضع معنى مؤهل للبحث عنه وهو من أين حصل الى أمه ان تخيل وهما عظيما من أجل ابنها لانه ما كان قد عمل عجيبة من عجائبه لان البشير قال هذه الآية جعلها يسوع ابتداء لآياته في قانا الجليل فان قال قائل ليس يوجد هذا القول دلالة كافية على ان هذه الآية هي ابتداء آياته لاجل ابتداءها في قانا الجليل من جهة انه يمكن ان تكون هناك أولى وليس هي على كل حال أولى لاياته في كل مكان لان ممكنا ان يكون قد اجترح في غير ذلك المكان آيات أخر غيرها نقول له ذلك الجواب الذي قد قلناه فيما سلف ان يوحنا الصابغ قد قال أنا ما كنت أعرفه لكن لكي يظهر لآل اسرائيل لهذا السبب جئت أنا صابغا فلو كان قد اجترح في سنته الاولة عجائب لما كان الاسرائيليون احتاجوا آخر يظهره لهم لان من أفضى الى قد الرجال وعرف من عجائبه هذه المعرفة الواضحة ليس عند الذين كانوا في بلد اليهودية وحدهم لكنه عرف أيضا عند الذين في الشام وأبعد مسافة من ذلك على ان هذه العجائب انما اجترحها في مدى ثلاث سنين فقط وأليق ما يقال انه ما احتاج لاظهار ذاته ولا هذه الثلاث ستين لانه في الحين من سنته الاولى ذاع خبره في كل مكان فمن أشرق نوره اذا في مدة يسيرة هذا الاشراق بكثرة عجائبه حتى ان اسمه صار واضحا عند جميع الذين سمعوا به فاولى وأليق ان يصير واضحا لو كان اجترح العجائب وهو صبي منذ السنة الاولى وما كان أزمع ان يستتر زمانا هذا مبلغه طويلا لان قد كانت تكون الايات

الكائنة حينئذ نظن انها أبدع من غيرها من طريق كونها من صبي وكان زمانها اضعافا كثيرة لهذه المدة الا انه ما اجترح آية لما كان صبيا لكن هذا القول وحده شهد به لوقا البشير انه جلس لما كان اذ كان ابن اثنى عشر سنة فيما بين المعلمين سامعا لهم وبسؤاله اياهم استشعروا انه عجيب ولمعنى آخر على جهة الواجب وصائب القياس انه ما ابتدأ باياته فى الحين منذ سنة الاولى لانهم كانوا قد توهموا انها الخيالا لانه ان كان أناس كثيرون بعد وصوله الى كمال سنه قد توهموا فيه هذا التوهم فقد كان بهم واليق ان يظنوا هذا الظن لو كان اجترح آياته منذ سنيه الاولى حين كان صبيا جدا ولقد كانوا انهضوا اسرع بعاقبـل الوقت الواجب الى صلبه اذ اذابهم الحسد له وقد كانت أفعال سياسته قد أنكرت أيضا وجحدت فان سألت فمن أين حصل لامه ان تتخيل وهما عظيما من أجله أجبت انه ابتدأ منذ ذلك الحين يستعلن ومن شهادات يوحنا صار واضحا ومن الاقوال التى قيلت به لتلاميذه وقيل هذه كلها حيلها بعينه والبدائع الكائنة فى حبلها حصلت فيها توهما عظيما من أجل ابنها لانه قال انها سمعت جميع ما قيل من أجل ابنها وخزنته فى قلبها ولقائل ان يقول فلم ما قالت هذه الاقوال قبل هذا الوقت فنجيبه بما ذكرته ان فى ذلك الحين كان ابتدأ اظهاره ذاته لان قبل هذا الوقت كان كواحد من الكثيرين فمن هذه الجهة ما وثقت امه ان تقول له ما هذا معناه فلما سمعت ان يوحنا لاجله جاء وانه قد شهد له بالشهادات التى شهد بها وانه قد استقنى تلاميذه حينئذ توسلت اليه واثقة واذ عازهم خمر قالت ليس عندهم خمر ولعمرى انها أرادت ان تسدى الى أولئك منة وان تجعل ذاتها أبهى حالا ومنزلة بابنها ولعلها عرض لها عارض انسانى مثل ما عرض لاخوته لما قالوا له أظهر ذاتك للعالم لايثارهم ان يستثمروا من عجائبه تشريفا ولهذا المعنى أجابها وأشد جواب ردعا بقوله

مالى

مالى ولك أيتها الامرأة ماحان وقتى بعد   والدليل على انه كان يوقر والدته
كثير الاسمع لوقا البشير يوضح ذلك ويصف كيف كان خاضعا لوالديه   واسمع
هذا البشير يوحنا القائل كيف اعتنى بها فى أوان صلبه بعينه   لان فى الاوامر
التى لا يعتاقنا بها والدونا ولا يقطعونا عن الاعمال التى ترضى الله تكون طاعتنا
اياهم وخضوعنا لهم لازما ضروريا   ومن لا يعمل هذا العمل فخطره يكون
عظيما   فاذا طلبوا منا مطلوبا فى غير وقته وقطعونا عن الافعال الروحانية
فليس قبولنا منهم حياطة لنا   ولهذا المعنى أجابها ههنا هذا الجواب   وقد
قال أيضا فى موضع آخر من هى أمى ومن هم أخوتى   لان ما كان يصلح
بعد ان يستمدوا من أجله تشريفا   لكنها اذ كانت قد طاقت به طلبت على
حسب عادة الامهات المألوفة ان تأمره على هذه الجهة بكل ما تشاء   وقد كان
واجبا عليها ان تكرمه على انه سيدها وتسجد له   فلهذا السبب أجابها
حينئذ هذا الجواب   لان تفهم أى آية حال كانت حاله   والشعب كله
والمحفل واقف حوله وجماعتهم متعلقون بالاستماع منه وتعليمه مندفق عليهم
فعبرت هى فى الوسط من مخاطبته مريدة ان تستميله عن وعظ الناس وتنبيههم
وان تخاطبه على انفراد   وما استجازت ان تجىء الى داخل المحفل لكنها
أرادت ان تجتذبه الى خارج فقط   فلهذا السبب قال من هى أمى واخوتى
ليس شاتما والدته أبعد هذا الوهم عنك لكن نافعا اياها أعظم المنافع   وما
تركها ان تتوهم فيه أوهاما ذليلة ولئن كان قد اهتم بالناس الاخرين وعمل
كل ما عمل حتى يحصل فيهم الرأى الواجب من أجله فاولى به واليق ان يهتم بامه
لان قد كان واجبا عليها ان تسمع من ابنها تعليمه   فاذ لم تشاء اقتبال تعليمه
ذلك بسهولة لكنها طلبت فى كل مكان لذاتها   (لانها كانت أمه) حظوظ
الفخر المتقدمة   لهذا المعنى أجاب هذا الجواب للذين قالوا له   لانه ما كان
على جهة أخرى صاعدا من هذا الذل الى ذلك العلو لو كانت توقعت دائما ان

تكرم من جهة ابنها ولم تخضع له على انه سيدها وفي هذا الموضع لاجل هذا
السبب قال ما لي ولك يا امرأة ولاجل سبب آخر ليس دون هذا هو حتى لا تتم
العجائب الكائنة لان قد كان واجبا ان يسأله المحتاجون الخمر ولا تسأله
أمه وان سألت من معنى ذلك أجبتك ان العجائب الكائنة من توسل أهله اليه
فيها وان كانت عظيمة فطالما استريب بها عند الناظرين اليها واذا كان
المحتاجون اليها هم الذين يستميحونها تكون ناجية من ان تكون متهمة
ويكون مديحها نقيا ونفعها كثيرا لان اذا دخل طبيب فاضل الى منزل
مرضى كثيرين ولم يسمع من المرضى قولا ولا من أهلهم من يستمنحه مداواتهم
وسألته أمه وحدها ان يداويهم يكون متهما عند المرضى مستثقلا وليس
يظنه ولا واحد من المطروحين ولا من الواقفين عندهم انه يقتدر ان يظهر مداواة
عظيمة نافعة فلهذا المعنى انتهرها قائلا ما لي ولك أيتها الامرأة مؤدبا
اياها ان لا تعمل فيما يستأنف مثل هذا العمل لانه اهتم بالتكريم الواصل
الى أمه واعتنى أكثر من ذلك بالخلاص الواصل الى نفسها وبالاحسان
الى الكثيرين الذي لاجله ليس لحما فهذه الالفاظ ما كانت ألفاظ
متشامخ على أمه لكنها كانت ألفاظ سياسة كثيرة مقومة لتلك الفاضلة جاعلة
عجائبه ان تكون في رتبة لائقة بها والدليل على انه أكرمها خلوا من الناس
الآخرين فهذا القول بعينه المظنون انه قيل على سبيل الانتهار لها فيه كفاية
ان يظهره كثيرا لانه باستثقاله قولها أوضح قولها انها قد استعطفته جدا
وسنقول هذا المعنى فيما يتلو ذلك كيف وبأي غرض أوضح ذلك فاذا
تفهمت هذه الاقوال وسمعت امرأة أخرى قائلة مغبوط الجوف الذي حملك
والثديان اللذان أرضعاك (لوقا ص ١١ ٢٧) ثم سمعته هو مجيبا
لكن بالحقيقة مغبوطون العاملون مشيئة أبي اعتقد ان تلك الالفاظ اتفاقيات
من هذا العزم بعينه لانه ما كان جوابه جواب مطرح أمه لكنه كان جواب

موضع

موضح انها الولا انها كانت صالحة جيدة مؤمنة جدا لما كانت ولادتها اياه نفعتها نفعا فان كانت مريم ما نفعتها ولادة المسيح منها خلوا من الفضيلة التى تناسب نفسها فذلك أولى بنا وأليق ولو امتلكنا أبا وأما وأخا وابنا ممكينا فى الفضيلة جليدا ونكون نحن متنزحين من فضيلته فليس يقدر ذلك ان يفيدنا نفعا لان داود يقول ان أخا لمن يفتدى أخاه أفيفديه انسان غيره (مزمور ٤٨ ع ٧) لانه يجب علينا ان نحصل آمال خلاصنا بعد نعمة الله ليس فى غرض واحد آخر الا فى فضائلنا وحدها التى نحكمها والا فلو أزمع هذا الغرض ان ينفع على انفراده لكان قد نفع اليهود لان المسيح قد كان مناسبا لهم فى ذات جسمه وقد نفع مدينتهم التى ولد فيها ولكان قد نفع اخوته فالان اخوته الى حين كانوا وانين فى أنفسهم ما نفعتهم مرتبة مناسبتهم اياه نفعا لكنهم قد توجه اللوم عليهم مع العالم وفى ذلك الحين استعجبوا حين أشرقوا من فضيلتهم ولكن المدينة هدمت وأحرقت وما استفادت من ذلك فائدة والذين كانوا يناسبونه بمناسبة الجسد ذبحوا وهلكوا هلاكا كثيرا له جدا وما استفادوا فائدة من مناسبتهم اياه تخلصهم اذ كانوا ما امتلكوا النجدة من فضيلتهم ورسله فاستبانوا أعظم من كل الناس اذا استعملوا المناسبة له الطريقة الحقيقية المحسودة طريقة طاعته فمن هذه الجهة تعلم علما يقينا ان الحاجة بنا فى كل موضع ماسة الى الامانة والى العيشة الشارقة البهية فان امتلاك هذه المحامد يقتدر ان يخلصنا فقط ولعمرى ان اليهود مناسبيه قد استعجبوا فى كل مكان الى مدى كثير من الزمان وسعوا سائدين الا اننا مع ذلك ما نعرف نحن أسماهم الا ان رسله عيشتهم وأسماهم ذايعة فى كل مكان

العظة الحادية والعشرون

فى اننا نحتاج لخلاصنا الى أمانة وعيشة متقومة وان امتلا كنا والذين هذه

الطاريقة طريقتهم ليس كافيا لخلاصنا

فلا نفاخرن مفاخرة عظيمة بشرف الحسب الذى يناسب لجنسنا لكننا لو كان لنا أجداد عجيبون جزيل عددهم فينبغى لنا نحن ان نجتهد حتى نفوق على فضائلهم فنزيدها العلمنا اننا ما نستفيد فى الحكومة المستأنفة نفعا من حرص آخرين غيرنا لكن هذا الحسب سيكون عقوبة لنا أشد من غيرها اذا كنا من أبا صالحين وقد ملكنا امتثال الفضيلة مناسبا لنا فلا نشابه على هذه الجهة مناسبينا فهذه الاقوال أقولها لاننى أرى أوثانيين كثيرين قد اقتدناهم الى أمانتنا وسألناهم ان يصيروا مسيحيين التجأوا الى مناسبيهم والى أجدادهم وآبائهم وقالوا ان جميع أهلى وأحبتى الاليفين بى وما كنى هم مسيحيون مؤمنون فاقول أنا لاحدهم يا شقيا حظه وهذا ما الذى يصير اليك منه لان هذا الذنب يهلك أكثرها لاكا لانك ما احتشمت كثرة أهلك وما كنيك وبادرت الى الحق وأيضا أناس غير هؤلاء يكونون مؤمنين وهم متوانون فى عيشتهم وطريقتهم اذا استدعوا الى الفضيلة يقدمون هذا الاحتجاج بعينه قائلين ان أبى وجدى وآباء أجدادى كانوا متهذبى الدين مكينين فى الفضيلة جدا فاقول أنا لاحدهم فهذا القول يوجب عليكم الحكم خصوصا لانك ولد أناس هذه حالهم فى فضلهم وقد عملت أعمالا قد عدمت ان تكون مؤهلة لاصلك واسمع النبى ماذا يقول لليهود تعبد اسرائيل فى امرأة وحفظ فى امرأة (هوشع ص ١٢ ع ١٢) وقد قال المسيح أيضا ابراهيم أبوكم ابتهج ليبصر يومى فابصره وفرح وفى كل مكان فقد قدمت فضائل أجدادهم التى أحكموها ليس فى منزلة مدايح لهم فقط لكنها قد أوردت بدلا من ثلب لهم أعظم تقريعا فاذ قد عرفنا هذه الاخبار فينبغى لنا ان نعمل كل ما يمكننا لكى نقتدر ان نتخلص باعمالنا حتى لا نخدع نفوسنا باطلا بالاتكال على أناس آخرين فنعلم حينئذ اننا قد

طغينا

طغينا وخدعنا باطلا حتى لا يحصل لنا من عملنا هذا ولا صنف من منفعة لان النبي قال ليس فى الجحيم من يعترف لك فينبغى لنا اذا أن نتوب ههنا حتى يتفق لنا تحصيل النعم الصالحة الدهرية التى فليكن لنا كلنا أن نمتلكها بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفه الذى معه لابيه المجد مع الروح القدس الى أباد الدهور كلها آمين

المقالة الثانية والعشرون

(الاصحاح الثانى) فى قوله (٤) مالى ولك أيتها المرأة ماجان بعد وقتى

ان الكلام يحوى تعبا وهذا المعنى لما أوضحه بولس قال القسوس المتقدم وقوفهم على ماينبغى الواجب ان يؤهلوا الكرامة مضاعفة واحق بذلك كثيرا الذين يتبعون فى كلامهم وتعليمهم *(تيموتاوس ١ ص ٥ ع ١٧)* الا ان هذا التعب أنتم مالكون أن تجعلوه خفيفا وثقيلا لانكم اذا رفضتم الاقوال التى نقولها أولم ترفضوها لكنكم ماتوضحونها بافعالكم فقد حصل التعب ثقيلا عندنا لوضع تعبنا باطلا وجزافا واذا صغيتم الى مانقوله ومنحتم اظهار ذلك بافعالكم فمانشعر بحس لاعراقنا لان الثمرة المتولدة من اتعابنا ماتترك شدة التعب أن يستبين لنا فمن هذه الجهة أن شئتم أن تنهضوا النشاط فينا ولا ينطفى ولا نصيره ضعيفا فعلا فارونا ثمرتكم حتى نبصر حقولكم مخصبة فنتعدى بامال خصبها ونفتكر فى ايساركم فلا نكل فى تعبنا فى هذه التجارة الجيدة فقد حضر لنا اليوم مطلوب ليس صغيرا وهو ان أم يسوع لما قالت ليس عندهم خمر قال لها

المسيح مالي ولك يا مرأة ما قد حان وقتي بعد واذا قال هذا القول عمل ماقالت أمه فهذا القول يوجد في معنى البحث ليس بدون القول الاول فاذا نضرعنا الى مبدع الحكمة بعينه يتحدر على هذه الجهة الى حل ذلك فان هذا القول ماقاله في هذا الموضع فقط لكنه قد قاله في مكان آخر لان البشير قد قال انهم ما استطاعوا أن يضبطوه لانه ما كان وقته قد حان بعد وقد قال في موضع آخر ما وضع واضع يديه عليه لان وقته ما كان قد حان بعد وقال أيضا قد حان الوقت فمجد ابنك واعل قائلا يقول لنا ما هو هذا القول لاني لهذا المعنى جمعت أقوالا كثيرة يتكرر هذا القول فيها حتى أورد حلها واحدا فما هو هذا القول فنقول له ليس المسيح موضوعا تحت ضرورة الاوقات ولا قال ما حان وقتي تعذيرا كأنه براصد أوقاتا وكيف يكون ذلك وهو خالق الاوقات ومبدع الازمان والسنين فلعلك تقول وما هو المعنى الذي ذكره غامضا فاقول لك انما قال ذلك مريدا أن يبين هذا المعنى انه ما يعمل كافة أعماله في وقت غير موافق لها وليس عاملا كافة أعماله معا والا أزمع أن تكون فيها تغيير تخلطها وزوال ترتيبها ان لم يعملها كلها في أوقات لائقة بها والا فكان أورد الولادة والقيامة والدينونة كلها معا وتأمل هذا المعنى كان واجبا أن تكون الا انها ما تكونت كلها معا ووجب أيضا أن يكون الانسان مع امرأته الا انهما كونهما معا فوجب أن يحكم على جنس الناس بموته وان تكون قيامته الا ان الفرق فيما بين موتهم وقيامتهم طويل المدى وكان واجبا ان تعطى الشريعة الا انها ما أعطيت هي والنعمة في وقت واحد معا لكن كل منهما ادبر في وقت من أوقات لائقة به واجبة فهو اذا ما كان داخلا تحت ضرورة الازمان لكنه هو وضع للازمان ترتيبها اذ هو كان خالقها ولهذا المعنى قال ههنا ما حان وقتي بعد فما قاله هذا هو معناه انما كان واضحا عند الكثيرين وما

سوى صف تلاميذه كله لكن اندراوس لحقه وفيلبس معه وما لحقه أحد آخر والأليق ما يقال ان ولا هذين عرفاه على ما يجب أن يعرفاه ولا أمه ولا اخوته لان بعد عجائب كثيرة قال البشير هذا القول فى ذكر اخوته ان ولا اخوته كانوا قد آمنوا به بل والذين فى العرس ما كانوا قد عرفوه لانهم لو كانوا عرفوه لكانوا هم قد تقدموا وسألوه فى الخمر عند احتياجهم اليه فلهذا المعنى قال ما حان وقتى بعد ومعنى هذا هو لست بعد عند الحاضرين معروفا ولا قد عرفوا مع ذلك ان قد عازهم خمر اتركهم يشعرون بذلك أولا لان ليس واجبا ان أسمع منك فى هذه الوسائل لانك أمى فتجعلين العجيبة متهمة لان واجبا هو على المحتاجين الى ذلك أن يتقدموا ويسألونى ولست محتاجا الى سؤالهم لكن حتى يقتبلوا هم العجيبة الكاينة بجنوح كثير اليها لان من قد عرف انه قد حصل محتاجا متى ما اتفق له ان ينال مطلوبه يعتقد المنة عليه كثيرة ومن لم يحس بحاجته حسا فليس من شأنه أن يحس بالاحسان الواصل حسا جليا فان استخبر مستخبر فلم اذ قال ما حان وقتى بعد واستعفى من ذلك ثم عمل ما قالت له أمه أجيبناه فعل ذلك برأى يبين صوابه كثيرا حتى يكون افتعال ذلك عند الذين يعاندون ويظنون انه حاصل تحت زمان برهانا كافيا يبين لهم انه ليس داخلا تحت زمان فكيف اذ لم يكن الوقت الواجب قد حان عمل ما عمل وبعد ذلك فعل العجيبة مكرما امه حتى لا يظن ظان انه يراددها كل حين حتى لا يخجل والدته وأناس جزيل عددهم حاضرون لانها جاءت بالخدام اليه لانه اذ قال للكنعانية وليس صوابا أن نأخذ خبز البنين ونعطيه للكلابات (متى ص ١٥ ع ٢٦) ثم اعطاها الخبز لما احتشم الحاجها ومثابتتها على انه قد قال هذا القول مع ذلك انى ما أرسلت الا الى الغنم التى ضلت من بيت اسرائيل الا انه مع ذلك بعد ان قال هذا شفى ابنة الامرأة فمن هذه الجهة نتعلم اننا ولو كنا قد عدمنا أن نكون مستحقين فسنصير ذواتنا

بمثابتنا والجاجنا مؤهلين لاخذ مطلوبنا فلهذا المعنى ثابتته امه وبوفور حكمتها اقدمت الخدام اليه حتى يصير السؤال مع اناس كثيرين واستثنت بان قالت (٥) مهما يقوله لكم افعلوا لانها عرفت ان استعفاءه من ذلك ما كان من ضعف لكن استعفاءه انما كان من اجتنابه التفخيم ومن ان لا يظن به انه يطرح ذاته عليهم على بسيط ذات اختياره فلذلك قدمت الخدام اليه (٦) وكان هناك ست جرار حجرية برسم تطهير اليهود يسعن مكيالين أو ثلثة (٧) فقال لهم يسوع املأوا الجرار ماء فملأوهن الى اعلاهن فما قال البشير برسم تطهير اليهود على بسيط ذات القول لكنه قال ذلك لكيلا يتوهم متوهم من الكفار انها كان تبقى فيها دردى فى باطنها ثم لما صب الماء فيهن وامتزج صار خمرا رقيقا فلهذا السبب قال برسم تطهير اليهود موضحا ان تلك الاوعية ما كانت فى وقت من الزمان أوعية للخمر لان اذ بلاد فلسطين هو خال من الماء وليس يوجد فى مواضع كثيرة منه عيون وينابيع فكانوا يملأون دائما جرارهم ماء لكيلا يحاضروا الى عيون الماء اذا صاروا بخسين لكى يحوز واحال تطهيرهم بقربهم ولعل قايلا يقول وما غرضه فى انه ما اجترح العجيبة قبل أن تملأ الجرار فكانت تكون أعجب وأظرف وذلك ان ابداعه مما ليس موجودا جوهرا بذاته يكون أعجب من احالته مادة موجودة الى كيفية أخرى فنجيبه الان العجيبة على هذه الجهة ما كانت تظن عند الكثيرين انها صادقة ولهذا الغرض يقطع ربنا فى اكثر الاوقات جسامة عجائبه طوعا حتى تصير مقبولة اكثر قبولا ولقايل أن يقول ولما لم يحضر هذا الماء ويظهره بعد ذلك خمرا لكنه أوعز الى الخدام أن يجيئوا بالماء فنقول له لاجل هذه العلة بعينها ولكى يحوى الذين استقوه باعيانهم شهودا بالعجيبة الكائنة يشهدون ان العجيبة الصائرة ما كانت خيالا لان لو ازمع اناس أن يتوقحوا ويجحدوها لاقتدر الخدام أن يقولوا لهم نحن

استقينا

استقينا الماء ونحن أوعينا الجرار ومع ما قلناه يعكس بذلك الظنون التى
افرغت فيما بعد فى كنيسته لان قد يوجد أقوام يقولون ان خالق العالم هو
آخر وليست البرايا الملحوظة أعماله لكنها أعمال خالق آخر صد الله
فابكم جنون هؤلاء الملحدين واصممهم وعلى هذه الجهة يعمل اكثر عجائبه من
الجواهر الموضوعة لان خالقها لو كان ضد الله لما كان استعمل الجواهر
الغريبة من ابداعه لايضاح مقدرته فقد أظهر الان انه هو الذى يحيل الماء
فى الكروم وينقل المطر فى أصولها الى خمر وما يتكون فى نصبه الكرم
بعد مدة طويلة ذلك الخمر عمله فى العرس بغتة (٨) ولما أوعبوا الجرار قال
اهم اغترفوا الان وقدموا الى صاحب خزانة العرس فقدموه اليه (٩)
فعما ذاق صاحب خزانة العرس الماء الصائر خمرا وما عرف من اين هو بل
الخدام قد عرفوا ذلك وهم الذين استقوا الماء صوت صاحب الخزانة
العرس بالختن (١٠) وقال له كل انسان يقدم أولا الخمر الجيد واذا سكروا يقدم
حينئذ الخمر الادنى من ذلك وأنت حفظت الجيد الى الان وفى هذا
الموضع يستهجن مستهجنون ويقولون ان جماعة الناس الحاضرين هنالك
كانوا قد سكروا وان حس الذين يميزون الخمر كان منفسدا ولم يكن فيه كفاية
أن يحصل الاصناف الكائنة فى المذاقات ولا يميز الافعال التى فعلت حينئذ
وقد وصل الى ان لا يعرف العجيبة التى كانت هل هو ماء أو خمر والدليل على
انهم كانوا قد سكروا فقد ذكره صاحب خزانة العرس بعينه الان قولهم
هذا قد استبان مضحوكا عليه كثيرا ومع ذلك فقد قطع البشير توهمهم هذا
لانه ما قال ان الندماء هم الذين حكموا هذا الحكم فى الخمر الكائن من الماء
لكنه قال ان صاحب خزانة العرس المستفيق هو الذى قال هذا القول
الذى ما كان بعد قد ذاق ذواقا لانكم قد عرفتم هذا المعنى ان المرتبين
على خدمة الولائم التى هذه صفتها أولئك يكونون مستفيقين اكثر من جماعة

الحاضرين مالكين عملا واحدا أن يرتبوا كل صنف هنالك فى رتبته
وترتيبه لهذا الغرض استدعى الحاسة المستفيقة هذه الى الشهادة للحوادث
الكائنة لانه ماقال ناولوا الخمر للمتكئين لكنه قال قدموا الخمر الى صاحب
خزانة العرس فلما ذاق الماء الصاير خمرا وماعرف من اين هو بل الخدام
قد عرفوا قال صوت صاحب خزانة العرس بالختن ولعلك تقول فلم
ماصوت بالخدام لان على هذه الجهة كانت العجيبة قد انكشفت أجيبك
ان ولا يسوع بعينه اعلن العجب الصائر لكنه شاء ان تعرف قوة اياته بسكوت
قليلا قليلا فلو كان العجب اشتهر حينئذ لما كان الخدام صدقوا لما أذاعوا
هذه الاخبار لكن الظن كان يتحقق عندهم انهم قد صرعوا اذ شهدوا
بالاخبار التى هذا المحل محلها المظنون حينئذ عند أناس كثيرين انه انسان
ساذج لانهم هم بالخبرة قد عرفوا صحتها ووضوحها لانهم ماأزمعوا ان
يصدقوا اناسا آخرين وينكروا فعل أيديهم ولا كانت فيهم كفاية
لذلك لهذا الغرض ما اعلن هذه العجيبة لجميع الحاضرين لكنه أعلنها
للقادران يعرفها أكثر من غيره حافظا معرفتها الواضحة للزمان المستأنف لان
بعد وضوح باقى جرائحه أزمعت هذه الاية أن تكون صادقة وحين اعتزم
أن يشفى ابن العامل الملكى أوضح البشيران هذه العجيبة كانت أبين وضوحا
لان لاجل هذه الاية خصوصا استدعى ذلك العامل لانه كان قد عرفها
وهذا المعنى قد أوضحه يوحنا وقال جاء يسوع الى قانا الجليل الى المكان
الذى فيه صنع الماء خمرا وما صيره خمرا على بسيط ذاته لكنه صيره خمرا
فائق الجودة لان عجائب المسيح هذه الخاصة خاصتها ان تصير أبهى حسنا
وأفضل من الاصناف المتكونة فى الطبيعة بكثير فعلى هذه الجهة حين
أصلح فى الناس الاخرين عضوا من جسدهم أعوج أظهر ذلك العضو أفضل من
الاعضاء الصحيحة المعافاة والبرهان على ان الماء الصاير خمرا كان خمرا فائق

الجودة

الجودة فقد شهد بحقيقته ليس الخدام وحدهم لكن قد يشهد بذلك معهم الختن وصاحب خزانة العرس والبرهان على ان المسيح صيره خمرا سيشهد بصحته الذين استقوا الماء فمن هذه الجهة وان كانت العجيبة ما استعلنت فى ذلك الحين الا انهم ما انساغ لهم أن يصمتوا عنها الى الغاية فعلى هذه الجهة سبق فخزن له للزمان المستأنف شهادات لازمة ضرورية لانه حاز الخدام شهودا على صنعه الماء خمرا وامتلك الختن وصاحب عرسه شاهدين بان الخمر الذى أبدعه المسيح خمرا جيدا فائقا وقد كان واجبا على أن يجيب الختن و يقول قولا عند كون البدائع الا ان البشير عند اسراعه الى ذكر ابداعه أيات ألزم ضرورة من هذه الافعال سلم هذه الاية فقط اذ مارس وصفها الا ان الغرض اللازم الضرورى كان ان نعرف انه جعل الماء خمرا وصيره خمرا فائقا جيدا وما استشعر استثناه بما قاله الخدام لصاحب خزانة عرسه خبرا ضروريا لان صنوفا كثيرة من اياته كانت فيما سلف اغمض بيانا فلما تمادى بها الزمان صارت أوضح ظهورا حين أذاعها الذين عرفوها منذ ابتدائها بابلغ الاستقصاء فى وصفها

العظـــــة الثانية والعشرون

طعن على النهمة بطونهم

فيسوع أبدع الماء خمرا وليس يكف حينئذ والان عند احالته اختيارات أناس رخوة متحللة لان قد يوجد أناس لا فرق بينهم وبين الماء باردين بهذه الصفة رخوين ما يثبتون فى وقت من أوقاتهم وقوفا فسبيلنا أن نقدم الى ربنا الذين هذه الحال حالهم حتى يحيل اختيارهم الى ملكة الخمر حتى لا ينحل اختيارهم أيضا لكنهم يستقنون الكيفية القابضة ويصيرون للمسرة للذواتهم ولاخرين غيرهم وان استخبرت ومن هم هؤلاء

البااردون أجبتك هم هؤلاء الباهتون الى أحوال هذا العمر السائلة الذين
ما يضحكون على التنعم فى هذه الدنيا العاشقون شرف الدنيا واقتدارها
لان هذه الاصناف كلها هى سواقى جارية ليست بجهة من الجهات ثابتة
بل مندفعة دائما الى انحدارها بجرية كثيرة لان الغنى اليوم يكون غدا
فقيرا والظاهر اليوم ينادى بتقدمه وبمنطقة ومركبة ولديه كثيرون
حاملون عصيا طالما سكن الحبس فى اليوم التالى اذا أباح غيره تلك
الحال كارها والمتنعم أيضا المتمزق فى الامتلاء مادام يمزق بطنه فى الاطعمة
ليس يستطيع أن يضبط المنحة الحاصلة له منها الى يوم واحد لكنه اذا استفرغ
ذلك الغذاء يضطر أيضا أن يستمد غذاء آخر فلا فرق بينه وبين ساقية جارية
فى وادى وكما ان الجرية الاولى من السيل اذا جرت هنالك تتبعها جرية
أخرى أيضا فكذلك تجرى حال أجسامنا اذا برزمنها الغذاء الاول تحتاج
الى غذاء آخر أيضا فطبيعة أقسام عيشتنا هذه الحال حالها ليس
يخصها أن تقف ثابتة ولا فى وقت من أوقاتها لكنها تجرى وتندفع منسحبة
دائما وليس يوجد هذا فى التنعم الحادث الجارى المندفع فقط لكن يتبادر
الينا حوادث كثيرة لان باندفاعه فى شدة جريته يجرد من جسمنا عنصر
قوته ويسحب معه من نفسنا خاصة شجاعتها وليس من عادة مدود الانهار
الشديدة ان تأكل الشواطى وتجعلها منحطة تحتها على هذا المثال من التشبيه
مثل ما يسحب التنعم والتفكه دعائم عافيتنا كلها ويقتلعها بايسر مرام وان
جئت الى بيمارستان وتقدمت لتسأل فستجد علل الاسقام كلها الا أقلها متولدة
من تلك الجهة لان المائدة الحقيرة الساذجة هى أم الصحة ولهذا المعنى
يسميها فتيان الاطباء بهذا الاسم اذا سموا اجتناب الشبع عافية لان
طعاما خائبا من الطمع يعافى وقالوا أيضا ان الاخذ من الطعام بقدر الحاجة
مولد الصحة فان يكن تنقيص الغذاء هو أم الصحة فواضح بين أن الشبع

والامتلاء

والامتلاء من الطعام هو أم المرض والسقم ويعمل أمراضا تفوق على صناعة
الاطباء لان من الامتلاء تتولد أوجاع الرجلين وثقل الرأس وكلول البصر
وأوجاع اليدين وصنوف الرعدة والبرقان والحميات الطويلة الصعبة
وأمراض أخرى اكثر من هذه بكثير ومن عادتها أن تتولد ليس من الحمية
بفطنة وبحكمة لكنها من شأنها أن تتكون من الشره فى الاكل والامتلاء
من الطعام وان شئت أن تعرف أمراض نفسنا الناشئة من هذه الجهة فستجد
استكثار القنية يتولد منها والصلف والمرة السوداء والكسل والفسق والشبق
وزوال العلم من هذه الجهة تملك ابتداها بحضرة لنفوس التى تغتذى من
موائد هذه الصفة صفتها ليست هى أفضل من الحمير اذ تسحبها وحوش كثيرة
أنا أصف لكم الغموم والمكاره التى يمتلكونها الذين يثابرون التنعم والشره
مع ان ليس ممكنا ان أوضحها كلها بل سأصير المطلوب كله ظاهرا فى رأس واحد
وذلك انهم ما يذوقون طعام هذه المائدة الجزيلة نفقتها بالذة ولا فى وقت من
أوقاتهم لان كما ان أعواز الطعام وتقليله هو أم الصحة فكذلك أيضا هو أم
اللذة والامتلاء من الطعام كما انه أم الامراض فكذلك هو ينبوع
الكراهية وأصلها لان اينما يوجد الشبع فلن يوجد هناك شهوة وان لم
توجد شهوة فكيف توجد فى وقت من الاوقات لذة فلهذا السبب ليس
مستغربا اننا نجد الفقراء أوفر فهما من الموسرين وأتم صحة فقط لكن أعجب
من ذلك اننا نصادفهم مستمرين للسرور اكثر منهم واذا تفهمنا هذه المعانى
كلها فينبغى لنا أن نهرب من السكر والتنعم ليس من التنعم فى الموائد فقط
لكن سبيلنا ان نهرب من التنعم الآخر كله أى التنعم بأشياء الدنيا ونعتاض
من ذلك التنعم باللذة من المحامد الروحانية ونتنعم على رأى النبى بربنا لانه
قال تنعم بربك فيعطيك وسائل قلبك لكى نستمتع بالنعم الصالحة المنتظرة
وبالتى ههنا بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفه الذى به ومعه لابيه المجد مع

الروح القدس الان ودائما والى أباد الدهور كلها آمين

المقالة الثالثة والعشرون

فى قوله (١١) هذه الآية عملها يسوع فى قانا الجليل وهى ابتداء آياته

ان ابليس المحتال يؤثر ايثارا شديدا ويشتهى كثيرا ان يحجزعنا من سائر الجهات خلاصنا فينبغى لنا ان نتيقظ ونستفيق ونحجز من كل ناحية غارته علينا بسور احتراسنا لانه متى ما أخذ من أحدنا ناحية صغيرة يصير فيما بعد دخوله فيه واسعا ويولج قوته كلها قليلا قليلا فان كان يوجد فينا اهتمام خلاصنا فلا نسمح له ان يدخل فى الذنوب الصغار الينا بل نسبق ونحجز عنا الجرائم العظيمة من تلقاء احتراسنا من هذه الزلات الحقيرة لان ذلك اذا كان يوضع حرصا هذا مقداره حتى يهلك نفسنا فاذا لم نورد نحن اجتهادا عديلا لحرصه مهتمين بخلاصنا سيكون ذلك من غباوة منا واصلة الى غايتها فهذه الاقوال ما قلتها على بسيط ذات لفظها لكننى قلتها لاننى خشيت لئلا يكون هذا الذئب قد وقف فى وسط الكنيسة الآن وقرفا ليس ملحوظا عندنا فيصطاد نعجة من قطيعنا اذا اقتطعها من الرعية ومن السماع يوبذيها وباغتياله الخبيث عليها لان لو كانت الجراحات محسوسة والضربات تنكى جسدنا لما كان عملا مستصعبا ان نعرف الاغتيالات التى هذه الحال حالها واذ أنفسنا عديمة ان تكون ملحوظة بخصها ان تقتبل القروح فيها فنحتاج الى سهر وتيقظ كثير حتى نمتحن كل مناذاته لان ما قد عرف عارف خفيات الانسان مثل ما قد عرفها روح الانسان الذى فيه لان كلامنا يخاطب بجميع سامعيه وقد وضع دواء للمحتاجين اليه مشاعا وكل واحد من سامعيه

يجب

يجب له ان يستمد ما يلائم مرضه فانا ما عرفت المرضى ولا قد عرفت الاصحاء
المعافين فلهذا المعنى حركت كل كلام ملائم للامراض كلها اذا ثلب الاستكثار
من القنية احيانا وأذم التنعم أحيانا واستهجن الفسق أحيانا وأنظم أيضا
للصدقة والرحمة مديحا وتخصيصا ثم أولف أيضا مديحا لكل فضيلة من
الفضائل الاخر التي تحكمها الناس لانى أخشى ائلا أشغل أقوالى فى مداواة
داء واحد فينكتم عنى فى مداواتى مرض آخر لانكم قد أسقمتكم امراض
آخر فمن هذه الجهة لو كان المجموع ههنا واحدا لما ظننت انه ضرورى
لازم جدا ان أجعل كلامى جزيلا فى صوره واذا المجموع منكم متزايد
فى كثرة جزيل تقديرها يوجد فيها على واجب القياس ادواء كثيرة فليس
تلوينا تعليمنا ألوانا فعلا بغير واجب لان كلامنا سيجد على كل حال
حاجته عند انبساطه على جميع سامعيه ولهذا المعنى يوجد فى الكتاب
الالهى لفظ جزيل الصور والاصناف اذ يخاطبنا فى معان كثيرة لانه
يفاوض طبيعة الناس العامة الشائعة وبلازم الضرورة ان يوجد فى كثرة
هذا المقدار مقدارها ادواء النفس كلها وان لم تكن كلها فى جماعتهم فاذا طهرنا
ذواتنا منها فلنسمع بعد ذلك الاقاويل الالهية ونستمع بتمييز خاشع متطمن
الاقوال التى قرئت اليوم علينا وان سألت وما هى أجبتك هذه الاية
صنعها يسوع فى قانا الجليل وهى ابتداء آياته قد قلت فيما سلف ان أناسا
قالوا ليست هذه أولى لانهم قالوا وان كان اجتراحها فى قانا الجليل فما
الذى يوجب انها أولى لان البشير قال انه اجترحها فى قانا الجليل وهى ابتداء
آياته فانا ما تعمقت فى الاستقصاء عن هذه الاصناف لكننى أوضحت
فيما سلف انه بعد اصطباغه ابتدى باياته وما اجترح عجيبة قبل اصطباغه
فان كانت هذه الآية وان كانت غيرها قد صارت أولى لاياته الكائنة بعد
اصطباغه فلست أظن انه يكون ضروريا لازما جدا ان ابرهن ذلك ثم قال البشير

وأظهر مجده   ولقائل ان يقول كيف وباية حال أظهر مجده لان ليس أناس كثيرون شاهدوا الاية الكائنة الا الخدام والختن وصاحب خزانة عرسه فكيف أظهر مجده وهؤلاء جزء فريد من أهل زمانه فنقول له   وان كان ماظهر حينئذ ولكن كل الناس أزمعوا ان يسمعوا هذا العجب أخيرا   لان هذه العجيبة الى الآن متواصفة   وماقد نسيت   والدليل على ان ليس جميع الحاضرين عرفوه فى ذلك اليوم فذلك واضح من الاقوال التى تتلو هذه لان البشير اذ قال وأظهر مجده استثنى بقوله وآمن به تلاميذه   الذين استعجبوه قبل هذه الاية   أرأيت ان اجتراح الآيات كان حينئذ ضرورياً وحين حضر عنده الجميل حفاظهم الناظرون الى الايات الكائنة نظرا بينا الان هؤلاء أزمعوا ان يؤمنوا أسهل ايمان وان يصغوا الى مايجترحه اصغاء بليغا   وكيف صار معروفا خلوا من آياته لانه حصل فى نفوس سامعيه تعليما كافيا ونبوة وعجيبة حتى يصغوا الى مايجترحه بعجيبة مناسبة لنفوسهم التى قد ارتاضت سالفا ولهذا السبب قال المبشرون فى جهات كثيرة وفى أصناف مختلفة انه ماعمل آية بسبب غباوة الناس المقيمين هنالك   وذكرانه (١٢) بعد ذلك انحدر الى كفرناحوم هو وأمه وتلاميذه ولبثوا هناك ليس أياما كثيرة   ولسائل ان يسألنا ولم جاء الى كفرناحوم مع أمه لانه ماعمل هنالك ولا عجيبة واحدة ولا كان القاطنون فى تلك المدينة من الصحيح رأيهم فيه   لكنهم كانوا من المنفسدين جدا   وهذا المعنى فقد أوضحه المسيح اذ قال   وأنت ياكفرناحوم المرتفعة الى السماء ستهبطين الى الجحيم (لوقا ص ١٠ ع ١٥) فلم جاء الى هنالك فنجيبه على ما يلوح لى اظنى لانه اعتزم بعد مدة يسيرة ان يصعد الى أورشليم لهذا السبب ذهب الى هنالك حتى لا يستصحب معه فى كل مكان أمه وأخوته   فلما مضى الى هنالك أقام مدة يسيرة لاجل تكريم أمه   ثم مارس أيضا عجائبه بعد ان أعاد أمه الى منزلها   ولذلك قال البشير (١٣)

انه

انه صعد الى أورشليم ليس بعد أيام كثيرة لانه اصطبغ اذا قيل الفصح
بايام يسيرة وان سألت فماذا عمل حين صعد الى أورشليم أجبتك انه عمل
عملا ملؤه أمرا كثيرا لانه أخرج من الهيكل أولئك المتاجرين والصيارفة
وبائعي الحمام والبقر والغنم المقيمين هنالك لهذا العمل وقال بشير آخر
انه اذا اخرجهم قال لهم لا تجعلوا بيت أبي مغارة للصوص وهذا البشير
فقال (١٦) لا تجعلوا بيت أبي بيت متاجرة فما قالا أقوالا يضاد بها
أحدهما صاحبه لكنهما أوضحا انه عمل هذا العمل دفعتين وان الفعلين
كلاهما ما صارا في وقت واحد بعينه لكن أحدهما فعله في مبادئ انذاره
والآخر فعله عند مجيئه الى آلامه بعينه ولذلك استعمل حينئذ قوله أشد
لذعا ودعا الهيكل مغارة وعمل هذا العمل الآن في ابتداء آياته واستعمل
انتهاره باوفر التذلل فمن هذه الجهة وجب ان يكون هذا الفعل دفعة ثانية
ولسائل ان يسألنا ولم عمل المسيح هذا العمل بعينه واستعمل على أولئك الباعة
صرامة هذا مبلغها وهذا العمل فما استبان انه عمله في جهة من الجهات مع انهم
قد شتموه فيما بعد وثلبوه ودعوه سامريا ومجنونا لانه ما اكتفى باقواله فقط
لكنه تناول قلسا وأخرجهم به على هذه الحال واليهود فلما أحسن فيما بعد
الى أناس آخرين شكوه وتوحش عليه غضبهم وحين كان واجبا ان ينتهروا
عليه لانتهاره اياهم ما استعملوا معه هذه الطريقة لانهم ما انتهروه ولا شتموه
لكنهم قالوا له (١٧) ما الآية التي ترينا اياها لانك تعمل هذه الاعمال
ارأيت تفاقم حسدهم وكيف اغاظتهم احساناته الى أناس آخرين أكثر اغتياظا
فقال احيانا انهم صيروا الهيكل مغارة اللصوص موضحا ان الاصناف
التي كانت تباع هنالك كانت من سرقة وخطف واغتنام وانهم قد ايسروا
من الاشياء التي لم تكن لهم وقال أحيانا انهم قد جعلوه بيت متاجرة موضحا
متاجرتهم الخالية من خجل فلم عمل هذا العمل فنجيبه لانه اعتزم ان يشفي

فى يوم السبت امراضا وان يعمل اعمالا تناسب هذه الاشفية كثيرة وهى
المظنونة عندهم انها تجاوز الشريعتهم ولكيلا يظنوا انه عند الله وقد جاء
يعمل هذه الاعمال معاند الابيه صنع فى هذا الوجه تلافيا التوههم
هذا لان من قد اظهر غيرة هذه مبلغها من أجل الهيكل ما كان يحتج
الى ان يضاد سيد الهيكل المسترضى فيه فقد كانت سنوه الاولى التى فيها
عاش على افتراض الشريعة فيها كفاية ان تبين احتشامه مفترض الشريعة
وتوضح انه ما جاء مشترعا ما يضاد الشريعة واذا كان واجبا ان تدفع تلك
السنون الى ان تنسى فى الزمان من جهة انها اما كانت معروفة عند كل أهل
ذلك البلد لاجل انه تربى فى منزل مسكين فقير حقير واذ حضروا فيما بعد كلهم
عنده عمل هذا العمل وكان على جهة التورط فى الخطر وكان اناس كثيرون
قد حضروا لان العيد كان قريبا لانه ما أخرجهم على بسيط ذات اخراجهم
لكنه اقاب مع ذلك موائدهم وبددفضتهم مخولا اياهم من هذا الفعل
ان يفتكروا ان من قد القى ذاته فى شديد الخطر من أجل حسن زينة الهيكل
ما تهاون تسيد الهيكل لان لو كان فعل هذه الافعال مرائيا لقد كان
واجبا ان يعدلهم فقط الالان ثبوته فى شدائد الخطر الذى ما كان يسيرا
و بذله ذاته لاغتياظ سوقيين جزيل تقديرهم واثارته على ذاته غضب جمع
من اناس متاجرين مملوين بهيمية كثيرة مختبرا اياهم ما فعل مرائى لكنه
كان فعل من يختار ان يقاسى كافة النوائب لاجل حسن زينة الهيكل
الذى لابيه ولهذا السبب أوضح موافقته اياه ليس بافعاله التى فعلها
فقط لكنه بينهما أيضا باقواله التى قالها لانه ما قال لا تجعلوا البيت
المقدس لكنه قال لا تصيروا بيت أبى فها هو يدعوه أباه وما اغتاظوا
عليه لانهم توهموه يقول هذا القول على بسيط ذات القول لكنه لما
تكلم بهذا القول أفصح تكلما حين أمعن فى زمانه مريدا ان يبين ذلك

المعنى

المعنى معنى معادلتـه أياه حينئذ اغتاظوا عليه واسمع ماقاله أولئك (ما الآية التى ترينا ها الآنك تعمل هذه الاعمال) وانا أقول ترحا لجنونهم الواصل الى غايتـه هل كان يحتاج الى آية حتى تكف الافعال الكائنة بغرض ردى ويستخلص الهيكل من خزى جزيل تقديره مع ان اشتماله غيرة من أجل الهيكل هذا تأثيرها أما كان علامة للفضيلة عظيمة لان من هـذه الجهة استبان الجيل حفاظهم لان البشير قال (١٧) ان تلاميذه ذكروا حينئذ ان هـذا مكتوب وان غيرتى لبيتك اكلتنى ومايذكر أولئك اليهود النبوة لكنهم قالوا اما الآية التى ترينا اذ توجهوا مع ذلك لما انقطع بحثهم المستقبح عنهم وأملوا بهذا السؤال ان يمنعوه مريدين ان يستدعوه الى ان يستجيب و يتصفح مافعله فلهذا السبب ماخولهم آية اذ كانوا فيما بعد قد تقدموا واستماحوه هـذه الاستماحة بعينها فاجابهم الجيل الخبيث الملتوى يلتمس آية وليس يعطى آية الا آية يونان النبى) الا انه فى ذلك الحين خاطبهم أشـد الخطاب والذعه والآن خاطبهم باغمضه ويعمل هذا العمل لاجل زوال حسهم الواصل الى غايته لان من قد سابق الذين لم يسألوه واعطاهم آياته ما كان يرتجع عن الذين سألوه فيها لو لم يكن قد عرف سريرتهم انها خبيثة غاشة ونيتهم مستنبطة دغلا وتأمل أنت سؤالهم بعينه من أى رذيلة كان مملوا لان قـد كان واجبا عليهم ان يقتبلوا حرصه وغيرته وقد كان لا يقابهم ان يتحيروا من انه يعتنى بالهيكل اعتناء هذا مبلغه لكنهم شكوا الذى قال انهم استجازوا ان يتجروا فى الهيكل وما امكنهم ان يبطلوا متاجرتهم اذ لم يروا آية فان سألت فماذا قال لهم المسيح أجبتك انه قال لهم (١٩) حلوا هذا الهيكل وأنا فى ثلاثة أيام اقيمه فمن عادته ان يتكلم أقوالا كثيرة مثل هذه مماتكون واضحة عند الذين يسمعونها حينئـذ وتكون واضحة عند الكائنين فيما بعـد وان سألت ولم يعمل هذا العمل أجبتـك ليوضح انه قـد تقدم

فعرف من أعلى الزمان الحوادث الحادثة فيما بعد اذا خرج تمام سبوق تخبيره الى الكون وهذا فقد حدث فى نبوته هذه لان البشير قال (٢٢) وحين قام من بين الاموات حينئذ ذكر تلاميذه انه قال هذا القول وصدقوا الكتاب والقول الذى قاله يسوع وحين قيل هذا القول قد تحير منه اناس وقالوا ماذا يكون معنى قوله هذا وقد ارتاب اناس آخرون قائلين (٢٠) فى ست وأربعين سنة بنى هذا الهيكل فتقيمه انت فى ثلاثة ايام فقراهم انه بنى فى ست وأربعين سنة موضحين بذلك بنيانه الاخير لان بنيانه الاول كمل فى مدى عشرين سنة ولقائل ان يقول فلاجل أى غرض ما حل قوله الغامض وقال لست أقول عن هذا الهيكل لكننى انما أقول ذلك عن جسدى فنجيبه ان البشير اذ كانت بشارته أخيرا ترجم ما قيل حينئذ واما هو فصمت عن ذلك وانما صمت حينئذ لانه لو كان قال ذلك لما كانوا قبلوا قوله لان تلاميذه ان كانوا لم يكن فيهم كفاية ولا عرفوا كيف يفهمون ما قد قيل لهم فالجموع قد كان أولى بهم وأليق انهم لم يفطنوا بمعنى ما قال لانه قال حين قام من بين الاموات حينئذ ذكروا وصدقوا قوله والكتاب لانهم كان قد انتصب لهم عاجلا معنيان أحدهما معنى قيامته والمعنى الآخر أعظم من هذا وهو ان كان الساكن فى باطنه الها وقد ذكر هذين كلاهما ذكرا غامضا بقوله حلوا هذا الهيكل وأنا فى ثلاثة ايام أقيمه وهذا المعنى فقد ذكره بولس انه ليس علامة صغيرة للاهوته لما قال هذا القول لابن الله المحدود فى قدرته بروح القداسة من قيامة يسوع المسيح من بين الاموات (رومية ص ١ ع ٤) ولقائل ان يقول ولم يعطيهم هنالك وههنا وفى كل مكان هذا القول أية بقوله احيانا (اذا رفعتم ابن الانسان حينئذ تعرفون انى أنا هو) واحيانا ما يدفع اليكم أية الا أية يونان وقد قال ههنا أنا فى ثلاثة أيام اقيمه فنجيبه لان هذا القول أكثر من كل قول هو كان الذى يوضحه انه

ليس

ليس انسانا ساذجا وهو اقتداره ان يقيم الظفر على الموت وان ينقض اغتصابه الطويل مداه وحربه المستصعب هذا النقض البديع باسراع فلهذا المعنى قال حينئذ تعرفون فلو كانوا سألوه منى لاجابهم اذا قد تأجتذب المسكونة حينئذ تعرفون انى عملت هذه الاعمال لانى اله وابن خالص لله ولعلك تقول فلم ما قال لهم واية آيات احتاج اليها لابطال ما قد حدث حدوثا رديا بالكنه ووعدهم ان يعطيهم اية أجيبك لانه لو كان قال لهم ذلك القول لكان قد اغاظهم به وتوعدهم اياهم ان يقيم الهيكل اذا هم نقضوه ادهشهم كثيرا الا انه مع ذلك ما قال لهم فى هذا المعنى قولا لانه ظن عندهم انه يقول قولا قد عدم ان يكون مصدقا ولا استجازوا ان يستخبروه عنه لكنهم اعرضوا عن قوله على انه ممتنع عندهم ولو كانوا امالكين عقلا صحيحا ولو كان كلامه قد ظن حينئذ عندهم عديما تصديقه لكانوا حين اجترح آيات كثيرة قد تقدموا واستخبروه وكانوا حينئذ قد سألوه ان يحل لهم اشتباهه ابهم لكنهم كانوا فاقدين الفهم فما اصغوا بجملة الاصغاء الى ما قال لهم وبعضهم سمعوا اقواله بسريرة خبيثة فلهذا المعنى كلهم المسيح كلاما غامضا معناه لكن ذلك المعنى هو المطلوب كيف ما عرف تلاميذه انه يجب ان يقوم من بين الاموات وذلك على حسب رائى لانهم ما كانوا بعد قد أهلوا النعمة الروح ولهذا السبب قد سمعوا سماعا متصلا أقواله فى القيامة وما فهموا منها قولا واحدا لكنهم افتكروا فى ذواتهم ما معنى قوله هذا ولعمرى ان القول الذى قيل قد كان مستغربا بديعا جدا وهو ان يقتدر مقتدر ان يقيم ذاته على هذه الجهة ولهذا المعنى انتهر بطرس لانه اذ لم يعرف فى ذكر القيامة غرضا قال (حاشاك يا سيدى) والمسيح قبل فعل قيامته ما كشف لهم ذلك كشفا بينا حتى لا يرتابوا من الابتداء فى كلامه اذ لم يصدقوا اقاويله لاجل ان قوله كان بديعا معجزا جدا وما كانوا بعد

يمكنهم ان يعرفوا ما هو معرفة واضحة لان ما انكر منكر أفعاله الذائعة باعماله وقد قال واجبا ان ينكر منكرون أقواله التي قيلت بالفاظة ولهذا الغرض ترك كلامه منذ ابتدا تعاليمه ان يوجد محجوب المعنى وحين ساق الى الحق الاقوال التي قالها بالخبرة حينئذ خولهم بعد ذلك تفهم الفاظه ونعمة الروح جزيلا تقديرها حتى انهم استمدوا على غفلة العلوم كلها لانه قال (ذاك يذكركم بجميع ما قلته لكم) لان الذين في ليلة واحدة فقط اقصوا الاستحيا منه وتهاربوا وقالوا انهم ما أبصروه ولا عرفوه كيف يذكروا اعماله وتكلم به على فراغ في كافة الزمان السالف لهم معه لولا انهم تمتعوا بنعمة (من الروح كثيرة) فان قلت فان كانوا املوا ان يسمعوا من الروح فما كانت حاجتهم الى مصاحبة المسيح وما توقعوا ان يضبطوا الاقوال التي قالها أجيبك ان الروح ما علمهم لكنه ذكرهم بما سبق المسيح فقال لهم ولعموى ان ارسالهم الى تذكر ما قيل لهم ما أوصل الى مجد المسيح زيادة يسيرة اما في الابتداء فكوت من نعمة الله استطارت نعمة الروح عليهم كثيرة بهذه الصورة واسعة واما اخيرا يكون منها امتساك الموهبة بكثرة فضيلتهم لانهم اظهروا عيشة نيرة وحكمة كثيرة واتعابا عظيمة وتضاحكوا على هذه الحيوة الحاضرة وما احتسبوا الحظوظ الانسانية شيأ البتة لكنهم صاروا أعلى منها كلها وكانت صورتهم نسورة تطايروا الى الاعالي باعمالهم ووصلوا الى السما بعينها وبها امتلكوا نعمة الروح التي قد فات وصفها

العظـــة الثالثة والعشرون

(في الصدقة)

فسبيلنا ان نماثل هؤلاء الافاضل ولا نطفئ مصابيحنا لكن ينبغي لنا ان

ان نحفظها بحالة نيرة بصدقتنا ورحمتنا فعلى هذه الجهة يتمسك ضوء هذه النار فيجب علينا ان نجمع فى ظروفنا زيت الرحمة مادمنا فى هذه الدنيا لاننا اذا ذهبنا الى هنالك ليس يتجه لنا ابتياع هذا الزيت ولا يمكننا تحصيله من جهة أخرى الا بيد الفقراء فسبيلنا ان نجمعه مادمنا ههنا بسعة كثيرة ان شئنا ان ندخل الى ختننا وان نحن لم نفعل ذلك سلبت بلازم الضرورة خارج خدره لان ممتنعا جدا ولو كنا قد احكمنا اعمالا صالحة جزيلا عددها ان نسلك خلوا من الصدقة والرحمة دها الى ملك السما فلهذا السبب يجب علينا ان نظهر صدقتنا ورحمتنا بتوسعة كثيرة حتى نستمتع بالنعم الصالحة الفاقدة ان يباح بوصفها التى فليتفق لنا كلنا امتلاكها بنعمة المسيح ربنا وتعطفه الذى معه لابيه المجد مع الروح القدس الى اباد الدهور كلها آمين

المقالة الرابعة والعشرون

فى قوله (٢٣) وحين كان فى أورشليم فى عيد الفصح آمن به اناس كثيرون

ان الناس فى ذلك الحين كان بعضهم جانحين الى الضلالة وبعضهم متمسكين بالحق ولكن طايفة من هؤلاء كانوا اذا تمسكوا بالحق مدة يسيرة انتزحوا عنه أيضا وهؤلاء فقد ذكرهم المسيح ذكرا غامضا ومثلهم بذروع ليست موضوعة فى قعر الارض اصولها عند سطح الارض وقال انهم يهلكون سريعا وهؤلاء فقد أوضحهم لنا البشير ههنا اذ قال هذا القول انه لما كان فى أورشليم فى عيد الفصح آمن به اناس كثيرون لما ابصروا آياته التى

حملها(٢٣) الان يسوع ماوثق بهم على ذاته ولعمري ان أولئك التلاميذ
كانوا ابلغ استقصاء في ايمانهم وهم الذين ماتقدموا اليه سن تلقاء أياته فقط
لكنهم تبادروا اليه من جهة تعليمه لان الآيات استجذبت الذين كانوا أكثف
عقولا من غيرهم ونبواته اجتذبت اليه الذين كانوا في النطق أصح قياسا من
سواهم فجميع الذين اقتنصهم تعليمه هؤلاء كانوا اثبت عزما من الذين
اجتذبتهم أياته وقد طوبهم المسيح اذ قال (مغبوطون الذين ما ابصروني
وامنوا بي) (يوحنا ص ٢٠ ع ٢٩) والدليل على ان هؤلاء ما كانوا خالصين
فيوضحه القول التالي هذا لانه قال (الان يسوع ماوثق بهم على ذاته) وان
سالت ولم ذلك اجابك البشير (لانه هو قد عرف الخفايا كلها (٢٥) ولانه لم
يكن محتاجا الى ان يشهد عنده شاهد للانسان لان هو قد عرف ما في الانسان
فما بقوله هذا هو معناه انه ما اصغى الى الفاظهم البادية من خارجهم عند
غوصه في قلوبهم باعيانهم ودخوله الى تمييز فهمهم ومعرفته حرارتهم الوقتية
فما وثق بهم كثقته بتلاميذ كاملين ولا فوض اليهم آراء دينه كلها كما
فوضها الى الذين صاروا تلاميذه بتحقيق والخاصة العارفة ما في قلوب الناس
هي خاصة الاله الذي ابدع قلوبهم على انفراده لانه قد قال (أنت تعرف
قلوبنا وحدك (ملوك ٣ ص ٨ ع ٣٩ أبركسيس ص ١ ع ٢٤) ما احتاج
الى شهود حتى يعرف سريرة خلايقه فمن هذه الجهة ماوثق بهم من جهة
أماناتهم الوقتية لانهم كانوا اناسا لا يعرفون لا الاشياء الحاضرة (ولا المستأنفة) من
عادتهم ان يقولوا للمقتربين اليهم بمداغلة المنتزحين عنهم بعد مدة يسيرة كافة
الاسرار خلوا من انقباض ويفوضوها اليهم والمسيح فليست هذه الحال حاله
لانه عرض خفياتهم كلها التي يجتذبون اذاعتها معرفة بينة وقد يوجد الان
اناس هذه الحال حالهم كثيرون ما لكون اسم الامانة سريعي التقلب
والانعطاف ولهذا السبب ما يثق بهم المسيح الان على ذاته لكنه يخفي عنهم

اكثر

أكثر اسراره وكما اننا نحن نثق ليس بكل الاصدقا وعلى بسيط ذاتهم لكننا
انما نثق بالاصدقا الخالصين فكذلك يفعل الهنا اسمع ما قاله المسيح
لتلاميذه لست أدعوكم أيضا عبيدي لكن أحبتي أنتم (يوحنا ص ١٥
ع ١٤ و ١٥) ولو كانوا سالوه من أية جهة ولم ذلك لاجابهم (لانني كشفت
لكم كل ما سمعت من أبي) ولهذا الغرض ما خول لليهود آياته لما سألوه فيها
لانهم انما طلبوها ممتحنين اياه فالتماس الآيات اذا مناسب للممتحنين في ذلك
الحين والآن لان الان قد يوجد أناس طالبين قائلين لم لا تصير الآن آيات
فاقول أنا لاحدهم ان كنت مؤمنا على ما يجب ان يكون المؤمن هكذا وان
كنت تحب المسيح كما يجب فما تحتاج الى آيات لان هذه الآيات انما
تعطى للمنكرين الذين عدموا ان يكونوا مؤمنين ولعلك تقول فكيف ما
أعطى الى اليهود آيات فاجيبك قد أعطوها أكثر من غيرهم ولئن كان يوجد
انهم طلبوها من مكان وما أخذوها فذلك لانهم طلبوه ليس ليتخلصوا بها من
زوال تصديقهم لكنهم انما التمسوها ليحققوا بها خبثهم أكثر تحقيقا ثم قال
البشير (الاصحاح ٣) (١) وكان انسان من الفريسيين اسمه نيقوديمس
رئيسا لليهود (٢) هذا جاء الى يسوع ليلا (يوحنا ص ٧ ع ٥١) وهذا
يستبين في الاوسط من هذه البشارة مشيا من أجل المسيح احتجاجا لانه قال
(ان شريعتنا ما تحكم على أحد ان لم تسمع منه أولا) وقد استصعب اليهود
كلامه وقالوا (اسأل واعرف ان من الجليل ليس يقام منه نبي) وبعد الصلب
أيضا اهتم اهتماما كثيرا بتحنيط جسد سيدنا ودفنه لان البشير قال وجاء
نيقوديمس الذي كان جاء الى عنده بدءا ليلا وأحضر طيبا مخلوطا من مر وصبر نحو
مائة رطل (يوحنا ص ٧ ع ٥٠) والآن فقد تودد الى المسيح لكن ليس كما كان
واجبا له ولا يميز واجب لكن الضعف اليهودي كان بعد مستحوذا عليه
ولهذا السبب جاء ليلا خاشيا من ان يأتي اليه نهارا ولكن الهنا المتعطف على

الناس ما أبعده على هذه الجهة ولا وبخه ولا أعدمه تعليمه لكنه فاوضه بدعة
كثيرة وفتح له آراء عالية جدا بلفظ غامض المعنى وقد فتح مع ذلك معناه ولعمرى
ان هذا الانسان قد كان موهلا لان يسامح باستتاره أكثر من الذين انقبضوا
بسبب خبثهم لان أولئك هم خارج كل اعتذار وهذا فقد كان مستوجبا اللوم
فقط ليس للوم جزيل تقديره فان قلت فكيف ما قال البشيرون أجله قولا
هذا معناه أجبتك قال فى موضع آخر ان الكثيرين من الرؤسا قد أمنوا به
ولكن بسبب اليهود ما اعترفوا به لئلا يصيروا مبعودين من مجمعهم وقد
قال ههنا كل ما اعتمده به بحضوره فى الليل قولا مستورا وان سألت عما
قال هذا للمسيح أجبتك قال له يا معلم قد عرفنا انك من عند الله جئتنا معلما
لان هذه الآيات التى تعملها ليس يقتدر أحد ان يعملها ان لم يكن الله معه
(يوحنا ص ٣ ع ٢) فنيقوديمس يتصرف أسفل أيضا مما لكامن أجله بعد تمييز
انسانيا ويخاطبه خطابا يقال فى وصف نبى ليس متصورا من آياته تصورا
عظيما انه قال قد عرفنا انك من عند الله جئتنا معلما وأنا أخاطبه وما رأيك
اذ جئت ليلا الى عند القائل أقوال محيا مستورا الى عند الموافى من هنالك
وما بالك ما تخاطبه بمجاهرة الا ان يسوع ما قال له قولا من هذه الاقوال ولا وبخه
لان النبى قد قال فى وصفه انه ما يكسر قصبة مرضوضة ولا يطفى فتيلة مدخنة
(أشعياص ٤٦ ع ٣) قال أيضا ليس يماحك ولا يصيح (متى ص ١٢ ع ٢٠)
وقد قال هو ما جئت لادين العالم لكننى جئت لاخلص العالم قال ما يقتدر أحد
ان يعمل هذه الايات ان لم يكن الله معه فهذا نيقوديمس يكلمه كلاما يماثل
فيه مبدعوا بدع هواهم أيضا اذ قال انه انما يعمل ما يعمله من هذه الايات
مساعدا محتاجا الى غيره واسمع ما قال له المسيح وانظر الى افراط تحدره لانه
امتنع ان يقول له اننى لست أحتاج الى صنف من معونة آخرين لكننى أعمل
الايات كلها بسلطانى لاننى ابن خالص لله وبالقدرة بعينها التى لوالدى واستغفى

عاجلا

عاجلا ان يقول هذا القول لانه مضادا عند سامعه لان ما أقول دائما
أقوله الآن ان الغرض المحروص عليه عند المسيح انما كان ليس ان
يعلن عاجلا رتبته على هذا المثال مثل اجتهاده ان يحقق انه ما عمل عملا
مضادا لابيه ولهذا السبب يستبين من جهات كثيرة متذللا فى ألفاظه
وليست حاله هذا الحال فى أعماله التى عملها لانه اذا اجترح عجائبه يعملها
كلها بسلطانه مثلما قال أشاء فتطهر (مرقص ١ع ٤١) وبالجارية انهض
(مرقص ٥ع ٤١) وامدد يدك فقد غفرت لك خطاياك (لوقا ص ٥ع
٢٠) وأصمت وانبكم (مرقص ٤ع ٣٩) وأحمل سريرك وأذهب
الى منزلك (مرقص ص ٢ع ٩) ولك أقول أيها الشيطان الخبيث أخرج منه
وليكن لك على حذو ايمانك واليوم ستكون معى فى الفردوس وقد سمعتم
انه قد قيل للقدماء لا تقتل وأنا أقول لكم ان من يغتاظ على اخيه باطلا
سيكون مطالبا بالحكم عليه وتعالوا ورأى فاجعلكم صيادين الناس وفى
كل مكان تجد تأمره موجودا معه كثيرا وما نكتة ناكت فى أفعاله التى عملها الان
كيف كان ينكتها الان أقواله التى قالها لو كانت لم تخرج الى فعلها ولم تبلغ
الى غاية على مثال ما أمر لا أساغ لقائل من أولئك ان يقول ان أوامره كانت
أوامر تجبر فاذ قد خرجت الى الفعل فحقيقة الغاية فى الايات الكائنة قد أصمتتهم
كارهين وقد أمكنهم دفعات شتى فى أقواله على حذو وقاحتهم ان يختلقوا
له تعظما وبحضرة قوديمس الان ما تكلم كلاما عاليا بمعنى ظاهر فصاعده من
تذلله بلفظ غامض المعنى اذ علمه انه هو كفو بذاته لاظهار عجائبه لان أباه وهى
كافيا لذاته ليس حاويا خاصة عديمة ان تكون تامة لكن سبيلنا ان نبصر
كيف امتثاله هذا التعليم بعينه قال ذلك يا معلم قد علمنا انك من عند الله
جئتنا معلما وان الايات التى تعملها ليس يقدر أحد ان يعملها ان لم
يكن الله معه فتوهم انه قد قال قولا عظيما اذ قال للمسيح هذه الاقوال

فتأمل ماقاله المسيح له اذ أراه انه ماقد سلك ولا فى دهاليز معرفته الواجبة
ولا قد وقف عند أبوابها لكنه ضال فى مكان خارج ملكه وكل من
يقول هذه الاقوال غيره أيضا وبين أيضا ان من يعتقد فى الوحيد هذا الرأى
ما أطاع على معرفة صادقة اذ قال له (٣) الحق الحق أقول لك ان لم يولد الواحد
من فوق لا يقدر ان يرى ملكوت الله وهذا معناه وان لم تولد أنت
من فوق وتتعلم استقصاء الاعتقادات ستضل فى مكان خارج وتكون
بعيدا من ملك السموات الا انه ما قال له هذا القول واضحا حتى يجعل
كلامه أبعد عنده من ان يكون مستثقلا ولم يعتمد به اعتمادا ظاهرا لكنه
قال قولا قد عدم ان يكون محدودا وهو ان لم يولد واحد فقارب بقوله انك
انا رتابت أنت وان ارتاى من كان من الناس غيرك هذه الاراء فى فهو
فى مكان خارج الملكوت والا فلو لم يكن قال هذه الاقوال مريدا ان يصلح
هذا الرأى لكان هذا الجواب عديما ان يلائم الاقوال التى قالها ذاك
ولو كان اليهود سمعوا هذه الاقوال لكانوا قد انصرفوا ضاحكين وهذا
الرجل فقد أظهر فى هذا الخطاب حبه التعليم اذ لهذا الغرض يتكلم المسيح فى
جهات كثيرة كلاما قد عدم وضوحه مريدا ان ينهض سامعيه الى سؤاله عنه
وان يصيرهم أشد اصغاء وتفهما لان ما يقال بلفظ واضح طالما تجاوز سامعه
وما يقال بلفظ قد عدم وضوحه فيجعل سامعه بحثا وفى الفضيلة مكينا فالذى
يقوله هذا هو معناه ان لم تولد من فوق أى ان لم تنل هم الروح القدس بتعميم
اعادة ولادتك والا فما يمكنك ان تحصل من أجلى رأيا واجبا الان رأيك هذا ليس
هو روحانيا لكنه نفسانى الا انه ما قال هذا القول مستعفيا من ان يقرع
فكره اذ فهم الاوهام التى قد حصلها ذاك فى ذاته وانه ينطق على حذو امكانه
فصاعده الى معرفة أعظم محلا خلوا من ارتياب اذ قال له ان لم يولد واحد من
فوق ههنا فقد قال قائلون انه من السماء وقال غيرهم انه من الابتداء فقال

لبس

ليس ممكنا ان يرى ملكوت الله من لم يولد هذه الولادة اذ أوضح ذاته ههنا
و بين انه ليس هو هذا الملحوظ فقط لكنه يحتاج الى عيون غير هذه حتى تبصر
المسيح بها فاذ سمع نيقوديمس هذه الاقول (٤) قال كيف يمكن انسان
ان يولد وقد صار شيخا وأنا أخاطبه أنت تدعوه يا معلمى وتقول انه قد جاء من
عند الله وما تقتبل الاقوال التى يقولها لكنك تقول للمعلم اللفظة الموردة
أراجيف كثيرة لان قولك كيف يكون هذا هو تشكيك الذين ما يصدقون
جدا وهو قول الموجودين من الارض أيضا اذ سارة لاجل هذا الارتياب
ضحكت لانها قالت كيف يكون هذا وأناس غيرها كثيرون اذ طلبوا
هذا المطلوب خابوا من تصديقهم وعلى هذه الطريقة ثبت مبدعوا
هواهم على متابعة هواهم اذا التمسوا فى جهات كثيرة هذه اللفظة فبعضهم
قالوا كيف اشتمل جسما و بعضهم قالوا كيف ولد وطرحوا ذلك الجوهر
الفاقد ان يوجد مخبورا تحت ضعف أفكارهم فاذ قد عرفنا نحن هذه
العوارض نحتاج ان نهرب من هذا التفتيش الفائت وقته لان الذين
التمسوا هذه المطالب ما يعرفون معنى كيف ويخيبون من التصديق القويم
ولهذا السبب يلتمس هذا الرجل بحيرة الغرض فى هذا الكلام لانه فهم ان
الكلام قد قيل له فهو يرتجف و يدوخ ويتحير لانه جاء كمن يجىء الى
انسان فسمع أقوالا أعظم من أن تسمع من انسان نعم ولا سمعها سامع
قط فلبث ينهض الى علوها عاجلا الا انه أظلم فهمه ولم يثبت وحصل دائرا
الى كل مكان خائبا من التصديق خيبوبة متصلة فلذلك لبث مخترعا العزم
الممتنع حتى يستدعى الى تعليم أوضح بيانا لانه قال هل يقتدر انسان ان
يدخل الى جوف أمه دفعة ثانية و يولد أرأيتم ان أحدنا اذا حال الاقوال
الروحانية بافكاره كيف يتكلم أقوالا يضحك عليها سامعها ويظن انه
يهذى وانه سكران اذا استبحث عما قيل له بخلاف الرأى فى ذلك عند الله

ولم يقتبل المجنوح الى تصديق ماقيل له فهذا الرجل سمع ولادة لكنها روحانية لكنه اجتذب القول الذى قيل له الى تذلل مجه وعلو رأى بهذه الصفة عظيم غال بنظام طبيعته ولذلك اخترع فيما بعد هذيانات وشكوكا مضحوكا عليها ولهذا السبب قال بولس ان انسانا نفسانيا ليس يقتبل أقوال الروح (قرنثية أولى ص ٢ ع ١٤) ولكنه فى هذه الحياة هاهو يحفظ الاحتشام والتوقير للمسيح لانه ماذم ماقيل له لكنه سكت ظانا انه ممتنع فكان العارض له شكين هما الولادة التى هذه الحال حالها والملكوت لان اسم الملكوت ماسمع عند اليهود فى وقت من أوقاتهم ولاذكر ولادة هذا معناها الا انه وقف حاجلا عند الاول منهما وهو الولادة التى زعزعت تمييزه كثيرا

العظـــــة الرابعة والعشرون

فى ان لانستبحث عن الاقوال الالهية بافكارنا لكن نصدقها وفى تقويم عيشتنا

فاذ قد عرفنا هذه المعانى فلا نلتمس بافكارنا مايقال فى الله ولا نسوق الآراء الناشئة من هنالك هذا المساق الذى عندنا ولا نطرحها تحت ضرورة طبيعتنا لكن سبيلنا ان نفهمها كلها فهما محمودا مصدقين اياها على ماذكرت الكتب لان من كان مستبحثا مفتشا ليس يستفيد ربحا ومع ذلك فليس يجد مطلوبه و يقابل مقابلة واصلة الى غايتها قد سمعت انه ولد فصدق ماسمعت ولا تطلب كيف ولد ولا تبطل لاجل هذا ولادته فان هذه أوهام قلة محافظة كثيرة فلئن كان هذا الرجل اذ سمع ولادة ليس تلك الولادة الممتنع وصفها لكن هذه الولادة التى هى بالنعمة فاذا ماتوهم فيها توهما عظيما بل توهم فيها توهما انسانيا أرضيا أظلم فهمه لهذا السبب وارتاب جائرا فالذين يبحثون عن تلك الولادة الرهيبة

جـدا الفائقة على الاوهـام كلهـا والعقول والاقوال باسرهـا ويفتشون عنهـا لـكم تعذيب يكونون مستوجبين لان ليس شيء على معنى التشبيه يبدع ظـلاما رديا مثـل فـكر انسانى قابل من الارض كل مايقوله ولم يستجز ان يستنير من العـلو لان الصـنف الارضى من الافـكار يحوى حماة كثيرة فلهـذا السبب الحـاجـة ماسـة الى المياه من العلو حتى اذا رسبت الحماة أسفل يندفع الى فوق ما كان نقيا من فـكرنا ويختلط بالتعاليم التى هنالك وهذا انمـا يصير ان أظهرنا نفسـنا جيدة العزم وان أوضحنا عيشة متقومة لان قد يوجد ويتـكون من سجايا مفسودة ليس من استبحاث قد فاته وقته فقط ان يظـلم سرير تساوقيـيزنا ولهذا السبب قال بولس لاهـل مدينة قرنثية سقيتـكم لبنا وما اطعمتـكم طعاما لانـكم بعـد ما أمكنـكم الاغتـداء بل ولا قد اقتدرتم الآن ان تستعملوه أيضـا لانـكم بعد لحميون أنتم لانه قال اذ يوجد فيكم الشـك والحسد وانفصال الرأى ألستم لحميون أنتم (قرنثية ١ ص ٣ ع ٣) وفى رسالته أيضا الى العبرانيين وفى جهات كثيرة يبصره باصرار واصفا وجود علة الاراء الخبيثة لان النفس المنقسمة بامراض هواها ماتقدر ان تعاين فـكرا عظيما جليلا لـكن حالها يكون حال عين قد كدرها الرمد فتـكبدت غشاوة هى أصعب الامراض تأثيرا فسبيلنا ان ننقى ذواتنا ونستضىء بضياء المعرفة ولا نزرع فى الاشواك وقد عرفتم ماهى جمـلة الاشواك وان لم نصفها نحن لـكم لانـكم طالما سمعتم المسيح يسمى اهتمام هـذا العمر الحاضر وخداع ثروته باسم الشوك وذلك على جهة الواجب فـكما ان تلك عديمة ان توجـد مثمرة فـكذلك اهتمام الدنيا وخـدعـة ثروتهـا ومثلما ان الاشـواك تمزق أيدى الناس الذين يلمسونها فـكذلك أمراض هوانا هذه تمزق الذين يلمسونها وعلى حذو ما ان الاشواك تتشبث بها النار سريعا وهى ممقوتة عند الفلاح فـكذلك أحوال الدنيا

وكما تختفى فى الاشواك وحوش وافاعى وعقارب فكذلك يختفى فى خدعة الغنى الوحوش المعقولة لكن سبيلنا ان نفتش عنه ابنار الروح حتى تفنى الاشواك بها وتهرب الوحوش لكى تحول الفلاح حقلنا نقيا وبعد تنقيتها وتنظيفها نسقيها بالمياه الروحانية ولنغرس فيها زيتونة الرحمة الجزيل ثمرها الغرسة الانيسة أكثر من سائر الغروس النضيرة دائما المنيرة الغاذية المفيدة الصحة فالصدقة والرحمة تحوى هذه الخواص وهى مع الذين قد استقنوها بمنزلة خاتم فغرسة الصدقة ولا الموت يجففها اذا جاء الى صاحبها لكنها تكون قد وقفت منيرة تميز فهمه دائما غاذية اعصاب نفسه جاعلة قوتها أكثر تأييدا ان امتلكنا هذه نصبة الصدقة دائما فسنقتدر ان نرى ختننا بمجاهرة وان ندخل الى خدره التى فليكن لنا كلنا ان نساهمه بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفه الذى معه لابيه المجد مع الروح القدس الى آباد الدهور كلها آمين

المقالة الخامسة والعشرون

فى قوله (٥) الحق أقول لك ان لم يولد واحد من الماء والروح فليس يقدر أن يدخل الى ملك الله

ان الصبيان الصغار يذهبون كل يوم الى معلميهم يقتبلون تعاليم يتلقنونها وما يكفون فى وقت من اوقاتهم من اقتناء هذا التعاليم لكنهم ربما اضافوا لياليهم الى نهارهم وهذه الافعال يلزمون افتعالها بسبب أحوال مضمحلة وقتية ولكننا نحن مانطالبكم أنتم الواصلين الى تمام سنكم بتعب هذا

مقداره

مقداره بمقدار ما تطالبون انتم ابناءكم لاننا ما نسألكم ان تصغوا كل يوم الى ما يقال لكم لكننا نسألكم ان تتفهموا ذلك يومين فقط فى جزء يسير من نهاركم حتى يصير التعب عندكم خفيفا ولهذا السبب نجرد لكم الالفاظ التى قد قيلت فى الكتب قليلا قليلا ليمكنكم بايسر مرام ان تحصلوها وتخزنوها فى خزائن تمييز فهمكم وان تعتنوا بتذكرها اعتناء يبلغ تقديره الى ان تقتدروا ان تذيعوها بابلغ استقصاء وتصفوها لغيركم ان لم يكن احدكم نواما كثيرا فاجزائى أكثر ونيته من صبي صغير فسبيلنا ان نثبت بما يتبع الاقوال التى قيلت لنا فيما سلف لان نيقوديموس لما تسكع فى غباوته والتمس الولادة التى ههنا وقال ممتنع هو ان يولد شيخ من العلو انظر كيف يكشف له المسيح حال الولادة باوضح بيان ولعمرى ان هذه الحال تحوى صعوبة عند السائل بغرض نفسانى وأليق ما يقال انه مقتدر ان يصاعد سامعه من استدلاله وان سألت عما قاله أجبتك قال (ان لم يولد واحد من ماء وروح ليس يقدر ان يدخل الى ملك الله) كانه قال له أنت قلت ان هذا القول يوجد ممتنعا فانا أقول أنه يوجد على هذا المثال ممكنا جدا حتى انه يوجد ضروريا وليس ممكن التخلص على جهة أخرى البتة لان الله قد جعل الاشياء الضرورية جدا سهلة متيسرة لان الولادة الارضية التى تناسب لحمنا هى من التراب ولذلك قد حجزت عنه النعم التى فى السموات لان ماذا من الحظوظ يوجد مشاعا بين الارض والسماء وتلك الولادة هى عن الروح ومن شأنها ان تطيرنا بايسر مرام وتعلينا الى قناطر السماء اسمعوا يا من أنتم خارج استنارة المعمودية ارتاعوا تحسروا فالوعيد رهيب والقضية مخوفة فقد قال ليس يمكن من لم يكن مولودا من ماء وروح ان يدخل الى ملك السموات لانه لابس لبوس الموت ووشاح اللعنة ولباس الفساد وما قد اشتمل علامة سيده بعد فهو غريب أجنبي ليس يمتلك سمة ملكية قال ان لم يولد واحد من ماء

وروح ليس يقدران يدخل الى ملكوت السموات الاان نيقوديمس ولا
على هذه الجهة فهم المعنى لان ليس فعل أشرمن ان يحيل أحدنا الاحوال
الروحانية بافكار فهذا الفعل ماترك هذا الرجل ان يتخيل تخيلا عاليا
عظيما لهذا السبب ندعى نحن مؤمنين لنترك ضعف افكارنا الذى أسفل
ونطلع الى علو التصديق والايمان ونحيل بتعلم الامانة أوهامنا الصالحة
ونعطفها الى التصديق فهذا الفعل لوكان نيقوديمس فعله لما كان هذا
الامرظن عنده ممتنعا فان قلت فما الذى قاله له المسيح أجبتك انه اقتاده
من هذا الفكر الساحب على الارض وأراه انه مايخاطبه من أجل هذه الولادة
وقال له ان لم يولد واحد من ماء وروح ليس يقدر أن يدخل الى ملكوت
السموات فهذه الاقوال قالها له مريدا ان يجتذبه بخيفة الوعيد الى تصديقه
وان يحقق عنده ان لا يظن هذا الفعل انه يوجد ممتنعا مسارعا ان يبعده من
التخيل الذى يتخيل الولادة اللحمية فقال يانيقوديمس انما أقول أنا ولادة
أخرى فما بالك تجذب قولى الى الارض ماراً يك فى ان تطرح هذا الفعل
تحت ضرورة الطبيعة هذا المولد هو أعلى سعرا من امخاض الطلق التى هذه
حالها ليس يملك فعلا مشاعا بينه وبينكم لان هذا يدعى ولادة لكنه
انما يشارك الولادة فى اسمها فقط وقد انفصل عنها بالفعل أبعد ذاتك من
العادة العامة الشائعة فاذا أورد الى الدنيا ولادة أخرى وأشاء ان يولد
الناس على نحو آخر قد جئت حاملا حالا مستغربا من الابداع لانى
جبلت الانسان أولا من أرض وماء فما صار المجبول نافعا لكن الاناء
تعوج فلست أشاء فيما بعد ان أجبله من ماء و روح فان سأل
سائل كيف جبله من ماء فانا استخبره وكيف جبله من أرض وكيف نقسم
الطين الى أجزاء مختلفة كيف الموضوع صورته مفردة لانه كان أرضا
وحدها والاجزا المتكونة منها متلونة مختلفة أصنافها من أين تكونت

عظام

عظام الانسان واعصابه وشرياناته وعروقه من أين أغشيته وأسرافه
الالية وغضاريفه وصفاناته وكبده وطحاله وفؤاده من أين تكون
جلده ودمه وبلغمه وصفراه ومرته من أين افعاله الجزيل تقديرها من
اين الوانه المتلونه لان هذه الاجزاء ليست اجزاء أرض ولا اجزاء طين
وكيف الارض اذا اقتبلت البزور تنبتها وقسما اذا اقتبل البزور يعفنها
كيف الارض تغذى البزور التى تطرح فيها وجسمنا تغذوه هذه البزور
وليس ما يغذوها الارض تقتبل الماء فتجعله خمرا وجسمنا يقتبل الخمر
فيجعله ماء فهذه الاصناف لعمرى است أقدر ان أجد بفكرى من أين
اتحقق انها من الارض اذا الارض تضاد جسدنا بهذه الاصناف المذكوره
الا انى بتصديق وحده وما انى اقتبل انها من الارض فان تكن
الاصناف المتكونة كل يوم الملموسة تحتاج الى تصديق وامانة فالاصناف
المغتاص وصفها أكثر من هذه الاوفور وحانية منها أولى بها وأليق ان تحتاج
إمانة وتصديق وكما ان الارض الخاشنة من نفس العادمة ان تكون متحركة
حين أيذت بارادة الله تكونت منها هذه العجائب الجزيل عددها
فكذلك اذا حضر الروح فى الماء تتكون بايسر مرام هذه الافعال البديعة
الفائقة على فكرنا كلها فلا تكونن اذا ما تبصر هذه الافعال تنكرها لكنك
مع ذلك تصدق انك تمتلك نفسا وان يوجد فيك شئ غير جسمك والمسيح فما
استماله من هذا المثال لكن من مثال آخر لان هذا المثال وان كان خائبا
من جسم أعنى مثال نفسنا فلهذا المعنى ما اورده له اذ كان ذلك الرجل
قد حصل أكثف تمييزا بل وضع له مثالا آخر ليس يحوى كثافة الاجسام
بالكلية ولا صاعده أيضا الى طبيعة الاشيا الخائبة من الاجسام بالكلية
وهذا فهو حركة الريح فابتدى أولا من الماء الذى هو ألطف من الارض
وأكثف من الريح وكما انه فى الابتداء وضع الارض استقصاء وكان

الفعل كله للخالق فكذلك وضع الآن الماء استقصاء   والفعل كله لنعمة
الروح وفي ذلك الحين صار الانسان ذا نفس حية والان صار ذا روح محيية
فالفرق اذا   عظيم لان الرسل على هذه الجهة انهضوا أمواتا   وفي ذلك الحين
لما انكونت الخليقة خلق الانسان أخيرا   والان فالحادث بخلاف ذلك لان
الانسان الجديد يخلق قبل الخليقة الجديدة   وهذا الانسان يولد أولا وبعد
ذلك يحال   شكل الدنيا وكما انه في الابتداء جبله كاملا   فكذلك يخلقه
الان تاما وفي ذلك الحين   قال لنصنعن له معينا وههنا فما قال قولا هذا معناه
لان من أخذ نعمة الروح الى أي معين يحتاج غيره   ومن قد صار الى جسد
المسيح أية نجدة يحتاجها فيما بعد   في ذلك الحين أبدع الانسان بصورة الله
والآن فقد اتحد بالله بعينه   في ذلك الحين أمره ان يروس على أسماك
ووحوش والان فقد اطلع مقدمة طبيعتنا الناجة الى أعالي السموات   في ذلك
الحين أعطاه الفردوس منزلا   والآن فقد فتح السماء لنا   في ذلك الحين
خلق في اليوم السادس لما أزمع الضوء ان ينقضي   والان أبدع في اليوم
الاول حين خلق الضوء في مبادي الابداع   فواضح من هذه كلها ان
الافعال المفعولة كانت أفعال حياة أفضل قدرا   وطريق ضابطة غايتها
لان الجبلة الاولى جبلة آدم   كانت من الارض وابداع الامرأة كانت من
ضلعه بعد ابداعه هو   وابداع هابيل بعد ابداع الامرأة كان من زرع الاثنا
مع ذلك ما نقدر ان نصل ولا الى معرفة   ابداع واحد من هذه الابداعات
ولا يمكننا ان نبين بكلامنا هذه الاشخاص المكونة   على انها كثيفة
فكيف نقتدر ان نعطي أجوبة عن الولادة المعقولة التي بالمعمودية   التي هي
أعلى من هذه الابداعات قدرا بكثير   ونطالب بافتكار في هذه الولادة
البديعة العجيبة وعند كون هذه الولادة   يقف بها ملائكة ما يتساغ لهم ان
يصفوا حال ابداعها هذا العجيب البديع   لكنهم يقفون هنالك فقط

وما

وما يعملون شيا بل يعاينون أفعالها الكائنة التى يعملها كلها الاب والابن والروح القدس فسبيلنا أن نتحقق قضية الهنا فانها قضية أصدق من بصرنا لان بصرنا من شأنه ان يغلط فى كل مكان وقضية ربنا فممتنع ان تسقط فينبغى لنا ان نوقن بها فانها استخرجت الموجودات مما لم يكن موجودا فيجب ان يكون قولها فى طبيعة الموجودات موهلا لتصديقه فان سألت وماهى هذه القضية أجبتك هى ان هذا العمل المعمول هو ولادة فان قال قائل وكيف ذلك فازجره بقضية الهنا الموجبة ذلك التى هى برهان عظيم واضح بيانه وان سأل أيضا سائل وما الحاجة الى الماء فى هذه الولادة فينبغى أن نسأله نحن وما كانت الحاجة فى الابتداء الى ابداع الانسان من الارض لان الدليل على انه قد كان ممكنا ان يبدع الانسان خلوا من الارض واضح فى سائر الجهات فلا تستبحثن اذا والدليل على ان الحاجة الى الماء فى هذه الولادة ضرورية قد سلبت الاعفاء منها اذ طار الروح فى ذلك الوقت قبل الماء على كرنيليوس وأصحابه فلما وقف بطرس عنده هذا لكنه أنزل الماء منزلة شئ ضرورى وليس فضلة زائدة وقد أوضح ذلك بما قاله أيجوز أن يمنع مانع الماء ان لا يصطبغ هؤلاء الناس فيه الذين قد أخذوا الروح القدس كما قد أخذناه نحن (ابركسيس ص ١٠ ع ٤٧) وسوف أصف لكم ماهى الحاجة الى الماء معلنا لكم السر المستور لان قد يوجد لهذا المعنى أوصاف أكثر من غيره يغتاص التكلم بها فانا أصف لكم الآن صنفا من أوصافه الكثيرة وان سألتم وما هو هذا أجبتكم ان فى هذا المولد تعمل وتتم دلائل الهية هى قبر ودفن وأماتة وحياة وقيامة وهذه كلها تتكون فى المعمودية معا لاننا اذا غطسنا رؤسنا فى الماء كاننا نغطسها فى قبر من القبور يندفن فيه الانسان العتيق أسفل ويغرق كله الى الغاية ثم اذا رفعنا رؤسنا يطلع الانسان الجديد أيضا وكما ان

سهلا علينا ان نصطبغ فى الماء وان نرفع رؤسنا فكذلك سهل عند الله ان يدفع الانسان العتيق وان يظهر الانسان الجديد وانما يصير هذا الفعل ثلاث مرات لكى تعلم ان قدرة الاب والابن والروح القدس تتم هذه الافعال كلها والدليل على ان ما ذكرته ليس هو حدسا اسمع بولس يوضحه قائلا قد دفنا معه بالمعمودية فى موته (كولوسى ص ٣ ع ١٢) وقال ايضا وقد صلب معه انساننا العتيق (رومية ص ٣ ع ٢) وقال ايضا قد صرنا مغروسين معه فى مشابهة موته (رومية ص ٣ ع ٥) والمعمودية فما ندعى فقط صلبا لكن الصليب ايضا يسمى معمودية لانه قال لابنى زبدى اما الصبغة التى اصطبغها انا فتصطبغانها (مرقص ص ١٠ ع ٣٩) وقال ايضا قد حويت صبغة اصطبغها ما قد عرفتموها انتم وكما اننا نحن بايسر مرام نصطبغ فى الماء ونرفع منه رؤسنا فكذلك هو بايسر مرام لما مات قام حين شاء والبق ما يقال انه قام اسهل من انغطاسنا وارتفاعنا وان كان قد لبث الثلاثة ايام لتدبير سر من اسراره

العظة الخامسة والعشرون

فى ان المنصرف من الدنيا خائبا من ان يكون معتمدا الى جهنم يذهب ولو كان مالكا فضائل جزيلا عددها

فاذا قد أهلنا الاسرار هذا مقدار جسامتها فلنظهرن عيشة مؤهلة للموهبة وطريقة فاضلة والذين ما أهلوا بعد لموهبة المعمودية فليعملوا كل عمل حتى يؤهلوا لها حتى نصير جسدا واحدا حتى نصير اخوة لاننا مادمنا منفصلين من هذه الموهبة فلو كان المنفصل منها اباك لو كان اخاك لو كان ابنك لو كان من كان من مناسبيك فليس هو نسيبنا خالصا اذا فصلته المجانسة العلوية منها لان ما منفعتنا اذا ضمنا الجنس الطبنى اذا كنا السنا منتظمين

فى الجنس الروحانى أى ربح نستفيده من المناسبة التى فى الارض اذا كنا غرباء
فى السموات لان الموعوظ غريب من المؤمن لانه بايتملك رأسه بعينه ليس
يحوى أباهو هو بعينه ليس يتملك مدينة هى مدينة ذاك بعينها ولا طعامه
ولا لباسه ولا مائدته ولا منزله لكن أحوالهما كلها مختلفة لان كل الاشياء
التى لهذا فى الارض وكافة التى لذاك هى فى السموات فلهذا المؤمن المسيح
ملك ولذاك الموعوظ الخطية وابليس المحال ملك ولهذا المسيح طعام
ولذاك الغذاء المتعفن المفسود طعام وأيضا فاللبوس لذاك هو اعمال السوس
واللبوس لهذا هو سيد الملائكة والمدينة لهذا هى السماء والمدينة لذاك هى
الارض فاذا لم تتملك صنفا مشاركا قل لى بماذا نتناسب لكنك تقول اننا قد
سللنا المخاض طلق هى هى باعيانها ونحو جنا من بطن واحد الان هذه
المناسبة ليست شيأ باضافتها الى المجانسة البليغة الاستقصاء فلنجتهدن ان نصير
من أهل المدينة العلوية الى متى نلبث فى نفينا فن الواجب ان نتسلم وطننا
القديم لان تورطنا فى الخطر ليس هو من أجل أشياء حقيرة لكن ان حدث
مالا يكون وهو ان تدهمنا وفاتنا ونكون قد عدمنا انتظارها وننصرف
من ههنا خائبين ان نكون معمودين أو غير تائبين من شرورنا ولم امتلكنا
صالحات جزيلا تقديرها جدا فليس يتسلمنا شئ آخر الا جهنم ودود نافث
سما ونار فاقدة خمودها وعقالات مسلوبة انفكاكها ولكن لا كان
لاحد من السامعين هذه الاقوال ان يمارس ذلك العذاب وسيكون هذا
الخلاص لنا اذا أهلنا الاسرار القربان المقدسة وان ابتنينا على هذا الاساس
ذهبا وفضة وحجارة كريمة فعلى هذه الجهة نقتدر اذا ذهبنا الى هنالك ان
نظهر أغنياء اذا لم نخلف ههنا أموالا لكن ننقلها معنا الى الكنز الفاقدة
سلبها نقلا يكون بايدى الفقراء والمساكين اذا أقرضناها للمسيح لاننا غرماء
هنالك ليس باموال كثيرة لكن بخطايا جزيلة فلنقرضه ههنا أموالا

حتى ناخذ اغتفار الخطايانا لان المسيح هو الديان فلا نغفلن عنه ههنا جائعا حتى يغذونا هو هنالك ولنكسوه ههنا حتى لا يتركنا عراة من حياطته لاننا اذا سقيناه ههنا فانقول كما قال الغنى أرسل لعاذر ليقطر بطرف أصبعه على لساننا عند تقلبه وان اقتبلناه ههنا فى منزلنا سيعد لنا هنالك منازل كثيرة وان مضينا اليه اذا كان فى الحبس سيخلصناهو من عقالاتنا وان أويناه اذا كان غريبا فايهملنا ان نكون غرباء فى ملكوت السموات لكنه يخولنا البلدة التى فى العلو وان افتقدناه اذا كان مريضا سيحررنا سريعا من استقامنا فادمنا نأخذ أشياء عظيمة ونعطى أشياء حقيرة فلو صار ان نعطيه أشياء صغارا حتى نستفيد فوائد عظيمة فلنزرعن مادام لنا وقت حتى نحصد اذا دهم الشتاء واذا امتنع علينا المسير فى البحر فانكون مالكين هذه التجارة وان سألت ومتى يكون هذا الشتاء أجبتك اذا وقف بنا ذلك اليوم العظيم لاننا فى ذلك الوقت ليس يتجه لنا أيضا ان نسير فى هذا البحر العظيم الواسع لان عيشتنا الحاضرة تشابه هذا البحر فالان هو وقت زرعنا وذلك الاوان هو وقت الحصاد والربح فاذا لم يطرد أحدنا زروعه فى اوان الزرع وزرع فى وقت الحصاد فسيكون مضحوكا عليه وما يستفيد ربحا فان كان وقتنا الحاضر هو وقت الزرع فهذا الوقت ليس هو وقت الجمع لكنه وقت التبديد فسبيلنا ان نبدد حتى نجمع لانشاء ان نجمع الان حتى نضيع حصادنا لان هذا الوقت على ماذكرت يدعونا الى ان نزرع وننفق ونبدد وليس يدعونا الى ان نجمع ونخزن فلانهملن الوقت الملائم لكن فلنطرحن الزرع واسعا ولا نشفقن على شئ من الاشياء التى لنا لكن نستوفيها بمجازاة كثيرة بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفه الذى معه لابيه المجد مع الروح القدس الى أباد الدهور كلها أمين

المقالة

المقالة السادسة والعشرون

فى قوله ٦ ان المولود من اللحم لحم هو والمولود من الروح روح هو

ان ابن الله الوحيد قد أهلنا لاسرار عظيمة جسيمة لسنا مؤهلين لها لكنها لائقة به ان يهبها لان أحدنا ان افتكر فيما نحن له أهل أيقن اننا لسنا عديمين فقط ان نكون مؤهلين لموهبة البتة لكننا مع ذلك مطالبون بتعذيب وعقوبة فان كان سيدنا ما نظر الى هذا واستخلصنا ليس من تعذيبه فقط لكنه وهب لنا مع ذلك حياة أبلغ نورا من الاولى بكثير وأوجدنا الى عالم آخر وأبدعنا ابداعا آخر لان بولس قد قال ان كان أحدكم خلقة جديدة فى المسيح قرنثية ٢ ص ٥ ع ١٧ وان سألت وأيما هى الخلقة الجديدة أجبتك اسمعه قائلا ان من لم يولد من ماء وروح ليس يقدر ان يدخل الى ملك الله انهبطنا الى الارض من الفردوس وما ظهرنا مستوجبين المقام هنالك فاصعدنا الى السماء بعينها فى النعمة الاولى ما صودفنا ثقاة نخولنا أعظم منها اما أمكننا ان ننقبض عن شجرة واحدة فوهب لنا النعيم العلوى ما ثبتنا فى الجنة فطيرنا الى السموات فعلى جهة الواجب قال بولس يا العمق ثروة الهنا وحكمته ومعرفته رومية ص ١١ ع ٣٣ لن يوجد الان أم ولا أمخاض طلق أيضا ولا نوم ومخالطة ومعانقة أجسام لكن الان ابداع طبيعتنا ينسج فوق فى العلو من الروح القدس والماء فالماء يؤخذ فيصير ولادة للمولود لان ما هى الام للجنين ذلك هو الماء للمعتمد لان فى الماء يجبل ويصور لان الابداع قيل فيه لتخرج المياه دبابات نفوس حية (تكوين ص ١ ع ٢٠)

ومنذ ان تكبب سيدنا مجاري الاردن افرع الماء ليس دبابات نفوس حية
لكنه أفرع نفوسا ناطقة مشتملة الروح هو الذي قيل في نعت الشمس
انها كختن خارج من خدره مزمور ١٨ ع ٦ هذا قد اتجه له وقت ان
يقال في وصف المؤمنين ألق لان نورهم قد أبدى شعاعا أبهج نورا من الشمس
بكثير الا ان المخلوق من الاحشاء يحتاج زمانا والمخلوق في الماء ليست هذه الحال
حاله لكن في لحظة واحدة تصير صنوف ابداعه كلها لان الولادة التي حياتها
بالية وتحوي ابتداها من البلى الجسمي في بطيء المولود فيها لان طبيعة
الاجسام هذه الخاصة خاصتها تتخذ الفعل التام في زمان وفي الافعال
الروحانية ليست الحال بهذه الصورة وان سألت وما حالها أجبتك ان
المكونة منها تتكون تامة منذ ابتدائها ولكن نيقوديمس اذ كان لما
سمع هذه الاقوال بعد او مة ارتجف وأبصر سيدنا كيف يفتح له معنى هذا
السر الذي يمنع وصفه ويجعل له المعنى الغامض واضحا لانه قال له ان المولود
من اللحم لحم هو والمولود من الروح روح هو فخبره عن الاشياء المحسوسة كلها
وما تركه أن يستبحث بهذه الالفاظ فايدة سره لانه قال له يا نيقوديمس لسنا
نخاطبك في وصف جسد لكن في نعت روح مع انه قد أرسله في هذا
الكلام الى فوق فلا تلتمس صنفا من الاصناف المحسوسة لان الروح
ليس يظهر لهذه العيون فلا تتوهم ان الروح يلد لحما ولعل قائلا
يقول فكيف ولد لحم ربنا فنجيبه ما ولد من روح فقط لكن ومن لحم أيضا
ولذلك اذا وضح بولس هذا المعنى قال مولود من امرأة كائن تحت الشريعة
(غلاطية ص ٤ ع ٤) وذلك ان الروح خلق اللحم ليس مما لم يكون
موجودا والا فلم احتج الى المستودع لكنه خلقه من شحم البتول واما
كيف خلقه فلست أقدر أترجم ذلك وهذا فكان حتى لا يتوهم متوهم
ان المولود هو غريب من طبيعتنا وان كان هذا قد صار وقد يوجد أناس

ينكرون

يذكرون ولادته هذه فلو لم يشارك لحم البتول الى أى اتحاد ما كان هؤلاء قد
انهبطوا فالمولود من الروح هو روح أرأيت مرتبة الروح لانه يستبين
عاملا عمل الاله لانه قال فى اعلا كلامه انهم من الله ولدوا وقال ههنا ان الروح
يلدهم لانه قال ان المولود من الروح هو روح وما يقوله هذا هو معناه
من كان مولودا من الروح هو روحانى لان الولادة ههنا ليس يعنى بها ولادة
بذات الجوهر لكنه انما يعنى بها الولادة بتكريم ونعمة فان يكن الابن
قد ولد هذه الولادة فما الذى يمتلكه أكثر من الناس المولودين هذه الولادة
وكيف هو وحيد لانى أنا قد ولدت من الله الا اننى ما ولدت من جوهر
فان كان ليس هو من جوهره فما الذى فضل به علينا فى هذا الوجه وسيوجد
اذا على هذه الجهة ادنى من أبيه لان المولود الذى هذه حالته يتكون من نعمة
الروح افهل يحتاج الى المعونة من الروح حتى يثبت ابنا وما الذى قد
انفصلت به هذه الاراء عن آراء اليهود ولما قال المسيح لنيقوديمس من كان
مولودا من الروح هو روح فاذ ابصره أيضا متحيرا عطف كلامه الى كلام
محسوس وقال هذا القول ٧ لا تستعجب اننى قلت لك انه ينبغى لكم
ان تولدوا من العلو ٨ الروح تهب ايثما تشاء لانه بقوله لا تستعجب بين
ارتجاف نفسه واقتاده الى شئ هو الطف الاجسام لانه اقتاده من الولادات
اللحمية بقوله من كان مولودا من الروح هو روح واذ لم يعرف ما هو معنى من
كان مولودا من الروح هو روح بل ساق قوله الى اكثف المعانى الجسمانية
ما اقتاده الى كثافة الاجسام ولا خاطبه خطابا خالصا فى وصف الخالية من
أجسام أيضا لان ذلك الرجل ما اقتدر أن يسمع كثيرا لكنه وجد شيئا أوسط
فيما بين الجسم والخالى من الجسم وهو حركة الرياح فصاعده من هذه الجهة
لانه وصف الرياح قال انك تسمع صوتها لكنك ما قد عرفت من اين تجئ ولا
الى اين تمضى فاذا قال ايثما تشاء تهب فما قال ذلك من طريق ان الرياح تمتلك

اختياراوعزما لكنه اعتمد بذلك الحركة التى من طبيعتها الكائنة
بسلطان العادمة أن تكون ممنوعة لان الكتاب من عادته يفاوضنا على
هذه الجهة فى وصف الاشياء الخائبة من نفوس على نحو ما يقول الرسول لان
الخليقة خضعت للضلالة ليست مختارة ذلك (رومية ص ١٠ عد ٦٠) فقوله
أينما تشاء تهب هو قول موضح عدم انضباطها وانها مندفعة فى كل
مكان وليس مانع يمنعها أن تندفع الى هذه الجهة والى تلك الناحية لكنها
تتشعب وتنبت بسلطان كثير وليس بمقتدر مقتدر أن يعكس حركتها
فقال تسمع صوتها الذى هو هفيفها وجبتها لكنك ما قد عرفت من اين
تجىء ولا الى اين تمضى كذلك هو كل مولود من الروح ههنا هى النتيجة
كلها لانه قال ان كانت هذه الرياح التى تدلم حسها بسمعك ولمسك ماقد
عرفت ان تترجم نهضتها ولا طريقها فكيف تستبحث عن الفعل من الروح
الالهى وما قد عرفت فعل الرياح على انك قد سمعت صوتها وقوله أين ما يشاء هب
فانما قيل أيضا لايضاح سلطان الروح المعزى لان هذه الرياح ان كانت
ليس يضبطها ضابط لكنها تندفع أين ما شاءت ففعل الروح القدس أولى
وأليق ان لا يقدر أن تضبطه شرائع طبيعة ولا حدود ولادة جسمانية ولا صنف
آخر من هذه الاصناف وأمثالها والدليل على انه فى ذكر الرياح قبل تسمع
صوتها فواضح من هنالك لانه ما خاطب كافرا ليس عارفا فعل الروح فقال
يسمع صوته فكان الرياح ما تستبين على انها تبدى صوتها فكذلك ولا
ولادة الروحانى تستبين لعينى جسدنا على ان الرياح جسم وان كان ألطف
الاجسام لان ما كان واقعا تحت حسنا فهو جسم فان يكن هذا الجسم
ما تستصعب انك ما تبصره ولا تنكره لهذا السبب فما بالك تندوخ اذا
سمعت ذكر الروح وتتحير وتطالب باجوبة جزيل تقديرها وما تعمل هذا العمل
فى جسم فان سألت وما الذى قال نيقوديمس أجبتك انه ثبت أيضا فى الحقارة

اليهودية بعد ان قيل له مثال واضح على هذه الصفة وقال ٩ كيف يمكن ان تكون هذه الافعال فبسبب أقواله هذه خوطب خطابا الذع من غيره ١٠ أنت هو معلم اسرائيل وما تعرف هذه المعانى فما ثلب من الرجل بجهة من الجهات خبثا لكن أليق ما يقال انه ثلب غباوته وركاكته ولعل قائلا يقول وهذه الولادة ما الذى تملكه مشابها بينها وبين الولادات اليهودية فاقول له وما الذى ماتحتويه مشابها قل لى لان حين تكون انسان الاول والامرأة المتكونة من ضلعه والعواقر والبرايا كلها المتكونة بالمياه وما حدث فى العين التى منها انتشل اليشع حديدة الفاس وماجرى فى البحر الاحمر الذى سلكه اليهود وما حدث فى البركة التى حركها الملاك وما صار فى نعمان السريانى المتطهر فى الاردن فهذه كلها سبقت وأذاعت الولادة والتطهير المنتظر كونه كانها فى رسم والاقوال التى قيلت من الانبياء ذكرت حال الولادة هذا ذكرا غامضا لان داود قال سيخبر بالرب الجيل الوارد ويتواصفون عدله عند الشعب المولود الذى صنعه الرب (مزمور ٢١ ع ٣١) وقوله ستجدد حداثتك كتجدد النسر (مزمور ١٠٢ ع ٥) وقوله أيضا مغبوطون الذين غفرت لهم زيغاتهم عن شريعتك (مزمور ٣١ ع ١) وقول نبى آخر استنيرى يا ورشليم ها ملكك يأتيك (أشعيا ٦٠ عدد ١) واسحق فقد كان رسما لهذه الولادة لان قل لنا يا نيقوديمس كيف ولد ذاك هل ولد بشريعة الطبيعة لم يكن ذلك بجهة من الجهات البتة لكن الفرق بين حال هذه الولادة وبين تلك ولادة اسحق هذا كانت ان المولود من تلك كان بمخالطة والذى يولد من هذه ليس هو من دم وهذه الاصناف فما سبقت واذاعت هذه الولادة فقط لكنها قد اذاعت أيضا الولادة من البتول لان اذا كان ليس متيسرا ان يصدق أحدنا ان بتولا تلد سبقها عواقر ولدن ثم لم يكن عواقر فقط لكنهن كن مع ذلك عجائز هرمات مع ان كون امرأة من ضلع أعجب كثيرا من ولادة من عاقر ولكن اذ كان كون حواء قد عاد عتيقا

تكون أيضا حال جديد محدث وهو حال العواقر مطرقا التصديق طلق البتول فلما ذكره بهذه الاصناف قال أنت هو معلم اسرائيل وما تعرف هذه المعانى ١١ ماقد عرفناه نقوله وما قد رأيناه نشهد به وليس يقتبل أحد شهادتنا فهذه الالفاظ قالها جاعلا أيضا كلامه من جهة أخرى مؤهلا لتصديقه منحدرا فى لفظه لضعف ذلك الانسان فلهذا الغرض قال ماقد رأيناه نشهد به لان اذ البصر عندنا هو اصدق من الحواس الاخرى واذا شئنا ان نحقق شيأ قلنا هذا القول انا قد رأيناه باعيننا لهذا الغرض خاطبه المسيح خطابا أقرب الى الانسانية محققا فى هذا المعنى كلامه والبرهان على انه أراد يبين هذا المعنى وما اعتمد معنى غيره ولا أظهر بصرا محسوسا فواضح من تلك الجهة لانه اذا قال من كان مولودا من اللحم فهو لحم ومن كان مولودا من الروح هو روح استثنى بان قال ماقد عرفناه نتكلم به وماقد رأيناه نشهد به وهذا الفعل فما كان بعد متكونا فكيف قال (ماقد رأيناه) أوليس واضحا انه انما قال هذا فى ذكر معرفته البالغة الحاوية العلم ليس على جهة أخرى قال وليس يقبل أحد شهادتنا فقوله ماقد عرفناه اما يكون قاله من أجل ذاته ومن أجل أبيه واما يكون قاله من أجل ذاته فقط وقوله (وليس يقبلها أحد) فليس هو قول مستثقل ذلك لكنه قول مخبر بالحادث منهم لانه ما قال ماذا يكون أقل حسا منكم الذين ماقد قبلتم ماقد أخبرناكم به على هذه الجهة بابلغ استقصاء لكنه أوضح بافعاله و بالفاظه الدمثة كلها فما نطق بلفظ من هذه الالفاظ واذاع العارض الذى عرض فى الخطاب بابلغ الوداعة وأوفر الرفق واللطف مصاعدا ايانا الى الوداعة كلها ومؤدبا ايانا اذا خاطبنا اناسا ولم ينعطفوا الى القول منا ان لانستصعب ذلك منهم ولا نتذمر عليهم لان تذمرنا ليس من عادته أن يدرج من يستصعب كلامنا الى قبوله لكن أليق به ان يجعله أعدم قبولا واذعانا فلهذا السبب نحتاج ان نجتنب الغيظ وان نجعل كلامنا من هذه

الجهة

الجهة مؤهلا لتصديقه وقبوله ليس بان لا نغتاظ فقط لكن وباجتنابنا الصياح أيضا لان الصياح مادة الغيظ والغضب

العظة السادسة والعشرون

طعن على الذين يغتاظون وانه ينبغي لنا أن نتكلم ليس بصياح لكن بسكون

فلنشكل الفرس ليهبط الفارس ولنقطع أجنحة الغضب فلا يرتفع أيضا فعله الردي الى فوق لان الغيظ داء حاد شديد ردي يسترق نفوسنا فلذلك يجب علينا أن نسد من كل جهة مدخله الينا لان منكرا علينا أن نقتدر ان نونس الوحش ونغفل عن سريرتنا متمرة فالغضب هو نار شديدة ويجعلنا مكروهين مستقبحا النظر الينا ولو كان ممكنا ان يوجد المغتاظ واضحا عند ذاته في وقت اغتياظه لما كان يحتاج الى عظة أخرى لان ليس يكون اعدم جمالا من وجه مغتاظ فالغيظ هو سكر وأليق ما يقال انه أردى من السكر وأقل ترثيا من شيطان لكننا اذا تدربنا بان لا نصيح سنجد للفلسفة طريقا فاضلة فلذلك بطل بولس الصياح مع الغيظ اذ كتب قائلا كل غيظ وصياح فلينزع منكم فلنقبل من معلم كل فلسفة واذا اغتظنا على غلماننا فلنخطر بوهمنا خطايانا ولنخجل من دعة أولئك لانك اذا كنت أنت تشتم غلامك ويحتمل ذلك مسبتك بصمته فانت تفتضح وذلك يتفلسف فاقتبل احتماله اياك عوض كل وعظ وتنبيه لانه وان كان عبد لك لكنه انسان حاو نفسا قد عدمت أن تكون ميتة وقد اكرمه واكرمك سيدنا الشايع بمواهب واحدة بأعيانها فان كان عديلا لنا في المواهب الاعظم قدرا والاكثر روحانية ولاجل سمو انساني حقير صغير يحتمل الشتائم الصادرة منا هكذا بوداعة فلاي عفو نوجد مؤهلين ولاي اعتذار نحن الذين ما امكنا أن

نتفلسف لاجل خوف الله وأولى مايقال الذين مانريد أن نحتمل كما يحتمل
غلاماً منا من أجل خوفنا فاذا افتكرنا في هذه الاقوال كلها وتفطنا في خطايانا
وفي حال طبيعة الناس المشترك فلنتدرب بان نتكلم في كل مكان بسكون
لنكون متواضعين في قلبنا فنجد الراحة في نفوسنا الحاضرة والمأمولة التي
فليتفق انا كلنا ننالها كلها بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفه الذي معه
لابيه مع الروح القدس المجد والكرامة الى اباد الدهور كلها آمين

المقــــالة السابعة والعشرون

في قوله (١٢) ان كنت قلت لكم الافعال الارضية فما صدقتموها فكيف اذا قلت لكم الافعال السمائية تصدقونها (١٣) وما صعد أحد الى السماء الا الذي نزل من السماء ابن الانسان الذي لم يزل في السماء

ما كنت قد قلته دفعات شتى هذا اقوله الآن ولست أكف قائلاً اياه
وان سألت ما هو هذا أجبتك ان يسوع اعتزم أن ينشئ آراء عالية فضبط
ذاته في أوقات كثيرة لاجل ضعف سامعيه وليس يثبت في الاقوال الموهلة
لعظمته ثبوتاً متصلاً لكنه يثبت اكثر في الاقوال الحاوية تحدراً وتقارباً لان
القول الرفيع العظيم السامي الذي قيل دفعة فيه كفاية أن يبين رتبته تلك
الشريفة على حذو ما يمكن عندنا استماعه والاقوال الاذل من غيرها القريبة

من

من تمييز سامعيها لو لم يتكلم بها عادة لما كان السامع الجامح الى الاوهام الارضية ضبط تلك الاقوال العالى محلها اسريعا ولهذا الغرض قال اكثر أقواله اذل لفظا من الاقوال العالى محلها لكن لكيلا يولد هذا القول ضررا آخر اذا ضبط تلميذه اسفل أيضا ما وضع الاقوال الاوفر تواضعا على بسيط ذات وضعها ولم يقل أولا العلة التى لاجلها يقول هذه الاقوال وهذا العمل فقد عمله ههنا لانه لما قال فى ذكر المعمودية ما قاله وفى وصف المولد بالنعمة الكائن فى الارض أراد أن يصف مولده ذلك الذى يعتاص وصفه ويمتنع أن يباح به فاذكره وذكر العلة التى لاجلها ما وصفه وهى كثافة فهم سامعيه وضعفهم وذكرها ذكرا غامضا وقال ان كنت قد قلت لكم الافعال الارضية فما صدقتموها فكيف اذا قلت لكم الافعال السمائية تصدقونها فيجب من ذلك انه انما قال لفظا ذليلا لا خفيفا فينبغى أن تحسب ذلك لضعف سامعيه والافعال الارضية ههنا فقد قال قائلون انها انما قيلت من أجل الرياح ومعناها وان كنت أنشأت لكم مثالا من الاشياء الارضية فما أيقنتم ولا على هذه الجهة فكيف يمكنكم أن تعرفوا ما هو أعلى من هذه قدرا وان دعا المعمودية ههنا أرضية فاما ان يكون لموضع انها تتم فى الارض واما يكون سماها أرضية على نحو مقايستها بولادته تلك المريعة لان هذه الولادة وان كانت سمائية لكنها بمقايستها بتلك الصادقة الموجودة من جوهر أبيه يوجد أرضية وما قال وما فهمتموها لكنه قال وما صدقتموها لان اذا استصعب أحدنا تلك الاقوال التى ينساغ له أن يقبلها بعقله ولم يقتبلها اقتبالا سهلا فعلى جهة الواجب يشكى منه الغباوة واذا لم يقتبل تلك الاقوال التى ما يتجه له أن يقتبلها بفكره وانما يقتبل الامانة والتصديق وحده فيوجد ذلك ليس من غباوته لكن من زوال تصديقه واذا دفع ما قد قيل ولم يستبحث عنه بافكاره وفكته اشد نكتا فيشكى منه زوال تصديقه فان كانت ولادتنا تحتاج

ان تقتبل بتصديق فلاى تعذيب يكونون مؤهلين الذين يستبحثون عن ولادة الوحيد بافكارهم ولكن لعل قائلا يقول فلم قبلت هذه الاقوال الارضية ان كان سمعوها ماادعوا ان يصدقوها نقول له ان كان اولئك الذين سمعوها ماصدقوها لكن الكائنين بعدهم احتزموا ان يقبلوها ويرجوا فوائدها ولما لذعه اشد لذعا بين له انه ماقد عرف هذه الاصناف فقط لكنه أيضا عارف اسرارا اخرا كثر من هذه واعظم قدرا بكثير وهذا المعنى فقد أوضحه باللفظ الذى يتلوه اذ قال هذا القول وماصعد احد الى السماء الا من انحدر من السماء ابن الانسان الموجود دائما فى السماء وان قلت واى نظام ينظم هذا بما قبله أجبتك انه منتظم بالاقوال التى قبله انتظاما عظيما جدا لان نيقوديمس اذ قال اننا قد عرفنا انك من عند الله جئتنا معلما تلافى رينا هذا القول بعينه فقارب ان يكون قد قال له لا تظن انى أوجد على هذا المثال معلما مثل الكثيرين من الانبياء الموجودين من الارض لكننى من السماء قد حضرت الان لان ولا واحد من الانبياء صعد الى هنالك وانا مقيم هنالك أعرفت كيف القول الذى ظن ذلك انه عال جدا يوجد دنيا أن يكون أهلا لعظمته جدا الان ليس هو فى السماء فقط لكنه حاضر فى كل مكان مالئ براياه كلها لكنه يتكلم أيضا هذا الكلام نحو ضعف سامعيه مريدا أن يصاعده مهلا مهلا ومعنى ابن الانسان ههنا فما سمى جسمه ابن الانسان لكنه الان سمى ذاته كلها حتى أقول هذا القول من الجوهر الادنى لان هذه عادة له أن يدعو ذاته كلها من لاهوته أحيانا ومن ناسوته أحيانا ثم قال (١٤) مثلما رفع موسى الحية فى البرية فكذلك يجب أن يرفع ابن الانسان وهذا القول أيضا يظن انه منفسخ من الاقوال التى تقدمته وهو يملك الاتفاق معها كثيرا لانه لما ذكر الاحسان الجسيم محله الواصل الى الناس بالمعمودية استثنى بذكر علته التى بالصليب التى هى

ليست بدونه   على نحو ما خاطب بولس أهل مدينة قورنثيه فذكر هذه
الاحسانات معا اذ قال هذا القول العل بولس صلب عنكم أم باسم بولس
اصطبغتم قورنثية أولى (ص ١ ع ١٣) فهذان الصنفان اكثر من صنوف
احساناته كلها أبانا حبه الذي يختاص التكلم به   انه تألم من أجل أعدائه
وانه مات عن مبغضيه ووهب لهم بالمعمودية اغتفار خطاياهم كاملا   ولعلك
تستخبر فلاى غرض لم يقل مثالا واضحا انى سوف أصلب لكنه أرسل سامعيه
الى رسم قديم فنقول لك أولا لتعرفوا ان الاقوال العتيقة مناسبة للجديدة وان
تلك ليست غريبة من هذه   وبعد ذلك لتعرف انه يجيء الى التألم ليس
كارها   ومع هذين الصنفين لتعلم انه ما يتكون له من هذا الفعل ضرر
ويتكون لكثيرين من هذه الجهة خلاصهم   لان حتى لا يقول قائل وكيف
يمكنهم أن يتخلصوا اذا آمنوا بالمصلوب اذا كان هو قد ضبطه الموت   فاقتادنا
الى الخبر القديم   لان اليهود اذا كانوا لما نظروا الى حية من نحاس انفلتوا
من الموت فاولى وأليق بالذين آمنوا بالمصلوب أن يستمتعوا على جهة الواجب
باحسان أعظم من ذلك كثيرا   لان هذا الصليب ما صار لاجل ضعف
المصلوب ولا بسبب قهر اليهود له لكنه انما صار لان الهنا أحب العالم   ولهذا
السبب صلب هيكله ذو النفس   ثم قال ١٥ لكي لا يهلك كل من يؤمن
به لكنه يمتلك حياة دهرية   أرأيت علة الصلب والخلاص الصائر منه أرأيت
مناسبة الرسم للحق هنالك انفلت اليهود من موتهم   وههنا يتخلص المؤمنون
بالمسيح من الموت الدهري   هنالك حية معلقة شفت لذع الحيات   وههنا شفى
يسوع المصلوب جراحات التنين العقلي   هنالك شفى الناظر بعينيه الحسية
الى الحية   وههنا يطرح الناظر الى المصلوب بالحاظ تمييزه كافة خطاياه
هنالك كان الصنف المعلق نحاسا ممثلا بشكل حية   وههنا فالمعلق هو جسد
سيدنا الذي أبدعه الروح   الحية لسعت هنالك وحية شفت لذعها فكذلك

ههنا الموت أهلكنا والموت خلصنا الان الحية التى أهلكت امتلكت سما والحية التى خلصت كانت نقية من السم وهذا الحادث بعينه حدث ههنا لان الموت الذى أهلكنا امتلك خطية مثل ما حوت الحية سما وموت سيدنا استخلصنا من خطيتنا كلها كما استخلصت حية النحاس الملسوعين من السم لانه قال ما اقترف خطية ولا صودف فى فمه غش (بطرس ا ص ٢ ع ٢٢) وهذا الذى ذكره بولس انه عرى الرياسات والسلطات وشهرهم فى مجاهرته اذا فضحهم فى ذاته (كولوسى ص ٢ ع ١٥) لانه بمنزلة مجاهد جليد اذا رفع من كان يجاهده الى موضع متعال وطرحه ومزقه اظهر قهره اياه أبهى فعلا فكذلك فعل المسيح بشهد المسكونة كلها ومعاينة أهلها أهبط قوات عدونا الضدية واستخلصها لما علق فى صليبه الوحوش العقلية كلها الا انه ما قال يجب أن يعلق لكنه قال يجب أن يرفع فوضع اللفظة التى يظن انها ذائعة عند سامعها اكثر من غيرها وانها أقرب من الرسم ١٦ وقال لان هكذا احب الله العالم حتى انه بذل ابنه الوحيد لكى كل من يؤمن به لا يهلك لكن يحوى حيوة دهرية فما يقوله هذا هو معناه لا تستعجب انى سأرفع لتخلصوا أنتم فان هذا الرأى يرتابه ابى وهو قد أحبكم هذا الحب حتى انه يبذل ابنه عن عبيده الزايل حفاظهم على ان أحدكم ما كان يعمل هذا العمل ولا من أجل صديقه ولا من أجل انسان عدل بمسارعة وهذا المعنى فاذا وضحه بولس قال لان بجهد وتكليف يموت أحد الناس عن انسان عدل (رومية ص ٥ ع ١٧) الا ان الرسول اذ خاطب أناسا مؤمنين جعل كلامه أوسع لفظا والمسيح ههنا اذ كان كلامه لنيقوديمس جعل قوله مختصرا الا انه ابين وضوحا لان كل لفظة من قوله تحوى بيانا كثيرا لان قوله هذا الحب وقوله أحب الله العالم بين زيادة الحب انها كثيرة لان الفرق فى ذلك كان عظيما اذ عدم أن يكون مجبورا لان العادم أن يكون ميتا الفاقد

ان يكون مبتديا بذا العظمة العديمة ان توصل الى غايتها   أحب الكائنين من
أرض ورمادا المملوئين خطايا جزيلا عددها   الصادمين خالقهم فى كل حين من
زمانهم القليل حفاظهم   والالفاظ التى بعد هذه تشبه تلك موضحة أيضا وده
التى تتلوا هذه وهى (لانه بذل ابنه الوحيد) وما بذل عبدا ولا ملاكا ولا رئيس
ملائكة   مع ان ما أظهر أحد الناس حرصا هذا مقداره فى تكريم ابنه بمقدار
ما أظهر الله فى تكريم عبيده القليل حفاظهم   وتأمله فما جعله بلفظ عرى
جدا   لكنه وضعه مستورا   والفائدة من تأمله فاوردها باين اللفظ اذ قال
هذا القول   كل من يؤمن به لا يهلك   لكى يمتلك حياة دهرية لانه لما
قال يجب ان يرفع وذكر موته ذكرا غامضا حتى لا يصير سامعه من هذه الالفاظ
مكتئبا متوهما فيها توهما أقرب الى الانسانية ظانا ان موته يكون زوال وجوده
تأمل كيف تلافى هذا الظن بقوله ان المبذول هو ابن الله   وانه علة الحياة
أى الحياة الدهرية   وما كان الواهب للآخرين حياة بموته يتهيأ ان يوجد هو
فى الموت دائما   لان ان كان الذين يؤمنون بالمطلوب ويهلكون فاولى به هو
وأليق اذا صاب ان لا يهلك   لان الذى أزال عن آخرين هلاكهم فاليق به
وأوجب ان يتخلص من الهلاك ومن يمنح الآخرين حياة فاولى به وأليق ان يفيض
حياة   أرأيت ان الحاجة فى كل مكان الى الامانة لانه قال ان الصليب يوجد
عين حياة   وهذا القول فليس يقتبله فكر اقتبالا سهلا   و يشهد بذلك
أيضا الوثنيون الذين يتضاحكون عليه الآن الا ان الامانة المتجاوزة ضعف
الافكار اقتبلته اقتبالا سهلا وتمسكت به   وان قلت فمن أية جهة أحب الله
العالم أجبتك ما أحبه من جهة من الجهات الاخرى الا من جهة صلاحه وحده

العظة السابعة والعشرون

فى حب المساكين

فسبيلنا ان نستحي من حبه وان نخجل من افراط تعطفه   لانه هو ما شفق على
وحيده من أجلنا ونحن نشفق على أموالنا من أجل ذواتنا   هو بذل ابنه
الخاص من أجلنا   ونحن فما نتهاون بدرهم من أجله   ولا من أجلنا   فكيف
تكون افعالنا هذه مؤهلة لعفوه فلو رأينا انسانا محتملا من أجلنا شدائد واخطارا
ومميتات لفضلناه على جميع الناس   وحسبناه من أوائل اصدقائنا   وفوضنا
اليه أحوالنا كلها   وقلنا ان الاوجب ان نكون املاكا له وما نحتسب
على هذه الجهة اننا قد منحناه مجازاة مؤهلة له البتة   والمسيح فما يحفظ له هذا
المقدار من الموالاة والمحافظة لكنه هو بذل نفسه عنا   وأراق دمه الكريم
لاجلنا   نحن الذين ما صرنا نصوحين ولا صالحين   ونحن فما نبدد أموالنا من
أجل أنفسنا لكننا نتغافل عنه عاريا مماتا من أجلنا   فمن ينقذنا من التعذب
المنتظر كونه وان لم يعذبنا الله فنحن نعذب ذواتنا أفهل لسنا نحكم على أنفسنا
بنار جهنم اذا أعرضنا عن بذل نفساعنا اذ انبا بالجوع   وما معنى ذكرى أموالا
نبذلها   لاننا لو امتلكنا نفوسنا جزيلا عددها الوجب علينا ان نبذلها كلها
من أجله   مع اننا ولا على هذا الحال نكون قد عملنا عملا موازيا لاحسانه
لان المحسن احسانا ابتدى به أولا   فقد أوضح خبريته ظاهرة   ومن قد
أحسن اليه فهما جازى به فانما يكون قد قضى دينا وما قد أسدى منه   ولا
سيما اذا كان من قد ابتدى بالاحسان محسنا الى أعدائه وكان من يجازيه انما
يسدي منحة الى من قد أحسن اليه   وهو يحصلها أيضا الا ان هذه
الاقوال ما تجتذبنا   لكننا أقل وفاء وحفظا من جميع الناس   اذ نجعل
القلائد من الذهب على عبيدنا   وعلى بغلاتنا وعلى خيلنا   ونتغافل عن
سيدنا جائعا عاريا طائفا مستبدلا بابا من باب واقفا عند منافذ الطرقات دائما
يمد يديه الينا متوسلا   وطالما نظرنا اليه بعين قاسية   على انه لاجلنا
يصطبر على هذه الحال بعينها الا انه يجوع بالتذاذ لطعمك و ينعمك من خيرات
ملكه

ملكه ويطوف عاريا ليهب لك سبب لبوس زوال البلى الا انكم ما تجودون
عليه على هذا الحال بشئ من الاشياء التى لكم لكن ثيابكم بعضها يكون
ماكلا للسوس وبعضها يكون للذين يسرقونها حشوا لصناديقهم وهما
زائد لهم والذى أعطاهم هذه الثياب وغيرها من نعمه يجول عاريا وربما
تكونون ماخزنوها فى صناديقكم لكنكم لبستموها أنتم وتزينتم بها وما
الذى يحصل لكم منها من فائدة أكثر هل فائدتكم هى أن يبصركم جماعة
أهل السوق وما هى هذه الفائدة لانهم ما يستعجبون المتوشح بها لكنهم
انما يستعجبون من يهبها للمحتاجين فمن هذه الجهة ان شئت ان تستعجب
فلبسها الاناس آخرين فتستمتع بمدايح جزيل عددها وحينئذ يمدحك الله مع
الناس واذا لبستها أنت فليس يمدحك ولا واحد لكن جميع الذين يبصرونك
يحسدونك اذا أبصروا جسمك مزينا مالكا لنفسك قد اشتمل التوانى عليها
فهذه الزينة قد توجد عند نسوة زانيات فطالما توجد عندهم ثياب جزيلة
أثمانها أبهى حسنا من غيرها وزينة النفس انما توجد عند العائشين
فى الفضيلة فقط هذه الاقوال أنا أكرر ذكرها ولست أكف عن التكلم
بها ليس مهتما بالفقراء على هذا المثال مثل اهتمامى بنفوسكم لان أولئك
سيكون لهم سلوا وان لم يكن من جهتنا لكنه يكون من جهة أخرى وان لم تكن
لهم تعزية لكنهم يذوبون بجوعهم ويهلكون فعارض الخسارة لهم ليس
هو عارضا عظيما لان ماذا صار لعاذر فقره وجوعه وضناه أليس سببا
للسكنى فى الحضن الابراهيمية وأنتم فليس ينقذكم منقذ من جهنم ان لم
تنفق لكم المعونة من الفقراء والمساكين لكننا نقول أقوال ذلك الغنى
المتقلى تقلبا دائما الذى لم يتفق له صنف من تعزية لا كان يسمع أحدكم
تلك الاقوال فى وقت من الاوقات لكن فليحصل لكم ان تذهبوا الى حضن
ابراهيم بنعمة ربنا يسوع المسيح ربنا وتعطفه الذى به ومعه لابيه المجد مع

الروح القدس الى آباد الدهور كلها آمين

المقالة الثامنة والعشرون

فى قوله ١٧ لان الله ما أرسل ابنه ليدين العالم لكن ليخلص به العالم

ان الكثيرين من الاوفرين ونية من غيرهم يستعملون تعطف الله لجسامة خطأهم ولافراط تصحيحهم فيقولون هذه الالفاظ مانوجد جهنم ولاتوجد عقوبة والله قد غفر لنا كافة خطايانا وهو يقضى لنا عنها فهؤلاء قد أطبق افواههم رجل حكيم وقال لاتقولن ان رآفة جزيلة وهو يمحو كثرة خطاياى (سيراخ ص ٥ ع ٩) فان عنده رحمة وسخطا فعلى التائبين تحل رحمته وعلى الخاطئين يستقر غضبه وكمان رحمته جزيلة فكذلك توبيخه عظيم (سيراخ ص ١٦ ع ١٤) فاين أقسام تعطفه ان كنا لانختض مايكون هؤلاء لخطايانا والدليل على اننا سنختض مايكون هؤلاء لجرائمنا أسمع النبى والرسول يوضحانه بقولهما فالنبى قال انك أنت تكافى كل أحد نظير اعماله (مزمور ٦٢ ع ١٣) و بولس قال هو الذى يكافى كل أحد نظير اعماله والبرهان على ان تعطف الله كثيرا على هذه الجهة فذلك واضح من ههنا لان الله قسم أحوالنا الى دهرين لحياتنا وهما عيشتنا الحاضرة والمنتظرة وجعل العيشة الواحدة فى ترتيب جهادات وجعل العيشة الاخرى موجودة فى أكاليل وتاجات فاوضح فى هذا الوجه تعطفه كثيرا وان سألت كيف ذلك وباى حال أجبتك قد اجترمنا خطايا كثيرة صعبة ولم تنكف منذ حداثتنا الى أقصى شيخوختنا من أن نوسخ نفوسنا بافعال جزيل عددها فما طالبنا بمحج ولا عن

صنف

صنف واحد من خطايانا لكنه خولنا اصفحا لها بجهنم اعادة ولادتنا ووهب لنا عدلا وقداسة فما الذى يقوله المؤهل منذ سنة الاولى للسرائر وبعد ذلك قد اخطاه خطايا جزيلا عددها وهذا فمؤهل لتعذيب أعظم من غيره لان خطايا هى هى باعيانها اما نعاقب عليها عقوبات هى هى باعيانها لكننا نعذب لاجلها تعاذيب أصعب من غيرها كثيرا اذا ما اخطأنا بعد ان نكون قد استودعنا سر الامانة ويبين ذلك بولس اذ يقول هذا القول اذا خالف مخالف شريعة موسى بحضرة شاهدين او ثلاثة يمات خلوا من رأفة فكم تظنون يؤهل لتعذيب أشر من قد وطأ ابن الله اذا احتسب دم عهده نجسا وشتم نعمة روحه عبرانيين (ص ١ ع ٢٨ و ٢٩) فمن هذا الحال حاله يكون مؤهلا لتعذيب أعظم ولكنه مع ذلك قد فتح لهذا باب توبة ونحوله ان يغسل ذنوبه التى اجترمها باصناف كثيرة فتفطن فى هذه الافعال سمات تعطفه العظيم مقدارها اعنى انه أغضى عن خطايانا بنعمته وبعد نعمته لم يعاقب من قد اخطأ بعدها وحصل مؤهلا للعقوبة لكنه يعطيه وقتا وتأجيلا للاعتذار فمن أجل هذه كلها قال المسيح لنيقوديموس ما أرسل الله ابنه ليدين العالم لكن ليخلص العالم (يوحنا ص ٣ ع ٧) الآن للمسيح ورودين أحدهما الكائن فيما سلف والآخر هو المنتظر والوردان فما صارت الاغراض واحدة بعينها لكن وروده الاول صار ليس ليفحص عن الافعال المفعولة منا لكن ليغضى لنا عنها ووروده الثانى يصير ليس ليصفح لنا عن جرائمنا لكن ليفحص عنها ولهذا الغرض قال فى وصف مجيئه الاول ما جئت لادين العالم لكننى جئت لاخلص العالم. وقال فى ذكر مجيئه الثانى اذا جاء ابن الانسان فى مجد أبيه يوقف الغنم عن يمينه والجداء عن يساره والامثال الاخرى التى قالها تناسب هذه الالفاظ مع ان وروده الاول قد كان ورود محاكمة على معنى عدله فان قلت ولم ذلك أجبتك لان قبل وروده قد كانت شريعة طبيعية وانبياء

وشريعة مكتوبة أيضا وتعاليم ومواعيد جزيلة عددها وظهور آيات وعقوبات وتعاذيب واصناف غير هذه متلافية وقد كان واجبا ان يطالب بجميع من هذه كلها لكنه اذ لم يزل متعطفا لم يصنع فحصا عن هذه لكنه منح غفرانا لها والا فلو كان فعل هذا الفعل لكنا قد خطفنا بغتة لان الرسول قد قال ان الناس كلهم اخطأوا واعدموا مجد الله (رومية ص ٣ ع ٢٣) أعرفت افراط تعطفه الذى لا يوصف ثم قال (١٨) من يؤمن بالابن ليس يحاكم ومن لم يؤمن به فقد حكم عليه فيما سلف ولعلك تقول فان كان ما جاء الى هذا الغرض ليدين العالم فكيف من لم يؤمن به فقد حكم عليه فيما سلف اذ كان لم يحضر بعد أوان المحاكمة فنجيبك يجوز ان يكون قد قصد هذا القصد ان اجتناب الايمان به هو عذاب حال من توبة لان وجود صاحبه خارج الضوء يحوى فيه التعذيب عظيما أولا ثم يتقدم فيذيع ما يكون مستأنفا وكما ان القاتل وان لم يحكم عليه بقضية القاضى فقد حكم عليه بطبيعة فعله وكذلك من قد عدم ان يكون مؤمنا فقد حكم عليه بطبيعة انكاره وكفره اذ كان آدم قد مات فى اليوم الذى أكل من الشجرة لان القضية عليه حوت هذا الحكم القائلة فى اليوم الذى فيه تأكلان من الشجرة تموتان على انه قد عاش كيف مات تقول انه مات بالقضية عليه وبطبيعة فعل معصيته لان من قد جعل ذاته مطالبا بالعقوبة فهو تحت العقوبة وان لم يعاقب بالفعل عاجلا لكنه قد عوقب بالقضية لان حتى لا اذا سمع سامع انى ما جئت لادين العالم يظن انه اذا أخطأ يكون ناجيا من العقوبة ويصير أشد مما كان فى التوانى رد الرب هذا الظن بقوله انه قد عوقب فيما سلف لان المداينة اذ كانت مأمولة وليست حاضرة اقتاد خوف العقوبة وبين التعذيب انه قد كان وهذا القول بعينه هو من تعطف كثير انه ما يبذل ابنه فقط لكنه يؤخر مع ذلك وقت المداينة حتى

يصير

يصير للخاطئين وللكافرين سلطان ان يغسلوا الذنوب التي اجترموها قال من يؤمن بالابن ليس يحكم عليه من يؤمن به قال ليس من يستجف عنه من يؤمن به ليس من يفتش عليه ولقائل ان يقول فما رأيك ان كان من يؤمن به يعتلك عيشة نجسة واعمالا ليست صالحة فنقول له قد قال بولس ان الذين هذا الحال حالهم ليس يوجدون مؤمنين خالصين لانهم يعترفون بالله وباعمالهم يجحدونه (تيطوس ص ١ ع ١٢) ولعمري انه ههنا انما قال ذلك القول انه في الايمان هذا بعينه ليس يحكم عليه الا انه سيقابل على أعماله أصعب مقابلة وليس يعاقب لاجل اجتنابه الايمان لانه قد آمن دفعة أرأيت كيف ابتدى من أقوال مريعة وانتهى أيضا الى هذا القول بعينه لانه عند ابتدائه بالخطاب قال ان لم يولد الواحد من ماء وروح فليس يدخل الى ملك الله وقال ههنا أيضا من ليس يؤمن بالابن فقد حكم عليه لانه قال لا تظن ان التأخير من شأنه ان ينفع من قد صار فيما اسلف مطالبا بتبعة ان لم يتب ويتندم لان من لم يؤمن فليست حاله أفضل حالا من المعاقبين الذين قد وجب الحكم عليهم قال (١٩) لان هذا هو الحكم ان النور جاء الى العالم فاحب الناس الظلام أكثر من النور فالذي يقوله هذا هو معناه قال لهذا السبب يعاقبون لانهم ما ارادوا ان يتركوا الظلام ويتبادروا الى الضوء فههنا يعدمهم كل اعتذار كانه قال لو كنت جئت معاقبا مطالبا بحجج عن الاعمال التي عملوها لاتجه لهم ان يقولوا اننا لهذا السبب طرقنا منه هاربين فالآن انما جئت أرحمكم من الظلام واقتادهم الى الضوء ومن هو الذي يرحم من الاشياء ان يتقدم من الظلام الى الضوء لانه قال ليس يتساغ لهم فعل يشكونه منا لكننا أحسنا اليهم احسانات جزيلا عددها فطفروا نافرين منا وهذا الفعل فقد شكاه منهم في موضع آخر وقال انهم مقتوني مجانا فقال أيضا ولو لم أجيء وأخاطبهم ما امتلكوا خطية لان من كان جالسا

فى الظلام من أجل فقد الضوء لهم بذلك عفوا   واما من كان بعد ورود الضوء
مثابتا للظلام فذلك يبين على ذاته دلالة على عزمه المنوى المؤثر الغاية   ثم اذ
كان القول الذى قيل يظن عند الكثيرين انه مسلوب تصديقه لان ما يكاد
واحد من الناس يفضل الظلام على الضوء وضع العلة التى منها عرض هذا
العارض لهم   وان سألت وما هى اجابك   لان انما اعمالهم كانت خبيثة
(٢٠) لان كل عامل الاعمال الطالحة يمقت الضوء وما يجئ الى الضوء لكيلا
تستبين اعماله   على انه ما جاء حاكما عليهم ولا مستقصيا لكنه جاء غافرا
صافحا عن هفواتهم ومخولا اياهم من ايمانهم به خلاصهم   فكيف هربوا منه
لهذا السبب   لانه لو كان جاء فانشأ مجلس قضاء   لاملك القول الذى
قاله احتجاجا عندهم   لان من كان عارفا لنفسه اعمالا خبيثة فذلك من عادته
ان يهرب من الحاكم   فاما الغافر الصافح فالمذنبون يتبادرون اليه   فان
كان قد جاء صافحا عنهم غافرا لهم فقد كان واجبا عليهم ان يتبادروا اليه باوفر
نهضتهم الذين قد عرفوا لانفسهم خطايا كثيرة   وهذا العارض فقد عرض
لاناس كثيرين لان عشارين وخاطئين جاؤوا فاتكأوا مع يسوع   فان
سألت وما معنى ما قيل   أجبتك انه قال هذه الاقوال فى وصف المؤثرين ان
يثبتوا فى رذيلتهم كل حين   لانه ولهذا الغرض جاء ليصفح عن الخطايا الاولى
و يصون من الجرائم المستأنفة   واذ قد يوجد اناس مسترخيين على جهة تخيل
حالهم منخلين عن الاتعاب فى الفضيلة حتى انهم يريدون ان يثبتوا الى انفاسهم
الاخيرة فى خبثهم ولا ينتزحوا عنه فى وقت من أوقاتهم   فزعمهم ههنا وقال هذا
القول   لان الدين المسيحى اذ من شأنه ان يطالبنا بسيرة معافاة   مع تقوم
رأينا فيه ذكر انهم خشوا ان ينتقلوا اليه   لانهم ما ارادوا ان يوضحوا عيشة
متقومة   وذلك ان العائش فى الدين الوثنى ليس يوبخه موبخ   لان من
قد حوى آلهة هذا الحال حالهم   واعيادا تشبه تلك لآلهة مستقبحة مضحوك

عليها

عليها بحرصهم ان يوضحوا اعمالهم مؤهلة لآراء دينهم   واصحاب الله اذا عاشوا
بتضجيع وتوان   امتلكوا جميع الذين ينظرونهم حكماء اياهم   عارفين لهم
واستجاب ذلك يوجد عند أعداء الحق جزيلا تقديره   وابصر ذنبا كيف
وضع ما قاله بابلغ استقصاء   لانه ما قال من قد عمل اعمالا صالحة دائما
ومعنى ذلك هو المريد دائما ان يتمرغ فى حماة الخطية ليس يريد ان يلقى ذاته فى
شرائعى   لكنه يشاء ان يلبث خارجها   يزنى بعولة فسيحة ويعمل الخطايا
الآخر المنوعة   لانه اذا جاء الى ههنا يصير ظاهرا كظهور اللص فى النور
فلاجل هذه الاسباب يهرب من رياستى عليه   وقد يتهيأ لنا ان نسمع أوثانيين
كثيرين قائلين انهم لهذا السبب ما يستطيعون ان يرجعوا الى امانتنا لانهم
ما يمكنهم ان ينتزحوا عن السكر والزنا وعن الهفوات التى تناسب هذه
ولعل قائلا يقول فما رأيت أفما يوجد مسيحيون عاملين اعمالا طالحة واوثانيون
عائشين فى فلسفة فاقول له   قد عرفت أنا ان مسيحيين عاملون أعمالا ردية
وأما اوثانيون عايشون عيشة متقومة فهذا ما عرفته أنا معرفة واضحة لان
لاتذكر لى الوديعين فى طبيعتهم المتوقرين فان هذا ليس هو فضيلة   لكن
اذكر لى من كان مضطرا على تكليف كثير من أمراض هواه وهو متفلسف
الا انك ما ينساغ لك ان تذكر لى ذلك   لان ان يكن الوعد بالملكوت والوعيد
بجهنم والاهتمام الآخر الجزيل تقديره وبجهد وكلفة تضبط الناس فى فضيلة
والذين ما يوقنون بصنف من هذه الاصناف استعمالهم الفضيلة هو بطالة
وان كان أقوام منهم يراؤون بها فانما يعملون هذا العمل لاجل التشريف
من الناس   ومن يعمل هذا العمل لاجل التشريف اذا انساغ له ان يخفى
عمله فليس ينقبض عن استعمال شهواته الخبيثة ومع ذلك فلكيلا تظن عند
أقوام اننا نؤثر الغلبة   فنقول ان قد يوجد عند الاوثانيين أقوام عائشين
عيشة متقومة   لان هذا حينئذ ليس يضاد كلامنا لانه انما قال ما يعرض

افتعاله كثيرا وماذكر الفعل الكائن فرادى أيضا وأبصره كيف يفقدهم من جهة أخرى كل اعتذار اذ قال ان الضوء جاء الى العالم كانه قال العالم هم طلبوا الضوء أعساهم تعبوا فى ان يجدوه لكن الضوء بعينه جاء اليهم فما تبادروا اولا على هذا الحال اليه ولئن كان عند النصارى أناس عائشين عيشة خبيثة تقول ذلك القول من أجلهم انه ماقال هذا القول فى وصف الكائنين منذ ابتدأ الانذار مسيحيين الذين تعاقبوا من أجدادهم حسن عبادتهم وان كان هؤلاء فى أكثر الاحوال ربما ترعزعوا عن استقصاء الآراء فى الدين من تلقاء عيشة خبيثة الا انه مع ذلك على حسب ظنى ليس يقول هذا القول من أجل هؤلاء لكنه انما يقوله فى ذكر الذين من الاوثانيين أو من اليهود يجب عليهم ان ينتقلوا الى الامانة المتقومة لانه بين ان ولا واحدا من الناس عائشا فى ضلالته اختاره انه يجيئ الى الامانة فلم يصور فى ذاته أولا عيشة متقومة وليس يثبت أحد فى كفره فلم يكن أولا مؤثرا كل حين ان يكون رديا لان لا تقل لى هذا القول انه يعف وما يخطف ما ليس له لان هذين الصنفين وحدهما ليس هما فضيلة لان ما المنفعة اذا امتلك العفة واجتناب الاختطاف وكان عبد اللشرف الفارغ وخجلا لان يحب ذاتية وهو ثابت على ضلالته لان هذا الفعل ليس هو فعل عائش عيشة متقومة لان من كان عبدا للشرف الفارغ ليس هو دون من كان ذاتيا لانه يعمل على هذا الحال أكثر من الزانى بكثير أعمالا اصعب وأردأ لكن صف لى انسانا متخاصا من كافة أسقام هواه حرا من كل رذيلة ثابتا عند الاوثانيين ولكنك ماتجد لك ذلك لان المتفخمين عندهم بالمحامد الجسمية القاهرين الاموال وتظنهم على مايقولون تعبد والتشريف الناس تعبدا كثيرا وهذا فهو علة الاعمال الردية كلها وعلى هذه الجهة ذكر اليهود وشكاهم وقال كيف تقدرون ان تؤمنوا اذ تستمدون

تشريفا

تشريفا من الناس ولقائل ان يقول فما السبب فى ان ناثانائل الذى شهد
له بصدقه ماخوطب فى هذه المعانى ولا أسهب معه كلاما طويلا فنقول له
ان ذلك ماجاء اليه بحرص هذا تقديره لان هذا جعل هذا الكلام عملا
مهما والوقت الذى جعله أناس آخرون وقتا لراحتهم صيره هذا أوانا
لاستماع التعليم وذلك استماله غيره فجاء الى عنده مع انه ما أعرض عن
ذلك لانه قد قال له منذ الان سترون السموات مفتوحة وملائكة الله طالعين
ونازلين على ابن الانسان (يوحنا ص ١ ع ٥١) وماقال لهذا صنفا
من هذه الاقوال بل خاطبه فى ذكر سياسته وفى الحياة الدهرية خطابا مختلفا
لفظه مفاوضا كلا منهما نحو النية الموضوعة فيه لان ذاك كان عالما
باقوال الانبياء وما كان على هذه الحال جبانا أجزاه ان يسمع هذا المقدار من
الكلام فقط وهذا اذا كان الجزع استحوذ عليه ما كشف له المطلوب كله
واضحا بل هزعزمه حتى ينتزع خوفا بخوف فقوله ان من لا يؤمن به يحا كم
وان اجتناب تصديقه والايمان به انما يتكون من فطنة خبيثة لانه لما
تكلم فى التشريف من الناس كلاما عظيما أكثر من الكلام فى العذاب
لانه قال ان كثيرين من الرؤساء آمنوا به وبسبب اليهود ما اعترفوا به فمن
هذا التشريف لذعه بقوله ان ليس يمكن أن يوجد من ليس يؤمن فى انه لسبب
آخر ليس يؤمن بى الا لانه يمتلك عيشة نجسة واذا امعن فى كلامه قال أنا
هو الضوء وقد قال ههنا ان الضوء جاء الى العالم لانه فى مبادى تعليمه تكلم
أكثر كلامه مستورا ولما أمعن فى انذاره تكلم كلاما
أبين وضوحا الا ان هذا الانسان كان
تشريف الكثيرين قد ضبطه
ولذلك ما استجاز ان يجاهر
كما ينبغى

العظة الثامنة والعشرون

طعن على ذوي الشرف الفارغ

فلنهرب اذاً من الشرف الفارغ لان هذا الداء أشد غصباً من أدواء هوانا كلها لان من هذا الداء يتكون استكثار القنية وعشق الاموال ومنه ينشأ المقت والحروب والقتالات لان من يعشق الاكثر ومن يعشق الاموال ليس ذلك بجهة من الجهات الاخرى الا من عشقه للتشريف الفارغ لان قل لي لم يستصحب الاكثرين من الناس جماعة من الخدم وأفواجاً من الغلمان والمماليك ويشتملون خيالاً كثيراً ليس لاجل حاجاتهم الى ذلك الا من أجل ان يحوزوا الذين يلتقونهم شهوداً بخيالهم هذا الفائت وقته فمتى ما قطعنا هذا التشريف مع رأسه وعطلنا باقي أعضاء الرذيلة فليس يمنعنا مانع ان نسكن الارض على هذا المثال كمن يسكن السماء لان هذا الداء ليس من شأنه ان يدفع الذين قد اقتنصهم الى الرذيلة فقط لكنه مع ذلك قد أزاغ تمكنهم في الفضائل واذا لم يقتدر ان يخرجنا من هنالك يصطنع لنا الخسارة في الفضيلة بعينها كثيرة اذ يلزمنا احتمال الاتعاب فيها ويعدمنا أثمارها لان من كان ناظراً الى الشرف الفارغ اذا لبث صائماً ومصلياً وراحماً فقد اضاع ثوابه فما الذين يكونون أحق من هذه الخسارة بالترثي لها الا انه اذا عرض لنا ان نتعب تعباً باطلاً فارغاً ونصير مضحوكاً علينا فنحن نسقط خائبين من المجد العلوي لان لا سبيل لمن يرتاح الى الشرفين كليهما ان يمتلكهما معاً لكن يتفق لنا ان نمتلكهما كليهما اذا لم نشتهيهما كليهما بل اذا اشتهينا أحدهما الذي في السموات ومتى اشتهيناهما كليهما فلا سبيل لنا ان نمتلكهما كليهما فلهذا السبب ان شئنا ان نمتلك شرفاً فلنهرب من الشرف الانساني ونحب الشرف الذي من الله وحده فعلى هذه الحال يتفق لنا امتلاك هذا الشرف وذاك الذي

فليكن

فليكن لنا كلنا ان نتمتع به بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفه الذى به ومعه لابيه المجد مع الروح القدس الى آباد الدهور كلها آمين

المقالة التاسعة والعشرون

فى قوله ٢٢ وخرج الى أرض اليهودية هو وتلاميذه واقام هنالك معهم وعمد

لا يكون شئ أبين من الحق أو اليق من الصدق ولا أقوى كما ان ليس يوجد شئ أضعف من الكذب ولو ستر بستور جزيل عددها لانه يصير على هذه الجهة أبين ظهورا ويتمزق تمزقا سهلا فاما الصدق فقد وضع عاريا لجميع المريدين ان يتأملوا حسنه وليس يشاء ان يستخفى ولا يخشى عطبا ولا يرتعد من اغتيالات ولا يرتاح الى التشريف من الكثيرين ولا يوجد مطالبا بتبعة من التبعات الانسانية لكنه قد وقف أعلى منها كلها مقتبلا اغتيالات جزيلا عددها ممتنعا قهره صائنا بافراط قدرته الملتجئين اليه كانهم داخل سور حصين قال بامخابى الغش المستورة منضدا فى الوسط لكل الناس الافعال الناشئة منه وهذا الفعل أوضحه المسيح حين خاطب بيلاطس قائلا أنا علمت كل حين مجاهرة وما تكلمت كلاما فى خفية (يوحنا ص ١٨ ع ٢) هذا القول قاله فى ذلك الحين وعمله الان لان البشير قال وبعد ذلك خرج الى أرض اليهودية هو وتلاميذه وأقام هنالك معهم وعمد لانه فى الاعياد صعد الى المدينة حتى يفشى فى وسطهم أراءدينه والمنفعة من عجائبه وبعد تقوض الاعياد وانحلالها كان يجئ فى أكثر الاوقات الى الاردن اذ كان أناس كثيرون يتبادرون الى هنالك فكان يتوجه دائما الى المواضع

الحاوية الجموع الكثيرة ليس مظهراذاته ولاراغبا فى التكريم لكن
مسارعا ان يخول الكثير من المنفعة الكائنة منه على ان البشير اذا معن فى كلامه
قال ان يسوع ما عمد لكن تلاميذه فواضح من هذه الجهة انه قد قال هذا
القول ههنا ان تلاميذه عمدوا وحدهم ولعلك تستخبر ولم ما عمد هو فنقول
لك اذ سبق يوحنا فقال ان ذلك يصبغكم بروح القدس ونار والروح
فما كان بعد قد أعطى فعلى جهة الواجب ما عمد هو وتلاميذه فعملوا هذا
العمل مريدين ان يستفيدوا أناسا كثيرا الى تعليمه المخلص ويجوز ان
نسأل فلما كان تلاميذ يسوع يعمدون ما السبب فى ان يوحنا ما كف عن هذا
العمل لكنه لبث هو صابغا من كان يقصده وعمل هذا العمل الى حين حصوله
فى السجن لان قوله ٤ ٢ ما كان بعد يوحنا محبوسا فى السجن كان قوله موضحا انه
الى ذلك الحين ما كف عن التعميد فلاجل أى غرض عمد الى ذلك الحين
مع انه قد كان أظهر تلاميذ يسوع أشرفين لو كان كف عن التعميد عند
ما ابتدى أولئك به فلم عمد فنقول لك انه عمد لكيلا يقتاد تلاميذه الى الغيرة
والحسد ويجعلهم أكثر حبا للغالبة لانه ان كان قد صاح دفعات كثيرة
وأفرج للمسيح معالى التقدم عليه وحقر ذاته حقارة جزيلا تقديرها وما استمالهم
الى ان يبادروا الى المسيح فلو كان أضاف الى ذلك هذا الفعل وهو تبطيل
التعميد لكان قد جعلهم أشد ايثار للغالبة والمحك كثيرا ولهذا الغرض
خصوصا ابتدأ المسيح حينئذ بانذاره حين صار يوحنا غائبا وعلى حسب
ان لهذا السبب أطلق ان تكون وفاة يوحنا سريعة له حتى ينقل الى المسيح
محبة الجمع كلها ولا يشقوا ذواتهم فى عزائمهم من أجلهما كليهما وخلوا من
هذه الاغراض فما كف فى حال تعميده عن وعظهم وعظا متصلا مظهرا أفعال
يسوع عظيمة شريفة لانه عمد ولم يقل قولا آخر غير ان يؤمنوا بالجائى
بعده ممن أنذر هذا الانذار كيف ما قد أظهر تلاميذ المسيح مشرفين لانه
لو

لو كان كف عن التعميد لكان بخلاف ذلك قد توهموا انه طلبه التعميد لحسد
ولغيرة وغيظ وثبوته منذرا بالمسيح ما استقنى التشريف لذاته لكنه أرسل
سامعيه الى المسيح وما ساعده دون اسعاد تلاميذه لكنه ساعده أكثر منهم بكثير
بمقدار ما كانت شهادته هذه عديمة ان تكون متهمة وكان قد امتلك عند
جميع أهل ذلك البلاد تشريفا أعظم منهم بكثيرة وهذا المعنى فقد ذكره
الانجيلي ذكرا غامضا وقال ان اليهودية كلها والصقع المحيط بالاردن كان
أهلها يخرجون اليه ويصطبغون منه ولما كان تلاميذ يوحنا يعمدون
ما تخاصم كثيرون عن المبادرة الى يوحنا فان استفحص مستفحص وقال
ما الفائدة التى امتلكتها معمودية تلاميذ المسيح أكثر من معمودية يوحنا نقول
له لم يكن بينهما فرق لانهما كلتيهما كانتا على حال واحد خائبتين من نعمة
الروح وعلة التعميد فكانت لكليهما واحدة وهى ان تستقيد
المصطبغين الى المسيح لانهم لكى لا يحاضروا دائما حتى يجمعوا على هذه
الجهة الذين كان يجب ان يؤمنوا مثل اندراوس بسمعان أخيه وفيلبس
بناثانائيل فلذلك أقاموا التعميد فى ذلك الحين حتى يستقيدوا جميع من يحضر
عندهم اخلوا من تعب ويطرقوا للامانة المستأنفة والبرهان على ان
المعموديتين ما حوت أحديهما فائدة تزيدها على الاخرى فالاقوال التى تقارب
هذه توضحه وهى قوله ٥ ٢ حدث فيما بين تلاميذ يوحنا وبين رجل يهودى
بحث عن التطهير لان تلاميذ يوحنا كانوا يحسدون المسيح بعينه فلما
أبصروا تلاميذه يعمدون أقبلوا يقولون للمصطبغين قولا على سبيل
المناظرة يبينون به ان المعمودية عند معلمهم تحوى فائدة أكثر من معمودية
تلاميذ المسيح وأخذوا واحدا من الذين اصطبغوا عند التلاميذ وحاولوا ان
يحققوا قولهم عنده الا انه ما قبل منهم لان الدليل على ان هؤلاء هم
الذين تبادروا الى الرجل وما طلبهم هو أسمع البشير كيف ذكر هذا

ذكراغامضا لانه ماقال ان يهوديا واحدا ناظرهم لكنه قال ان مناظرة حدثت بين تلاميذ يوحنا وبين يهودي واحد من أجل التطهير وتأمل في زوال استثقال البشير لانه ما استعمل كلامه على جهة اشهار عزمهم لكنه بحسب طاقته تلافى زللهم بقوله حدثت مناظرة على بسيط ذاتها على ان الدليل ان الاقوال التي قالوها كانت من حسدهم تبينه الاقوال التي تتلو هذه التي وضعها خلوا من استثقال بهم لانه قال ٢٦ انهم جاؤا الى يوحنا وقالوا له يا معلم ذاك الذي كان معك جائزا الاردن الذي شهدت له أنت هاهو يعمد والناس الذين في البلد كلهم يتقاطرون اليه ومعنى ذلك هو الذي عمدته أنت لانهم ذكروا هذا المعنى ذكرا مستورا بقولهم الذي شهدت له أنت كقولك الذي أظهرته أنت نبيا وجعلته ذائعا ذكره قد اجترى عليك بهذه الافعال باعيانها الا انهم ماقالوا الذي عمدته أنت والا فكانوا قد اضطربوا ان يذكروا الصوت المنحدر اليه من العلو وحلول الروح عليه لكن قالوا ذاك الذي كان معك جائزا الاردن الذي شهدت له أنت ومعنى ذلك هو الذي قد حوى مرتبة تلميذك الذي ما قدامك شيئا أكثر منا هذا اذا لما انفصل عنك عمد وما توهموا ان يغيظوه بهذا القول فقط لكن باستظهاره مع ذلك على أفعالهم وسموه فيما بعد في الشرف عليهم لانهم قالوا وجميع أهل البلد يتقاطرون اليه فواضح من هذه الجهة انهم ماقهروا ذاك اليهودي الذي جرت المناظرة بينهم وبينه هذه الاقوال قالوها اذ كانوا أعدم من غيرهما كمالا في سجيتهم وما كانوا أنقياء من المباهاة وايثار التكريم واسمع ماقال لهم يوحنا لانه ما زجرهم زجرا شديدا خاشيا ان لا ينفصلوا عنه أيضا فيعملوا عملا آخر رديا بل قال لهم ٢٧ ليس يقتدر أحد من الناس ان يأخذ ولا شيئا اذا لم يكن معطى له من السماء وان يتكلم في وصف المسيح كلاما أوفر تواضعا فلا تتعجب ذلك لانه ما كان يتجه له ان يعلم

الذين

الذين قد تقدم انضباطهم بسقم هذا تغير كل ما يعتمده على عقله ومن مبادى
استعمالته اياهم لكنه شاء عاجلا ان يلذعهم ويرعبهم ويريهم انهم اذا
حاربوه فقد حاربوا غير الههم وهذا القول قد قاله غامالائل (ابرا كسيس
ص٥ع ٤٠) ما تقدرون ان تنقضوا هذا لكيلا توجدوا محاربين الهنا
وهذا القول يشبه يوحنا ههنا انشاء مستورا الان قوله ليس يقدر أحد ان
يأخذ شيأ اذا لم يكن معطى له من فوق من السماء ليس هو قول أوضح
معنى آخر والا انهم قد ارتادوا ارتيادا ممتنعا وانهم يوجدون أيضا من هذه
الجهة محاربين الههم ولو كانوا سألوه أفصحاب لوداس ما استعدوا انكر بما
من ذاتهم لاجابهم الا انهم فى الحين تشتتوا وهلكوا وأحوال المسيح فليست هذه
الصورة صورتها ففى هذه الجهة علاهم بسكون موريا اياهم ان الذى قد فاق
عليهم فى الشرف ليس هو انسانا لكنه الله هو وان كانت أحوال ذاك نيرة
بهية وجميع أهل البلد يتقاطرون اليه فما يجب ان يتعجبوا ذلك لان الافعال
الالهية هذه الحال حالها واله هو الذى أبدع هذه الافعال كلها الان ما قدا قتدر
انسان فى وقت من الاوقات يفعل أعمالا هذا مقدارها وبيان ذلك ان
الافعال الانسانية كلها واهية يسهل الوصول اليها وتسهيل سريعا وتهلك وهذه
الافعال فليست هذه حالها فما هى اذا قالوا الذى أنت شهدت له فهذا القول
الذى توهموا انهم يوردونه لعدم شرف المسيح عطفه حينئذ اليهم و بين لهم أولا
ان ليس شهادته له حصل اشراق فضله و بعد ذلك أصمتهم فى هذا الوجه لانه
قال لهم لن يقتدر انسان من ذاته ان يأخذ ولا شيأ اذا لم يكن معنى من السماء
كانه قال ان كنتم بالجملة قد تمسكتم بشهادتى واحتسبتموها صادقة فاعرفوا
انكم لاجلها خصوصا يجب ان تفضلوا ليس أياى على ذلك لكن سبيلكم ان
تفضلوا اذاك على ما الذى شهدت به أنا استدعيتكم شهودا بذلك (٢٨) لانكم
أنتم قد شهدتم على انى قلت أنا لست المسيح لكننى أنا مرسل امامه فان كنتم

قد تمسكتم بشهادتى لانكم الان قد أوردتموها قائلين الذى أنت شهدت له
فلستم ما قد نقصتم فقط من اقبال شهادتى لكنكم قد تزايدتم كثيرا من
قولكم هذا فى انكارها وأقول على معنى آخر فشهادتى لم تكن منى
لكنها من الله كانت فان كنت عندكم موهلا للتصديق فمع أقوالى
الاخرى قد قلت هذا القول انى مرسل امام ذلك أرأيت كيف بين
قليلا قليلا ان قوله كان الهيا لان الذى قاله معناه هذا هو أنا خادم أقوال
مرسلى ولست معد كاز له بمنة انسانية لكننى خادم لابيه الذى أرسلنى فما
وهبت له شهادتى لكننى قلت ما أرسلت ان أقوله فلا تظنونى اذا أوجد عظيما
لاجل هذا القول لان هذا القول يظهر ذاك معظما لان ذاك هو رب أعماله
ولذلك استثنى بهذا وقال (٢٩) ان من له العروس هو الختن وصديق الختن
الواقف والسامع منه يفرح فرحا لاجل صوت الختن ولقائل أن يقول
فالقائل لست أنا موهلا ان أحل شسع حذائه كيف قال عن ذاته انه صديقه
فنقول له ما قال هذا القول مرتفعا فى ذاته ولا متفخما لكنه لايثاره ان يبين انه
هو يحرص فى هذا كثيرا وان هذه ليست هى أقوال مغموم وان هذه
الافعال ليست تصير عن كراهية منه لكن أقوال مجتهد فيها وان هذه
الافعال هى التى لاجلها عمل كافة الاعمال التى عملها فهذه المعانى كلها
أوضحها باسم الصديق لان خدام الختن أيضا ما يفرحون على هذا المثال
مثل ما يفرح أصدقاؤه ويسرون فى هذه الاحوال وما ناسبها فأراد
ان يبين معاداته اياه بهذا القول أبعد هذا الظن عنك لكنه قال مريدا ان
يبين كثرة التذاذه ومع ذلك فقاله متحدرا مع ضعفهم فدعى ذاته صديقا
له اذ كان قد أوضح خدمته بقوله انى مرسل امام ذلك ولاجل هذه
الاقوال اذ توهموا هم انهم يلذعونه بما حدث من تقاطر الناس الى المسيح دعا
ذاته صديقا للختن موضحا ليس انه ما يمضه ذلك فقط لكنه أوضح انه يفرح
بذلك

بذلك جدا كأنه قال انما جئت أتمم هذا الفعل وبهذا المقدار ابتعد من التواضع لما يعمله ذاك لانى حينئذ كنت أتوجع كثيرا لو كان ما قد صار هذا لو كانت العروس ما تقدمت الى ختنها لكنت حينئذ قد توجعت ومضنى ذلك لكننى لست أغتم الان اذ كانت أمالى قد تكملت لاننا نحن هم الموفقون باقبال أحوال ذلك لان قد صار ما تمنيناه وقد عرفت العروس ختنها وأنتم فقد شهدتم بذلك اذ قلتم هذا القول ان جميع أهل البلد يتقاطرون اليه لان هذا العمل اجتهدت أنا فيه ولاجله عملت كل عمل اذ قد رأيت هذا المطلب خارجا الى الفعل أسر وابتهج وارتكض وان سألت وما معنى قوله الواقف السامع منه أجبتك من المثل الذى أنشأه عطف كلامه الى ما اعتمده لانه لما ذكر عروسا وختنا بين كيف صار اقترافهما انه تكون بصونه وتعليمه لان على هذه الطريقة تقترن الكنيسة بالله ولذلك قال بولس الامانة من السماع والسماع وقول الله (رومية ص ١٠ ع ١٧) فمن هذا الصوت أفرح أنا ولفظة الواقف فما وضعها على بسيطاتها لكنه وضعها موضحا ان أفعاله قد كفت وانه يجب عليه فيما بعد ان يقف وان يسمع اذ قد سلم الى ذلك عروسه انه هو خادمه وعبده وقد نرجت له أفعال امله الصالح ودواعى سروره الى الفعل ولذلك قال فسرورى هذا قد تكامل وقد تممت العمل الذى وجب على ان أعمله وما اقتدر ان أعمل أكثر منه عملا مانعا بهذا القول تكون غوداء حسدهم ليس النمو الحاضر فقط لكن المستأنف أيضا مظهرا قوله فى ذكر الحوادث المستأنفة وقد كان حقق هذه الاقوال مما قاله ومما عمله فلذلك استثنى بان قال (٣٠) ذاك ينبغى له أن ينمو وينبغى لى أنا ان أنقص ومعنى هذا هو ان أفعالنا نحن قد وقفت فيما بعد وكفت وأفعال ذاك ينبغى ان تنمو لان هذا هو الذى قد خشيتموه الان فليس من شأنه ان

يقف الآن فقط لكن أليق به واوجب ان يزيد ويثبت لان هذا النمو هو الذى يوضح أحوال النائبيرة بهية كثير الاجل هذا جئت وأنا الآن أفرح بان أحواله استمدت زيادة كثيرة وتكونت هذه الاقمال التى لاجلها كانت جميع الاعمال الكائنة منافاعرف كيف سكن يهدو وحكمة كثيرة سقم هواهم وطفى حسدهم وأوضح لهم انهم يتعاطون أفعالا ممتنعة فبهذا الرفق سكن خصوصا رذيلتهم لان لهذا الغرض دبران تكون هذه الحوادث وهو حينئذ جاء ليعمد لكى يجوزوه شاهدا يهىء محل المسيح ولا يمتلكوا صنفا من اعتذاران لم يقبلوا منه لانه ما أفضى من ذاته الى ان يقول هذه الاقوال ولا قالها اذ سأله أناس آخرون لان هؤلاء كانوا السائلين اياه السامعين منه لانهم ما قبلوا منه على هذه الجهة اذا قال قولا من ذاته مثل ما امتلكوا الحكم موجبا القضية بذاته عليهم اذ سمعوه بعد سؤالهم اياه مجيبا اياهم فكانت حالهم حال اليهود الذين لاجل سؤالهم أوجبوا الحكم عليهم لانهم من ذاتهم أرسلوا اليه وسمعوا منه ما سمعوه ولم يقبلوا قوله فانحجوا ذواتهم من كل اعتذار

العظـــة التاسعة والعشرون

طعن على ذوى الشرف الفارغ

فماذا نتعلم من هذه الجهة نتعلم ان التلهف الى التشريف هو علة الاعمال الردية كلها هذا العارض اقتاد تلاميذ يوحنا الى الحسد والغيرة هذا العارض أنهضهم أيضا بعد ان سكنوا قليلا فتقدموا الى عند يسوع وقالوا لاى سبب ما تصوم تلاميذك (متى ص ٩ ع ١٤) فلنهرب يا أحبائى من هذا الداء لاننا ان هربنا منه فسنتخلص من جهنم لان هذا الداء يضرم نارها كثيرا وقد أوصل رياسته الى كل مكان وضبطت كل سن وكل رتبة ضبطا غاصبا هذا العارض

جعل

جعل الكنائس فوق وأسفل هذا الداء يفسد أعمال المدن هذا الداء
أقاب منازل بجملتها واجتاح مدنا وجموعا وأمما ولم تتعب أيضا خروج الى
أرض قفراء أوضح هنالك مقدرته كثيرة لان الذين قالوا للاموال ولسائر
خيال الدنيا السلام عليك واجتنبوها كثيرا ولم يقتربوا بصنف من أصنافها
وضبطوا الارتياح الى الاجسام الاشداء اغتصابا من غيره هؤلاء لما اصطادهم
فى أكثر الاوقات الشرف الفارغ أضاعوا محامدهم كلها لاجل هذا الداء
ذهب الفريسى بعد ان تعب اتعابا كثيرة حاويا حظا أدنى من العشار الذى
ما تعب تعبا بل الذى كان خاطئا خطايا جزيلا عددها ولكن ثلبنا هذا الداء
ليس هو عملا بافعال لان جميع الناس يحكمون بصحة هذه الاقوال باعيانها
الان مطلوبنا النافع انما هو كيف نقهره وان سألت كيف نقهره اذا ما
وازنا شرفا بشرف لاننا على نحو ما نستحقر ثروة لارض اذا نظرنا الى ثروة غيرها
أعلى منها سموا ونعرض عن هذه الحياة الافضل من هذه كثيرا فكذلك نقدر
ان نرفض الشرف الذى ههنا اذا تأملنا الشرف الذى هو بالحقيقة شرف أفضل
من هذا وأطول زمانا لان هذا الشرف هو شئ فارغ باطل حاو اسم الشرف مقهور
من فعله وذلك شرف صادق من السموات حاو ليس أناسا لكن ملائكة
رؤساء ملائكة وسيد الملائكة وأليق ما يقال والناس أيضا معهم مادحين اياك
ان نظرت الى ذلك المشهد ان عرفت الاكلة التى ههنا ان نقلت ذاتك الى التصفيق
والفرح الذى هنالك فليس تقتدر فى وقت من الاوقات الخدائع التى ههنا ان
تضبطك ولا تحتسبها عند حضورها عظيمة ولا تطلبها ذاهبات لان فى قصور
الملوك التى ههنا ليس يهمل واحد من الجند الواقفين بحضرة الملك ان يرضى
اللابس التاج الجالس على كرسيه اذا استفحص أصوات العقاعق أو حفيف
الذباب أو طيران البرغش ودبيبه لان مدائح الناس ومثالبهم ما تفضل شيأ
على الاصناف التى ذكرناه فاذا قد عرفنا حقارة الاوصاف والحظوظ الانسانية

ودناءتها فانجمع كافة الفوائد في الكنوز الفاقدة ان تكون مسلوبة ونطلب الشرف الباقي الفاقد ان يوجد منتزعا الذي فليتفق لنا كلنا امتلاكه بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفه الذي به ومعه لابيه المجد مع الروح القدس الى آباد الدهور كلها آمين

المقالة الثلاثون

في قوله (٣١) الوارد من فوق هو فوق البرايا كلها والموجود أسفل هو من الارض ومن الارض يتكلم

ان عشق الشرف ردى سبيل مملوأ شرا كاوالانجذاب منه مستصعب مستنهض على من يربيه وحشا كثيرة رؤسه ممتنعا توبيسه لان كما تأكل الدودة الخشب الذي يولدها ويفنى الصداء الحديد الذي يبرز منه ويأكل السوس الصوف فكذلك الشرف الفارغ يهلك النفس التي تربيه وتغذوه فنحتاج حرصا كثيرا لنبيد هذا الداء وانظر الى يوحنا ههنا وتأمل الاقوال التي بها رفي تلاميذه الذين أسقمهم هذا الداء وبالجهد سكنهم لانه مع الاقوال التي قالها فيما سلف لهم نطالهم باقاويل غيرها أخرى وان سألت وماهي هذه أجبتك هي قوله الوارد من فوق هو فوق الناس كلهم والموجود أسفل هو من الارض يتكلم كانه قال اذ قد رددتم شهادتي فوق وأسفل وقلتم انها مؤهلة لتصديقها فيلزمني اضطرارا ان أعرفكم ذلك القياس انه ليس ممكنا ان يكون الوارد من السموات غير مؤهل للتصديق دون ساكن الارض فان قلت فما معنى

قوله

قوله فوق البرايا كلها وما الذى ترتاده هذه اللفظة ان توضحه لنا أجبتك
انه يبين لنا بها انه ليس يحتاج الى أحد هو كافى لذاته وهو أعظم من الكل
والموجود أسفل المتكلم من الارض يعنى به يوحنا الصابغ ذاته ليس انه تكلم
من تمييزه لكن على نحو ما قال المسيح ان كنت قلت لكم الافعال الارضية
وما صدقتموها مسميا المعمودية بهذا الاسم ليس لانها كانت أرضية
لكن لانه قايسها بولادته الفائت وصفها فكذلك قال يوحنا ههنا عن ذاته انه
من الارض يتكلم لما قايس أقواله هو بتعليم المسيح لان المتكلم من
الارض ليس يدل على معنى آخر الا على ان أقوالى زعم حقيرة ذليلة ذرية اذا
قيست بأقوال ذاك وهذا المحل محلها اللائق ان تقبله طبيعة أرضية لان
عند ذاك كافة كنوز الحكمة مخفاة (كولوصايس ص ٢ ع ٣)
والبرهان انه ليس يقول ذلك فى وصف أفكار انسانية فواضح من هنالك
اذ قال الموجود من الارض من الارض يتكلم مع ان ما كان كل ما فيه من
الارض بل قد كان فيه ما هو أحق بالتفضيل لانه كان قد حوى نفسا وساهم
روحا لم تكن من الارض أرأيت انه ما قاله قولا آخر الا اننى أنا صغير
ولست أهلا لصنف من وصف من طريق اننى وارد من الارض وفى الارض ولدت
وأما المسيح فورد اليكم من العلو فبهذه الاقوال كلها أخمد حسدهم وتكلم
حينئذ فيما بعد فى وصف المسيح مجاهرة أكثر لان قبل هذا الوقت كان فضلة
زائدة ان يقول كلاما ليس يبلغ عند سامعيه فلما قلع الشوك حينئذ بذر
زروعه فيما بعد بمهلة فسيحة قائلا الوارد من العلو هو فوق البرايا كلها
٣٢ وما سمعه يتكلم به وما أبصره يشهد به وشهادته فليس يقبلها أحد
اذ قال فى وصفه قولا عظيما عاليا اقتاد كلامه أيضا الى أذل لفظ لان
قوله ما سمعه يتكلم به وما أبصره يشهد به وشهادته ليس يقبلها أحد هو
قول أقرب الى الانسانية لانه ما أبصر ما أبصره من تأمل ولا عرف ما عرفه من

سماع لكنه قد حوى كل ماله فى طبيعته اذبرز من حضون أبيه تاما وليس محتاجا الى من يعرفه لانه قال على نحو ما يعرفنى أبى فكذلك أعرف أنا أبى فان سألت وما معنى قوله ما سمعه يتكلم به وما أبصره يشهد به أجبتك لما كنا نحن بهذه الحواس نعرف كل ما نعرفه بابلغ استقصاء ونستشعر انهم اهلون مؤهلون للتصديق فى وصف الاشياء التى أما أن نتأملها ببصرنا وأما ان نقتبلها بسمعنا من طريق قولنا انها ليست كاذبة ولا مصنعة هذا القول لما أراد يوحنا ان يصلحه ههنا قال ما سمعه وما أبصره ومعنى ذلك هو ان ليس يوجد فى القول البادى منه لفظ كاذب لكن ألفاظه كلها صادقة ونحن على هذا الحال طالما قلنا اذا استبحثنا عن شئ فنسأل أنت سمعت أنت أبصرت فاذا استوضح ذلك عندنا كانت الشهادة خالية من التشكيك فيها وربنا اذقال على حذو ما أسمع أحكم وما سمعته من أبى أتكلم به وما قد رأيناه نشهد به (يوحنا ١٠ ع ١٠) ويتكلم أقوالا غير هذه تناسبها ليس يقولها حتى نعلم انه قد عرف بها الان توهم ذلك هو من غباوة واصلة الى غايتها لكنه انما يقولها لكيلا يتهم اليهود المتوقحين قولا من الاقوال التى يقولها الانهم اذ كانوا بعد ما امتلكوا رأيا واجبا من أجله التجأ الى أبيه التجاء متصلا جاعلا من هنالك الاقوال التى يقولها مؤهلة لتصديقها وما استعجابك ان كان يلتجئ الى أبيه اذا رأيته هو يجئ دفعات كثيرة الى الانبياء والى الكتب اذ يقول تلك هى التى تشهد من أجلى فهل تقول انه هو أدنى من الانبياء اذا استجذب الشهادات من عندهم وبعد هذا القول لكنه لاجل ضعف سامعيه أجرى كلامه على هذا المجرى وقال انه تكلم بما تكلم به اذ سمعه من أبيه ولم يكن حاله حال محتاج الى معلم لكن لكى يصدق أولئك ان ليس يوجد قول من الاقوال التى يقولها كذبا فالذى يقوله يوحنا معناه هذا هو أنا محتاج ان أسمع الاقوال البادية من ذلك لانه من العلوجاه مخبرا بالحاسن التى هنالك التى قد عرفها

هو

هو وحده معرفة بينة لان قوله أبصر وسمع هو قول موضح هذا المعنى بعينه قال
وشهادته فليس يقبلها أحد على انه قد امتلأت تلاميذ وكثيرون قد أصغوا
الى ما قاله فان قلت فكيف قال ان ما قبلها أحد أجبتك قوله هذا بدل من قوله
أناس يسير عددهم قبلوها الان والا فلو كان قال ما قبلها ولا واحد فكيف
كان اتبع ذلك بقوله (٣٣) ومن قبل فقد ختم ان الله صادق هو فههنا
يلذع تلاميذه اذ حالهم حال من لم يكونوا مزمعين ان يصدقوه عاجلا لان
البرهان على انهم ولا بعد هذا صدقوا ألفاظه فيه فواضح من الالفاظ التى
قيلت بعد هذه لانه لهذا السبب لما سكن فى السجن أرسلهم من هنالك
الى عنده ليربطهم به كثيرا فبالجهد آمنوا به حينئذ وهذا فقد ذكره المسيح
ذكرا غامضا وقال مغبوط من لم يشك فى ولهذا المعنى قال الان وشهادته
ليس يقبلها أحد واحتاط على تلاميذه وقارب ان يكون قال لهم لا تكونوا
اذ قد ابتدئ أن يصدقه الان أناس قليلون قد توهمتم لهذا السبب ان الاقوال
التى يقولها كاذبة فانه انما يتكلم بما قد أبصره ومع ذلك فيقول هذه
الاقوال يلذع بها زوال حس اليهود والبشير فلما ابتدأ بالكلام قد انتهرهم
على هذه الجهة اذ قال انه جاء الى خاصته وخاصته فلم تقبله وهذا فليس هو
ثلبا له لكنه ثلب للذين ما قبلوه وقال فمن قبل شهادته فقد ختم ان الله صادق
هو فههنا يرعبهم اذ بين ان من لم يصدقه فهو ينكر ليس له وحده لكنه
ينكر أباه أيضا لانه قال (٣٤) من أرسله انما يتكلم ألفاظ الله
فمن يصدقه يصدق ذاك ومن ينكر قوله ينكر قول ذاك وقوله قد ختم
فمعناه وقد أوضح وأبان ثم أنمى الخوف وقال ان الله صادق هو لان
ليس ينكر منكر قوله هذا المعنى آخر ان لم يعرف الله الذى أرسله يكذب
لانه اذ ليس يقول قولا خارج أقوال أبيه لكنه انما يقول أقوال ذاك
فمن يخالف هذا الابن فقد خالف أباه الذى أرسله أرأيت كيف يلذعهم

بهذه الاقوال ولعمري انهم ما ظنوا ان مخالفتهم للمسيح عاجلا توجد ذللا عظيما فلهذا السبب علق عليهم خطرا عظيما تقديره أعني على الذين أنكروا أقواله ولم يصدقوه ليعلم الذين عصوا المسيح انهم قد عصوا الله أباه بعينه وخالفوه ثم تقدم في هذا الكلام متحدرا نحو مقدار ضعفهم وقال لان الله ما أعطاه الروح بالكيل ها هو أيضا على ما قلت يسوق كلامه الى أذل اللفظ ويلونه ويجعله سريعا اقتباله عند سامعيه حينئذ لانه ما كان مؤثرا ان يعلى الخوف وينميه بمعنى آخر لانه لو كان قال في وصفه قولا عظيما عاليا لما كانوا صدقوه لكنهم كانوا قد استحقروه فلهذا السبب صاعد القول كله الى الاب وهو الان يخاطبهم في وصف المسيح كمن يخاطب في وصف انسان فان سألت فما معنى ما قاله ما أعطاه الله الروح بالكيل أجبتك انه قال نحن كلنا أخذنا فعل الروح بكيل ومقدار لانه دعا الفعل ههنا روحا لان هذا الفعل هو القاسم الجزئي فاما هذا فقد امتلك الفعل كله كاملا عديما ان يكون مقدرا فان يكن فعله عديما ان يكون مقدرا فاولى وأليق ان يكون جوهره عديما ان يكون مقدرا فاذا كان الروح عديما ان يوجد مخبورا فالمقتبل اذا كافة فعل الروح العارف أقوال الله وأفعاله القائل ما سمعناه نتكلم به وما رأيناه فنشهد به كيف يكون واجبا ان يتهم لانه قال ليس له ما ليس يوجد الله أبوه وما ليس يوجد للروح ولعمري انه ما يتكلم الان قولا في وصف الاله الكلمة لكنه من الاب والروح يجعل كلامه وتعليمه مؤهلا لتصديقه لانهم قد عرفوا ان الها موجود وما أنكروا ان روحا موجود وان كانوا ما امتلكوا في الله رأيا واجبا وما عرفوا ان ابنا موجود فلهذا السبب يلتجيء الى الاب والى الروح محققا من تلك الجهة ما يقوله اذ كان متى بطل مبطل هذه العلة واستفحص الكلام على انفراده ينقص مرتبة المسيح جدا لان المسيح مؤهل للتصديق عنده ليس لاجل هذا المعنى وهو لانه قد امتلك فعل

الروح بل لانه ليس يحتاج الى المعونة من تلك الجهة لكنه هو كاف لذاته فيوحنا الصابغ الان يتكلم نحو طن الذين قدعدموا ان يكونوا تامين مريدا ان يصاعدهم من الاوهام الذليلة قليلا قليلا فهذه الاقوال أقولها الآن حتى لا تتجاوز الاقوال الموضوعة فى الكتب على بسيط ذات التجاوز والاعراض لكن ينبغى ان نتأمل غرض المتكلم وضعف سامعيه والاصناف الاخر كلها التى فيها لان المعلمين ليس من عادتهم ان يقولوا أقوالهم كلها على نحو ما يريدون لكنهم يقولون أقوالا كثيرة على حذو ما تطالبهم به ملكة الضعيفى التمييز ولذلك قال بولس ما استطعت ان أكلمكم مثل ما أكلم أناسا روحانيين لكننى سقيتكم كما يسقى اللحميون لبنا وما أطعمتكم طعاما (قرنثية ١ ص ٣ ع ٢) كانه قال أردت ان أكلمكم مثل ما يكلم الروحانيون الا اننى ما قدرت على ذلك ليس لانه هو ضعف عن خطابهم لكن لان أولئك ما أمكنهم ان يسمعوا هذا السماع هذا العمل عمله يوحنا أراد ان يعلم تلاميذه علوما عظيمة الا ان أولئك ما كانوا قد احتملوا بعد ان يقتبلوها فلهذا السبب خصوصا البث فى الاقوال الاذل من غيرها

العظة الثلاثون

فى انه ينبغى لنا ان نستعمل الكتب استعمالا ملائما وعلى نحو ما قيلت وفى العيشة المتقومة أيضا فيجب علينا ان نستفحص الاقوال كلها ابلغ الاستقصاء لان أقوال الكتب هى أسلحة روحانية الا اننا اذا لم نعرف ان ننظم الاسلحة وندرع بها تلاميذنا على ما ينبغى تكون هى مالكة قوتها الا انها ما تنفع الذين يقتبلونها لاننا نضع فى القياس انه يوجد درع قوى وخوذة وترس ورمح ثم ليأخذ هذه الاسلحة أحد الناس فيضع الدرع على رجليه ويجعل الخوذة على وجهه بدلا من ان يجعلها على رأسه ولا يجعل الترس امام صدره لكن

فليماحك أن يجعله على رجليه فهل يستطيع صنف من هذه الاسلحة ان تنفعه البتة أوليس ألبق بها ان تضره أكثر وذلك واضح فى كل مكان وعند كل أحد الان هذا الضرر ليس هو من ضعف الاسلحة لكنه من زوال خبرة الذى لم يعرف ان يستعملها استعمالا صائبا على هذا المجرى يجرى الحال فى الكتب اذا شوشنا ترتيبها فهى تمتلك قوتها على هذا الحال لكنها ماتفيدنا نفعا فهذه الاقوال قد خاطبنا كم بها سرا وعلانية وماحصلت لنا فائدة أكثر لكننى أراكم متجنبين طول عمركم فى أشغال الدنيا ماتساهمون الاعمال الروحانية ولا فى نومكم فلهذا السبب حصل عمرنا ومعاشنا وانيا واذا اجتهدنا عن الحق مانمتلك قوة عظيمة لكننا نصير مضحوكا علينا من الوثانيين واليهود ومبدعى بدع هواهم فى الدين ولو كنتم وانين فى الاشغال الاخر وأظهرتم فى هذه الافعال تلك الونية بعينها لقد كان فعلكم هذا اليس مؤهلا على هذه الجهة لاعتذار فالآن كل واحد منكم يوجد فى أشغال الدنيا سفا أجزم قطعا والذين يمارسون الصنائع والذين يعملون أعمال المدينة فحرصهم واصل الى الغاية وأنتم فى الاعمال الضرورية الروحانية أنوم الناس كلهم وأكثرهم ونية مستعملين الاعمال الزائغة عن الواجب والاعمال التى يجب ان تجعلوها الزم ضرورة من الاعمال كلها تستشعرون انها أزوغ الاعمال عن الواجب أوما قد عرفتم ان الكتب التى كتبت ما كتبت لاجل الناس الاولين وحدهم لكنها من أجلكم أيضا كتبت أماتسمع بولس القائل ان هذه الاقوال انما كتبت لوعظنا وتنبيهنا نحن الذين قد انتهت الينا غايات الدهور حتى نمتلك الرجاء بتعزية الكتب وأذ كارها (قرنثية أولى ص ١٠ ع ١١ رومية ص ١٥ ع ٤) وقد عرفت انى أتكلم كلاما باطلا ولكننى لست أكف عن التكلم لانى اذا عملت هذا العمل اعتذر الى الله ولو لم يوجد من يسمع كلامى وذلك ان من يخاطب أناسا يصغون اليه يمتلك تسلية لخطابه قبول السامعين منه ومن

يتكلم كلاما متصلا وليس من يسمع كلامه ثم لا يكف عن تكلمه يكون مؤهلا اتكريما كثيرا لاجل رأيه المرضى لله وليس يصغى اليه أحد مكملا كافة مراده لكننا مع ذلك وان كان الثواب من معصيتكم أعظم قدرا فاننا نشتهى ان ينقص ثوابنا كثيرا وان ينمو خلاصكم ويزيد معتقدين توفيقكم وتهذيبكم يوجد لنا ثوابا عظيما وهذه الاقوال نقولها الآن ليس حتى نجعل كلامنا ثقيلا مستصعبا لكننا نقولها لكى نريكم الوجع الذى يشتملنا لاجل توانيكم الذى فليمكن لنا ان نتخلص منه ونستقنى الحرص الروحانى ونغتنم تلك النعم الصالحة السمائية بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفه الذى معه ولابيه المجد مع الروح القدس الى أباد الدهور كلها أمين

المقالة الحادية والثلاثون

فى قوله (٣٠) ان الاب أحب ابنه وأعطاه البرايا كلها فى يديه فمن يومن بالابن يمتلك حياة دهرية ومن يجحد الابن فليس يعاين الحياة لكن سخط الله يثبت عليه

ان الفائدة من الاستكانة والمقاربة فى الاعمال كلها تستبين عظيمة فعلى هذه الجهة تحكم الصنائع اذا تعلمناها من معلميها كافة أسرارها ليس بغتة لكن رويدا رويدا وعلى هذه الطريقة نبتنى مدنا أنشيناها بسكون قليلا قليلا على هذه

الحال يمسك حياتنا ولا نستعجب ان كان هذا الفعل يملك فى أعمال الدنيا قوة هذا مبلغها اذا كان فى الاعمال الروحانية قد نجد قوة هذه الحكمة كثيرة وبيان ذلك ان اليهود على هذه الجهة أمكنهم ان يتخاصوا من عبادة الاصنام لما اقتيدوا بسكون قليلا قليلا وما سمعوا من الابتداء قولا عاليا من أراء دينهم ولا لاجل سيرتهم وعلى هذه الطريقة اقتاد الرسل جميع الذين آمنوا بعد ورود المسيح حين حضر وقت الاراء الاعلى محلا من غيرها وما خاطبوهم منذ ابتداء انذارهم خطابا عاليا والمسيح سيدنا فقد خاطب فى ابتداء انذاره أكثر الواردين اليه هذا الخطاب وهذا المسلك سلكه الآن يوحنا الصابغ فكانت حاله حال من يخاطبهم فى وصف انسان عجيب قد وضع فى خطابه الاوصاف العالية وضعا ممحوا بالانه فى ابتداء كلامه قال هذا القول ليس يقدر انسان ان يأخذ شيأ من ذاته ثم نظم فى كلامه قولا عاليا وقال الوارد من السماء هو فوق البرايا كلها ثم أحدر كلامه أيضا الى الالفاظ الاذل من غيرها وقال أقوالا أخرى كثيرة وان الله ما أعطاه الروح بالكيل ثم استثنى بان قال الاب أحب الابن وأعطاه البرايا كلها فى يده ثم لعلمه ان قوة الوعيد بالتعذيب توجد كثيرة وان الناس الكثيرين ليسوا منقادين على هذا المثال الى الايمان اذا وعدوا بالمواعيد الصالحة مثل ما ينقادون من أجل الوعيد بالعقوبات الرهيبة حبس كلامه فى هذه الالفاظ اذ قال هذا القول من يؤمن بالابن يملك حياة دهرية ومن يعصى الابن ما يعاين الحياة لكن سخط الله يثبت عليه وههنا أيضا يصاعد الى الاب ذكر العقوبة لانه ما قال سخط الابن على ان الابن هو الديان لكنه أقام لهم اباه وأولى ما يقال انه أراد ان يريعهم ولقائل ان يقول فهل يكفى أحدنا ان يؤمن بالابن فيمتلك حياة دهرية فنجيبه ليس يملك بجهة من الجهات لانه قال ليس كل قائل لى يارب يارب يدخل الى ملك السموات متى ص ٧ ع ٢١ والتجديف أيضا على الروح القدس يكفى وحده ان يزج قائله فى جهنم وما حاجتى ان

أنكم في رأي جزوي ولو ان أحد الناس يؤمن بالاب والابن والروح القدس
ايمانا متقررا ولم يمتلك عيشة متقومة لم يحصل له من ايمانه ولا فائدة واحدة
توصله الى خلاصه واذ قال ان هذه هي الحياة الدهرية ان يعرفوك انك
أنت الاله الصادق وحدك (يوحنا ص ١٧ ع ٣) فلا تتوهم ان هذا
اللفظ الذي قيل فيه كفاية لخلاصنا لكننا نحتاج الى عيشة متقومة مهذبة
وطريقة نقية طاهرة مع انه قد قال ههنا ان من يؤمن بالابن يمتلك حياة دهرية
وأشد من هذا القول قد قال ههنا لانه قد ركب كلامه ليس من المواعيد الصالحة
فقط لكنه قد نظمه مع ذلك من اضدادها اذ قال هذا القول ومن ليس يؤمن
بالابن ليس يعاين الحياة لكن سخط الله يثبت عليه الانه السنا نقول مع
ذلك ان هذه الامانة وحدها تجوز بنا لخلاصنا وبين ذلك الاقوال التي
قيلت في جهات كثيرة من الاناجيل المقدسة في ذكر العيشة القويمة فلاجل هذا
المعنى ما قال هذه هذه هي الحياة الدهرية وحدها ولا قال من يؤمن
بالابن فقط يمتلك حياة دهرية لكنه أوضح في كل واحد من القولين هذا المعنى
ان الفعل يمتلك حياة فاذا لم تتبع أفعال الطريقة فعل الامانة فستتبعه العقوبة
كثيرة وما قال سخط الله ينتظره لكنه قال وسخط الله يثبت عليه ومعنى
ذلك هو ليس ينتزح عنه في وقت من أوقاته لانه لكيلا يظن قوله ليس يعاين
الحيوة يوجد موتا وقتيا لكن يصدق ان تعذيبه دائم وضع هذه اللفظة
موضحا ان السخط يتعلق به بمداومة متصلة وانما عمل هذا
العمل مستقيدا اياهم بهذه الالفاظ الى المسيح ولهذا الغرض
ما جعل وعظه بعمدهم خصوصا لكنه جعله وعظا كليا حتى يمكن
أن يقتادهم أسرع كثيرا لانه ما قال ان أمنتم بالابن وان لم تؤمنوا به
لكنه ساق كلامه الى اللفظ العام حتى يصير ما يقوله ناجيا من أن يكون
متهما والمسيح فقد عمل هذا العمل أشد فعلا لانه قال ان من لم يؤمن فقد

حكم عليه واسلف تعذيبه وهذا فقال ليس يعاين الحيوة لكن سخط الله يثبت عليه وذلك على جهة الواجب جدا لان ليس فعلا متشابها ان يقول قائل فى وصف ذاته قولا وان يقول غيره فى وصفه قولا لانهم توهموا المسيح انه يقول هذه الاقوال فى أوقات لاجل انه يحب ذاته و يتفخم بها ويوحنا تخلص من هذا التوهم واين كان المسيح بعد ذلك يستعمل الكلام أشد جهارا الا انهم فيما بعد امتلكوا من أجله رأيا عظيما قال البشير *(الاصحاح الرابع)* واذ عرف يسوع ان الفريسيين قد سمعوا ان يسوع يصطنع تلاميذا كثر عددا من تلاميذ يوحنا و يعمد على ان يسوع بعينه ما عمد لكن تلاميذه عمدوا ٣ انصرف من بلد اليهودية وجاء الى الجليل فهو ما عمد الا ان الذين أخبروهم أرادوا أن ينهضوا السامعين منهم الى الحسد له فاخبروهم هذه الاخبار وان سألت لم أنصرف أجيبك ما انصرف لاجل جبانة لكنه انصرف قاطعا حسدهم مسليا نفاستهم لانه كان قادرا أن يضبطهم اذا وافوا اليه الا انه ما أراد أن يعمل هذا العمل متصلا حتى لا تنكر سياسة تجسده لانه ان كان قد انفلت لما ضبطوه ضبطا متصلا وانفلاته هذا فقد أتهم عند كثيرين فلهذا السبب يدبرا كثر افعاله تدبيرا أقرب الى الانسانية لانه على نحو ما شاء أن يصدق انه كان الها فعلى نحو ذلك شاء أن يصدق انه موجود الها قد لبس جسدا ولهذا الغرض قال بعد قيامته لتلاميذه فتشوا وانظروا ان روحا ليس يملك لحما وعظاما كما ترون لى (لوقاص ٢٤ ع ٣٩) ولهذا السبب أيضا انتهر بطرس عندما قال حاشا يارب ما يكون لك هذا (متى ص ١٦ ع ٢٢) فهذا الفعل كان عنده بهذه الصورة محروصا عليه جدا اذ كان هذا الجزء ليس يوجد صغيرا من أجزاء آراء كنيستنا وهو هامة الخلاص الكائن من أجلنا وبه صارت أفعاله كلها وأحكمت لان على هذه الجهة انحل موتنا

وبطلت

وبطلت خطيئتنا وغيبت اللعنة عنا ودخلت الفوائد الصالحة الجزيل عددها
الى عيشتنا فلذلك أرادوا آثر كثيرا أن يصدق تدبيره الصائر لنا فرمة
الفوائد الصالحة الجزيل عددها وينبوعها واذ دبر أفعاله الانسانية ما تركها
ان تصحب أفعاله الالهية واذ انصرف أيضا فعل أفعاله باعيانها التى افتعلها
فيما سلف لانه ما صعد الى الجليل على بسيط ذات الصعود لكنه افتعل
أفعالا عظيمة عند أهل بلد السامرة وما دبرها على بسيط ذات التدبير لكنه
دبرها بالحكمة اللائقة به ولم يترك لليهود ولا حجة واحدة البتة لاحتجاج
وقاح وهذا فقد ذكره البشير ذكرا غامضا وقال انه ٤ كان ينبغى له أن يجتاز
بمدينة السامرة موضحا اياه فاعلا هذا الفعل فعلا منحرفا عن غرض طريقه
وهذا الفعل فقد فعله رسله لان كما ان أولئك اذ طردوهم اليهود فى ذلك الحين
جاءوا الى الامم وكذلك فعل المسيح حين طردوه حينئذ مارس انذار أولئك
السامريين على حذو ما عمل بالامرأة السريانية التى من بلد الغور وهذا صار
حتى ينقطع كل احتجاج اليهود ولا يستطيعوا أيضا أن يقولوا انه تركنا وذهب
الى عند الغلف ولهذا السبب عند احتجاج تلاميذه قالوا قد كان فعلا
لازما ضروريا أن تخاطبوا أنتم أولا بكلام الله واذ قد حكمتم على ذواتكم
انكم عديمين أن تكونوا مؤهلين له لنرجعن الى الامم (ابركسيس ص ١٣
ع ٤٥ و٤٦) وقد قال هو أيضا ما جئت الا الى الغنم الضالة من بيت اسرائيل
(متى ص ١٥ ع ٢٤) وقال أيضا ليس هو جيدا أن يؤخذ خبز البنين ويعطى
للكلبيات فاذ طردوه فتحوا الامم بابا وما جاء ولا على هذا الحال الى
أولئك السامريين مجيئا قد تقدمه استعدادا لكن مجتازا لانه جاء الى مدينة
السامريين المسماة سوخار التى موقعها بقرب الضيعة التى أعطاها يعقوب
ليوسف ابنه ٦ وكان هنالك بئر ليعقوب ولعلك تسأل لم تعمق البشير
فى وصف المكان فاجيبك حتى اذا سمعت الامرأة قائلة ان يعقوب أبانا اعطانا

هذه البئر لا تستغرب قولها لان ذلك المكان هو الذى اغتاظ فيه لاوى
وسمعان بسبب دينا اختهما واخترعا ذلك القتل الصعب تأثيره جدا العمرى ان
فعلا مؤهلا للبحث عنه ان نصف من اين نشأ السامريون لان هذا المكان كله
يدعى بلد السامرة و ينبغى ان نصف من اين استمد هذا اللقب وذلك ان
الجبل يدعى سومار من مستقنيه على نحو ما ذكر اشعيا الان افرام رأس السومريين
اشعيا (ص ٧ ع ٩) الان الذين سكنوه ما دعوا سامريين لكنهم سموا
اسرائليين ولما تمادى بهم الزمان صادموا الله وفى حين تملك فاكيا صعد
تغلات فالاصار واستباح مدنا كثيرة و حبس ايلا وقتله وسلم ملكه الى أوسيا
ثم جاء هذا سلمانا صار واجتاح مدنا الاوسيا أخرى وجعل أهلها يدون الخراج
اليه الان هذا أوسيا الطاع فى الاول مرسوم سلمانا صار ثم انتزح بعد
ذلك عن رئاسته والتجأ الى نجدة الحبشة واذ عرف ذلك سلمانا صار العراقى
استجاش عليهم وقتلهم وما ترك تلك الامة تقيم هنالك أيضا بسبب توهمه
فيهم العصيان لكنه استاقهم الى بابل والى ديلمان واقتاد الى هنالك
امما من اماكن مختلفة وأسكنهم بلد السامرة حتى تحصل له فيما بعد رئاسته
حريزة اذا كان قاطنوا المكان يناسبونه فاذ حدثت هذه الحوادث شاء الله
أن يوضح قدرته ويرى انه ما اسلم اليهود بسبب ضعفه عن انقاذهم لكن لاجل
خطاياهم فاطلق على أولئك الامم سباعا فافسدتهم فلما أخبر بهذه الحوادث
الملك أرسل اليهم كاهنا واحدا ليسلم اليهم شرايع الله ولكنهم مع ذلك
ما انتزحوا ولا على هذه الحال عن الحادهم بجملة الانتزاح لكنهم انتزحوا عن
النصف من كفرهم واذا تمادى بهم الزمان جنحوا أيضا عن عبادة الاصنام
وعبدوا الله واذ كانت أحوالهم قد جرت على هذا المجرى عاد اليهود
بعد ذلك من الغيرة الى محاربتهم لكونهم غرباء من قبيلتهم واستدعوهم
من جبل السامرة وخاصموهم من هذه الجهة خصومة لم تكن يسيرة (ملوك

٤ ص ع ١٧٤ لان أولئك ما كانوا يستعملون الكتب كلها لكنهم كانوا
يقبلون كتب موسى وحدها وما اهتموا بكتب الانبياء اهتماما جزيلا بل
اجتهدوا أن يعادلوا ذواتهم بشرف حسب الدين اليهودى وكانوا يتباهون
بابراهيم ويحتسبونه جدالهم من طريق انه كان من بلد الكلدانيين وكانوا
يدعون يعقوب أباهم من طريق انه ابن ولد ابراهيم الا ان اليهود رفضوا
هؤلاء مع الامم كلها فمن هذه الجهة عيروا المسيح بهذه الالفاظ قائلين انت
سامرى وقد حويت شيطانا (يوحنا ص ٨ ع ٤٨) ولهذا السبب أورد
المسيح فى خبر المنحدر من أورشليم الى أريحا سامريا مصطنعا الرحمة اليه حقيرا
عندهم مرفوضا يتيسر الاهوان به ولهذا السبب دعا الواحد من البرص
العشرة غريب الجنس لانه كان سامريا وهوا وعز الى تلاميذه هذا
الايعاز قايلا فى طريق الامم لا تذهبوا ومدن السامرة لا تدخلوا متى ص ١٠
ع ٥ لوقا ص ٩ ع ٥) فالبشير ليس لاجل هذا الخبر وحده ذكرنا
بمكان يعقوب فقط لكنه ذكرنا بذلك ليبين فقد اليهود الواجب منذ قديم
الزمان لان فى أيام أجدادهم ضبطت أولئك الامم مواضعهم بدلا منهم لان
المواضع التى كان امتلكها أجدادهم الاولين على أيام يشوع بن نون قبل أن
يكونوا هم موجودين بهذه الاماكن بسبب توانيهم وتعديهم الشريعة ضيعوها
هم فى حين وجودهم فعلى هذا المثال ليس يحصل لاحدنا فائدة اذا كان له
أجداد أخيار متى لم تكن طريقته هو كطريقتهم لان أولئك العجم معما
مارسوا خبرة السباع فقط عادوا فى الحين الى مذهب دين اليهود واليهود
قاسوا عقوبات جزيلا تقديرها فارتدعوا ولا على هذه الجهة بها الى
هذا المكان أعنى مدينة السامريين جاء المسيح سيدنا مقصيا العيشة الراخية
الرطبة دائما مستوردا الطريقة المتعبة المتشمرة لانه ما استعمل جيرا لكنه
مشى على هذه الحال مشيا متصلا حتى انه أعيي من سفره وهذا الفعل يعلمناه

فى كل مكان أن نعمل بذاتنا حاجتنا وان نكون فاقدين مايكون فضلة ولا
نحتاج حوايج كثيرة   لانه يريدنا أن نوجد على هذه الحال مغتر بين مما هو
فضلة زائدة ونبلغ فى ذلك الى أن نقطع فى صنوف كثيرة من الحوايج
الضرورية التى لابد منها   فلهذا السبب قال ان الثعالب تملك أوكارا
وطيور السماء مساكن وابن الانسان فليس تملك موضعا يسند رأسه اليه
ولاجل هذا الغرض كان يقيم اكثر أوقاته فى الجبال ليس فى النهار فقط
لكن وفى الليل أيضا وفى البرارى وهذا فقد قدم داود الانذار به وقال يشرب
من وادى فى الطريق موضحا بذلك ظلافة عيشته وتقشفها   وقد أبان ههنا
هذا المعنى لانه لما أعيى من سعى طريقه جلس على هذه الحال عند البئر وكان
الوقت نحو الساعة السادسة ٧ فجاءت امرأة من مدينة السامرة لتستقى ماء
فقال لها يسوع اعطنى لاشرب ٨ وتلاميذه كانوا قد ذهبوا الى السوق
ليبتاعوا أطعمة   فههنا يعرف جلادته فى الاسفار وزوال اهتمامه فى
الأطعمة وكيف يستعمل ذلك عملا منحرفا عن غرضه   وتلاميذه تأدبوا هذا
التأدب ان يكونوا على انفرادهم هذه الحال حالهم لانهم ما احتقبوا زادات
وهذا المعنى يوضحه بشير آخر و يقول انه لما خاطبهم فى ذكر خمير الفريسيين
توهم أولئك انه يخاطبهم فى انهم ما حملوا معهم خبزا وأوردانهم لما جاعوا كانوا
يفركون السنبل ويأكلونه   واذ قال انه لاجل جوعه جاء الى التينة فليس
يعتمد غرضا آخر الا هذا   وهو ان يعلمنا بهذه الافعال كلها أن نتهاون
ببطننا ولا نتوهم ان خدمته ينبغى أن تكون محروصا عليها   وانظر اليهم ههنا
انهم ما حملوا شيأ ولا اذا لم يحملوا زادا اهتموا به من مبادى نهارهم لكنهم فى
الوقت الذى فيه يتغذى كل الناس ذهبوا يبتاعون أطعمة   لانهم ما كانوا
مثلنا نحن الذين حالما ننهض من اسرتنا   نهتم قبل مهماتنا كلها بهذا الهم وهو
ان نستدعى طباخينا ومصلحى أطعمتنا وخدام موائدنا ونوصيهم بحرص كثير

على

على اصلاحها أكولاتنا وبعد ذلك أيضا نمارس أشغالنا العالمية كلها ونهتم بها قبل الاشغال الروحانية والاشغال التي كان ينبغي أن نجعلها عملا زايغا عن قصدنا نكرمها اكرام أشغال ضرورية فلهذا السبب تصير أحوالنا كلها فوق وأسفل لان قد كان واجبا علينا خلاف ذلك أن نجعل اهتمامنا بالاشغال الروحانية كثيرا وبعد ان نتمها حينئذ نمارس أيضا الاشغال العالمية فقد استبان لنا ههنا العمل المتعب فقط لكن قد استبان معه العمل الفاقد الصلف من سيدنا اليس بتعبه فقط ولا بجلوسه في الطريق لكن بتخلفهم اياه وحده وبمفارقته تلاميذه مع انه قد كان يمكنه لو اراد اما ان يرسلهم كلهم واما حين مضى أولئك من عنده أن يستصحب خداما آخرين الا انه ماشاء ذلك لانه عود تلاميذه هذه العادة ان يتوطأوا كل صلف ولعل قائلا يقول وان تذللوا فما الذى فعلوه مستعظما وقد كانوا صيادين وخيميين فنقول له لعمرى قد كانوا صيادين وخيميين الا انهم طلعوا بغتة الى ذروة السموات بعينها وصاروا أشرف من الملوك كلهم اذ أهلوا أن يصيروا مخاطبين لسيد المسكونة وان يلحقوا المستجيب فى سائر الجهات وقد عرفتم ذلك المعنى ان الموجودين من أناس ذليلين اذا تقلدوا رتبا يتيسر نزوعهم الى التجبر كثيرا من طريق فقدهم فى الكرامة الحاصلة لهم معرفة جودتها الا ان ربنا ضبط تلاميذه فى تذلل العزم بعينه وعلمهم ان ينقبضوا من الاشغال كلها ولا يحتاجوا فى جهة من الجهات الى من يخدمهم واذ كان متعوبا من سعى المشى جلس على هذه الحال عند البئر أرأيت جلوسه انما صار بسبب تعبه لاجل الحر ومن أجل انتظاره لتلاميذه لانه عرف ما سيعرض للسامريين وما جاء بسبب ذلك مجيئا قد تقدمه استعداد وليس لانه ما جاء لهذا الغرض كان واجبا اذ جاء ان يبعد الامرأة اذ قد استبانت على هذه الجهة وادت للتعليم لان اليهود لما جاء اليهم طردوه والذين من الامم فعند توجه مسيره الى مكان آخر اجتذبوه

اليهم واليهود حسدوه والذين من الامم آمنوا به وأولئك اغتاظوا عليه
وهؤلاء استعجبوه وسجدوا له وأنا أخاطب أولئك أما رأيكم أوجب هو ان
يغفل عن خلاص أناس هذا مقدار كثرتهم وان يهمل نشاطهم الجليد بهذه
الصفة فهذا أمر عديم أن يكون مؤهلا لتعطفه فلهذا الغرض يدبر أفعاله
الحاضرة كلها بالحكمة اللائقة به لانه جلس مريحا جسده ومبرده عند البئر
لان الوقت كان نصف النهار وهذا فقد أبانه البشير بقوله وكانت
الساعة نحو السادسة وجلس على هذه الحال وان سألت ما معنى على
هذه الحال أجبتك معناه انه ما جلس على كرسي ولا على مخدة لكنه جلس على
بسيط ذات الجلوس وكما اتفق على الارض واذ جاءت امرأة من مدينة السامرة
لتستقي ماء انظر كيف قد بين البشير الامرأة خارجة الى هنالك لاجل غرض
آخر مبكما في كل مكان مراددة اليهود الوقاحة ولكيلا يقول قائل منهم انه يضاد
الايعاز الذي أوعز به اذ أوعز تلاميذه أن لا يدخلوا الى مدينة السامريين
وهو نخاطب السامريين فلذلك استثنى البشير بذكر تلاميذه انهم كانوا
قد ذهبوا من عنده الى المدينة ليبتاعوا طعاما مورد المخاطبته اياها عللا كثيرة
فان سألت عما قالته الامرأة اذا استماحها المسيح الماء لانه قال لها اعطيني لاشرب
أجبتك انها قالت ٩ كيف وانت يهودي تطلب أن تشرب مني وأنا امرأة
سامرية لان اليهود ما يختلطون بالسامريين ولعلك تستخبر ومن أية جهة
توهمت انه يهودي فاجيبك لعلها توهمت ذلك من شكله ومن كلامه وتأمل
لي أنت كيف كانت الامرأة متصفحة مميزة لان الاحتراس ان كان واجبا
فيسوع كان واجبا عليه أن يحترس ليس تلك لانها ما قالت ان السامريين
ما يختلطون باليهود لكنها قالت ان اليهود ما يقتربون من السامريين الا ان
الامرأة مع ذلك متخلصة من اللوم اذ توهمت ان قد سقط في سمعها قولا غريبا
وما سكتت ولا على هذه الجهة لكنها رامت أن تتلافى القول الصائر ليس

باقتراض

باقتراض الشريعة على حسب ظنها ولكن قد يجوز أن يشتبه على أحمق الناس ذلك المعنى وهو كيف طلب يسوع أن يشرب منها والشريعة ما تأمر بذلك فان قال قائل لانه قد تقدم فعرف انها ما تعطيه كان جوابه فلهذا المعنى بعينه ما كان واجبا أن يستميحها فما الذى ينساغ ان يقال فى ذلك نقول له ان غرضا مهملا كان له وهو ان ينقض أصناف هذا التحفظ لان من اقتاد أناسا آخرين الى ان يحلوا هذا التحفظ فالبق به هو وأولى ان يتجاوزه ويهمله لانه قال ليس ينجس الانسان ما يتناوله لكن انما ينجسه ما يبدو خارجا منه فالمخاطبة للامرأة صارت ثلبا لليهود وليس يسيرا لان طالما استجذب أولئك بالملاطفة بالفاظه وبافعاله وما قبلوا منه وابصر كيف انضبطت هذه من سؤال سادج لانه هو ما نصب هذه التجارة ولا اعتمد هذه الطريق فاذا جاء اليه أناس ما منعهم لانه قد قال لتلاميذه هذا القول لا تدخلوا الى مدينة السامريين وما قال لهم اذا وافوا هم الى عندكم فادفعوهم لان هذا الفعل كان عديما ان يكون مؤهلا لتعطفه على الناس فلهذا الغرض أجاب الامرأة وقال لها ١٠ لو عرفت موهبة الله ومن هو القائل لك اعطينى لاشرب لكنت استميحتيه أنت فاعطاك ماء حيا فاوضح أولا انها مؤهلة ان تسمع وليست هى أهلا للاعراض عنها وبعد ذلك كشف لها ذاته لانها ازمعت معما تعرف من هو ان تطيعه وتصغى اليه وهذا الانقياد فما يذكره ذاكر فى وصف اليهود لانهم اذ عرفوا ما سألوه ولا اشتهوا ان يتعلموا قولا من الاقوال النافعة لكنهم شتموه وطردوه فلما سمعت الامرأة أقواله هذه أنظر كيف اجابته بأوفر الدعة قائلة (١١) يا سيدى انك لست حاويا مستقى والبئر فهى عميقة فمن أين تملك الماء الحى فقد انهضت عاجلا ذاتها من الظن به الذليل ومن ان تتوهمه واحدا من المكثرين لانها ما سمته ههنا سيدا على بسيط ذات النعمة لكنها أوزعته التكريم منها كثيرا لان البرهان

على انها قالت هذه الاقوال مكرمة اياه واضح من أقوالها التالية هذه لانها ماضحكت عليه ولاجزت به لكنها تحيرت عاجلا وان كانت مافطنت في الحين بكل ماوجب ان تفطن به فلانستعجب ذلك لان ولانيقوديمس فطن بمعنى كلامه وتأمل ماقاله ذاك كيف يمكن ان تكون هذه الاقوال وقال أيضا كيف يستطيع انسان ان يولد وقد صار شيخا وقال أيضا هل يقدر ان يدخل الى جوف أمه دفعة ثانية و يولد فهذه كانت أوفر توقرا من ذاك اذ قالت ياسيدى انك لست حاويا مستقى والبئر عميقة فمن أين تمتلك الماء الحى لان المسيح قال معنى آخر وتلك توهمت معنى غيره وماسمعت قولا أكثر من لفظه ولا كانت تقدر ان تفهم عاجلا معنى رفيعا عاليا على انها قد كان يمكنها ان تقول عند تكلمها قولا على سبيل التهجم انك لو كنت تمتلك الماء الحى لماطلبت منى ماء لكنك كنت قد خولته لذاتك أولا فانت الآن انما تفاخر بذلك الا انها ماقالت لفظة من هذه الالفاظ لكنها اجابته بوداعة كثيرة فى ابتداء الخطاب و بعد ذلك لانها فى مبدا الخطاب قالت كيف اذ انت يهودى تطلب ان تشرب منى وماقالت له أيضا على سبيل انها تخاطب غريبا من قبيلتها وعدوا لا كان لى ان أسقيك وأن انسان غريب من أمتنا محارب لنا و بعد ذلك أيضا اذ سمعته يقول أقوالا عظيمة من شأنها ان تلذع الاعداء كثيرا ماضحكت عليه ولا استهزأت به لكن تأمل ماقالته (١٢) هل أنت أعظم من يعقوب أبينا الذى أعطانا هذه البئر وقد شرب منها هو و بنوه وماشيته أرأيتها كيف تساوى ذاتها بحسن شرف اليهود فما تقوله معناه هذا هو ذلك استعمل هذا الماء ومالمتلك ان يعطينا أكثر منه هذه الاقوال قالتها موضحة كيف من جوابها الاول اقتبلت وهما عظيما عاليا لان قولها وهو شرب منه و بنوه وماشيته ماضمرت فيه معنى آخر الا انها قد امتلكت وهما لماء عظيم وماوجده هو ولا عرفه معرفة بينة ولكى أقول ماأرادت

ان

ان تقوله أبين قولا وهو هذا القول قالت ما ينساغ لك ان تقول ان يعقوب أعطانا هذه البئر واستعمل هو بئرا غيرها لانه هو والمنسوبون اليه من هذه البئر شربوا كانوا قد شربوا منها لو امتلكوا غيرها أفضل منها فما تقدر أنت ان تعطينا من هذه البئر أفضل من هذا الماء ولا يمكنك ان تمتلك بئرا أخرى أفضل من هذه ان لم تعترف بذاتك انك أعظم من يعقوب فمن أين تمتلك الماء الذى وعدتنا انك تعطيه لنا الاان اليهود لم تكن هذه السعية سجيتهم ان يخاطبوه خطابا رقيقا لطيفا على انه قد خاطبهم فى هذا المعنى الموضوع بعينه حين ذكر لهم الماء الذى هذه صفته الاانهم أيضا ما استفادوا ربحا وحين ذكر ابراهيم أرادوا ان يرجموه بالحجارة الاان هذه الامرأة ما قدمت له هذه الطريقة لكنها خاطبته بوداعة كثيرة فى سورة الحر وفى نصف النهار وخاطبته وسمعت منه هذه الالفاظ كلها بتمهل كثير ولم تفتكر افتكارا هذه صفته لا تقا باليهود ان يقولوه ان هذا مصروع وقد زاغ عقله لانه قد ربطنى عند ينبوع وبئر وما خولنى شيأ لكنه مبتدخ بالفاظه لكنها ثبتت وتمهلت الى ان وجدت مطلوبها

العظة الحادية والثلاثون

فى العيشة المتقومة

فان كانت امرأة سامرية حرصت هذا الحرص الكثير لتتعلم علما نافعا وثابتت المسيح على انها كانت بعد جاهلة به فما العفو الذى يتفق لنا تحصيله نحن الذين قد عرفناه وأبصرناه ليس عند بئر ولا فى برية ولا فى نصف النهار ولا تحت شعاع من الشمس محرق لكننا مستمتعون به عند الصباح وتحت سقف هذه صفته بفيد ناظلا وسرورا وما نثبت عنده سامعين قولا مما يقوله لكننا نتضجر ونغتم الاان تلك الفاضلة لما كانت هذه السجية سجيتها

لكنها اضطربت أقواله ضبطا تناهت فيه الى ان استدعت اناسا آخرين اليه
واليهود فليس انهم ما استدعوا اليه آخرين فقط لكنهم منعوا الذين أرادوا ان
يتقدموا الى عنده وعوقوهم اذ قالوا قد رأيتم هل صدقه أحد من رؤسائنا
ما خلا الشعب الذين ما يعرفون شريعة فهم ملعونون فلنماثل نحن اذا هذه
الامرأة السامرية ونخاطب المسيح لانه قد وقف الآن فيما بيننا مخاطبا
ايانا بانبيائه ورسله فسبيلنا ان نسمعه ونقبل قوله الى متى نعيش عيشة
باطلة مهملة لان افتعالنا افعالا ليست برأى الله هى حياة باطلة نضياها وأولى
ما يقال ان ذلك ليس باطلا فقط لكنه حياة فى العمل الردى لاننا اذا أفنينا
الزمان الذى قد أعطيناه فيما لا يفيدنا نفعا وانصرفنا من ههنا سنقابل
مقابلة فى اقصى غايتها على افنائنا اياه المسلوب وقته لان من تسلم أموالا
ليتجر بها فاكلها اهلك ما يطالبه بها من ائتمنه عليها فمن قد أفنى حياة يمتنع
عليه وجودها افناه باطلا اما يتكبد عذابا شديدا لان الله ما أوردنا الى هذه
الحياة ونسمنا انفسنا لهذا السبب لكى نستعمل الاشياء الحاضرة فقط لكن
لنكتسب كل ما نكتسبه للحياة المأمولة لان البهائم وحدها نافعة فى هذه
العيشة الحاضرة ونحن فانما امتلكنا نفسا ناطقة عديمة ان تكون ميتة لهذا
السبب لكى نعمل اعمالنا كلها استعدادا لتلك الحياة لان الخيل والحمير
والبقر والبهائم الاخرى الراعية التى هذه صفتها اذا سألنا سائل عن الحاجة
اليها لم نقل له جوابا آخر الا الخدمة منها فى هذه الدنيا وما يتجه لنا ان نقول
هذا القول فى وصف ذواتنا لكننا نقول اننا سيحصل لنا بعد انصرافنا من
ههنا السيرة الافضل من هذه وانما ينبغى لنا ان نعمل كلما نعمله لنشرق
هنالك لامعين بهيين لكى نحول مع الملائكة حتى نقف بحضرة ملكنا كل حين
فى دهور عديمة ان تكون بائدة فلهذا السبب صارت نفسنا عادمة ان تكون
ميتة وسيكون جسدنا عديما ان يكون مائتا لنستمتع بالنعم الصالحة

فاقدة

الفائدة ان تكون منقضية فاذا كنت جبانا فى الارض وقد وضعت لك الخيرات السمائية فتفطن فى المسبة الواصلة منك الى واهبها كان ذلك قد بسط لك النعم التى فى العلو وانت فما قد اعددت لها محلا كبيرا واذ قد قايضتها بالارض فلاجل هذه العزائم هؤل بجهنم لانك استهنت به حتى تعرف من هذه الجهة مبلغ جلالة الحظوظ الحسنة التى اعدمت ذاتك اياها لكن لا كان لنا ان نمارس خبرة بذلك التعذيب لكن اذا احسن ارضاؤنا للمسيح يتفق لنا امتلاك النعم الصالحة الدهرية بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفه الذى لابيه معه المجد مع الروح القدس الى آباد الدهر كلها آمين

المقالة الثانية والثلاثون

فى قوله ١٣ اجاب يسوع وقال لها كل من يشرب من هذا الماء يعطش أيضا ١٤ ومن يشرب من الماء الذى اعطيه أنا ليس يعطش الى الدهر لكن الماء الذى أعطيه يصير فيه عين ماء فائض لحياة دهرية

ان نعمة الروح يدعوها الكتاب نارا احيانا ويسميها ماء احيانا موضحا ان هذه الاسماء ليست هى اسماء جوهرها لكنها اسماء فعلها لان الروح ما يكون من جواهر مختلفة اذ هو عديم ان يكون ملحوظا وصورته مفردة ولعمرى ان يوحنا الصابغ يقول هذا القول انه هو يعمدكم بروح قدس

ونار (متى ص ٣ ع ١١) الان المسيح قال ان انهارا تجرى من جوفه ماء
حيا (يوحنا ص ٧ ع ٣٨) وقد ذكر البشير انه قال هذا القول فى
وصف الروح الذى انتظروا ان يأخذوه وبهذا الاسم يسمى الروح عند
مخاطبته الامرأة السامرية لانه قال ومن يشرب من الماء الذى أعطيه
أنا ليس يعطش الى الدهر فالروح يدعى على ما وصفنا نارا وماء والذى
لقبه باسم النار اعتمد اعتمادا غامضا خاصة نعمته المنهضة الحارة المفنية خطايانا
والذى دعاه باسم الماء أظهر بذلك التطهير الصائر منه والراحة الكثيرة للصائر
التى تقبله لانه يجعل النفس نشيطة بهذه الصورة بصورة جنة حسنة نضارتها
مخصبة بأشجار مثمرة رائق رونقها وتلك الراحة فانطلق نفسنا ان
تحس لا باغتمام ولا باغتيال شيطانى لكنها تطفى كافة سهام الخبيث
المتوقدة نارها وتأمل لى أنت حكمة الهنا كيف صاعد الامرأة بسكون
لانه ما قال لها من المخاطبة الاولى لو عرفت من كان القائل لك اعطنى لاشرب
لكنت أنت سألتيه اذا اضطرار يخبرها لكنه حين خولها سببا ان تدعوه
يهوديا وحصلها تحت ذال دفع ثلبها وقال لو عرفت من كان القائل لك
لكنت أنت قد سألتيه اذا اضطرار يخبرها بالعظائم حين ذكرت هى
يعقوب رأس الآباء اعطاها ان تنظر هذا النظر ثم اذ قالت هل أنت أعظم من
يعقوب أبينا ما قال لها نعم أنا أعظم منه والا فكانت ظننته يتباها ويفتخر
فقط اذ برهان ذلك ما كان بعد ظاهرا فاصلح هذا البرهان بالاقوال التى قالها
لانه ما قال لها على بسيط ذات القول أعطيك ماء لكنه اذ بطل أولا ماء يعقوب
حينئذ رفع محل مائه فمن طبيعة الماء بين المعطيين أبان الفرق بين
الوجهين لا بنا رَه ان يبين مقدار الفرق بين الماء بين المعطيين وسموه هو
بالمقايسة الى رئيس الاباء كانه قال لها انتِ تعجبين يعقوب لانه اعطاكم هذا
الماء فاذا أعطيتك أنا أفضل من هذا الماء كثيرا ماذا تقولين سبقت
واعترفت

واعترفت انى أعظم من يعقوب   لانك ان كنت قد قلت هل أنت أعظم من
يعقوب   لانك تعدنا ان تعطينا ماء افضل من هذا فاذا أخذت ذلك الماء
نستقر على كل حال انى أعظم منه   أرأيت حكما هذه الامرأة عديما ان
يوجد محابيا   اذ ميزت من الافعال الكائنة الفرق بين رئيس الآباء وبين
المسيح   الان اليهود لم تكن هذه الحال حالهم   لكنهم اذ ابصروه يخرج
الشياطين ليس انهم ما قالوا انه أعظم رئيس الآباء لكنهم سموه مقشيطنا   وهذه
الامرأة لم يكن هذا العزم عزمها   لكنها أوردت من هذه الجهة قضيتها من
الجهة التى يريدها المسيح من برهان اعماله   لانه هو من هذه الجهة يحكم هذه
الحكم   قائلا ان لم أعمل اعمال أبى فلا تصدقونى   فان عملتها وان كنتم
ما تصدقونى فصدقوا أعمالى   فهذه الامرأة على هذه الجهة تقدم بتصديقها
ولهذا السبب اذ سمع هو هل أنت أعظم من يعقوب أبينا   ترك يعقوب وخاطبها
فى وصف الماء قائلا   ومن يشرب من هذا الماء يعطش أيضا   وجعل
المقايسة ليس من ثلب وازدراء لكن من سمو وتعظيم   لانه لم يقل ان هذا
الماء ليس هو شيأ لكنه حقير يتيسر التهاون به   لكن ما تشهد له به طبيعته
اياه وضع   من يشرب من هذا الماء يعطش أيضا   ومن يشرب من
الماء الذى أعطيه انا ليس يعطش الى الدهر   والامرأة سمعت قبل هذا
القول ماء حيا لكنها ما فطنت به   لان الماء الفائر كل حين من عيون لا تنقطع
قد يسمى ماء حيا ايضا   فالامرأة توهمت انه لهذا الماء يعنى بقوله   فلذلك
أوضح لها هذا المعنى أبين ايضاحا اذ قال هذا القول   مخترعا من المقايسة تعظيمه
لانه قال   ومن يشرب من هذا الماء الذى أعطيه أنا   ليس يعطش الى الدهر
لان هذا القول أوضح سمو الماء كثيرا   والاقوال التالية هذه أيضا   لان
الماء المحسوس ليس يحوى صنفا هذه صفته   وان سألت وما الاقوال التى تتلو
هذه أجبتك هى   بل الماء الذى أعطيه أنا   يصير فيه عين ماء فايض

لحياة دهرية وكان من يمتلك ينبوعا موضوعة داخل منزله ليس يغتم بعطش
فى وقت من أوقاته وكذلك من يمتلك هذا الماء لن يضويه عطش فى
وقت من زمانه فصدقت الامرأة فى الحين قوله اذ استبانت أوفر فهم من
نيقوديمس وما استبانت أوفر فهم منه فقط لكنها استوضحت أشد شجاعة
لان ذلك لما سمع أقوال الاجز بلا عددها فما استدعى اليه أحدا غيره ولا جاهر هو
أيضا وهذه الامرأة فاوضحت افعال الارسولية اذ بشرت جميع أهل بلدها
واستدعتهم الى يسوع واستجذبت أيضا اليه الى خارج المدينة جمعا كاملا
وذاك اذ سمع قوله قال كيف يمكن ان تكون هذه الاقوال واذ انشاء المسيح
مثالا بينا من الريح ما قبل ولا على هذه الجهة كلامه والامرأة فلم يكن هذا
الرأى رأيها لكنها فى أول الخطاب تحيرت واخيرا فاقتبلت كلامه
باستعداد فقط لكنها اقبلته فى ترتيب ايجاب له وانقادت فى الحين الى أخذه
لانه لما قال المسيح يصير فيه عين ماء فايض لحياة دهرية قالت الامرأة
فى الحين أعطنى هذا الماء لكيلا أعطش ولا أجىء الى ههنا استقى أرأيتها
كيف صعدت قليلا قليلا الى علو الاراء لانها فى الاول توهمت انه واحد
يهودى منحرف عن شريعتها فلما دفعت عنها هذا الثلب لانه وجب ان
لا يكون الوجه الذى يعلمها التعاليم التى هذه الحال حالها متهما فلما سمعت
ماء حيا ظنت ان هذا القول قد قيل فى وصف ماء محسوس و بعد ذلك علمت
ان الاقوال التى قيلت هى روحانية فصدقت ان ذلك الماء يقتدر ان يبطل
شدة العطش وما عرفت بعد ما هو الماء لكنها تحيرت أيضا ظانة انه
أعلى قدرا من المياه المحسوسة وما عرفته معرفة واضحة وههنا أبصرت
بصرا أبلغ استقصاء ولم تتأمل جملة المعنى لانها قالت اعطنى هذا الماء
لكيلا أعطش ولا أجىء الى ههنا استقى فقد فضلته الان على يعقوب لانها
قالت لست احتاج الى هذه العين اذا أخذت منك ذلك الماء أرأيتها كيف

فضلته

فضائلة على رئيس الآباء هذا قول حسنة الالفاظ   أوضحت رأيها فى يعقوب ومقدار عظمه   وعرفت الافضل منه وما انضبطت بسالف رأيها ولا كانت سهلة الانعطاف   لانها اقتبلت الاقوال التى قيلت لها على بسيط ذات اقتبالها   لانه كيف كانت سهلة الانقياد المستفحصة الاقوال باستقصاء هذا تقديره ولا كانت أيضا عاصية مماحكة   وهذا الفعل أظهرته من ابتغائها الماء على انه قد قال فى وقت من الاوقات لليهود من يأ كل مجى ليس يجوع ومن يؤمن بى ان يعطش الى الابد   الا انهم ليسوا ما آمنوا به فقط لكنهم ارتابوا به   والامرأة فما عرض لها عارض هذا تأثيره لكنها تابعته واستماحته فقد قال لليهود من يؤمن بى لا يعطش للابد   وما قال للامرأة هذا القول لكنه قال لها قولا الطف منه   من يشرب من هذا الماء ليس يعطش الى الدهر فكان هذا القول وعدا بعطايا روحانية   وما كان وعدا بافعال محدودة لهذا السبب رفع عقلها بالمواعيد عند مقامه بعد فى الفاظ محسوسة لموضع انها ما كانت تقتدر بعد ان تسمع استقصاء المعانى الروحانية لانه لو كان قال لها انك ان آمنت بى ما تعطشين لما كانت فطنت بما يقال لها   اذلم تكن بعد عارفة من هو الذى يخاطبها ولا عن أى عطش خاطبها   ولعلك تقول فلاى سبب ما عمل هذا العمل فى مخاطبته لليهود   فاجيبك ان أولئك كانوا قد أبصروا آيات كثيرة   وهذه ما أبصرت ولا آية واحدة   وقد سمعت هذه الاقوال أولا   فلهذا الغرض كشف لها فيما بعد قدرته بنبوة وما أورد فى الحين توبيخها لكنه قال لها ١٦ اذهبى صوتى برجلك   وتعالى الى ههنا   ١٧ فقالت له لست أمتلك رجلا   فقال لها يسوع لقد قلت قولا صائبا انتى لست امتلك رجلا   ١٨ لانك قد اتخذت خمسة رجال   والذى تحتويه الآن ليس هو رجلك   هذا القول قد قلتيه صادقا   ١٩ فقالت الامرأة ياسيدى على ما أرى انك نبى أنت   ما أعجب هذا الامر كم كانت فلسفة هذه الامرأة كيف

اقتبلت توبيخه بافضل التورع ولعلك تقول وكيف ما ازمعت ان تقتبله
وقل لي لم تستعجبها فما قد وبخ اليهود في أوقات كثيرة توبيخا أعظم من هذا
فاقول لك ليس فعلا متساويا ان يورد الى الوسط الخفيات المغتاص التكلم
بها المخزونة في سريرة صاحبها وان يجعل واضحا فعلا كان اسرا لان أحد
هذين الصنفين هو لله وحده وما قد عرفه عارف غيره أو من قد حواه
في سريرته والاصناف الاخرى فيعرفها الدين يشتركون فيها كلهم لكنهم
مع ذلك اذ وبخوا ما يحتملون ذلك بوادعة لكنه اذ قال لليهود ما غرضكم
في التماسكم ان تقتلوني ليسوا ما استعجبوه فقط مثل هذه الامرأة لكنهم
شتموه وثلبوه على ان أولئك كانوا قد امتلكوا البرهان من علامات وآيات
أخر واما هذه الامرأة فانما كانت سامعة هذا الكلام وحده الا ان
أولئك ليسوا ما استعجبوه فقط لكنهم شتموه اذ قالوا قد اشتملت شيطانا
من يطلب ان يقتلك وهذه فليس انها ما شتمته فقط لكنها استعجبته ودهشت
منه واستشعرت انه نبي على ان هذا التوبيخ قد لذع الامرأة لذعا عظيما
أكثر مما لذع ذاك التوبيخ لاولئك لان هذا كان خاصا لها وحدها وذاك
التوبيخ فكان عاما ونحن الناس فليس يلذعنا التوابيخ على الزلات العامة
لنا ولغيرنا مثل ما يلذعنا التوبيخ على زلات تخصنا وحدنا وأولئك ظنوا انهم
اذا قتلوا المسيح فقد أحكموا محمدة عظيمة وفعل هذه الامرأة فمتعارف
به عند جميع الناس انه خبيث الا انها مع ذلك ما استصعبت التوبيخ لكنها
اندهلت منه واستعجبته وقد عمل المسيح هذا العمل بنثانائيل لانه ما أورد
نبوته ابرادا قد تقدمه استعداد ولا قال له قد رأيتك تحت التينة لكن حين
قال ذاك من أين تعرفني حينئذ أورد هذا القول لانه شاء أن يأخذ من
الذين يقتربون اليه مبادي عجائبه وسبوق تخبيره حتى يجعلهم مختصين
بالافعال الكائنة منه كثيرا وليهرب من توهم التشرف وهذا العمل قد

تحمله ههنا   لان تقدمه أولا توبيخها بانك ماتملكين رجلا قد كان يظن انه
مستثقلا زائدا فى تقريعها   وأخذ عدله ذلك منها فاصلح هذه الاوهام
كلها وتلافاها   وكان ملائما جدا للتى سمعته وجعلها أكثر وداعة وورعا
ولعلك تقول أى سياق يلائم المعنى فى قوله   اذهبى ادعى رجلك   فاقول لك
كان كلامه فى موهبة ونعمة فائقة على الطبيعة الانسانية   فاذ ارتاحت الامرأة
الى مطالبة ان تأخذها قال لها   ادعى رجلك   موضحا انه ينبغى لها ان
تشاركه فى هذه الفوائد   فاجتهدت هى ان تأخذها وتسترفعها المستقبح
وتوهمت انها تخاطب انسانا   وقالت لست أملك رجلا   فاذ سمع المسيح
أقوالها هذه أورد فيما بعد توبيخها فى أوفق وقت اذ وصف بابلغ الاستقصاء
جماعة رجالها   لانه احصى كافة رجالها الاولين وأعلن الرجل المستور الذى
كان لها فى ذلك الوقت   الا انها ما استصعبت ذلك ولا تركته وهربت ولا
توهمت توبيخه مسبة لها   لكنها استعجبته أكثر وثابتة أوفر مشابتة
لانها قالت له ياسيدى على ما أرى انك نبى   وتأمل أنت فهمها الانها
ما انصرفت فى الحين مبادرة لكنها تصفح أيضا كلامه وتستعجبه   لان على
ما أرى هذا هو معناه قد استبان لى انك نبى أنت   ثم اذ توهمت هذا التوهم
لم تسأله سؤالا عالميا   ولا استخبرته عن عافية جسمها ولا عن أموال تملكها
ولا عن ثروة تحصل لها   لكنها سألته فى الحين عن آراء فى الدين   لانها قالت
٢٠ ان أبانا سجدوا فى هذا الجبل   فاعتمدت بقولها ابراهيم واشياعه   لان
هنالك ذكروا انه قرب ابنه بعينه وكيف تقولون أنتم انه فى أورشليم هو المكان
الذى يجب السجود فيه   أعرفت كيف صارت فى تمييزها أعلى عزما   لان
التى اهتمت بعطشها حتى لا تتكبد لاجله تعبا   سألته فيما بعد عن آراء فى
الدين   الا ان المسيح ما حل مطلوبها الان ما كان هذا محروصا عليه عنده ان
يجيب عن أقوال قد قيلت على بساطة ذاتها   لانها كانت منحرفة عن الاعتدال

لكنه اقتاد الامرأة أيضا الى علو أعظم   وماخاطبها في هذه المعاني أولا الى ان
أقرت انه نبي هو   حتى تسمع فيما بعد ما يقوله لها بايقان كثير وتصدقه   لانها
عند قبولها هذا   ماترتاب فيما بعد فيما يقوله لها

العظة الثانية والثلاثون

في انه يجب علينا ان نقرأ الكتب الالهية   وفي الابتعاد عن مشاهد اللعب
فسبيلنا ان نستخزي ونخجل فيما بعد اذا كانت امرأة حاوية خمسة رجال وهي
سامرية تحرص في اراء الدين حرصا هذا مبلغ تقديره   وما عطفها عن البحث
عن هذه الفوائد وأمثالها الا الوقت من النهار ولا مجيئها في شغل آخر ولا صنف
آخر غير هذه   ونحن فلسنا ما نستبحث عن اراء ديننا فقط لكن حالنا في
الفوائد الروحانية كلها حال على بسيط ذاتها وعلى ما اتفق   لهذا السبب
نتوانى في المنافع كلها   لان قل لي من منكم اذا هو حصل في منزله يتناول مصحفا
مسيحيا بيديه ويتصفح ما قد قيل فيه   ويستبحث عن غرض الكتاب ما يتجه
لواحد منكم ان يقول انه فعل هذه الافعال   لكننا نجد عند أكثركم فصوص
اللعب بالنرد   والمربعات التي تطارح فيه   وليس يوجد عندكم كتب في
جهة من هذه الجهات   الا عند أقوام قليل عددهم   وحال هؤلاء شبيه بحال
الذين ليست عندهم ولا يملكونها   لانهم يقفلونها ويخزنونها في صناديقهم كل
حين   وحرصهم كله فيها عندهم   انما هو رقة رقوقها وفي حسن كتابتها
وتجليدها ليس في قراءتها   وليسوا يجعلون اقتناها بسبب منفعة وفائدة لكنهم
يجعلونها ايضاحا لابصارهم ومباهاتهم اجتهادهم فيها   لان تفاقم الشرف
الفارغ هذا المقدار مقداره لانني لست أسمع ولا واحدا منكم قائلا انه قد عرف
المعاني المخزونة فيها   لكنه قد يتباهى بان مصحفه مكتوب بكتائب ذهبية
وما الفائدة من ذلك   قل لي وذلك ان الكتب ما أعطيناها من أجل هذه

الاغراض

الاغراض لتمتلكها فى مصاحف فقط لكننا أعطيناها لننقشها فى قلوبنا من طريق ان هذا الاقتناء هو من مباهاة اليهود ان يخزنوا الوصايا فى كتائب فقط ولعمرى ان هذه الشريعة ما دفعت الينافى الابتداء بهذه الصورة لكنها دفعت اليناقى الواح قلوب لحمية فهذه الاقوال أقولها لست أمنع بها استقناء الكتب لكننى أوصى بذلك واتمناه لكم جدا وأريد ان تحملوا من الكتب فى سريرتكم كتابتها ومعانيها حتى اذا حفظتموها على هذه الجهة يعتقب حفظكم اياها موضوع اعمالها ولين كان بيت يكون فيه انجيل موضوعا ليس يجترى ابليس المحال ان يدخله ولا يقترب اليه فالبق وأولى بنفس مشتملة معانى وافهاما هذه صفتها ان لا يلمسها شيطان ولا يرتكبها فى وقت من أوقاتها ولا يلمسها طبيعة خطية فقدس اذا نفسك وقدس جسمك بامتلاكك هذه الافهام فى قلبك وفى لسانك لان الاقوال المستقبحة ان كانت توسخ نفوسنا وتستدعى الشياطين اليها فواضح بين ان القراءة الروحانية تقدسنا وتجذب نعمة الروح الينا لان الكتب هى رقيات الهية فلنرقين بها ذواتنا وادواء الهواء التى فى نفسنا نركب لها الادوية من الكتب لاننا اذا عرفنا ماهى الاقوال التى نقرأها سنسمعها بنشاط كثير هذه الاقوال أقولها دائما واست أكف عن اعادتها كيف لا يكون مستشنعا منكرا اذ يكون الجلوس فى الاسواق حيث يصفون اسماء الراضة والراقصين واجناسهم ومدنهم وافعالهم وسجاياهم وينعتون فضيلة الخيل ورذيلتها بابلغ استقصاء والذين يحضرون ههنا ليس يعرفون قولا واحدا من الاقوال التى تقرأ عليهم ولا فعلا من الافعال التى تفعل ههنا لكنهم يجهلون عدد الكتب باعيانها لانك ان كنت تجتهد فى تلك الاشياء المقدم ذكرها لاجل اللذة فانا أريك ان اللذة فى هذه العلوم أكثر مقدارا لان قل لى ماذا أوفر لذة أو ماذا يوجد أعجب منظرا ان تبصر انسانا يصارع انسانا أم ان تبصر

انسانا يصارع شيطانا   وجسما يشابك بقوته خابيا من جسم وترى الموجود من جنسك قاهرا   هذه الصراعات تبصرها ههنا هذه يكون تشبهنا بها موافقا لنا تفيدنا حسن بهاء   ويمكننا ان نكمل اذا ماثلناها لكن لا نشابه تلك الافعال التى تسبب مشابهتها لمن يماثلها خزيا   لان ذلك الصراع تبصره مع شياطين   اذا أنت أبصرته   وهذا الصراع تبصره مع ملائكة ورؤساء ملائكة ومع سيد رؤساء الملائكة قل لى ان كان ممكنا لك عند جلوسك مع رؤساء أو مع ملوك ان تعاين النظر الذى يبصرونه وتستمتع به أفما تحتسب ان ذلك كرامة عظيمة   وأنت ههنا تكون معاينا مع ملك الملائكة وناظرا الى ابليس الجال مضبوطا عند أوساط ظهورنا مريدا ان يقهر أفعالا كثيرة وليس يقتدر على شئ أفما تحاضر وتسعى وراء نظر هذه فائدته   ولقائل ان يقول وكيف يمكن ان يكون ذلك فنجيبه اذا قبضت على هذا المصحف بيدك فانك ستبصر فيه معارك الجهاد ومسافات الحروب الطويلة ومقدمات ذلك العنيد   وصناعة الانسان العدل الصديق   فاذا أبصرت هذه الحوادث تتعلم أنت أن تصارع هذه المصارعة وتتخلص من الشياطين   لان الافعال المفعولة خارج محل تناهى مواسم شياطين وليست مشاهد أناس   فلهذا السبب أتضرع اليكم ان تبتعدوا من المواسم الشيطانية   ولئن كان دخولنا الى مشهد الاصنام ليس واجبا فاليق بنا وأوجب ان لا ندخل الى عند الشياطين   هذه الاقوال لست أكف عن التكلم بها تكلما متصلا مكررا اياها دائما   الى ان تصير فائدة أكثر   فقد قال الرسول   ان تكلمى ليس يجعلنى عاجزا وهو حياطة لكم فلا تستثقلوا تنبيهى وعظاتى   لانه ان وجب ان تستثقلوها منى   فالاوجب ان أستثقلها أنا الذى أتوجع دفعات كثيرة فى تكريرها   وما تسمعون منى وليس يجب أن تستثقلوها أنتم الذين تسمعونها دائما   وتخالفونها كل حين ولكن لا كان ان نشكوا منكم كل حين هذه الافعال   لكن فايكن لكم ان

تتخلصوا

تتخلصوا من هذا الخزى وتوهلوا للنظر الروحانى والاستمتاع بالمجد المنتظر كونه بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفه وجوده الذى معه لابيه المجد مع الروح القدس الى أباد الدهور كلها أمين

المقالة الثالثة والثلاثون

فى قوله ٢١ قال لها يسوع صدقينى يا امرأة انه ستأتى ساعة حين يسجد للاب لا فى هذا الجبل ولا فى اورشليم ٢٢ أنتم تسجدون لما لا تعرفونه ما نحن نسجد لان قد عرفناه لان الخلاص من اليهود هو

يا أحبائى نحتاج فى مكان الى الايمان والتصديق الذى هو أم الاعمال الصالحة كلها فى دواء خلاصنا فخلوا من هذا التصديق والايمان ليس يمكننا ان نضبط رأيا من آراء الدين العظيمة لكننا نماثل الذين يتعاطون ان يعبروا لجة البحر خلوا من سفينة الذين تكون فيهم كفاية لان يسبحوا مدة يسيرة مستعملين أيديهم وأرجلهم واذا تقدموا فى السباحة الى أبعد غاية تغرقهم الامواج سريعا هذه الصورة صورة الذين يستعملون أفكارهم قبل ان يتعلموا شيأ يصادفون غرقا على ما ذكر بولس ان أقواما غرقوا دون التصديق تيموثاوس

أولى ص ١ ع ١٩ فلكيلا يصيبنا هذا المصاب ينبغى لنا ان نضبط
مرسى الامانة الجليل الذى به يقتاد الان المسيح السامرية لانها اذ قالت
كيف تقولون أنتم أن فى أورشليم هو المكان الذى ينبغى أن يسجد فيه قال لها
المسيح يا امرأة صدقينى انه سيجىء وقت حين يسجد للاب ليس فى أورشليم
ولا فى هذا الجبل فقد كشف لها رأيا جزيلا نفعه عظيما وهذا ما قاله
لنيقوديمس ولا لناثانائل فهذه حرصت ان توضح أراؤها اشرف من أراء اليهود
وهذا الغرض احتالت به من الاباء الذين انتمت اليهم الان المسيح ما اعتمد
هذه المسئلة لان كلامه فى ذلك كان منحرفا عن الاعتدال وما بين لها لم
سجدت الاباء فى ذلك الجبل ولم سجد اليهود فى أوشليم فلهذا الغرض
صمت اذا أبطل وازال عن الموضعين كلاهما معا لى التقدم وأنهض نفسها
موضحا ان لا اليهود ولا هم يمتلكون فعلا عظيما بالمقايسة الى الفعل المزمع
أن يوهب لنا وبعد ذلك أورد الفضل بينهما الا انه قد حكم ان اليهود أشرف على
هذا القياس قدرا وما فضل مكانا على مكان لكنه من ذلك المعنى خولهم التقدم
كأنه قال ما ينبغى لاحد ان يماحك لاجل مكان فيما بعد بل اليهود فى غريزتهم
قد حازوا الشرف أكثر منكم أنتم السامريين لانه قال أنتم تسجدون لمن
ما قد عرفتموه ونحن نسجد لمن قد عرفناه فان سألت كيف ما عرف
السامريون من كانوا يسجدون له أجبتك لانهم ظنوا انه يوجد الها مكانيا
جزئيا فعلى هذه الجهة استرضوه وعبدوه وعلى هذا الرأى ارسلوا الى أهل
بلد فارس فاخبروهم ان اله هذا الموضع يغتاظ علينا فعلى هذا الرأى
ما تخيلوا فيه وهما أكثر من تخيلهم فى الاصنام ولهذا السبب لبثوا
يسترضون الاصنام ويسترضونه ويخلطون عبادات عديمة ان تكون
مختلطة واليهود كانوا متخلصين من هذا التوهم وقد عرفوه انه اله
المسكونة كلها وان كان هذا الرأى لم يكن رأيهم كلهم فلهذا السبب قال أنتم

تسجدون

تسجدون لمن ما قد عرفتموه ونحن نسجد لمن قد عرفناه ولا تستعجب انه
يعد ذاته مع اليهود لانه يتكلم نحو ظن الامرأة فيه كانه موجود نبيا يهوديا
ولذلك استثنى بقوله ونحن نسجد والدليل على انه هو مسجود له فواضح
فى كل مكان وعند كل أحد لان معنى الساجد مناسب للخليقة ومعنى
المسجود له مناسب لسيد الخليقة الا انه الآن يخاطبها خطاب يهودى لان
قوله ههنا ونحن نسجد يعنى به نحن اليهود فقد رفع اذا محل الافعال اليهودية
وجعل ذاته أيضا مؤهلا للتصديق ويستميلها الى أن تصغى الى الاقوال التى
يقولها أكثر اصغاء عاجلا كلامه خائبا من ان يكون متهما موريا ان أعلاه
شأن أفعال اليهود ليس هو لمناسبة الى من قبيلته قبيلتهم لان من قد حقق
هذه الاقوال المجازمة من أجل المكان الذى كان اليهود يتفاخرون به كثيرا
وقد ظنوا انهم به قد استظهروا على كل الناس وانقض أفعالهم الشريعة
فواضح انه ما تكلم الاقوال التى قالها بعد ذلك لتحمد الى أحد لكنه قالها
بحقيقة وبقوة سابقة بالتخبير ولما ثبت أفكارها عاجلا بقوله صدقينى
يا امرأة وما يتلوا ذلك استثنى بواجب بقوله ان الخلاص من اليهود هو والذى
يقوله معناه هذا هو أما انه اعتمد بذلك ان الفوائد الصالحة من هنالك
حصلت للمسكونة لان المعرفة بالله والتهجين للاصنام من هنالك حازا بتدأهما
وآراء الذين الآخر كلها ومعنى السجود عندكم وان كان ليس متقوما فمن
اليهود أخذتم مبدأه فهذه كلها قد كانت خلاصا وأما انه يدعو او ورده
خلاصا وأوجب ما يقال انه ليس يخطى الواجب من يدعو الصنفين كليهما
خلاصا قال انه يوجد من اليهود وهذا المعنى فقد ذكره بولس ذكرا
غامضا وقال منهم المسيح الموجود دائما الها للبرايا كلها رومية ص
٩ ع ٥ وأبصر كيف يجمع العتيقة ويوضحها قرمة للفوائد الصالحة
كلها وبين ذاته بهذه الاقوال كلها انه ليس ضد الشريعة اذ قال من

اليهود يوجد موضوع الفوائد الصالحة كلها (٢٣) لكن سيجيء وقت وهو الان حين يسجد للاب الساجدون المحقون قال أيتها الامرأة نحن بسجية السجود نزيد عليكم الان هذه السجية تحوز الان تمامها لان ما يتبدل رسوم المرضعين كلاهما فقط لكن سيتبدل مع ذلك رسوم مذهب الديانة وهذه الحوادث فقد وقفت عند الابواب لان سيجيء وقت وهو الآن لان الانبياء اذ كانوا قد قالوا ما قالوه منذ زمان طويل بطل هو هذا الطول ههنا وقال والان هو أى لا تظنى هذه النبوة ان هذا الحال حالها نهايتها بعد زمان طويل فان أفعالها قد وقفت الان وهى عند الابواب حتى يسجد للاب الساجدون المحقون بروح وحق واذ قال محقين فقد أخرج اليهود مع السامريين لان هؤلاء اليهود وان كانوا أفضل من السامريين الا انهم أدنى من المزمعين ان يسجدوا بروح وحق كثيرا فهم أدنى منهم بهذا المقدار بمقدار ما رسم الشئ أدنى من حقيقته فقال هذا القول فى نعت كنيسته ان السجود الحقيقى اللائق بالله هذا هو لان أبى يطلب الساجدين له الذين هذا الحال حالهم فقد طلب امرى قديما ساجدين هذا المحل محلهم واذ لم يشاء أولئك ان يثبتوا فى الرسوم القديمة سمح بالرسم لكنه انما سمح به تسامحا لهذا الغرض ليستورد هؤلاء الساجدين الحقيقين وان سألت من هم الساجدون الحقيقون أجبتك هم الذين ما يحصرون ديانتهم فى مكان و يسترضون الله فى روحهم على ما قال بولس الذى أعبده بروحى فى بشارة ابنه (روميه ص ٢١ ع ١) وقال أيضا أسالكم ان توقفوا أجسادكم ضحية حية مرضية ضحية لله وهى ديانتكم الناطقة واذ قال ٢٤ ان الله روح فليس يدل على معنى آخر الا على انه خاليا من جسم فينبغى ان نكون العبادة للخالى من جسم هذه الحال حالها خالية من جسم أيضا وان تقدموها له بما هو فيكم خاليا من جسم الذى هو بروحكم و بنقاوة

بعقلكم

عقلكم ولذلك قال والذين يسجدون له ينبغي ان يسجدوا له بروح وحق لان اذ كان أولئك السامريون واليهود وانين في أنفسهم ويجتهدون في تنظيف أجسامهم اجتهادا كثيرا وينظفونها باوفر صنوف التنظيف لذلك قال ان الخالى من جسم يسترضى ويعبد ليس بتنظيف الجسم وبتطهيره بل بالذى هو فيكم خاليا من جسم أى بعقلكم فلا تذبحوا غنما وعجولا لكن اذابح ذاتك كلها وقدمها لله واجعلها محرقة كلها فهذا هو معنى قول الرسول ان توقفها ضحية حية لانه يجب ان يسجد له بحقيقة لان الختانة الاولى كانت رسما والضحايا المحرقة بجملتها والذبائح والبخورات والان فليست كذلك أيضا لكن فعلنا كله حقيقة وليس هو رسما لان ماسبيلنا أن نقطع لحما لكن ينبغي أن نقطع افكارنا الخبيثة وان تصلب ذاتك وتقتل شهواتك البهيمية الفاقدة القياس وتذبحها الان تلك الامرأة دهشت من الاقوال التى قيلت لها واندهلت من علو معانيها وكل تمييزها واسمع ماقالت له ٢٥ قد عرفت انه سيجىء ماسيا المقول له المسيح فاذا جاء ذاك سوف يخبرنا بالاسرار كلها ٢٦ فقال لها يسوع انا هو المكلم اياك ولقائل ان يقول ومن اين للسامريين أن ينتظروا مجىء المسيح وهم انهم يقبلون موسى وحده فنقول له من كتب موسى باعيانها لان فى ابتدائها اقدا علن الابن الازلى لان قوله لنخلقن انسانا على صورتنا ومثالنا انما قيل للابن وهذا هو المخاطب ابراهيم فى الخباء ويعقوب اذ تنبأ فى وصفه قال ليس يفنى من يهوذا رئيس ولا قائد من فخذيه الى ان يجىء من يستعد له ذلك وهو انتظار الامم تكوين (ص ٤٩ ع ١٠) وموسى بعينه قال سيقيم لكم الرب الهكم نبيا من اخوتكم مثلى فاسمعوا منه تثنيه (ص ١٨ ع ١٥) وافعال حية النحاس وافعال عصاة موسى وما فعل باسحق والكبش وأيضا أصناف كثيرة غير هذه يمكن عند المريدين أن يختاروها مذيعة مجيه ولعلك تقول ربما الغرض فى ان المسيح

مااقتادالامرأة من هـذه الامثلة لـكنه استو ردانبقوذيمس الحية الى وسـط خطابه واذ كرنا ثانا ئل بذبوة وماقال لهذه قولا هذا معناه فـلم ذلك ولاى سبب تقول لك لان أولئك كانوا كانوارجالا قـد تصرفوا فى هـذه الاقاويل وهـذه فـكانت امرأة فقيرة خائبة من العـلم ومن الخبرة بالـكتب فلهذا السبب لم يخاطبها من هذه المعانى لـكنه من الماء ومن سبوق تخبيرها بافعالها اجتذبها و بهذه العواطف اقتادها الى تذكر المسيح واعلن لها بعد ذلك ذاته وهـذا القول فلو كان قاله فى مبتدأ الخطاب للامرأة ولم تطلبه هى لـكان قد ظن عندها انه يهذى و يتكلم كلاما باطلا فاذا اقتادهـا الان قليلا قليلا الى تذكره اعلن لها ذاته فى أوفق وقت واليهود الذين قالوا هـذه الالفاظ بمداومة الى متى تعلق أنفسنا قل لنا ان كنت انت هو المسيح ما أجابهم هـذا الجواب واضحا وقال لهذه ظاهرا انه هو ذاك لان هذه الامرأة كانت أحسن حفظا من اليهود وأجود عزما لان أولئك طلبوا ليس لاجـل أن يعرفوا لـكنهم انما طلبوا هذا المطلوب حتى يجمزوا به دائما لانهـم لو كانوا أرادوا أن يعرفوا لـكان تعليمه اياهم بالفاظه وبالـكتب وبآياته فيه كفاية للتعريف به وهذه الامرأة فقالت ماقالته من عزم عديم أن يكون محابيا ومن سريرة بسيطة وذلك واضح من الافعال التى فعلتها بعد ذلك لانها سمعت وآمنت واستجذبت اناسا آخرين واصطادتهم بهـذا الـكلام وفى كل مكان من خطابها يجب لنا أن نبصر عزم هذه الامرأة المستقصى والموقن واذا انتهى الخطاب زعم الى هـذه الغاية ٢٧ جاء تلاميذه و وصلوا فى وقت ملائم جـدا اذا استتم تعليمه واستعجبوا انه كان يكلم امرأة وماقال له قائل منهم ما الذى تطلب أو ماذا كنت تتكلم به معها فأن قلت وما الذى استعجبوا من ذلك أجبتك استعجبوا فقـد ه الصلف وعزمه المتذلل بافراط كثير انه بهذه الصورة كان شائع الذكر واستجاز ان يخاطب بتذلل عزم جزيل تقديره

امرأة

امرأة فقيرة سامرية الا انهم مع اندهالهم من ذلك ما سألوه عن علة مخاطبته اياها الا انهم كانوا بهذه الصفة متأدبين بحفظ ترتيب التلاميذ وبهذه الصورة تهيبوه واستحيوا منه لانهم وان كانوا بعدما امتلكوا الرأى المؤهل له الا انهم مع ذلك أصغوا اليه واحتشموه كاحتشامهم صاحبا عجيبا وخولوه الاستحياء منه كثيرا على انهم فى مكان آخر يستبينون مدلين عليه فى جهات كثيرة كقولك لما استلقى يوحنا على صدره ولما اقبلوا امنه قائلين من هو الاعظم فى ملك السموات ولما تضرع اليه ابنا زبدى أن يجلس الواحد عن ميامنه والآخر من مياسره فان أنت استخبرت فلم ما استخبروه ههنا أجبتك لان تلك المسائل كلها دعتهم الضرورة الى الاستبحاث عنها من طريق ان فوائدها واصلة اليهم والخطاب الجارى ههنا فما أورداهم ضرورة تدعوهم الى البحث عنه ويوحنا عمل هذا العمل بعد زمان طويل عند غاية التدبير بعينها حين استمتع بدالة عنده اكثر جهارا ووثق بحب المسيح له لانه قال هذا كان الذى أحبه يسوع

العظة الثالثة والثلاثون

فى إن الوداعة تنفعنا أعظم المنافع وان يوحنا البشير لما امتلك هذه الوداعة أحبه ربنا

فما الذى يكون عديلا لهذا التطويب لكن سبيلنا يا احبتى ان لا نقف عند هذا التطويب للرسول لكن ينبغى لنا أن نعمل كل ما يمكننا حتى نصير من الذين يطوبون ونشابه هذا البشير ونعرف ما هى المحامد التى أبدعت له هذا الحب الجزيل تقديره فما هى هذه المحامد قد ترك لعمرى اباه وسفينته وشبكته ولحق المسيح ولكن هذا الفعل قد كان شريكا فيه لاخيه ولبطرس واندراوس والآخرين من الرسل فما هى الفضيلة التى كانت خاصة له التى جعلت حبه

كثيرا وهل نجدها لانه هو ماذكر عن ذاته وصفا هذه صفته الا انه أحب فقط وكنى عن محامده التى لاجلها أحب منه لا لذاته لان البرهان على انه قد أحب حبا خاصا به قد كان واضحا فى سائر الجهات ومع ذلك فليس يتبين مخاطبا مخاصا ولا سائلا له على انفراده مثلما سأله بطرس دفعات كثيرة وكما سأله فيلبس وعلى حذو ما سأله يهوذا وتوما لكن حين شاء أن يطيع المتتلمذ معه أعنى بطرس و يسدى اليه منة حينئذ سأل ربنا فقط لانه حين اضطره المعظم فى الرسل اذا اشار اليه حينئذ سأله لان هؤلاء التلاميذ حوى أحدهم للاخر حبا كثيرا لانهم على هذه الجهة يستبينون صاعدين الى الهيكل جميعا ويخاطبون الجمع خطابا مشاعا مع ان بطرس يتحرك فى كل مكان ويتكلم باحر عزم وعند غاية التدبير سمع المسيح قائلا له يا بطرس أتحبنى اكثر من هؤلاء ومن أحبه أكثر من أولئك فواضح انه قد احب الا ان هذا القول صار واضحا من ان بطرس احب يسوع وذلك القول استبان من ان يسوع احب يوحنا فان سألت فما هو الذى اصطنع له هذا الحب الخاص به اجبتك على حسب ظنى ان ذلك هو ان هذا الفاضل أوضح دعة كثيرة و وداعة ولذلك يستبين فى جهات كثيرة لا مدلا ولا مجاهرا وهذه الوداعة قد قدر عظمها واضح من موسى النبى لان هذه الفضيلة جعلت موسى بهذا المقدار جزيلا فخره عظيما قدره لان ليس فعل عديلا لتذلل العزم ولهذا السبب من هذه الفضيلة ابتدى المسيح بتطويباته لانه كمزمع أن يطرح حجرا عظيما أساسا وقاعدة فوضع على هذه الجهة تواضع العزم لان ليس ينساغ لنا ولا يمكننا أن نتخلص خلوا من تواضع العزم لكن لو صام أحدنا ولو صلى ولو عمل صدقة بتعظم فكل أعماله تكون مرفوضة اذ لم يحضر تواضع العزم كما انها كلها تكون مأثورة معشوقة مصونة بأتم الحياطة اذا حضر التواضع فيها فلنتذلل يا احباى ولنتواضع فان احكام هذه الفضيلة سهل جدا اذا

استحققنا لان ما الذى يرفعك بالجملة أيها الانسان الى التعظم أما تبصر مقدار
طبيعتك الحقيرة وعزم اختيارك السريع زلقه تفهم حال وفاتك تفطن
فى كثرة الخطايا التى اجترمتها ولكنك لعلك قد أحكمت فضائل كثيرة
فتفتخر بها فى ذاتك افتخارا عظيما فهذا الافتخار بعينه تضيعها كلها
فلهذا السبب ليس يحتاج من قد اجترم الخطايا أن يتواضع على هذا النحو
مثلما يحتاج من قد احكم الفضائل الى الاجتهاد فى ان يتذلل و يتواضع وان
سألت وما معنى هذا أجبتك لان الخاطئ تلك اضطرارا فطنته تلزمه أن يتواضع
ومحكم الفضائل ان لم يستفق كثيرا فهو يترفع كشئ ترفعه ريح شديدة
سريعا وتتغيب مثل الفريسى كل محامده لكنك تعطى الفقراء أموالا
الان اليست لك لكنها أموال سيدك المشاعة للذاوخين فى العبودية ولهذا
الغرض خصوصا ينبغى لك أن تتواضع فى مصائب الذين جنسهم جنسك اذ قد
تقدمت فرأيت نوائبك وعرفت فى أولئك طبيعتك ولعلنا نحن قد كان من
أجداد هذه الحال حالهم ولئن كان الغنى قد انتقل الينا لكنه واجب
هو ان يتركنا أيضا وما هى الثروة بجملة وصفها انما هى ظل ضعيف ودخان
متحال وزهر حشيش يذبل والبق ما يقال انها أحقر من الزهرة فما بالك تتعظم
بحشيش ذابل أفما يوافى الغنى الى أناس لصوص ومؤنثين و زوان ونباشى
القبور افهذا يعليك انك تمتلك شركاء فى القنية هذه طريقتهم أفهل تعشق
التكريم فليس فعل أكثر من الصدقة يوجد استعداد الواجب التكريم لان
تكريمات الثروة والمقدرة هى بالزام ومقت وتكريمات الفضيلة فهى من نية
المكرمين وفطنتهم ولذلك لن يستطيع فى وقت من الاوقات المكرمون ان
ينتزعوا الكرامات عن محكمى الفضيلة فلئن كان الناس يخولون المرحومين
توقيرا جزيلا تقديره و يبتهلون لهم بالحظوظ الصالحة كلها فتفطن فى المجازاة
التى يأخذونها من الاله المتعطف ما اعظم مقدارها وفى المكافأة ما اجل قدرها

فلنطلبن هذه الثروة الباقية دائماً ولن تهرب فى وقت من الزمان من مالكها لنصير ههنا معظمين وهنالك بهيين فليتفق لنا امتلاك النعم الصالحة الدهرية بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفه الذى معه ولابيه المجد مع الروح القدس الى اباد الدهور آمين

المقالة الرابعة والثلاثون

فى قوله ٢٨ وتركت الامرأة جرتها وذهبت الى المدينة وقالت ٢٩ تعالوا ابصروا انسانا قد قال لى أعمالى التى عملتها كلها الا يكون هذا هو المسيح

نحتاج يا اخوتى الى حرارة كثيرة وحرص منتهض لان خلوا من ذلك لن يتجه لنا أن ننال صنفا من النعم الصالحة التى وعدنا بها وهذا المعنى فقد أوضحه المسيح فقال حينا ان لم يحمل أحدكم صليبه ويلحقنى فليس هو موهلا لى (متى ص ١٠ ع ٣٨) وقال حينا انما جئت ألقى على الارض نارا وما غرضى فيها قد كنت أشاء انها قد توقدت فيما سلف (لوقا ص ١٢ ع ٤٩) فبهذين القولين كليهما أراد أن يبين لنا التلميذ المتوقد شوقه المحمى بناره المتسوم لكل خطر وشدة فهذه الامرأة كانت هذه السجية سجيتها لان الاقوال التى قيلت لها الهبتها هذا الالهاب الذى أوصلها الى ان تركت جرتها وأهملت الحاجة التى جاءت بسببها وحاضرت الى مدينتها لتجتذب الى يسوع كافة الجمع الذى فيها لانها قالت تعالوا ابصروا انسانا

قد

قد قال لى أعمالى كلها التى عملتها   تأمل الى حرصها وفهمها لانها جاءت
تستقى فلما اتفق لها الينبوع الحقيقى استحقرت بعد ذلك الينبوع
المحسوس فصارت معلمة لنا   وان كان ذلك مثالا صغيرا أن يعرض فى استماع
الاقوال الروحانية عن أشياء الدنيا كلها وأن تملك منها شيأ واحدا لان
هذه على حسب قوتها عملت العمل الذى عمله رسل ربنا   لان أولئك لما
دعوا تركوا شباكهم   وهذه من ذاتها ولم تدع بشئ تركت جرتها وعملت
عمل المبشرين اذ قوا هاسرورها   وما استدعت واحدا واثنين كما
استدعى اندراوس وفيلبس لكنها استنهضت مدينة بكليتها وجماجزيلا
تقديره واقتادتهم على هذه الجهة اليه   وتأمل كيف اقتادتهم باوفر الفهم
لانها ما قالت لهم تعالوا أبصروا المسيح لكنها استجذبت الرجال بالمقاربة
والاستكانة التى اقتنصها المسيح بها   لانها قالت تعالوا أبصروا انسانا قد
قال لى أعمالى كلها التى عملتها وما خجلت ان تقول ذلك مع انها قد كان يمكنها
أن تقول قولا غير هذا   وهو تعالوا أبصروا متنبيا لكن نفس أحدنا
اذا أحميت بالنار الالهية ما تنظر بعد ذلك الى شئ من الاشياء التى فى الارض
لا الى شرف ولا الى خجل لكن اللهيب الذى قد اشتمل عليها هو لهيب نار
واحدة الا يكون هذا هو المسيح أبصر أيضا حكمة كثيرة لامرأة   ما جزمت
انه هو المسيح بحكم واضح ولا صمتت   لانها أرادت أن تجلبهم اليه ليس من
حكمها هى لكنها أثرت أن تجعلهم من استماعهم كلامه شركاء لحكمها
وذلك يجعل كلامها أكثر تحقيقا وواجب اقتبالا   مع ان ربنا ما وصف
عيشتها كلها لكنها مما قيل لها انقنت بمعرفة ما تبقى من أعمالها وما قالت
تعالوا أمنوا لكنها قالت تعالوا أبصروا   وهذا فكان أخف من قولها
تعالوا أمنوا   واستجذبهم ذلك اكثر أعرفت حكمة الامرأة لانها علمت
علما يقينا انهم مهما يذوقون فقط من ذلك الينبوع سيطيعون الاقوال

باعيانها التى أطاعتها هى   مع ان لو كان واحد من الناس الآخرين
الاكثفيين تمييزا لكان قد ستر التوبيخ وكتمه   وهذه فاشتهرت عيشتها
وقدمتها فى الوسط   حتى تستجذب جميع أهل بلدها وتقتنصهم ٣١ وفى
اثناء ذلك سأله تلاميذه قائلين يا معلمنا كل طعاما   ومعنى انهم سألوه ههنا . وفى
لغة بلدتهم تضرعوا اليه   لانهم أبصروه متعوبا من سعى الطريق ومن لهيب
الحر الزائد فتضرعوا اليه أن يأكل   لان توسلهم اليه أن يتناول طعاما
ما كان ذلك من تهجم لكنه كان من اخلاصهم الودى لمعلمهم   فان سألت عما
أجابهم به قلت لك انه قال ٣٢ أنا أملك طعاما كله ما قد عرفتموه انتم
فقال البشير ٣٣ ان بعضهم قال لبعض لعل أحد الناس قدم له طعاما كله
وما استجابك ان كانت تلك الامرأة اذ سمعت ماء تخيلت أيضا ماء اذا كان
تلاميذه قد عرضت لهم هذه العوارض أيضا باعيانها   وما فهموا بعد معنى
روحانيا لكنهم تحيروا من قوله ثم خولوا معلمهم احتشامهم اياه المألوف
واكرامهم له وخاطب بعضهم بعضا وما اجتروا أن يسألوه سؤالا وهذا العمل
قد عملوه فى مكان آخر اذا اشتهوا ان يسألوه الا انهم ما سألوه   فقال لهم المسيح
٣٤ طعامى هو ان أعمل مراد من أرسلنى واتمم عمله   فمعنى ههنا خلاص
الناس طعاما له موضحا مبلغ ارتياحه الى العناية بنا   وكان الاغتذاء مأثور
عندنا فكذلك تخليصه ايانا مأثور عنده   واسمع كيف فى كل مكان ليس
يعلن أقواله كلها فى لفظ متيسر فهمه لكنه يزج أولا سامعه الى تحير مما يسمعه
حتى اذا ابتدأ بالتماس معنى ما قيل له وتحير مما يسمعه   وكل تمييزه يقتبل بنشاط
اكثر حرص للمطلوب اذا ظهر له و ينهض الى الاستماع باوفر حرصه   ولقائل
ان يقول فلم ما قال فى الحين طعامى هو ان أعمل مراد من أرسلنى على ان هذا
القول ما كان واضحا لكنه   قد كان أبين من القول الذى تقدمه   وهو
قوله انا أملك طعاما كله وما عرفتموه أنتم   فنقول له أولا على ما ذكرت انه
أراد ان يجعلهم بتحيرهم فى معنى ما قاله اكثر اصغاء ونصغ و يقودهم بهذه

الالفاظ

الالفاظ الغامض معناها أن يسمعوا ما يقال لهم وان سألت وما هو مراد أبيه فسيصفه لك ويترجمه قال لهم ٣٥ افما قد قلتم أنتم ان بعد كون اربعة أشهر يجيء الحصاد فهذا أقول لكم ارفعوا الحاظكم وابصروا الحقول انها بيضاء وهي قد تهيأت للحصاد ها هو أيضا يصاعدهم بالاسماء المناسبة الى النظر في المعاني العظيمة لانه لما ذكر طعاما ما اوضح معنى آخر الا خلاص الناس الذين اعتزموا أن يجيئوا اليه والحقول والحصاد تدل على هذا المعنى بعينه أيضا وعلى كثرة النفوس المتسومة لاقتبال انذاره والالحاظ ههنا يعني بها ألحاظ تمييزنا والحاظ جسمنا لانهم أبصروا بعد ذلك جماعة السامريين آتية اليه وعنى بالحقول المبيضة استعداد اختيارهم لان كما ان السنبل اذا ابيض فهو مستعد للحصاد فكذلك هؤلاء الناس زعم انهم الآن مستعدون للخلاص متسومون له فان قلت فلم ما قال قولا بينا ان أناسا سيجيئون ويؤمنون به وهم متسومون لاقتبال كلامه اذ قد علمتهم الانبياء فهم يجنون فيما بعد ثمر ما قد تعلموه لكنه سمى حقلا وحصادا فما الذي تعتمده هذه التغييرات في الاوقات من الرأي عنده أجبتك انه من شأنه أن يعمل هذا العمل ليس في هذا الموضع فقط لكنه يعمله في بشارته كلها والانبياء فقد استعملوا هذا النحو اذ قالوا أقوالا كثيرة على جهة نقل لفظها الى معناها فما العلة في ذلك لان نعمة الروح ما اشترعت هذه الاقوال على بسيط ذات الاشتراع لكنها اشترعتها لاجل شيئين أحدهما حتى يصير الكلام أبين وضوحا ويسوق الاقوال التي تقال لدى البصرا كثر سوقا وذلك ان تمييز فهمنا اذا اشتمل على الصورة المناسبة لمعاني الكلام يشتد نهوضه كثيرا ويبصر المعاني كمسطورة في كتاب فيضبطها ضبطا عظيما والسبب الثاني حتى يجعل الخطاب حلوا ويلبث ذكر ما يقال أدوم بقاء لان القول الحازم ليس ينضبط ويتمكن على هذه الجهة عند السامع الجزيل

البحث مثلما يتمكن منه الحديث بالمعانى وتمثيل الخبرة والتجربة وهذا الحديث
فبالمثل يتجه لنا ان نبصره متذكرنا بحكمة كثيرة قال (٣٦) والحاصد يأخذ أجرة
ويجمع ثمرة لحياة دهرية لان ثمرة الحصاد الجسدانى ماتوصل الى حياة
دهرية لكنها توصل الى هذه الحياة الوقتية وثمرة الحصاد الروحانى توصل
الى حيوة خالية من شيخوخة وموت أرأيت كيف الفاظه محسوسة ومعانيها
روحانية وبهذه الالفاظ بعينها يفصل الاصناف الارضية من الاصناف
الروحانية السمائية لانه قد عمل هذا العمل عندما تكلم فى وصف الماء اذ
وضع الماء الذى يناسبه فقال ان من يشرب من هذا الماء ليس يعطش وهذا
العمل يعمله ههنا عند قوله انه يجمع هذه الثمرة لحياة دهرية لكيما
يسر الزارع والحاصد جميعا فان سألت من هو الزارع ومن هو الحاصد أجبتك
الانبياء هم الذين زرعوا الا انهم ما حصدوا هم لكن رسل ربنا حصدوا وما
يعدموا لهذا السبب لذتهم ومكافأة اتعابهم لكنهم سيفرحون معكم وان
كانوا ما حصدوا معكم لان الحصاد عمل أهون من عمل الزرع فالفعل الذى التعب
فيه أقل اللذة فيه أعظم فى هذه الافعال ولها اخباتكم ليس للزرع لان
الشقاء هناك فى الزرع كثير والتعب جزيل لان الحصاد فيه دخل كثير
والتعب ليس هو على مقدار ذلك لكن سهولته كثيرة فههنا يريدان يمكن
عندهم بهذه الالفاظ ان مراد الانبياء هذا هو ان تتقدم الناس الى وهذا
المراد فقد ارتادته الشريعة ولهذا الغرض زرعوا لكى يولدوا هذه الثمرة
واوضح أيضا انه هو أرسل أولئك وان المناسبة بين الحديثة والعتيقة كثيرة
وأصلح هذه المعانى كلها بهذا المثل وقد ذكر قولا من أقوال الامثال بعيد ذكره
اناس كثيرون لانه قال ٣٧ فى هذا الفعل يوجد الكلام صادقا ان الزارع
هو آخر والحاصد هو غيره فهذه الاقوال قد قالها الناس الكثيرون متى ما اتفق
ان يقاسى الاتعاب اناس آخرون ويقتطف غيرهم أثمارها أناس وقال ان هذا

القول يحوى حقيقة خصوصا   وبيان ذلك ان الانبياء تعبوا فحصدتم أنتم
الثمرات المتنوعة من اتعاب أولئك وما قال فحصدتم الآن صنوف اجرة أولئك
لان ذلك التعب الكثير ليس خائبا من اجرة لاولئك   لكنه قال فحصدتم
الثمرات من اتعابهم   وهذا العمل فقد عمله دانيال النبي لان ذلك قد ذكر
مثلا قائلا   نوح من الخائبين من الشريعة هفوة   ملوك أول ص ٢٤ ع ١٢
وداود فى حال نوحه يذكر مثلا هذه صفته   فلذلك قال فيما سلف   لكيما
يسر الزارع والحاصد معا   فاذ توقع ان يقول   ان آخر زرع وغيره حصد
فلكيلا يظن ظان على ماذكرت انه يعدم الانبياء اجرتهم   قال قولا مستغربا
بديعا ليس هو عارضا له الاشياء المحسوسة لكنه خاص فى الافعال الروحانية
لان الاشياء المحسوسة اذا عرض فيها ان يزرع واحد ويحصد غيره زرعه فليسا
يفرحان جميعا   لكن الزارعون يتوجعون   لانهم تعبوا الآخرين غيرهم
والحاصدون يفرحون وحدهم   وههنا أن يجرى الحال على هذا المجرى لكن
الذين لم يحصدوا مازرعوه   يفرحون شبيها بفرح الذين حصدوا   فمن هذه
الجهة استبان واضحا ان هؤلاء أيضا يشاركون الاجرة ٣٨ قال أنا أرسلتكم
تحصدون مالم تتعبوا فيه أنتم   بل آخرون تعبوا فيه ودخلتم أنتم فى تعبهم
فبهذا الكلام نشطهم كثيرا   لان هذا العمل اذ كان يظن انه متعب وهوان
يحولوا المسكونة وينادوا بالتوبة بين لهم انه سهل   لان العمل الذى كان
متعبا جدا   انما كان ذلك العمل الذى احتاج تعبا كثيرا وهو بذار الزروع
وان يوجوا انفسا فاقدة ان تكون معلمة   الى المعرفة بالله   فان سألت
ولم قال هذه الاقوال   أجبتك حتى اذا أرسلهم الى المناداة لا يرتجفوا كانهم
مرسلون الى عمل متعب   لانه قال ان فعل الانبياء كان أكثر تعبا من فعلكم
والعمل يشهد للقول   لانكم جئتم الى الاعمال الاسهل من غيرها   لان
كما ان الثمرة تجمع فى الحصاد بسهولة   وفى لحظة واحدة تملى البيدر غمورا ولم

ننتظر انقلابات ازمان وشتاء ومطرا وربيعا فكذلك يصير الآن والافعال تصيح بهذا لانه فى اثناء تكلمه بهذه الاقوال خرجت السامريون وجمت الثمرة بغتة ولهذا المعنى قال ارفعوا الحاظكم وابصروا الحقول انها قد أبيضت فقال هذه الاقوال واستبان الفعل منها وشوهدت الالفاظ من اعمالها لان البشير قال ٣٩ ان كثيرين من تلك المدينة آمنوا به من السامريين بسبب كلام الامرأة اذ شهدت انه قال لى اعمالى كلها التى عملتها لانهم استيقنوا ان الامرأة استحيت من قدوبخ هفواتها التحمد اليه ولا شهرت عيشتها حتى تحمد بذلك الى انسان آخر

العظة الرابعة والثلاثون

فى انه يجب على من يتوب ان يبتعد عن هفواته ليس بعدم فعله اياها فقط لكن سبيله مع ذلك أيضا ان يعمل بعزمه أضداد الخطايا التى اجترمها فينبغى لنا ان نشابه هذه الامرأة ولا نخجل من الناس فى خطايانا لكن يجب علينا ان نخاف على ما يجب من الهنا الناظر الآن الى ما نجترمه المعاقب حينئذ الذين ما يتوبون الآن على اننا الآن نعمل خلاف هذا فما نخاف المزمع ان يديننا ونرتاع من الذين ما يضرونا ضررا ونرتعد من استخزائنا منهم فلهذا السبب العارض الذى نخشاه فيه نقاسى العقوبة لان من يتوقى الاستخزاء من الناس وما يستخزى من الله الناظر اليه اذ يعمل عملا منكرا شنيعا ولا يشاء ان يتوب عليه و ينتقل عنه فسيفتضح فى ذلك اليوم الرهيب ليس بحضر واحد واثنين من الناس لكن بمشاهدة أهل المسكونة كلها ويشتهر خزيه لان البرهان على ان هنالك يرتب لاعمالنا الصالحة ولافعالنا الرديئة مشهدا عظيما فلمعرفك فيه مثل الغنم والجداء و بولس السعيد عند قوله اننا يجب علينا ان نقف لدى منبر المسيح ليحتضن كل واحد منا عمله بجسده ان كان عمل عملا صالحا او ان

كان

كان رديئا (قرنتيه ثانيه ص ٥ ع ١٠) فان كنت قد عملت عملا
خبيثا أو افتكرت افتكارا رديئا وسترته على انسان الا انك ماسترته على الله
لكنك ماير وعك هم من هذه الهموم بل عيون الناس هى خوفك فقط فتفطن
انك ماتقدر ان تستتر عن الناس فى ذلك اليوم الفزع لان أفعالنا كلها
وافكارنا تنتصب حينئذ لدى ألحاظنا كانها فى تمثال مصورة حتى ان كلا منا
يكون موجبا الحكم على ذاته وهذا القول واضح من الغنى وذلك انه ابصر
لعازر المسكين الفقير الذى أعرض عنه واقفا لدى عينيه وتلك الاصابع التى
رفضها دفعات كثيرة أقبل يتوسل ان يصير منها سلوة له حينئذ فاسألكم
يا أحباى اذا وان لم يعرف عارف أفعالنا ان يدخل كل واحد منا الى فطنته
وسريرته ويجلس فكره قاضيا لذاته ويحضر الى وسط مجلس القضاء هفواته
التى اجترمها وان كان لم يشاء حينئذ ان تشتهر فى ذلك اليوم الرهيب فليشف
جراحاته وعقوره وليضع عليها أدوية التوبة لانه ممكنا لك وهلا عليك ان تمضى
الى هنالك معافى بعد ان كنت مملوا جراحات جزيلا عدد ها لانه قال ان صفحتم
يصفح لكم عن خطاياكم وان لم تصفحوا فليس يصفح لكم وكما ان خطايانا
تنطمر فى حين تعميدنا وما تستبين أيضا فكذلك تتغيب جرائمنا ان شئنا
ان نقر بها ونتوب عنها واعتزامنا ان لا نعمل أيضا خطايانا باعيانها هو توبة لان
من يمارس افتعال خطاياه باعيانها فقد شابه كلبا عائدا الى قيئه بطرس
ثانية (ص ٢ ع ٢٢) وان ينبغى لنا ان نترح الآن بفعلنا وبعزمنا عن
الهفوات التى تجاسرنا عليها واذا ابتعدنا عنها فيجب ان نضع على جراحاتنا
أدوية مضادة لخطايانا على حذو ما أقول اختطفت واستغنمت ابتعد
من الخطف والاستغنام وضع على جراحهما صدقة ورحمة زنيت بابن الزنا
وضع على قرحته عفة وطهارة ثلبت أخاك ثلبا رديئا واضررته أكفف
عن ان تسىء القول فيه وضع على جرح الثلب التودد اليه والاحتفال فى تكريمه

ونعمل هذا العمل فى كل صنف من الاصناف المجترمة بنا ولانحوز الخطايا التى اجترمناها وننحرف عنها على بسيط ذات الانحراف فان قد وقف بنا الآن أوان العقوبات ولذلك قال بولس ربنا قريب فلا تهتموا بشئ (فيلبيوسيوس ص ٤ ع ٥) لكننا لعل ينساغ لنا ان نقول ضد هذا القول الرب قريب فاهتموا لان أولئك سمعوا سماعا صائبا لاتهتموا بشئ وهم الموجودون فى ضغطة واتعاب وجهادات وأما العائشون فى مغاوى استلاب ماليس لهم وفى التنعم المزمعون ان يقاسوا تعاذيب صعبة فيسمعون ليس هذا القول لكن ذاك القول على جهة الواجب الرب قريب فاهتموا لان ماقد تبقى لانقضاء الدنيا زمان طويل لكن الدنيا الآن قد سارعت الى انقضائها وهذا الانقضاء فتدلنا عليه الحروب هذا توضحه الضيقات والشدائد هذا تبينه الزلازل هذا تظهره يبوسة الحب اذ قد قشب الآن بصورة جسم عتيد ان تنزع منه نفسه ووفاته قريبة فانه يستمد عوارضا من الضنك جزيلا عددها وكمنزل قد شارف ان يسقط فمن شأنه ان يتقدم فيسقط منه أجزاء كثيرة من سقفه ومن حيطانه كذلك قد وقف بنا انقضاء المسكونة قريبا عند أبوابنا ولهذا السبب قد انزرعت الآفات والبلايا الجزيل عددها فى كل مكان لان ربنا حينئذ ان كان قريبا فاليق وأوجب ان يكون الآن قريبا ان كان قبل ثلثمائة سنة حين قيلت هذه الاقوال قد سمى بولس زمانه كمال الازمان فاولى وأليق بزماننا الحاضر ان يكون كمال الازمان ولكن لعل أناسا لاجل هذا القول بعينه يزول تصديقهم وقد كان يجب عليهم لهذا ان يصدقوا دنو الانقضاء كثيرا وأنا أخاطب أحدهم يا انسان من أين عرفت ان انقضاء الدنيا ليس هو قريبا وبعد زمان يسير تدهمنا حظوظنا الا اننا على نحو ما نسمى تمام السنة ليس اليوم الاخير منها بل قد نسمى الشهر الاخير منها كمالها على

انه

انه يحوى ثلاثين يوما وكذلك المعنى فى السنين التى هذا المقدار الجزيل مقدارها ولو سميت تماما اربعمائة سنة فليس أخطى الصواب حتى ان كمال الدنيا منذ ذلك الحين قد تقدم فصاح بوروده فلنيقظن ذواتنا ولنتمعن بخوف ربنا فاننا عند مقامنا فى فسحة من الامل وما ننتظر الانقضاء ولا نهتم به كثيرا حينئذ يقف بنا حضوره بغتة والمسيح اذ اوضح هذا المعنى قال انهم على نحو ما كانوا فى أيام نوح وعلى حذو ما كانوا فى أيام لوط فكذلك يكون وروده متى ص ٢٤ ع ٣٧ وهذا المعنى لما أبانه بولس الرسول قال اذا قالوا سلامة وحياطة حينئذ يدهمهم هلاكهم بغتة كما يداهم الطلق الحبلى تسالونيكية ثانية ص ٥ ع ٣ وان سألت وما معنى الطلق الذى يداهم الحبلى اجبتك ربما تكون من النساء الحبالى على غفلة لاعبات وللاطعمة مصلحات أو فى الحمام أو فى السوق مقيمات وما قد أبصرن عارضا من عوارض الطلق المستأنفة فيستحوذ عليهن مخاض الطلق بغتة فاذا كانت أحوالنا جارية على هذا المجرى فلنكون مستعدين دائما لاننا ما نسمع هذه الاقوال دائما ولا تمتلك السلطان عليها دائما لان النبي قد قال ليس فى الجحيم من يشكرك فلنتوبن اذا ههنا لكى نمتلك على هذا الحال الهناء غفورا ناهناك فى اليوم المستأنف ونقتدر ان نستمتع بعفوه الكثير عنا لذى يتفق لنا كلنا امتلاكه بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفه الذى معه لابيه المجد مع الروح القدس الآن ودائما والى آباد الدهر كلها

آمين



المقـــــالة الخامسة والثلاثون

٤٠ ولما جاء اليه السامريون سألوه ان يقيم عندهم فاقام هنالك يومين ٤١ وجماعة منهم كثيرة آمنوا به لاجل كلامه ٤٢ وقالوا للامرأة اننا ما نؤمن ايضا بسبب كلامك لاننا قد سمعنا وعرفنا ان هذا هو بالحقيقة المسيح مخلص العالم ٤٣ وبعد يومين خرج من هنالك وذهب الى الجليل

ليس داء أشر من داء الحسد وليس عارض أردئ من الشرف الفارغ لان هذا في طباعه ان يفسد الاعمال الصالحة الجزيل عددها وبيان ذلك ان اليهود امتلكوا معرفة أكثر من السامريين وناسبوا الانبياء واتتلذوا معهم فاستبانوا في هذه الجهة متأخرين عنهم لان هؤلاء السامريين آمنوا به من شهادة امرأة وما أبصروا منه آية واحدة وخرجوا الى عنده متوسلين اليه ان يقيم عندهم واليهود فشاهدوا عجائبه وليسوا انهم ما ضبطوه عندهم فقط لكنهم مع ذلك طردوه وعملوا كل ما أمكنهم حتى يخرجوه من بلادهم على ان مجيئه لهذا الاجل أولئك اليهود كان الا انهم طردوه وهؤلاء توسلوا اليه ان يقيم عندهم وأنا أقول للمعترض قل لي ألم يكن واجبا ان يقترب الى هؤلاء السامريين

السامريين وهم يتضرعون اليه متوسلين لكن كان يجب ان يثبت عند الذين
اغتالوا عليه ودفعوه ولا يبذل ذاته للذين أحبوه وارتادوا ان يضبطوه عندهم
الان هذا الفعل ما كان موهلا لاشفاقه واهتمامه فلهذا السبب اقتبلهم
وأقام عندهم يومين لانهم هم ارتادوا ان يضبطوه عندهم دائما وهذا المراد
فقد أوضحه البشير اذ قال انهم سألوه ان يقيم عندهم فأجابهم هو الى ذلك
لكنه أقام يومين فقط وفي هذين اليومين آمنت به منهم جماعة كثيرة على
ان هؤلاء ما كان لائقا ان يؤمنوا اذ لم يبصروا منه آية واحدة ومن كان
اليهود يستثقلونه الا انهم مع ذلك لما ميز والاقوال التي قالها بحقيقة تميزها
ما وقف هذا الرأي عندهم لكنهم اتخذوا همة أعلى من العوائق كلها وفضلوه
لما استجبوه استجابا عظيما لان البشير قال انهم قالوا للامرأة اننا الساعة نؤمن
به بسبب كلامك أيضا لاننا نحن قد سمعنا وعرفنا ان هذا هو بالحقيقة المسيح
مخلص العالم فالتلاميذ ارتفعوا وفاقوا على التي علمتهن فهؤلاء على
جهة الواجب يقرفون اليهود بايمانهم به وباقتبالهم اياه لان أولئك اليهود
من أجل أفعاله التي بها اثبت كما قاله رجموه دفعات متصلة وهؤلاء فلم يكن
مناسبا لهم فاستجذبوه اليهم وأولئك فبعد معاينتهم آياته لبثوا عادمين
اصلاحهم وهؤلاء خلوا من آيات أظهروا أمانتهم به كثيرة وبهذا العزم
فضلوه بانهم آمنوا به خلوا من آيات يرونها منه وأولئك لم يكفوا طالبين منه
آيات مجربين اياه فعلى هذه الجهة الحاجة ماسة في كل مكان الى خلوص عزم
نفسنا فان كانت نفس الانسان خالصة العزم تيسر له ضبطها وان لم يضبطها
فهذا ليس يكون من صنف الحق لكنه انما يكون من غدرها وزوال حفاظها
لان الشمس اذا تسامت الالحاظ صافية نقية تيسر لها ان تنيرها فان لم تضئها
فالخيبة هي لمرض تلك الالحاظ وليس هي من ضعف الشمس واسمع
ما قاله هؤلاء قد عرفنا بالحقيقة ان هذا هو المسيح مخلص العالم أرأيتم

كيف فطنوا فى الحين انه قد ازمع ان يستجذب المسكونة كلها وانه قد جاء
ليصلح الخلاص العام المشاع وانه ما قد اعتزم ان يحصر عنايته عند اليهود
وحدهم لكنه يزرع كلامه فى كل مكان ولكن اليهود لم تكن هذه
الهمة همتهم لكنهم التمسوا ان يقيموا عدلهم فما خضعوا لعدل الههم
وهؤلاء فاعترفوا ان الناس كلهم حاصلون فى زواجر العقوبة موضحين قول
الرسول ان الناس كلهم اخطاؤا واعدموا مجد الله فيتحقق العدل
لهم مجانا لانهم اذ قالوا انه مخلص العالم أوضحوا انه مخلص العالم
الضال وما وصفوه مخلصا على بسيط ذات الوصف لكن مخلصا باصناف
عظيمة جدا لان كثيرين جاؤا يخلصون وهم أنبياء وملائكة لكنهم
قالوا ان هذا هو المخلص الحقيقى الواهب الخلاص الحقانى ليس الخلاص
الوقتى فقط وهذا القول فكان من أمانة خالصة لانهم حصلوا عجيبين
من هذين الفعلين كليهما من انهم امنوا ومن ان ايمانهم كان خلوا من
آيات شاهدوها وقد طوبهم المسيح اذ قال مغبوطون الذين ما أبصرونى
وآمنوا بى والدليل على ان ايمانهم هذا ايمان خالص هو انهم قد
سمعوا الامرأة قائلة قول ارتياب الا يكون هذا هو المسيح فواضح من انهم
ما قالوا اننا نحن قد نظن انه المسيح ولا اننا نتوهم انه اياه لكنهم قالوا اننا
قد عرفنا ان هذا هو المسيح وما قالوا اننا قد عرفنا ذلك على بسيط ذات
المعرفة لكنهم قالوا اننا قد عرفنا بالحقيقة ان هذا هو مخلص العالم
لانهم ما اعترفوا بالمسيح كانه واحد من الكثيرين لكنهم أقروا انه بالحقيقة
مخلص مع انهم ما أبصروه قد خلص وانما سمعوا الفاظه فقالوا هذا
القول فلو كانوا أبصروا عجائب لكانوا قد قالوا أقوالا كثيرة
عظيمة فان قلت فلاى غرض ما قال لنا البشيرون هذه الاقوال وانه
خاطب أولئك خطابا عجيبا أجبتك لتعلم انهم قد تجاوزوا صنوفا كثيرة من

أقواله

أقواله العظيمة ومن تمام خطابهم أوضحوا كافة المطلوب لانه استمال الى القبول منه جميعا كليا ومدينة بجملتها من أقواله التى قالها لهم فالرسل فى الوجوه التى لم تقبل قوله يضطرون حينئذ ان يقولوا الاقوال التى قالها حتى لا يتجه من زوال حفاظ السامعين ومن سوء عزمهم ان يوجب موجب اللوم على الخالق الذى خاطب جماعتهم وبعد يومين خرج من هنالك وذهب الى الجليل (٤٤) لان المسيح شهد بعينه ان نبيا فى وطنه ليس يحوى تكريما وان سألت ولم استثنى بهذا القول انه ماذهب الى كفرناحوم لكنه مضى الى الجليل ومنه انطلق الى قانا أجبتك حتى لا نستبحث لم ما أقام عند أهل وطنه وأقام عند السامريين لهذا وضع علة ذلك اذ قال انهم ما أحفلوا به فلهذا السبب ماذهب الى هنالك حتى لا تكون الجناية لهم أعظم لانى أظنه يسمى ههنا كفرناحوم وطنه والدليل على انه ما استمتع هنالك بتكريم اسمعه منه قائلا وأنت يا كفرناحوم المستعلية الى السماء ستهبطين الى الجحيم ويسمى وطنه موضحا معرفة تدبيره مقيما فيه أكثر ولعل قائلا يقول فما رأيك أفما قد رأينا اناسا مستعجبين عند أهلهم وفى وطنهم فنخبره يجب على ماقد استبان كثيرا ان يحكم فى هذه الحوادث وامثالها ليس من واحد فرادى وان كان قد كرم اناس فى وطنهم فاولى بهم وأليق ان يكرموا فى الغربة أكثر لان العادة فى طباعها ان تجعلهم يتيسر التهاون بهم (٤٥) فلما جاء الى الجليل اقتبله الجليليون لانهم عاينوا كل ماعمل باورشليم فى العيد لانهم أيضا قد كانوا جاؤا الى العيد أرأيت ان المشتومين هم يوجدون مبادرين اليه كثيرا لان أحدهم قال أيمكن ان يوجد من الجليل شئ صالح وغيرهذا قال اسأل واعرف ان من الجليل ليس يقام نبى فهذه الاقوال قالوها ماشتموه اذ توهم عند الكثيرين انه من الناصرة وعيروه بانه سامرى لانهم قالوا سامرى أنت وقد اشتملت شيطانا

ولكن هاسامريون وجليليون قد آمنوا به تخزى اليهود وتخجيلهم فالسامريون يوجدون أفضل من الجليليين لان أولئك السامريين من ألفاظ الامرأة اقتبلوه وهؤلاء أبصروا الآيات التى اجترحها (٤٦) وجاء يسوع أيضا الى قانا الجليل بحيث صنع الماء خمرا فقد أذكر السامع بعجيبته معلنا مديح السامريين لان هؤلاء اقتبلوه من آياته الكائنة فى أورشليم ومن الصائرة هنالك والسامريون لم تكن هذه الحال حالهم لكنهم اقتبلوه من تعليمه وحده فقد ذكر لعمرى انه جاء الى هنالك الا انه ما استثنى بذكر العلة التى لاجلها جاء الى هنالك لانه جاء الى الجليل بسبب حسد اليهود فلماذا جاء الى قانا لانه جاء اليها فى الابتدا مدعوا الى عرس فالآن لم جاء ولاى سبب فعلى حسب ظنى انا جاء اليها جاعلا أمانتهم المتكونة من عجيبة أقوى فعلا يورده اليهم مستجذبا اياهم أكثر بمجيئه مدعوا من ذاته اذ ترك وطنه وفضل أولئك وكان أحد الناس ملكى قد مرض ابنه فى كفرناحوم (٤٧) هذا لما سمع ان يسوع قد جاء من بلد اليهودية الى الجليل جاء الى عنده وساله ان يجى فيشفى ابنه فهذا الرجل سمى بهذا الاسم امالانه كان من جنس ملكى واما انه قد كان مالكا رتبة أخرى من رئاسة الملك وقد يظن بهذا أناس انه ذاك المذكور فى بشارة متى وقد يستبين ان هذا آخر غير ذلك ليس من رتبته فقط لكن من امانته أيضا لان ذاك لما أراد المسيح ان يجى اليه سأله ان يلبث فى موضعه وهذا فما وعده المسيح وعدا هذه صفته فاجتذبه الى منزله وذلك فقال لست أنا مؤهلا ان تدخل تحت سقف بيتى وهذا استعجله اذ قال انحدر قبل ان يموت ابنى وهناك لما انحدر من الجبل دخل الى كفرناحوم وههنا جاء الى عنده هذا لما جاء من مدينة السامرة ليس الى كفرناحوم لكن الى قانا وذاك فغلامه تقيد بزمانته وهذا فابنه كان مضنوكا بحمى واذ جاء سأله ان يشفى ابنه لانه شارف ان يموت فقال له المسيح

(٤٨) ان لم تبصروا آيات وجوائح فما تؤمنوا وهذا الفعل فقد كان من أمانة
وهو مجيئه وتضرعه اليه وبعد ذلك يشهد له البشير قائلا انه اذ قال له يسوع
اذهب فابنك حي صدق قوله وانطلق فان سألت ماعنى ماقاله أجبتك
اما يكون قال هذه الاقوال ههنا مستعجبا السامريين لانهم آمنوا به خلوا من آيات
أبصروها واما أنه قالها لاذعا كفرناحوم المظنونة انها مدينة التي كان هذا
الرجل منها اذ كان انسان آخر في بشارة لوقا قد قال أيضا أنا أومن ياسيدي
فاعن قلة ايماني فمن هذه الجهة وان كان هذا قد آمن لكنه ما آمن ايمانا
كاملا ولا معافا وهذا يستبين من استبحاثه في أية ساعة تركته الحمى لانه
شاء ان يعرف ان كان انتزاحها عنه من ذاتها أو من ايعاز المسيح فلما عرف
انه تركته أمس في الساعة السابعة آمن هو وبيته كله أرأيت انه في ذلك
الحين آمن حين قال له غلمانه ذلك القول ليس حين قال له المسيح ذلك القول
موبخا سريرته اذ تقدم الى حضرته فقال هذه الاقوال لان بها على هذه الجهة
اجتذبه الى أمانة أوفر ايقانا لانه قبل الآية ما كان مؤمنا جدا ولئن كان قد
جاء وتوسل فليس ذلك مستعجبا وذلك ان الآباء قد جرت عادتهم لكثرة حبهم
لابنائهم ان يبادروا ليس الى الاطباء الذين يثقون بهم وحدهم لكنهم يخاطبون
مع ذلك الذين ما يثقون بهم أيضا مريدين بذلك ان لا يستبقوا من جهدهم ولا
صنفا واحدا اذ كان قد تقدم الى حضرته من ايمان زائغ عن صحته حين جاء الى
الجليل حينئذ أبصره فلو انه كان موقنا بقدرة المسيح مؤمنا جدا ما كان
كسل عندما شارف ابنه ان يموت ان يجيء اليه الى بلد اليهودية فان كان
خشي ان يموت فليس ذلك عذرا مقبولا وانظر الى الفاظه كيف تبين ضعفه
لان قد كان واجبا عليه ان يتصور في ربنا وان لم يكن في أول مجيئه اليه لكن
بعد ان وبخ سريرته تصورا عظيما من أجله واسمع كيف هو بعد يفسحب
على البطحاء لانه قال (٤٩) انحدر قبل ان يموت ابني فقد أنزله بمنزلة

من ليس هو مقتدرا ان يقيمه بعد موته وليس عارفا الغايات التي ثبتت فيها
أحوال ابنه فلهذا السبب وبخه ولذع فطنته موضحا ان آياته من أجل النفس
تكونت تكونا متقدما فههنا يشفى ذلك الاب السقيم فى تمييزه ليس
بدون ماشفى ابنه محققا عندنا ان نخنع اليه ليس من آياته لكن من تعليمه لان
الآيات ليست للمؤمنين لكنها للنقص الاكثفين تمييزا من غيرهم وفى ذلك
الوقت من تلقاء العارض له ما أصغى الى ماقيل له كثيرا بل أصغى الى الاقوال
التى قيلت له بسبب ابنه وحدها وبعد ذلك ازمع ان يقتبل ماقيل له وان
يستفيد من هذه الجهة أعظم الفوائد وذلك قد تم له ولقائل ان يقول فما
الغرض فى انه فى العارض لرئيس المائة وعد ان يجىء الى عنده واعدا بذلك من
نفسه وههنا ولا بعد ان استدعى مضى فنجيبه لان الامانة هنالك كانت تامة
ولذلك وعد ان يذهب الى عنده حتى يعرف خلوص عزم ذلك الفاضل وههنا
فهذا الرجل كان بعد قد عدم ان يوجد تاما اذ كان قد استجله فوق وأسفل قائلا
انحدر وما كان قد عرف معرفة واضحة انه يقتدر ان يشفيه وهو غائب عنه
فبين له ان ذلك مقدور عليه عنده ممكن ليكون ماحواه رئيس المائة فى ذاته من
الايمان يعرفه هذا ويكون متيقنا انه واذا لم يجىء يسوع الى منزله فهو قادر على
شفاء ابنه فقال ان لم تنظروا آيات فما تؤمنوا انما يقول هذا القول
انكم بعدما قد ملكتم الامانة الواجبة لكن عزمكم عزم من يجىء الى عند نبى
معلنا ذاته وموضحا انه يجب عليهم ان يؤمنوا به خلوا من آيات يبصرونها منه
فقال ماقال له لفيلبس صدق ان أبى فى وأنا فى أبى وان لم تصدقونى
فصدقونى باعمالى ٥١ وفى اثناء انحداره التقاه عبيده قائلين ان ابنك حى
٥٢ فاستخبرهم الساعة التى حصل فيها الشفاء من ضنائه فقالوا له أمس فى
الساعة السابعة تركته الحمى ٥٣ فعرف أبوه ان فى تلك الساعة التى قال له
فيها يسوع ان ابنك حى فآمن هو وبيته كله أرأيت كيف صارت العجيبة
واضحة

واضحة لانه ماتخلص من شدة المرض على بسيط ذات التخلص وعلى ما اتفق لكنه براء بغتة حتى يستبين ان الكائن ليس هو مساق طبيعة لكنه انما كان من فعل المسيح لانه كان قد وصل الى أبواب الموت باعيانها على ما ذكر أبوه اذ قال انحدر قبل ان يموت ابنى فتخلص من مرضه بغتة وذلك انهض عبيده لانهم لعلمهم تلقوه وحالهم ليس حال مبشرين بالصحة فقط لكنه حال ظانين ان حضور يسوع فيما بعد يوجد فضلة زائدة لان أولئك عرفوا انه آت معه فمن هذه الجهة التقوه فى طريقه بعينها ومعما استراح الرجل من الخوف جنح فيما بعد الى الايمان مريدا ان يبين ان فعل طريقه قد كان وفضله بعد ذلك حتى لا يظن به انه قد نهض اليه باطلا فمن هذه الجهة عرف كل ماقيل له معرفة بليغة وآمن هو وبيته كله لان شهادته كانت فيما بعد عند أهل منزله قد زال الشك عنها لانهم لم يحضروا عند المسيح ولا سمعوه متكلما ولا عرفوا الوقت لكنهم سمعوا من سيدهم ان هذا كان الوقت فحازوا البرهان على قدرته خاليا من ارتياب فيه ولهذا السبب آمنوا هم به

العظـــــة الخامسة والثلاثون

في انه يجب علينا ان نشكر الله في جميع العوارض التى تعرض لنا

فان سألت فما الذى نتعلمه من هذا الاخبار أجبتك نتعلم الا ننتظر عجائب ولا نلتمس براهين على قدرة الهنا لانى أرى الان أناسا كثيرين اذا استمتعوا بتسلية تصل الى ابنهم فى حال مرضه واما الى امرأتهم فى حين سقمها حينئذ يصيرون أكثر تورعا وقد كان يجب عليهم اذا لم يتفق لهم تفريج الهمهم ان يلبثوا شبه ذلك شاكرين لله وممجدين لان هذا الفعل هو فعل عبيد حسن حفاظهم هذا عمل الاجلاد الوادين سيدهم المحاضرين كما يجب ان يحاضروا اليه ليس اذا كانوا مطلقين فى حال الرخاء لكن اذا كانوا مضروبين بسياط المحن لان

هذه الحوادث أفعال اشفاق الله وسياسته لان من يحبه ربه يؤدبه ويضرب بسياط كل ابن يقبله لانه اذا خدم أحد الله وأرضاه فى حالة الرخاء فقط فليس يبين محبه الكثيرة لاماته ولا يحب المسيح حبا نقيا وما معنى ذكرى عافية وسعة أموال أو فقرا أو مرضا الا انك لو سمعت بجهنم ولو توعدت بتعذيب آخر صعب لما وجب على هذه الجهة ان تبتعد من الشكر لسيدك لكن سبيلك ان تقاسى كافة النوائب وتعمل كل ما يمكنك من أجل الحب له فان هذا فعل عبيد محافظين ونفس عديمة ان توجد مماثلة ومن كان هذا الحال حاله فمن شأنه ان يعبر الحالات الحاضرة عبورا سهلا ويتفق له امتلاك النعم الصالحة المأمولة ويستمتع من الله بدالة كثيرة جزيلة لديه التى فليتفق لنا كافة ان نحصلها بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفه الذى له مع أبيه المجد مع الروح القدس الآن ودائما والى آباد الدهور كلها آمين

المقالة السادسة والثلاثون

فى قوله (٥٤) هذه ايضا آية ثانية عملها يسوع لما جاء من اليهودية الى الجليل

كما ان معادن الذهب ليس يستجيز أحد من ذوى البحث عنها ان يعرض عن أصغر عرق يوجد فيها من طريق انه مبتدع له ثروة جزيلة فكذلك اعراضنا عن ياء واحدة فى الكتب الالهية أو حرف واحد ليس خاليا من ان يوجد مخسرا لنا لكننا يجب علينا ان نفتش ألفاظها كلها لانها جميعها بالروح القدس قيلت وليس فيها لفظ مهمل أو زائغ عن حده وتأمل ههنا ما قال البشير قال هذه أيضا آية ثانية عملها يسوع لما جاء من بلد اليهودية الى الجليل لانه ما استثنى بقوله ثانية على بسط ذات الاستثناء

لكنه يحوى أيضا مديح السامريين موضحا انهم بعد ان صارت آية ثانية ماوصلوا بعد الى علو محل أولئك السامريين الذين ما أبصروا ولا عجيبة واحدة

(الاصحاح الخامس) وبعد ذلك كان عيد اليهود وان سألت وأى عيد عنى أجبتك على حسب ظنى انه عيد العنصرة وطلع يسوع الى أورشليم وكان يلم بالمدينة المام متصلا فاحيانا فعل ذلك حتى يظنوا انه يعيدمعهم وأحيانا حتى يستجذب اليه الجماعة الخالية من الغش لان فى أيام هذه الاعياد خصوصا كان يتقاطر الى هنالك الساذجون من الشر جدا (٢) وكان فى أورشليم بركة غنمية مدعوة باللغة العبرانية بيثيدا حاوية خمسة أروقة ٣ وكان قد استلقى فيها جماعة من عرجان وعميان وجافين منتظرين تحريك مائها ولعلك تستخبر ماهو هذا الصنف من الشفاء وأى سر يوضحه لنا ايضاحا غامضا لان هذه الالفاظ ما كتبت على بسيط ذات كتابتها ولا باطلا لكنها تصور لنا الفوائد المستأنفة تصورا كأنه فى تمثال ورسم لكيما اذا وردت ورود ابدعا عديما انتظاره ينفسد عند الكثيرين قوة تصديقها فاه والمعنى الذى تصوره فاقول انه اعتزم ان يعطينا معمودية حاوية قوة عظيمة وموهبة جسيمة معمودية تطهر خطايا الانسان وتجعله بعد ان كان ميتا حيا فهذه الفوائد قدم تصويرها فى هذه البركة كأنها فى تمثال ومثلت فى أصناف آخر أكثر من هذه فاعطى أولا ماء مطهرا أوساخ أجسامنا وادناسا ليست موجودة لكنها مظنونة انها موجودة كقولك الادناس التى من دفن الموتى والتى من ملاصقة البرص والتى من الاصناف الاخر التى تشابه هذه وقد يبصر باصر رسوما كثيرة فى العتيقة صائرة بالماء لاجل هذا السبب ولكن فلنتوجه الان الى ما اعتمدناه وذلك انه جعل أولا ان تغسل بالماء ادناس أجسامنا وان تزول به أيضا أسقامنا المختلفة لان الهنا اذ شاء ان يقتادنا الى تصديق المعمودية أقرب اقتيادا ولم يغسل أوساخنا على بسيط ذات

غسلها فقط لكنه شفى أيضا الاسقامنا لان الصور التى هى أقرب الى الحق
كانت فى معموديته وفى تألمه وفى أفعاله الاخر أجهر وضوحا من الصور التى
كانت أقدم منها كما ان الذين بقرب الملك هم أشد بهاء من حاملى السلاح
قدامه فكذلك كان الترتيب فى الرسوم كان ينحدر ملاك فيحرك الماء
و يولج فيه قوة شافية لكى يعرف اليهود ان سيد الملائكة يليق به أكثر
و يقتدر أكثر ان يشفى أسقام نفسنا وتعويقاتها كلها ولكن كما ان طبيعة
المياه ما كانت تشفى ههنا على بسيط ذات الشفاء لانها لو كانت هى الشافيه
لكان هذا الشفاء يتكون كل حين لكنها انما كانت تشفى بفعل الملاك
فكذلك الحال فى تطهيرنا ليس بفعل الماء على بسيط ذات فعله لكنه يفعل
تطهيرنا اذا اقتبل نعمة الروح حينئذ يحل خطايانا كلها حول هذه البركة
كان قد استلقى جماعة من السقماء من عميان وعرجان وجافين منتظرين تحريك
الماء الان هذا المرض صار فى ذلك الحين مانعا لذلك الذى اراد ان يشفى
والآن فكل واحد منا ما لك ان يتقدم لان ليس ملاك هو الذى يحرك الماء
لكن سيد الملائكة هو عامل جميع المطلوب وليس يتجه للمريض ان يقول
الآن است امتلك انسانا ولا ينساغ له ان يقول الى ان أجىء أنا ينحدر آخر
قبلى لكن لو جاءت المسكونة كلها فالنعمة ما تفنى وفعلها ليس يمحق
لكنها تثبت على حال واحد هذا الحال حالها أى على الحال الذى كانت عليه
قبل هذا الفعل ومثلما ان شعاعات الشمس تضىء كل يوم وما تمحق ولا يصير
ضوؤها من كثرة انبثاثه أقل لمعا فى شعاعاتها فكذلك فعل الروح أكثر
من هذا القياس كثيرا ليس تنقصه كثرة الذين يستمتعون به نقصا فهذا
الحادث حدث حتى يسهل على العارفين انه يمكن أن تشفى فى الماء أسقام
جسمنا المرتاضين بهذا الشفاء زمانا متصلا طويلا وأن يصدقوا أن امراض
نفسنا يمكن أن تبرأ فيه ولعل سائل يسال وما غرض يسوع فى انه ترك
أولئك

أولئك السقماء كلهم وجاء الى الذى مكث فى سقمه ثمانية وثلاثين سنة وما معنى انه ساله اتشاء ان تصير معافى فنقول انه ما ساله ليعرف مراده لان هذا السؤال كان زائغا عن اللائق به لكنه ساله ليعلمنا صبر من كانت تلك الحال حاله حتى نعرف لم ترك السقماء الآخرين وجاء الى هذا واسمع ما قال ذاك نعم ياسيدى ولست امتلك انسانا حتى اذا اختبط الماء يلقينى فى البركة لاننى الى ان اجيء انا ينحدر آخر غيرى اليها لهذا الغرض ساله اتشاء ان تصير معافى حتى نعرف أقواله هذه وما قال له اتشاء ان أشفيك لانه ما كان بعد قد تصور فيه تصورا عظيما لكنه قال له اتشاء ان تصير معافى لعمرى ان صبر هذا المخلع مذهل لانه لبث ثمانية وثلاثين سنة منتظرا كل سنة ان يتخلص من سقمه فثبت وما انتزح عن ذلك الموضع لانه لو لم يكن صبورا جدا لقد كانت ايس سنوه السالفة هنالك لكن المستانفة فيها كفاية ان تستميله عن ذلك المكان تفطن لى كيف كان واجبا ان يستفيق هنالك السقماء الآخرون لان ما كان واضحا الوقت الذى فيه يتحرك الماء ولكن العرجان والزمنى قد كان يمكنهم ان يراصدوا الماء فالعميان كيف كانوا يبصرونه فلعلهم كانوا قد عرفوا ذلك من حسهم بارتجافه الصائر من اختباطه

العظة السادسة والثلاثون

فى انه ما ينبغى لنا ان نتضجر فى الاعمال الصالحة وفى انه لم رتب الله لنا عيشة متعبة

فلنستخزين يا احبائى ولنخجلن ولنتحسرن على ونيتنا الكثيرة فان ذلك المخلع لبث ثمانية وثلاثين سنة مثابتا ذلك المكان وما اتفق له الوصول الى ما كان يريده وما انتزح وما اتفق له ذلك ليس من جهة توانيه

لكنه كان مستضاما مقاسيا من السفهاء الآخرين غيظا وغضبا وما كل من هذا الحال ولا مل ونحن اذا لبثنا عشرة أيام متوسلين باسراع فى مطلوب من المطالب ولا يتفق لنا الوصول اليه نتكاسل فيما بعد أن نستعمل ذلك الحرص بعينه وربما ثابتنا انا ساعدة هذا مبلغها متجندين لديهم أشقياء فى خدمتهم خدمة لائقة بالعبيد وعند غاية تلك المدة يتفق لنا أن نخيب من أملنا بعينه وما نصبر ولا نثبت بحرص واجب فى التوسل الى سيدنا الذى يجب لنا على كل حال أن نستمد منه المكافأة أكثر وأعظم من اتعابنا لان الرسول يقول ان الرجاء ليس يخزى وهذه الافعال فلكم تعذيب توجد موهلة لاننا ولو اتفق لنا أن لا نأخذ منه شيأ أفما مخاطبتنا اياه بعينها بمداومة تكون سببا لفوائد صالحة جزيل عددها لكنك تقول ان الصلاة الدائمة متعبة فأقول لك وما هو العمل من أعمال الفضيلة ليس هو متعبا ولعل قائل يقول ان هذا المطلوب بعينه موعب حيرة كثيرة لان اللذة مقترنة بالرذيلة والتعب مقترن بالفضيلة وعلى حسب ظنى ان كثيرين يستخبرون عن هذا المطلوب فما العلة فى ذلك فنجيبه ان الله أعطانا فى الابتداء عيشة حرة من الهموم متبرئة من الاتعاب فاستعملنا موهبته على ما يجب لكننا ازاغتنا البطالة عن حفظها وفقدنا الفردوس فلهذا السبب جعل حياتنا متعبة وكأنه محتج لجنس الناس قائلا خولتكم من الابتداء أن تتنعموا لكنكم صرتم براحتكم الى أشر الاحوال فلهذا السبب أمرت أن توضع لكم أتعاب وأعراق واذ كان ولا ذاك التعب ضبطنا أعطانا أيضا شريعة حاوية وصايا كثيرة على حسب ما يضع واضع على فرس صعب العنان شكلا وقيودا حتى يمسك وثباته ورائضوا المهارة يعملون هذا العمل لهذا السبب معاشنا متعب اذ كان حصولنا فى عيشة لا تعب فيها من شأنه أن يفسدنا لان طبيعتنا ما تحتمل الآن أن تبطل لكنها تجمح الى

الى الرذيلة أسهل جوحا لاننا ان وضعنا أن الضعيف ليس يحتاج اتعابا
ولا من يحكم فضيلة أخرى لكننا نستكمل أوقاتنا كلها نياما أين كانستعمل
الراحة هل ما كانستعملها فى التعظم والتجبر ولعلك تقول فلم تقترن
بالرذيلة لذة كثيرة ويقترن بالفضيلة تعب جزيل وعرق غزير فأجيبك
وايه منة تكون وما العمل الذى تأخذ له أجرة ان لم يكن متعبا الا اننى الآن
يتجه لى أن أريكم اناسا كثيرين فى طبيعتهم ما قتضى أن يخالطوا نساء وهاربين
منهن كأن مخالطتهم اياهن مرفوضة عندهم أفنسمى هؤلاء عفيفين ام
نكللهم ونذيع فضلهم لا ما نسميهم أعفاء فى جهة من الجهات وذلك ان
العفة هى ضبط الهوى وقهر اللذات عند محاربتها ايانا وذلك ان فى الحروب
اذا كانت جهاداتها شديدة فحينئذ تصير جوائزها أبهى من غيرها ليس لمن
لا يرفع يديه فى الحرب لكن لمن يقاتل ويتعب كثيرا وقد يوجد اناس
كثيرون عاجزون من طبيعتهم فهل ندعوا هؤلاء ودعين لا ما ندعوهم بجهة
من الجهات ودعاء ولهذا المعنى اذ وصف ربنا الخصيان ثلثة أصناف ترك
الصنفين منهم ساعديين أن يكونا مكللين وأوجح الواحد الى ملكه فان قلت
ما الحاجة الى الرذيلة أقول لك هذا القول ومن هو مبدع الرذيلة هل هو
غير هذا وهو عجز اختيارنا ونيتنا ولعلك تقول فقد كان راجبا أن
نكون أخيارا وحدنا فأقول لك وما هى خاصة الخيرية هى أن تستفيق
وتتيقظ أم أن تنام وتخر ويجوز أن تقول فلم لا يظن هذا العمل أنه
عمل صالح وهو العمل الذى يحكمه أحدنا ولا يتعب فيه فأجيبك انما تقول
ألفاظ الناس الراعين كالبهائم الموعبين بطنهم المحتسبين جوفهم الههم
والبرهان على أن هذه الالفاظ عجز وبلادة فواضح اذا أجبتنى عن سؤالى
اذا رأيت ملكا وقائدا وكان الملك فى حين الحرب نائما سكرانا فبادر
القائد أقام سيمات الظفر فى الحرب شقيا فى القتال متعوبا لمن منهما تحسب

الظفرة ومن الذى استثمر لذة الفتوح الحادثة   أرأيت أن نفسنا انما ترتاح أكثر الى تلك الحظوظ التى من أجلها تعبت   لهذا السبب أخلط ربنا فى الفضيلة الاتعاب   مريدا أن يخص نفسنا بالفضيلة لهذا السبب نستحب الفضيلة وان لم نحكمها   ونذم الرذيلة وان كانت مستلذة فان قلت لاى سبب ما نستحب الاخيار فى طبيعتهم   أكثر من الموجودين أخيارا باختيارهم   فاجيبك لان عدلا واجبا أن نفضل المتعوب على من ليس هو متعوبا   لاننا لاى غرض نستحب اذا كما نحتمل ولا أن نتعب تعبا يسيرا وأولى ما يقال ان بحث باحث باستقصاء البحث   سيجد البطالة من عادتها أن تفسدنا على جهة أخرى وتنتج التعب لنا كثيرا   وان شئت فلنحبس واحدا ونطعمه ونسقيه ونوعب بطنه فقط   ولا نتركه يمشى ولا نخرجه الى عمل من الاعمال   لكن فلنمتعه بمائدته وبسريره   ولننعمه تنعيما دائما فاذا يكون أشد شقوة من هذه الحياة ولعلك تقول أن ممارسة العمل غير ممارسة التعب فأنا أسألك فهل ينساغ أن تعمل عملا خاليا من اتعاب   ولعلك تقول نعم فأقول فهذا قد أراده الله   الا انك ما احتملته لانه جعلك تعمل الفردوس فاوعز بالعمل وما أخلط فيه التعب   لان الانسان لو كان تعب فى الابتداء   لما كان الله وضع هذا التعب بعد ذلك فى جهة عقوبة له   لانه قد يوجد ان يعمل عامل ولا يشقى   فيكون حاله حال الملائكة والدليل على انهم يعملون   اسمع ما قاله النبى مقتدرين عاملين قوله بقوة (مزمور ١٢ ع ٣٠) لان نقص القوة الآن يجعل   تعبنا عظيما وفى ذلك الحين لم يكن يوجد هذا بعد   لان الرسول قد قال ان من قد دخل الى راحته فقد استراح   مثلما استراح الله من أعماله فليس يذكرههنا بطالة   لكنه انما يقول انه ليس يتعب لان الله الى الان يعمل   على ما قال المسيح ربنا فانا أوصيكم ان تجتنبوا صنوف الضجر كلها وان تماثلوا الفضيلة لان لذة

الرذيلة يسيرة وغمها دائم والفضيلة بضد تلك فرحها قد عدم ان يشيخ وتعبها وقتى والفضيلة تقبل الاكالة تعلى فاعلها وتغذوه بالامال الصالحة كلها والرذيلة فتقبل العقوبة تعذب عاملها اذ تخنق فطنته وتربيعها وتجعلها ان تتوهم كافة الاوهام المريعة مع ان هذه الاوهام كم هى أشر من الاتعاب والاعراق تاثيرا فان لم تكن هذه الاتعاب وكانت اللذة فاذا يكون أحقر من هذه اللذة لانها مع ما تظهر تتغيب بعد ظهورها وتهرب قبل ان تضبط فان ذكرت لذة أجسامنا ان ذكرت لذة تنعمنا ان قلت لذة أموالنا فليست تكف عن ان تشيخ كل يوم فاذا كانت عقوبة وتعذيبا فما الذى يكون أشقى من الذين يستعملونها فاذا عرفنا هذه الاقوال فلنصبرن من أجل الفضيلة على سائر العوارض فاننا على هذه الجهة نستمتع باللذة الصادقة بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفه الذى له المجد مع أبيه وروح قدسه الى أباد الدهور كلها آمين

المقالة السابعة والثلاثون

فى قوله ٦ قال له يسوع أتشاء ان تصير معافى ٧ فاجابه المريض نعم ياسيدى لست استصحب انسانا لكيما اذا تحرك الماء يلقينى فى البركة

ان الفائدة من الكتب الالهية لعظيمة والمنفعة منها كافية جسيمة وهذا فقد بينه بولس اذ قال ان كل الاقوال التى تقدمت كتابتها انما قدم تسطيرها لوعظنا وتنبيهنا الذين قد انتهت الينا غايات الدهور لنمتلك الرجاء بصبرنا وتعزية الكتب (رومية ص ١٥ ع ٤) و بيان ذلك ان الاقاويل الالهية هى ذخيرة أدوية مختلفة اضافها فان احتاج أحدنا ان يطفى تعظمه ان أثر

ان يهدى شهوته ان شاء ان يتواطأ عشق الاموال ان أراد ان يعرض عن
وجهه ان ارتاد ان يستمد سر وراو يخترع له صبرا فانه يجد فى الكتب
الالهيه سبب هذه الفوائد كلها كثيرا جدا الان من ذا يكون اما من
المصارعين فقراطو يلا واما من المثابتين سقما صعبا ليس يستمد تسلية
كثيرة اذا قراء هذا الخبر المذكور عن هذا الرجل الذى لبث مخلعا ثمانية
وثلاثين سنة وهو يبصر فى كل سنة أناسا آخرين مخلصين من سقمهم ويرى
ذاته مربوطا بسقمه فما آيس على هذا الحال ولا انسحب الى القنوط على
ان ايس اكتئابه فى السنين الماضيه فقط لكن زوال تأميله الشفاء فى
السنين المستأنفة قد كان كافيا ان يطيل عليه ضنكه اسمع كلامه
واعرف جسامة ندبه لان المسيح اذ قال له اتشاء ان تصير معافى قال نعم
ياسيدى الا اننى لست استصحب انسانا لكيما اذا اختبط الماء يلقينى فى البركة
فما الذى يكون أحق بالترثى من هذه الالفاظ ما الذى هو أولى بالتحنن
من هذه الاحوال أرأيت قلبا متحطما من تلقاء سقم طويل أعرفت كافة
تلهبه منقبضا لانه ما نطق بلفظ مجدف نظير ما نسمع أكثر الناس يقولونه فى
نوائبهم ولا لعن يومه ولا استصعب السؤال ولا قال انك جئت تجعلنى مستهزئا
اذ تسألنى ان كنت أشاء ان أصير معافى لكنه قال بوداعة ودعة كثيرة نعم
ياسيدى على انه ما عرف من هو سائله ولا شعر انه قد اعتزم ان يشفيه لكنه
وصف أحواله كلها بدعة وما طلب شيأ أكثر فكانت حاله حال من يخاطب
طبيبه مريدا أن يصف له مرضه فقط لانه لعله توقع ان المسيح ينفعه فى هذا
الفعل وهو أن يلقيه فى الماء ويريد أن يستجذبه الى ذلك بالفاظه هذه
لكن المسيح قال له انهض احمل سريرك واذهب الى منزلك وقد يظن
ظانون ان هذا هو المذكور فى بشارة متى لكنه ليس هو ذاك وهذا فهو
واضح من جهات كثيرة أولها أقفار هذا ممن يقف لديه لان ذاك استصحب

كثيرين مهتمين به وهـذا فلم يمتلك ولا واحدا ولذلك قال الا انى است
أستصحب انسانا ثم من جوابه لان ذاك ما تكلم كلاما وهـذا فوصف
أحواله كلها وثالثها فى الوقت والزمان لان هذا أشفاه فى العيـد وفى يوم
السبت وذاك أبراه فى يوم آخر والمكان مختلف لكليهـما لان ذاك شفى
فى منزل وهـذا شفى عنـد البركة وحال شفائهـما مبتدل لانه قال هنالك
يا ولدى قد تركت لك خطاياك وههنا شدّد جسده أولا وبعد ذلك اهتم
بنفسه وهنالك وهب صفحا لانه قال قد تركت لك خطاياك وههنا أورد
تنبيها ووعيدا صائنا اياه فيما يستأنف لانه قال له قد عوفيت فلا تخطئن
أيضا لئلا يكون لك عارض أشر من هذا وأيضا ان شكوى اليهود مختلفة
لانهم أوردوا ههنا عمل السبت وهنالك شكوا منه تجديفا وتأمل أنت
افراط حكمة الهنا لانه ما أنهضـه فى الحين لكنه بسؤاله اياه أولا
اختص به مطرقا لتصـديقه اياه فى المستأنف وما أنهضه أيضا فقط لكن
أمره أن يحمل سريره حتى تصـدق العجيبة الكائنة ولا يظن ظان أن الحادث
كونه خيالا أو مرآة لانه لو لم تتشدد فيه أعضاؤه تشدّدا حقيقا جدا لما كان
أمكنه أن يحـمل سريره والمسيح قد فعل هـذا الفعل دفعـات كثيرة مبكما
المريدين أن يتوقعوا من تكاثر ايضاح آياته لانه فى تكثيره الخبز لكيلا
يقول قائل انهـم شبعوا على بسـيط ذات الشبع وان الحادث كان خيالا
ابتـدع أن يبقى من الخبزات فضلات كثيرة وقال للابرص الذى نقاه اذهب
وأرى الكاهن ذاتك مخولا اياه برهانا بليغا لتطهـيره مطبقا مع ذلك
أفواه الوقاحـة من القائلين انه يضاد اشـتراع الله وقد عمل هذا العـمل فى
الخمر لانه ما أظهر الخمر على بسيط ذات اظهاره لكنه أوعز بتقديمه
الى رئيس خزانة العرس حتى يوزعه للشهادة خائبة من أن تكون متهمة ممن
لم يعرف ما جرى معترفا بجوده لان لهذا الغرض قال البشير ان صاحب

خزانة العرس لم يعرف من أين كان الخمر مظهر الفظ شهادته الخائب من
المحابات ولما أقام فى موضع آخر ميتا قال أعطوه يا كل جاءلا ذلك علامة
دالة على قيامته البليغ صدقها محققا بهذه الاقوال كلها عند الزائل فهمهم
انه ما كان خادعا ولا مخيلا لكنه انما جاء لاجل خلاص الطبيعة العامة
للناس كلهم فان قلت فلم ما طالب هذا المقعد بتصديق وايمان كما فعل بغيره
قائلا أتؤمن أنى اقتدر ان أعمل هذا أجبتك لان هذا الرجل ما كان عرفه
معرفة واضحة من كان لانه يستبين عاملا هذا العمل قبل عجائبه لكن
بعدها لان الذين أبصر واقدرته فى آخرين غيرهم سمعوا منه هذا القول
على جهة الواجب والذين ما كانوا قد عرفوه بعد لكنهم توقعوا أن يعرفوه
من آياته طولبوا بالايمان به بعد عجائبه الكائنة فيهم ولهذا السبب
قال متى فى ابتداء بشارته انه شفى كثيرين وما قال لواحد منهم أتؤمن أنى
أقتدر أن أعمل هذه الآية وانظر أنت على هذه الجهة الى أمانة هذا المخلع
لانه لما سمع احمل سريرك واذهب الى بيتك ما ضحك عليه ولا قال هذا
القول يحدر ملاك ليحرك الماء و يشفى واحدا فقط وأنت موجود
انسانا فمن أمر ساذج ولفظة واحدة تؤمل انك تقتدر أعظم من اقتدار الملائكة
هذه الاقوال صلف وتعظم وضحك الا أنه ما قال لفظة واحدة من هذه
الالفاظ ولا أخطرها بوهمه لكنه مع ما سمع نهض وصار معافى وما خالف
الموعز اليه لانه فى الحين شفى وحمل سريره ومشى والذى كان منه بعد
ذلك فكان أعظم من هذا بكثير لان قبوله ما أوعز اليه فى الابتداء اذ لم يكن
له مغيث يغيثه لم يكن فعلا مستعجبا بل لما أحاطت به اليهود من كل جهة
اشتد جنونهم ولاموه وحاصروه وقالوا له ليس يجوز لك أن تحمل سريرك
لان اليهود قالوا للمشفى يوم السبت هو وليس يجوز لك أن تحمل سريرك فلم
يصغ الى جنونهم لكنه نادى بالمحسن اليه فى وسط محفلهم بمجاهرة كثيرة

وابكم

وأبكم لسانهم الوقاح أقول أنا ان فعله هذا فعل شجاعة كثيرة لان البشير
قال انه كان فى ذلك اليوم سبت اليهود واذ قالوا له يوم السبت هو ليس
يجوز لك أن تحمل سريرك اسمع ما قال لهم ان الذى صيرنى معافى هو قال لى
احمل سريرك وامش فقارب أن يقول لهم قد اشتمل الهذيان والصرع
عليكم اذ تأمروننى أن لا أحتسب من أراحنى من مرض طويل المدى مستصعب
المراس معلما ولا أطيع جميع ما يأمرنى به على انه لو كان أراد أن يسئ
فعله كان ممكنا أن يقول قولا غير هذا كقولك انى لست أعمل هذا العمل
طائعا فان كان فعلى هذا زللا فانسبوا الزلل الى من أمرنى به وأنا أحط
السرير وكان قد ستر الشفاء لانه علم علما يقينا انهم ما استمضوا حل السبت
بهذه مثل ما استصعبوا تلافى سقمه وازالته الا أنه ما ستر الشفاء ولا ذلك
القول ولا سألهم عفوا لكنه بصوت بهى أقر بالاحسان الواصل اليه
ونادى به فالمخلع هذا العزم كان عزمه وأولئك فتأمل كيف كلامهم
بأوفر المكر لانهم ما قالوا له من الذى صيرك معافى لكنهم صمتوا عن
هذا القول وساقوا الى الوسط الفعل المظنون عندهم فوق وأسفل انه معصية
وقالوا ١٢ من هو الذى قال لك احمل سريرك وامش ولعمرى ١٣ أن المشفى
ما عرف من هو لان يسوع اذ كان فى المكان جوع انعطف بينهم
ماضيا فان قلت وما هو غرض المسيح فى انه أخفى ذاته أجبتك أولا لكى
اذا غاب تصير الشهادة خائبة من أن تكون متهمة لان من قد اتخذ حسا
بعافيته فقد صار شاهدا بالاحسان الواصل اليه مؤهلا للتصديق ثم حتى
لا يجعل غضبهم يتوقد عليه أكثر توقد لان وجه المحسود وحسده من عادته أن
يوجج فى المحسودين نارا ليست قليلة لهذا الغرض انصرف وترك الفعل
بعينه متصرفا عندهم على انفراده وحتى لا يقول هو أيضا عن ذاته قولا لكن
يكون أولئك الذين يصنعون فعله و يصفه مع أولئك الذين يشكونه

باعيانهم لان هؤلاء يشهدون على كل حال لعجيبته لانهم ماقالوا له لم أمرت أن تصير هذه الافعال فى يوم السبت لكنهم قالوا لم تعمل هذا العمل فى يوم السبت ليس مستعجبين مخالفته الشريعة لكن حاسدين خلاص المخلع على أن العمل الذى عمله المخلع اذ حمل سريره هذا كان أليق به أن ينسب الى عمل انسانى وذاك العجز فكان كلاما والفاظا فقط فههنا أمر أن يحل ليست بنحو آخر وفى غير هذا الموضع يعمل هو هذا العمل بذاته ليس بغيره اذ عجن طينا وطلى به عينى الضرير فهو يعمل هذه الاعمال ليس مخالفا للشريعة لكنه ظافر فوق الشريعة و يعمل أكثر من هذه الاعمال أخيرا الا انه ليس يحتج لهم فى كل مكان اذا شكوا منه حل السبت احتجاجا متشابها وهم يرونه يحفظه حفظا بليغا

العظة السابعة والثلاثون

(فى أن الحسد هو أشر من كل الخطايا) فينبغى لنا الآن أن نبصر الحسد وكفى به داء رديئا وكيف يعمى ألحاظ نفس من قد استحوذ عليه عن خلاصه وكما ان المجانين فى أكثر أوقاتهم يدفعون السيوف على ذواتهم فكذلك الحاسدون يبصرون غرضا واحدا فقط وهو غم المحسودين ويوجعهم خلاصهم كثيرا فهؤلاء أشر من الوحش . لانها اذا احتاجت الى طعامها أو اذا اغظناها تندرع علاحها علينا وهؤلاء الحاسدون اذا أحسنا اليهم فى أكثر أوقاتنا أنزلوا الذين أحسنوا اليهم فى منزلة الذين ظلموهم فهم أردأ من الوحوش بل هم أيضا يعادلون الشياطين ويساوونهم ولعلهم أشر من الشياطين لان الشياطين يخترعون لنا حروبا مسلوبة صلحا يسكنها وليس من شأنهم اغتيال على الذين يواخونهم فى جنسهم فمن هذه الجهة أبكم المسيح اليهود لما قالوا انه ببعلزبول يخرج الشياطين فهؤلاء الحساد ماقد استلذوا شركة الطبيعة

ولاقد

ولا قد شفقوا على ذواتهم لانهم يعاقبون أنفسهم قبل أن يعذبوا المحسودين
منهم اذ يوعبون أنفسهم كل ارتجاف واكتئاب باطلا وأنا أخاطب أحدهم
لم تتوجع يا انسان لحظوظ قريبك المستحسنة لان واجبا علينا أن نتوجع
للنوائب المكروهة التى نقاسيها ولا نتوجع للحظوظ التى نرى غيرنا متوفقين
فيها لهذا السبب تعدم هذه الخطيئه كل عفو لان الزانى يتجه له ان
يذكر شهواته احتجاجا والسارق يحتج بفقره وقاتل الناس يورد غيظه
وغضبه على ان هذه كلها حجج باردة خائبة من قياس ومع ذلك فان
هؤلاء يمتلكون حججا يوردونها فانت ايها الحسود قل لى أية حجة
تذكرها وليست لك فى جهة من الجهات ولا حجة واحدة توردها
ما خلا خبثا متصلا متماديا وحده لاننا ان كنا قد أمرنا ان نحب اعداءنا
فاذا مقتنا اخوتنا والذين يحبوننا فاية عقوبة لا نتكبدها ولئن كان من
يحب الذين يحبونه ليس يفعل فعلا أفضل من فعل الاميين فمن يؤذى الذين
لم يؤذوه ولم يظلموه أى عفو يحصل له وأى سلوان اسمع بولس ماذا يقول ان
بذلت جسدى للحريق ولم امتلك حبا فلست أستفيد نفعا (قرنثيه
أولى ص ١٣ ع ٣) والدليل على انه أينما كان الحسد تبطل افعال
الحب فلذلك واضح من سائر الجهات فداء الحسد أشر من الزنا والفسق
لان داء الزنا يقف عند عامله وأما الحسد فقد أقلب كنائس بجملة أهلها
ودنس المسكونة كلها هذا الحسد هو ام القتل على هذه الجهة قتل
قائين أخاه على هذه الطريقة اشتد غضب العيس على يعقوب أخيه على
هذا الحال باعوا يوسف اخوته على هذا النحو قتل الناس ابليس المحال
لكنك تقول الآن انك ما تقتل أحدا الا انك تعمل اعمالا كثيرة اصعب
من القتل اذا دعيت على أخيك ان يفتضح اذا اضمرت له ضميرا سوء
اذا وضعت له اراجيف من سائر الجهات اذا حللت اتعابه من أجل الفضيلة

وتوجعت منه لانه يرضى سيد المسكونة فلست تحارب ذاك لكنك
تحارب الاله الذى يخدمه ذاك و يرضيه لانك ما تسب ذاك اذا فضلت
تكريمك على تكريم ذاك وما هو اصعب من هذه الاصناف كلها
انك تظن ان هذه الخطيئة هينة مهملة قد زال البحث عنها على انها اصعب
الخطايا واشدها لانك وان كنت رحوما ان كنت سهارا ان كنت
صواما ان كنت مصليا فستكون انجس من الاشياء النجسة كلها اذا
كنت حسودا لاخيك ورفيقك وهذا المعنى فواضح من تلك الجهة وذلك
انه زنى واحد من الناس فى وقت من الاوقات عند أهل مدينة قرنثيه الا انه
شفى وانصلح سريعا وحسد قائين هابيل الا انه ما شفى ولا انصلح لكنه
اذ كان الله يداوى قرحته بمداومة ورمت أكثر وتموجت المادة
فيها وسارع الى القتل فهذا داء الحسد على هذا المثال أصعب من داء
الزناء وليس ينقاد الى المداواة بسهولة اذا لم نتيقظ نحاربه فسبيلنا
ان نقتلعه من كافة جهاته ونجتز أصوله مفكرين فى ذلك المعنى اننا على
حذو ما نصادم الله اذا ذنبنا حسد الحظوظ غيرنا المستحسنة على حذو ذلك نوفق
اذا سررنا بمن قد أحكم المحامد الحسنة وفرحنا لمن قد أنجح فى أى الفضائل
كانت ونصير ذواتنا شركاه فى الخيرات المخزونة له ولهذا السبب أمرنا
بولس ان نسر مع المسرورين ونبكى مع الباكين لننتفع من كلا الجهتين
فائدة عظيمة ونتفطن اننا وان لم نتعب وفرحنا مع المتعوب واستلذذنا
فعله سنكون مقاسميه فى أكاليله فلنقتلع منا كل حسد ولنغرس الحب
فى نفوسنا حتى نجتمع فى جملة الموفقين ويتفق لنا امتلاك النعم
الصالحة الحاضرة والمستأنفة بنعمة ربنا يسوع المسيح
وتعطفه الذى له المجد مع أبيه وروح
قدسه الى آباد الدهور كلها آمين

المقالة

المقـــــالة الثامنة والثلاثون

فى قوله ٤ ١ بعد هذه وجده يسوع فى الهيكل فقال له انظر انك قـــد صرت معافى فلا تخطئ أيضا لئلا يتكون فيك عارض أشر من هذا

ان الخطيئـة الردئة صعبة وهى فساد لنفسنا وطالما لامست من تلقاء رزياتها وكثرتها أجسامنا أيضا فافاضت عليها الامراض الردئة ولعـمرى اننا من عادتنا اذا مرضت نفسنا أمراضا كثيرة نعرض لها ما نتوجع لذلك ولا يغمنا واذا مرض لجسمنا ضرر يسير نبذل كافـة حرصنا حتى نعتقه من مرضه فلهذا السبب يعاقب الله جسدنا فى بعض الاوقات من أجـل الخطايا التى تجترمها نفسنا حتى بضربة الادنى بسـباط الاوجاع يستمد الافضل الشفاء فعلى هذه الطريقـة تلافى بولس حال الذى زنى عند أهـل مدينة قرنثيه لما ضبط سقم نفسـه بهلاك جسمه وضناه وأورد البطء الى جسمه فعلى هذه الجهة فع الداء الردى بمنزلة طبيب فاضل يكوى داء الاستسقاء أو وجع الطحال من خارج ما يحتاج ان يداويه بالادوية من داخل هذا العمل عمله المسيح بالمخلع وبين له ذلك فقال انظر قد صرت معافى فلا تخطئن أيضا لكيلا يتكون لك عارض أشر من هـذا فان قلت فما الذى نتعلمه نحن من هـذه المداواة أجبتك أولا نتعـلم ان المرض يتولد من خطايانا وثانيا نوقن ان ذكر جهنم صادق وان تعذيبها يوجد طويلا قد عدم ان يكون مخبورا لان أين هم الآن الذين يقولون اننى فى ساعة

واحدة فقط قتلت ولحظة يسيرة من وقت فسقت فاعاقب عقوبات عظيمة
عديمة ان تكون مائتة لان هاهو هذا المخلع ما أخطى في سنين هذا مبلغ
تقديرها فعوقب بمقدارها فقد أفنى عمر انسان كله في طول تعذيبه لان
الخطايا ليس يحكم في زمان افتعالها لكن من طبيعة اجترامها بعينها وبعد
هذا المعنى ينساغ لنا ان نبصر ذلك الغرض اننا ان كنا نقاسي عقوبة صعبة
من أجل خطايانا الاولى ثم نسقط فيها باعيانها فاولى والبق بنا ان
نتكبد عقوبة أصعب من تلك أيضا وذلك على جهة الواجب جدا لان
من لم يصر بالعقوبة التي قاساها أفضل مما كان فانه فاقد حسه ومتهاون
وسيساق الى عقوبة أعظم من تلك لذعا وذلك ان الخطيئة فيها كفاية ان
تقبض الزالق فيها دفعة واحدة وتجعله أكثر ترداعا فاذا كان يعمل
هذا الخطاء وما تنضاف اليه عقوبة فعلى جهة الواجب يحتاج الى
تعذيب أصعب وأمر مراسا فان كنا نقاسي عقوبة ثم اذا سقطنا في خطايانا
باعيانها نصابر تعاذيب مبرحة شديدة فاذا لم نعاقب بجهة من الجهات
ولبثنا في خطايانا باعيانها كيف ليس يجب علينا حينئذ ان نخاف ونرتعد
كثيرا جدا من طريق اننا نتوقع ان نتكبد تعاذيب شديدة تفوق طاقتنا
ولقائل ان يقول فلاى غرض ليس يعاقب كل الذين يخطئون على هذه
المقابلة لاننا نبصر كثيرين من الاشرار خصيبة اجسامهم كاملة
قوتهم مستمتعين بايام مملوءة من الرخاء كثيرا فنجيبه سبيلنا ان لا نطمئن
لكن فلنسكبن دموعنا على مثل هؤلاء خصوصا أكثر من جميع
الاشقياء لان مكثهم ان لا يقاسوا ههنا مكروها يصير لهم زاد التعذيب
أعظم لذعا هنالك وهذا المعنى فقد بينه بولس فقال اذا داننا
الآن ربنا فهو يؤدبنا لكيلا يوجب الحكم علينا مع العالم هنالك
(قرنثية أولى ص ١١ ع ٣٢) لان العقوبات والنوائب التي ههنا

هي

هى تنبيه ووعظ والتى هنالك عقوبة وعذاب ولعلك تقول فما
رأيك هل الامراض كلها من خطايا تتكون فاقول لك ليست كلها من خطايا
لكن أكثرها وبعضها يتكون من ونية أخرى وذلك ان شره بطننا وسكرنا
وبطالتنا فى طباعها ان تولد هذه الامراض وامثالها فيجب علينا فى كل مكان
ان نحفظ هذه المحبة الواحدة فقط وهى ان نحتمل كل ضرب من النوائب
بأخلاص شكرنا وأمراض أخرى تتولد لاجل خطايا على ما نبصر فى قصور
الملوك والرؤساء والاغنياء أناسا يستحوز عليهم النقرس (ملوك ٣ ص ١٥ ع
٢٣ الايام ٢ ص ١٦ ع ١٢) لاجل هذا السبب وتتكون أيضا
أمراض أخرى لاجل تهذيب على نحو ما قال الله لايوب أتظننى أنزلت بك
هذه النازلة لمعنى آخر الا لكى تستبين عدلا صديقا (أيوب ص ٤ ع ٣)
ويجوز ان يستخبر فما غرض المسيح فى انه أورد الى الوسط من الوصف خطايا هذين
المخلعين لانه قال لذاك المخلع المذكور عند متى واطمئن ياولدى فقد تركت
لك خطاياك (متى ص ٩ ع ٢) وقال لهذا ابصر قد صرت معافى
فلا تخطئن أيضا وقد عرفت انا ان أناسا يثلبون هذا المخلع قائلين انه صار
ثالبا للمسيح ولذلك سمع هذه الاقوال فما الذى يقولونه فى ذاك المخلع
المذكور عند متى السامع هذه الاقوال باعيانها الا انه قد قال لذلك قد غفرت لك
خطاياك فنقول انه واضح من هذه الجهة ان ولا هذا المخلع سمع هذه الاقوال
لاجل هذا السبب وهذا المعنى فقد يتهيأ لنا ان نعرفه من جهة أخرى أبين
معرفة لان البشير قال انه بعد ذلك وجده يسوع فى الهيكل وهذا فهو
علامة لتحوبه العظيم وتورعه الجسيم لانه ما توجه الى الاسواق ومساعى المشى
ولا بذل ذاته لتنعم وراحة لكنه اقام فى الهيكل على انه قد توقع ان يقاسى
مبادرة اليهود اليه الجزيل تقديرها وانهم كلهم سيطردونه من هنالك الا انه
ولا صنف من هذه الاصناف استماله الى الانتزاح عن الهيكل فلما وجده

المسيح ماذكره بعد مخاطبته اليهود قولا هذا معناه فلو كان شاء ان يشكو منه
هذا القدكان قال له اغارس أيضا اعمالك باعيانها او ماقد صرت بالشفاء أفضل مما
كنت لكنه ماقال له لفظة من هذه الالفاظ لكنه احتاط عليه فيما يستأنف
فقط وماغرضه فى انه شفى عرجانا وزمنا وماذكرلهم بجهة من الجهات خطاياهم
فعلى حسب ظنى ان الامراض تكونت لهذين المخلعين من خطاياهما
وتولدت لاولئك السقماء الآخرين من مرض طبيعى ولو لم يكن هذا هو السبب
لكان قد خاطب المرضى الآخرين بهذه الاقوال وبالاقوال التى قيلت معهما
لانه لما كان هذا السقم أصعب الاسقام الاخرى كلها فهو يتلافى أدنى الامراض
باعظمها لانه كما ابرأ انسانا آخر ووصاه ان يعطى لله مجدا وما وصى ذلك وحده
بهذه التوصية لكنه وصى بذلك كل الناس ويشير عليهم بهذه الالفاظ التى
قيلت ومع هذه الاقوال ينساغ لنا ان نقول ذلك القول انه عرف ان فى نفس
ذلك صبرا كثيرا فوصاه وحاله عنده حال قادر ان يحفظ توصيته ويقبلها
وضبطه فى حال صحته باحسانه اليه وبالخوف من البلايا المنتظرة وأبصر لفظ
سيدنا الخالى من التبذخ لانه ماقال له ها قد صيرتك معافى لكنه قال له ابصر
قد صرت معافى فلا تخطئن أيضا وأيضا فاقال له لكيلا أعاقبك لكنه قال
لكيلا يتكون لك مرض أشر من هذا فوضع اللفظين كليهما خائبين من
وجه موضحا ان العافية موجودة من نعمته هو أكثر من أن تكون واجبة
كذلك لانه ما حكم له لانك أديت الواجب الذى كان عليك وتخلصت من طائلة
المقابلة لكنه أوضح له انه انما خلص بتعطفه عليه والا فلو كان ليس هذا
الرأى رأيه لكان قد قال له ها قد أديت طائلة كافية لما اجترمته من خطاياك
احترس فيما بعد فالآن ماقال له هذا القول لكنه قال له ابصر قد صرت معافى
فلا تخطئن أيضا فينبغى ان نقول هذه الالفاظ لانفسنا اذا عوفينا وتخلصنا
من أمراضنا فليقل كل واحد منا لذاته هذا القول ابصر قد صرت معافى
فلا

فلا تخطئن أيضا فاذا لم ندر الطائلة ونكون ثابتين فى خطايانا باعثه اذا فينبغى
ان نرقى أنفسنا بقول الرسول ان عزم الله الصالح يقتادنا الى التوبة بامهاله
علينا ونحن على حذو قساوتنا وقلبنا الفاقد ان يكون تائبا ندخر لذواتنا سخطا
(روميه ص ٣ ع ٥) وما جاد ربنا على المخلع بتشديد جسمه فقط لكنه خوله مع
ذلك من جهة أخرى دلالة عظيمة على لاهوته لان قوله له لا تخطئن أيضا أظهر له
انه عارف الهفوات كلها التى اجترمها سالفا فمن هذه الجهة أوجب ان يكون
عنده فى العوارض المستأنفة مؤهلا لتصديقه (١٥) ومضى الانسان
وأخبر اليهود ان يسوع هو الذى صيره معافى وانظر اليه أيضا ثابتا فى حسن
حفاظه بعينه لانه ما قال ان يسوع هو قال لى احمل سريرك لان أولئك
أصدروا دائما فعله المظنون عندهم زللا وهو فاورد الاحتجاج
دائما بفعل المخلع أيضا طبيبه ظاهرا مجتهدا ان يستجذب الاخرين الى
الاختصاص به لانه ما كان بهذه الصورة فاقدا حسه حتى انه بعد
احسان جزيل تقديره وتنبيه شائع نفعه يدفع المحسن اليه الى أولئك
و يقول هذا القول بعزم ردى فعله لانه لو كان وحشا ولو كان واحدا
خاليا من الانسانية حجريا جدا لقد كان الاحسان اليه والخوف أيضا
مما نبه عليه فيهما كفاية ان يضبطاه لانه امتلك التهويل عليه عربونا
فكان قد خشى ان لا يصيبه مصاب أشر من ذلك لانه حصل عرابين عظيمة
لقدرة طبيبه ولمعنى آخر انه لو كان شاء ان يثلب سيدنا لقد كان صمت
عن ذكر عافيته وكان قد ذكر مخالفته الشريعة وثلبه لكن ليس
هذا الظن به صادقا ولا هو جائزا لكن الفاظه الفاظ مجاهرة كثيرة
ومحافظة وقد نادى بالمحسن اليه ليس بدون مناداة الاعمى به لان
ذاك الاعمى قال صنع طينا وطلى عينى وعلى هذا المعنى أيضا قال هذا
المخلع يسوع هو الذى صيرنى معافى (١٦) فطردته اليهود لانه عمل

هذه الاعمال في يوم السبت وطلبوه ان يقتلوه فان سألت عما قاله المسيح لهم أجبتك قال (١٧) أبي الى الآن يعمل وأنا أعمل لانه حين وجب ان يحتج من تلاميذه أورد الى وسط كلامه داود الذي يواخيهم في العبودية اذ قال اما قرأتم ما عمله داود حين جاع واذا اعتذر عن ذاته التجأ الى أبيه يريهم من سائر الجهات معادلته له بقوله انه أبوه خصوصا وبافتعاله أفعال أبيه باعيانها فان قلت فلم ما ذكر لهم أفعالهم الكائنة في السبت حول مدينة أريحا أجبتك انه شاء ان يعليهم من الارض لكيلا ينظروا اليه كنظرهم الى انسان لكن كنظرهم الى اله يجب له ان يشترع شرائع فان لم يكن قد كان لله ابنا خالصا ومن طبيعته بعينها فسيوجد احتجاجه أعظم ثلباله لان متى ما أحال وزير شريعة ملكه ثم شكى منه ذلك فاحتج بهذا الاحتجاج وقال انه حلها الان الملك قد حلها ليس يمكنه ان ينفلت من الفضيحة عليه لكنه بهذا الاحتجاج يجعل زلله اعظم قرفا لكن اذا كانت أفعاله المرتبة متعادلة بالسواء فتمم أقوال احتجاجه بكافة الاستيثاق كانه قال الجنايات التي قد أطلقتم الله منها أطلقوني أنا أيضا منها باعيانها فلهذا المعنى قدم قوله فقال أبي لكي يحقق عندهم ان يطلقوه من هذه الجنايات كلها كارهين محتشمين اتفاقه الخالص البليغ مع أبيه فان قال قائل وأين يعمل أبوه اذ قد استراح في اليوم السابع من سائر أعماله فليعرف الجهة التي يعمل فيها فان قال وما هي جهة عمله أجبته هي انه يعتني ببرياه المكونة كلها ويحفظها اذا رأيته مشرقا شمسه وتاملت قمره طالعا وبحيراته وعيونه وانهاره وامطاره جارية وسعي الطبيعة في الزروع والبزور وفي أجسامنا وفي أجسام البهائم وافعاله الاخرى كلها التي بها انتظم كل هذا اعرف عمل أبيه الدائم لانه يشرق شمسه على الاشرار والاخيار ويمطر على

الصديقين والظالمين (متى ص ٥ ع ٤٥) وقد قال ان كل حشيش الحقل الذى يكون اليوم موجودا وغدا فى النار مطروحا قد وشحه الله فى هذه الزينة (متى ص ٦ ع ٣٠) واذ تكلم فى ذكر الطيور قال أبوكم السموى يغذيها فههنا أوضح أيضا عملا فى يوم السبت وأبان لهم بالفاظه كل ما اعتمده وما زاد فعلا أكثر وحل الجنايات حلا من أعمالهم الكائنة فى الهيكل ومن الاعمال التى يعملونها هم وفى الجهة التى يكون فى السبت قد عمل كقولك انه أوعز بحمل السرير فما تم فى ذلك فعلا عظيما الا هذا الفعل الواحد فقط وهو ايضاحه حل السبت ايضاحا بينا فاصعد كلامه الى أعظم منزلة والبق ما يقال انه لا يشاره ان يريع أولئك من رتبة أبيه وان يصاعدهم الى أعلى الاوهام فيه ولهذا السبب اذ كان كلامه فى ذكر السبت فليس يحتج من جهة انه انسان فقط ولا من جهة انه اله فقط لكنه يحتج احيانا على هذه الجهة واحيانا على تلك الجهة لانه يشاء ان يصدق المعنيان كلاهما معنى تحدر تدبيره ومعنى رتبة لاهوته لهذا الغرض يحتج الآن من جهة ما هو اله لانه لو اعتزم دائما ان يخاطبهم من الاقوال الانسانية فقط لثبتوا اذا فى مذلتهم بعينها فلذلك لكيلا يكون ذلك يقتاد أباه الى الوسط على ان الخليقة تعمل فى كل يوم سبت لان الشمس فيه تحاضر والانهار تجرى والعيون تفور وتنبع والغمام يلدن ولكن لكى تعلم انه ليس هو من الخليقة ما قال نعم أنا أعمل لان الخليقة تعمل لكنه قال نعم أعمل لان ابى يعمل لهذا المعنى قال البشير (١٨) ان اليهود التمسوا بأوفر حرصهم ان يقتلوه ليس لانه قد حل السبت فقط لكن لانه دعا الله مع ذلك أباه جاعلا ذاته عديلا لله وما قال قائل عن ذاته انه عديل لله لانه ما بين هذا من الفاظه وحدها لكنه بالافعال أوضح ذلك ايضاحا متواترا وان قلت

وماغرضه فى ذلك أجبتك لان ايضاحه ذلك من أقواله ينساغ لهم ان يذموه
فيها ويشككونه بتعظم وصلف واذا بصروا صدق أفعاله نافذا الى غايته
وعاينوا قدرته تنادى بها بافعاله لن يشككهم فيما بعد ان يرادده الاان
الذين ما يريدون ان يقتبلوا هذه الاقوال بحسن محافظة قالوا ان ليس المسيح
جعل ذاته عديلا لله لكن اليهود توهموا هذا التوهم فسبيلنا اذا ان
نشرح الالفاظ التى قيلت من أعلى المعنى ونسأل المعترض هل طردوه اليهود
أو لم يطردوه فواضح من سائر الجهات انهم طردوه ونستخبر أيضا من
أجل هذا طردوه ام لاجل قول آخر وهذا فقد اقررتم به انهم لاجل
هذا طردوه وهل حل السبت أو ما حله وهذا فلن يتجه لاحد ان يرادنا
فيه ادعا الله أبا له أو ما دعاه وهذا قول صادق بالافعال والاقوال التى
تتلوه هذه ينساغ لكم ان تجربها هذا المجرى بعينه لانه على نحو ما دعا
الله أبا له وحل السبت وطردوه اليهود لاجل ذلك الغرض ولاجل هذا
أكثر وما كان ذلك من ظن كاذب لكن من فعل كاذب فكذلك
تصيره ذاته عديلا لله كان تحقيقا لهذا العزم بعينه وهذا المعنى من الاقوال
التى قيلت فيما سلف يتجه لنا ان نعرفه أوضح معرفة لان قوله أبى يعمل
وانا أعمل هو قول جاعل ذاته عديلا لله لانه ما أعطى فى هذه الاقوال
ولا فصلا واحدا لانه ما قال ان ذلك يعمل وأنا أخدمه لكنه قال مثل
ما يعمل ذلك وأنا أعمل فاظهر مساواة كثيرة فلو كان ما أراده وان
يصلح هذا المعنى لكن اليهود توهموا هذا توهما باطلا لما كان أهمل
تمييزهم متمسكا فى الغلط بل كان قد تلافاه واصلحه ولا كان البشير
أيضا قد صمت عن ذلك بل كان قد قال قولا ظاهرا ان اليهود توهموا هذا
التوهم وهو فاصير ذاته عديلا لله على حذو ما عمل فى موضع آخر هذا العمل
بعينه اذا بصر ما قاله مفعولا على معنى آخر ومترجما على معنى غيره كقوله قال

المسيح

المسيح حلوا هذا الهيكل وأنا أقيمه فى ثلاثة أيام وقال هذا عن
جسده لكن اليهود الذين فهموا هذا القول بل توهموا انه قال عن
الهيكل اليهودى وقالوا فى ستة وأربعين سنة بنى هذا الهيكل أفتقيمه
أنت فى ثلاثة أيام فاذا قال هو معنى وتوهم أولئك معنى غيره لانه هو
قال هذا القول فى ذكر جسده وأولئك توهموا ان القول قد قيل فى وصف
هيكلهم دل البشير على هذا وأصلح توهمهم وقال مستثنيا بهذا اللفظ
ان ذاك قال هذا فى ذكر هيكل جسده فمن هذه الجهة لو كان المسيح ما صير
ذاته ههنا عديلا لله ولا أراد ان يبين هذا المعنى بل اليهود توهموا ذلك
لكان البشير تلافى ظنهم ههنا وقال ان اليهود ظنوا انه يجعل ذاته عديلا لله
وذاك فيما قال من أجل معادلته لله وذلك ان البشير ما عمل هذا العمل فقط
هو وحده لكن بشيرا آخر يستبين فى معنى آخر عاملا هذا العمل بعينه
أيضا لان ربنا حين قال لتلاميذه احترصوا من خميرة الفرسيين والزنادقة
(متى ص ١٦ ع ٣) افتكر أولئك قائلين انهم ما أخذوا معهم خبزا فذكر هو
معنى ذلك لانه سمى تعليم الفريسيين خميرة وتوهم تلاميذه معنى آخر انه
يقول لهم ذلك من أجل الخبز فتلافى أيضا ظنهم هذا ليس البشير لكن المسيح
بعينه أصلح ذلك اذ قال هذا القول أما قد فطنتم بعد ولا فهمتم اننى ما قلت من
أجل خبز وهم فافهموا معنى القول لانه لم يقل قول مبطل لهذا استثنى
بقوله أيضا (١٩) ليس يقدر الابن ان يعمل من ذاته ولا شيأ فقد عمل بانسان
بخلاف قولك لانه ما قال هذا القول مبطلا للمعادلة لكنه قال ذلك مشددا
معادلته لله أبيه لكن تفطنوا أيها السامعون تفطنا بليغا فان المطلوب ليس
هو حقيرا لان هذا القول وهو ليس يقدر من ذاته موضوع فى جهات كثيرة
من الكتاب فيه وفى الروح القدس و ينبغى لكم ان تعرفوا قوة هذه
اللفظة لكيلا تغلطوا وتخطؤا خطايا عظيمة لان لفظة ليس يقدران فهمها

أحدكم على انفرادها على هذا النحو وهو نحو ما تيسر له فهمها فتامل الشناعة التى تتبع ذلك ما أعظمها الا انه ما قال انه يقدر ان يعمل من ذاته أفعالا وليس يقدر ان يعمل من ذاته أعمالا لكنه قال بسلب كلى ليس يقدر الابن ان يعمل من ذاته ولا شيأ فانا أسأل من يعاندنى قل لى أما يقدر الابن ان يعمل من ذاته ولا شيأ فان قال انه ليس يعمل شيأ أقول له لعمرى انه قد عمل من ذاته أعظم الاعمال الصالحة وقد هتف بولس مذ يعاذلك قائلا ان الموجود فى صورة الله ما احتسب وجوده عديلا لله حظا مختلسا لكنه أخلى ذاته اذ أخذ صورة عبد (فيلوبوسيوس ص ٢ ع ٦ و ٧) وقد قال هو أيضا أنا أمتلك سلطانا أن أبذل نفسى وأمتلك سلطانا ان أخذها وليس يأخذها أحد منى بل أنا أبذلها من ذاتى (يوحنا ص ١٠ ع ١٨ و ١٩) أرأيته مالكا سلطان الموت والحيوة عاملا من ذاته سياسة هذا المقدار مقدارها وما معنى كلامى فى وصف المسيح نحن الذين مايكون شئ أحقر منا نعمل من ذواتنا أعمالا كثيرة فنختار من ذواتنا الرذيلة ومن ذواتنا أيضا نستعمل الفضيلة فان كنا ما نعمل من ذواتنا شيأ ولا قد حوينا سلطانا فانقاسى جهنم اذا أخطأنا ولا نستمتع بالملكوت اذا أحكمنا الصالحات أيضا فان سألت فما معنى قوله انه مايقدر أن يعمل من ذاته شيأ أجبتك معناه أنه مايقدر أن يعمل عملا ضدا لابيه ولا غريبا منه وهذا قول موضح معادلته اياه واتفاقه معه كثيرا جدا فان قلت فلم ما قال انه مايعمل عملا ضدا لابيه لكنه قال انه ما يقدر أجبتك لكى يوضح من هذه الجهة أيضا استقصاء المعادلة وزوال المخالفة لان لفظة ليس يقدر ما تصف ضعفه لكنها تبين مقدرته كثيرا اذ كان بولس قد قال فى مكان آخر فى وصف أبيه لكى بصنفين

بغتناص

بقناص حو واهما بهما يكون ممتنعا أن يكذب الله وقال أيضا ان أنكرناه فهو يلبث صادقا ومايقدر أن ينكر ذاته فليت لفظة ليس يقتدر دالة على ضعف لكنها لفظة مقدرة يعجز وصفها والذى يقوله معناه هوهذا ان ذلك الجوهر هو عديم أن يقتبل هذه العوارض وأمثالها على نحو ما اذا قلنا ليس يقدر الله أن يخطئ فلسنا نصفه بضعف يناسبه لكننا نعترف له بقدرة يعجز وصفها فعلى هذه الجهة اذا قال هو لست أقدر أنا أن أعمل من ذاتى ولا شيأ فانما يقول هذا القول ان ممتنعا هو على وغير ممكن أن أعمل عملا مضادا ولكى تعلم أن هذا هو معنى ما قيل نعرفه اذا تلونا ما يتبع ذلك وما هى الاقوال التى يحققها المسيح هل يحقق الاقوال التى نقولها نحن أم الظنون التى عندكم لانك أنت أيها المعترض تقول ان لفظة ليس يقدر تزيل سلطانه وحريته الواجبة له وتبين أن مقدرته ضعيفة وأنا أقول انها تظهر معادلته أباه وعدم مخالفته اياه وعزمه الكائن كانه من رأى وسلطان واحد وقدرة واحدة فسبيلنا أن نسأل المسيح ونعرف بالاقوال التى قالها تالية لهذه هل يترجم الاقوال التى تليت نحو ظنك أم نحو ظننا فقد قال لان الاعمال التى يعملها الاب يعملها أيضا الابن على مثال واحد أعرفت كيف أزال توهمك واقتلعه وحقق الاقوال التى قلناها نحن لانه ان كان من ذاته ليس يعمل عملا فسيكون ولا أبوه عاملا من ذاته عملا ان كان الابن يعمل أعماله كلها على مشابهة لابيه فان كان الاب يعمل من ذاته الاعمال كلها فسيكون الابن عاملا هذا العمل بعينه حتى يوفى قوله على مشابهة له والا فان لم يكن هذا هو المعنى فستتبع ذلك شناعة أخرى لانه ما قال انه عمل الاعمال التى أبصر الاب يعملها لكنه قال انه ليس يعمل عملا ان لم يبصر أباه يعمله مادا قوله مع الزمان كله فيكون على رأيكم دائما متعلما أعمالا واحدة بعينها أعرفت كيف يوجد المعنى عاليا وتذلل لفظه يلزم المتوقحين جدا وان لم يريدوا أن يهربوا من ذلك الجموح الى الاوهام

الارضية التي تضاد تلك الرتبة جدا لان من يكون بهذه الصورة شقيا منكود الحظ حتى أنه يقول ان الابن الازلي يتعلم كل يوم ما يحتاج أن يعمله وكيف يكون ذلك القول صادقا وهو وقول النبي أنت هو أنت وسنوك لا تفنى (مزمور ١٠١ ع ٢٨) وكيف يصدق أيضا القول ان البرايا كلها به تكونت وخلوا منه لم يصر شئ ان كانت الاعمال بعضها يعملها الاب وبعضها يشابهه الابن فيها اذا أبصره يعملها أرأيت من الاقوال التي قيلت فيما سلف ومن التي قيلت فيما بعد يستبين برهان السيادة وان كان يقدم ألفاظا من أقواله بأوفر تذلل فلا نستعجب ذلك لانهم لما طردوه حين سمعوا أقواله العاليه وظنوا أنه ضد الله تخافض قليلا بألفاظه ثم أعلى كلامه أيضا الى لفظ أعلى قدرا ثم أحدره أيضا الى ألفاظ أذل لفظا ملونا تعليمه حتى يصير سريعا اقتباله عند المكابرين الزائل حفاظهم أيضا وتأمل هذا المعنى قال أبي الى الآن يعمل وأنا أعمل وحكم انه عديل الله وقال أيضا ليس يقدر الابن أن يعمل من ذاته ولا شيأ ان لم يبصر الاب عاملا اياه ثم صاعد القول أيضا أعلى قدرا وقال لان الاعمال التي يعملها الاب هذه يعملها الابن على مشابهة له ثم حط قوله الى أذل لفظ أيضا وقال ٢٠ الاب يحب الابن ويريه كافة الاعمال التي يعملها ويريه أعظم من هذه أعرفت معنى لفظه الذليل أيضا على جهة الواجب لان ما أسلفت ذكره وانت أكف من أن أقوله هذا أقوله الآن انه متى ما قال لفظا ذليلا جانحا الى الاوهام الارضية وضعه بافراط في تأكيده لكي تستميل دناءة ألفاظه الزائل حفاظهم الى اقتبال معانيها بتمييز صحيح والا فان كان ليس هذا الغرض هو غرضه فتفطن كيف يكون ما قيل شنعا اذا رضيت ذلك من ألفاظه بأعيانها لانه اذ قال وسيريه أعمالا أعظم من هذه سيوجد لم يتعلم بعد أعمالا كثيرة وهذا القول فليس ينساغ أن يقال ولا في وصف رسله لانهم لما أخذوا نعمة

الروح فى دفعة واحدة عرفوا بغتة الاشياء كلها واقتدروا عليها والاعمال التى عرفوها هم فيجب أن يكونوا مقتدرين عليها وهذا الابن لم يتعلم بعد أعمالا كثيرة من التى كان يجب أن يعرفها وما الذى يكون أشنع من هذا القول فان قلت فما معنى ما قيل أجبتك انه لما شدد مخلصا واعتزم ان ينهض ميتا هذا المعنى قال ان كنتم استعجبتم اننى شددت مخلصا سترون أعظم من هذه الآيات الا انه ما قال هذا القول بل شرحه بلفظ آخر اذل قدرا ليتلافى جنونهم ولكى تعلم ان لفظة بريه ما قيلت بتحقيق اسمع أقواله التالية هذه أيضا لانه قال ٢١ مثلما ينهض الاب الاموات ويحييهم فكذلك يحيى الابن الذى يشاء على ان لفظة ليس يقدر أن يعمل من ذاته عملا هى مضادة للفظة يحيى الذين يشاء لانه ان كان يقتدر من ذاته يعمل كما يشاء لان لفظة شاء مناسبة لسلطانه فان كان ليس يقدر من ذاته فليس هو كما يشاء أيضا لان لفظة مثلما ان الاب ينهض توضح عدم تخالف المقدرة ولفظة يحيى من يشاء تبين مساواة السلطة أرأيت ان لفظة ليس يقدر من ذاته أن يعمل ليست هى لفظة مزيلة لسلطانه لكنها موضحة عدم تخالف المقدرة والمشيئة وعلى هذا المعنى تفهم لفظة بريه لانه قد قال فى موضع آخر وانا أقيمه فى اليوم الاخير يوحنا (ص ٦ع ٢٤) ولما أرانا أيضا انه يعمل وليس قابلا فعلا قال انا هو القيامة والحيوة ثم لكيلا تقول انه يقيم الاموات الذين يشاء ويحييهم والافعال الاخرى ليس يعملها على هذا المثال سبق فحصر كل مرادة هذه صفتها اذ قال لان الاعمال التى يعملها الاب هذه يعملها الابن على مشابهة له موضحا ان الاعمال التى يعملها ذاك كلها يعملها هذا مثلما يعملها ذاك أيضا ان قلت انهاض أموات ان قلت ابداع اجسام ان ذكرت اغتفار خطايا ان قلت مهما كان غير هذه يعملها الابن على مشابهة لوالده ولكن الوانين فى خلاصهم ما يصغون الى قول من هذه الاقاويل لان عشق التصدر والرئاسة داء ردئ جزيلة

رداءته هذا الداء ولد بدع الهوى فى الدين هذا حقق الحاد الاوثانيين
لان الله شاء أن يفطن بخواصه الفاقدة أن تكون ملحوظة بابداع هذا العالم
فاؤلئك تركوا هذه الخواص واستنكفوا أن يجيئوا اليها بهذا التعليم وقطعوا
اليها طريقا أخرى فلذلك خابوا من الطريق الموجودة واليهود ماصدقوه اذ
استمد بعضهم من بعض تشريفا وما التمسوا التشريف من الله

العظة الثامنة والثلاثون

فى الشرف الفارغ والعذاب الدهرى

لكننا نحن أيها الاحباء فلنهرب من هذا الداء بكافة اجتهادنا هربا مفرطا
لاننا ان امتلكنا فضائل جزيلا عددها قد أحكمناها فان فساد الشرف الفارغ
فيه كفاية أن ينقضها كلها لاننا ان عشقنا المدائح فلنطلب المدائح عند الله
وحده فان المديح من الناس كيفما كان مهما يظهر قد هلك وان لم
يهلك فما قد قدم لنا فايدته وطالما تكون منه فائدة وهى مرآة فاسدة
لان الشرف من الناس ماهو والمستعجب منه وقد تستمتع به الاحداث الراقصون
والنسوة المفسودات والمستغنون والخاطفون ومن يستعجبه الله فلن يستعجب
مع هؤلاء لكن مع أولئك القديسين أعنى الانبياء والرسل المظهرين عيشة
ملائكية فان اشتقنا ان يحوط بنا جوع وينظرون الينا فينبغى لنا أن نبحث
عن هذا الشرف على انفراده فسنجدانه ليس مؤهلا لشئ البتة فان كنت
تعشق بجملة ايثارك جوعا فاستجذب جوع الملائكة وكن مرهوبا عند الجن فما
تهتم بجحافل الناس ولاهما واحدا لكنك على هذا النحو تتوطأ الاحوال
البهية كلها كما تتوطأ الحمأة والطين وتبصر حينئذ بصرا واضحا ان ليس
عارض بهذه الصورة يصير نفسنا قبيحة صورتها مثل عشقها للتشريف من الناس
لان ليس يتجه ولايتهيأ ان يعشق هذا التشريف أن يعيش معاشا مصونا مثل

مايوجد من يتوطأ هذا الشرف فلا يتوطأ أكثر من اسقام دواه ومن قد قهر هذا الشرف فقد قهر الحسد وحب الاموال وكافة اسقام الهوى المستصعبة فان قلت وكيف نقهر هذا التشريف أجبتك اذا ما نظرنا الى الشرف الآخر الذى فى السموات الذى يغاصبناه هذا الشرف عليه ويحرص أن يخرجنا منه لان ذلك الشرف يجعلنا ههنا بهيين أيضا ويسافر معنا الى الحيوة المأمولة ويعتقنا من كل عبودية تجمية قد تعبدنا لها الآن بكل شقاه اذا بذلنا ذواتنا كلها للارض ولاعمال الارض فان دخلت الى سوق وان دخلت الى بيت وان مشيت فى الطرق وان مضيت الى المواقف وان دخلت الى الخزائن وان حصلت فى الفنادق وان دخلت الى سفينة أو الى جزيرة أو الى قصور الملوك أو الى مجالس القضاة أو الى مجالس ذوى الرأى العلماء فانك تبصر فى كل موضع منها اهتمام الاحوال الحاضرة العالمية وترى كل واحد فيها منفصل الهمة من أجل هذه الاحوال التى قد استملكت النازحين والواردين والمسافرين والمقيمين والسائرين فى البحر والفلاحين الذين فى الحقول والذين فى المدن كل الناس على بسيط ذاتهم فاى أمل خلاص يكون لنا اذا اسكنا أرض الله ولم نكرم فرائض الله ووصاياه لكافة أمرنا ان نكون غرباء من الاشياء التى ههنا فصرنا غرباء من السموات ومدنيين الاحوال التى ههنا وما الذى يكون أشر من زوال حسناه هذا اذا سمعنا كل يوم أوصاف المحاكمة وأحوال الملكوت وشابهنا الكائنين فى عصر نوح والذين فى صدوم ولبثنا فى غينا الى ان نعرف العقوبات بممارسة أفعالها على ان لهذا الغرض كتبت تلك الاخبار كلها حتى ان كان أحدنا ينكر التعاذيب المنتظرة يستمد من النوازل والافات السالف كونها البرهان على العقوبات المستأنفة واضحا فاذ قد فهمنا هذه الاقوال وعرفنا الافات السالف كونها والعقوبات المنتظر حدوثها فلنتنفس قليلا من هذه العبودية المستصعبة

ولنهتمن اهتماما يسيرا بنفسنا لكى يتفق لنا امتلاك النعم الحاضرة والمأمولة الصالحة بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفه الذى له المجد مع ابيه وروح قدسه الى آباد الدهر كلها آمين

المقـــالة التاسعة والثلاثون

(٢٢) ابى ليس يحكم ولا على واحد لكن القضاء كله اعطاه للابن (٢٣) لكى يكرم الكل الابن مثلما يكرمون الاب

يا احباءى نحن فى كل الاوقات محتاجون الى حرص كثير لاننا سنعطى جوابا وتقاسى توبيخات بليغة عن أقوالنا وافعالنا لان احوالنا ماقد وقفت الى مدى هذا الزمان الحاضر لكن ترتيبا آخر للحياة ينتظرنا من ههنا وسنقف لدى مجلس قضاء رهيب مريع لانه يجب علينا ان نقف لدى منبر المسيح ليحتضن كل واحد منا ما فعله بجسده نظير ما عمل ان كان عملا صالحا وان كان رديئا (قرنثية ثانيا ص ٥ ع ١٠) فسبيلنا ان نتفطن فى مجلس القضاء هذا دائما فعلى هذه الجهة نقتدر ان نكون فى الفضيلة كل حين لان من قد اخرج ذكر ذلك اليوم من نفسه يكون حاله حال من قد فك منه لجامه فهو يتكردس الى حافات متطرفة وقد قال المترنم فى وصفه تتدنس طرقه فى كل حين (مزمور ٩ ع ٢٧) واذا أورد علة ذلك استثنى بقوله تتغيب احكامك من وجهه فعلى هذا القياس من يستقصى هذا الخوف كل حين يسلك سلوكا عفيفا لانه قال تذكر اواخرك فما تخطئ الى الدهر

(سيراخ ص ٧ ع ٣٦) لان الذى يغض النظر الآن عن خطايانا هو سيجلس حينئذ قاضيا علينا والذى مات من اجلنا هو يظهر أيضا حاكما على طبيعتنا كلها لان بولس قد قال ان المسيح سيظهر دفعة ثانية خلوا من خطيئة يحملها عنا للذين ينتظرونه لخلاصهم عبرانيين (ص ٩ ع ٢٨) فلذلك قال ههنا ان الآب ليس يحكم على أحد لكن القضاء كله قد أعطاه للابن ليكرم الكل الابن كما يكرمون أباه ولعل قائلا يقول فينبغى أن ندعوه ابا فنجيبه ابعد هذا الوهم لانه لاجل هذا الوهم ذكر الابن ليبقى ابنا فنكرمه كما نكرم الاب فمن يدعوه أبا فما قد اكرم الابن كما قد اكرم الاب لكنه قد خلط الفصل كله لان الناس اذ كانوا قد أحسن اليهم فما شعروا بالاحسان على هذه الجهة كما يشعرون بالعقاب اذا هول عليهم فلهذا الغرض قال ان القضاء كله قد أعطاه أبوه له ليستجذبهم ولو بالخوف منه الى تكريمه واذ قال القضاء كله فانما يذكر هذا المعنى انه هو رب مالك أن يعاقب وان يكرم الذين يشاء وان يستعمل الصنفين فيهم كليهما ولفظ اعطى فانما قيل لكيلا تتوهمه عديما ان يكون مولودا ولا تظن انه يوجد أبوان لان كل ما هو للاب فذلك هو للابن اذ ولد وهو ثابت فى انه موجود ابنا ولكى تعلم ان لفظة أعطاه هى بمساواة لفظة ولده اسمع هذه اللفظة بعينها مبينة من وجه آخر لانه قال مثل ما ان الاب يحوى حياة فى ذاته فكذلك اعطى الابن ان يحوى حياة فى ذاته فما رأيك هل ولده أولا وبعد ذلك اعطاه الحيوة لان المعطى بالحقيقة قد أعطى المعطى فهل كان لما ولد خاليا من الحيوة الان هذا التوهم ولا الجن توهمته لان مع الحادة هذا الظن قد حوى الوهم الفاقد الفهم كثيرا فكما ان لفظة اعطاه حيوة هى انه ولده حيا فكذلك لفظة أعطاه للقضاء هى انه ولده قاضيا لان لكيلا اذا سمعت انه يملك الاب علة له تظن ذلك تخالفا بجوهره وتنقصا لتكريمه قال انه هو يجى قاضيا عليك فيريك من هذه

الجهة شرف حسبة لان المالك سلطانا له ان يعاقب ويكرم الذين يشاء فهو
يقتدر على الافعال بعينها الممكنة عند أبيه والا فان لم يكن القول هذا هو
معناه لكنه أخذ الكرامة اخيرا بعد ان ولد فالذى كان منه حتى كرمه
أخيرا ومن أى اقبال وصل الى هذا التكريم حتى ينتدب ويأخذ هذه
المرتبة أفما تستحزون ان تداخلوا هذه الاوهام الانسانية الحقيرة على الطبيعة
الفاقدة ان تكون بالية التى ماتحوى شيأ دخيلا وتوردها عليها على هذه الجهة
باشد الوقاحة فان قال المعترض فلم يتكلم هذا الكلام أجبناه حتى يصير كلامه
سريع القبال ويتقدم فيطرق للالفاظ العالية لهذا الغرض خاط هذه
الالفاظ بتلك وتلك بهذه وانظر فى ابتداء كلامه قال ابى يعمل وانا
أعمل فاراهم من هذه الالفاظ معادلته اباه لكنهم أرادوا قتله فانظر
الى ما فعل أيضا تحافظا فى لفظه ووضع المعانى هى هى باعيانها اذ قال هذا
القول ليس يقدر الابن ان يعمل من ذاته ولا شيأ ثم صاعد أيضا كلامه الى
الالفاظ العالية اذ قال ان الاعمال التى يعملها الاب هذه يعملها الابن على
مشابهة له ثم تحدر أيضا الى لفظ اذل فقال ان الاب قد احب الابن وأراه
الاعمال كلها التى يعملها هو واعظم من هذه الاعمال يريه ثم طلع أيضا الى
لفظ اعلى محلا فقال متماما ان الاب يقيم الاموات ويحييهم فكذلك الابن أيضا
يحيي الذين يشاء وبعد هذا اللفظ أيضا ذكر اللفظ الذليل والعالى معا قائلا لان
الاب ليس يحكم ولا على احد لكن القضاء كله اعطاه للابن ثم صعد
أيضا الى لفظ اعلى قدرا قال لكى يكرم الكل الابن كما يكرمون الاب أرأيتم
كيف يكون كلامه اذ ينظمه باسماء والفاظ عالية وذليلة ليصير عند الكائنين
فى ذلك سريع القبال ولا يتذمر به الصائرون فيما بعد اذا استمدوا من الفاظه
العالية المعنى اللائق بالفاظه الاخرى الذليلة ان لم يكن هذا الغرض غرضه
ولم تكن الالفاظ الذليلة اتفاقيات لاجل استكانة ومقاربة فلم وضعت الالفاظ

العالية

العالية لان من يجب له أن يقول عن ذاته أوصافا عظيمة اذا قال لفظا دنيا
ذليلا فقد حوى لتدبيره حجة ذات وجه مقبول اذا فعل ذلك لاجل غرض تدبير
اعتمده ومن ينبغى له أن يقول عن ذاته كل حين لفظا دنيا فلم يقول عن ذاته
أوصافا تفوق على طبيعته وتتجاوزها لان قوله هذا ليس قول تدبير يعتمده
لكنه يكون قوله الحاد فى أقصى غايته فنحن من هذه الجهة ينساغ لنا أن
ندعوا استكانة ألفاظ الهنا الذليلة وتعليمه ايانا أن نتذلل والخلاص
لمدبر لنا بهذه الاستكانة علة عدل لا ثقة به وهذا المعنى فاذا وضحه هو
فى مكان آخر قال هذه الاقوال أقولها حتى تتخلصوا أنتم لانه لما التجأ الى
شهادة يوحنا اذ اهمل الشهادة التى له وكان ذلك فعلا عديما أن يكون مؤهلا
لعظمته اذ وضع العلة لدناءة ألفاظه الجزيل تقديرها قال هذه الاقوال
أقولها حتى تتخلصوا أنتم فأنتم القائلين انه ليس يمتلك السلطان بعينه والاقتدار
الذى لوالده ماذا تقولون اذا سمعتموه متكلما أقوالا يكرم بها معادلته أباه
ومقدرته وسلطانه ومجده ولم يطالب بتكريمه بعينه اذا كان ذلك متأخرا عنه
جدا على ما قد قلتم وليس يقف هو عند هذه الالفاظ فقط لكنه قد اتبعها
بقوله من ليس يكرم الابن فليس يكرم الاب الذى أرسله أرأيت كيف
تكريم الابن منتظما مع تكريم أبيه ولعلك تقول وما هو هذا لان ذلك قد
يتجه لنا أن نعاينه فى الرسل لانه قد قال لهم من يقبلكم اياى يقبل فأقول
لك لكنه هناك اذ يختص باحوال عبيده لذلك قال هذه الاقوال وههنا
اذ الجوهر واحد والمجد لهذا السبب ما قيل فى الرسل لكى يكرموا لان متى
ما صودف ملكين وشتم أحدهما فقد شتم الآخر معه ولاسيما اذا كان المشتوم
ابنا للآخر ولعمرى أن الملك يشتم اذا شتم غلامه الا أن هذا السبب ليس
هو شبيها بذلك لكن هذا السبب يناله بواسطة وذلك فليس يستمده على
هذه الجهة بواسطة لكن حاله حال من يقتبله بذاته لهذا الغرض سبق فقال

لكى يكرموا الابن مثلما يكرمون الاب أنظرت ان هذا التكريم واحد بعينه
لانه ما قال من لا يكرم على بسيط ذات الاكرام لكنه انما قال من ليس يكرم
على هذا المثال كما قلت فليس يكرم أباه ولعل قائلا يقول وكيف يكون
المرسل والمرسول من طبيعة واحدة بعينها فنقول له ها أنت تحط الكلام الى
الاوهام الانسانية وما تفطن أن هذه الاقوال كلها ما قيلت لغرض آخر الا
لنعرف العلة ولا نسقط فى مرض صابالبوس ويشفى أيضا بهذا النحو سقم
اليهود لكيلا يظن عندهم أنهم ضد الله لانهم قد قالوا هذا ليس هو من الله
هذا ما جاء من الله ومع ابطاله هذا التوهم ليس يتكلم فى كلامه الالفاظ
العالية على هذا النحو على نحو ما ينظم فيه الالفاظ الذليلة ولهذا الغرض
ذكر ارساله فوق وأسفل ذكرا متصلا انه أرسل ليس حتى تتوهم لفظة أرسل
تنقيصا له لكن حتى يطبق أفواه أولئك لهذا الغرض يلتجئ الى أبيه التجاء
متصلا اذ يضع فى الوسط شرف حسبه لانه لو قال أقواله كلها انحوا الى رتبته لما
اقتبل أولئك أقواله اذ كانوا من ألفاظ يسيرة هذا لفظها طالما طردوه
ورجموه ولو كان أيضا التوره من أولئك تكلم أقواله كلها ذليلة لكان
أناس كثيرون قد انضروا فيما بعد بها فلذلك خلط تعليمه ومزجه وبهذه
الالفاظ اليسيرة على ما ذكرت يدفع عند العقلاء عن الاقوال التى قبلت المعنى
الحقير ويريهم أنها ليست فى الجملة ملائمة له لان لفظة أرسل هى لفظة انتقال
والاله حاضر فى كل مكان فان قلت فلم قال أنه أرسل أجبتك انه أوضح
ائتلافه بأبيه بلفظة اكثف من غيرها وعلى هذا النحو يشكل ألفاظه التالية
هذه مريدا أن يصلح هذا المعنى لانه قال ٢٤ حقا حقا أقول لكم من يسمع
أقوالى ويصدق من أرسلنى يحوى حيوة دهرية أرأيت كيف قد وضع هذا
القول بعينه وضعا متصلا متلافيا ذلك التوهم وفى هذه الجهة وبالاقوال
التالية يوجد ناقضا المماحكة له بالخوف وبوعد الاحسان وفى هذه الجهة أيضا

تجده

تجده فى الفاظه متجددا معهم كثيرا لانه ماقال من يسمع اقوالى ويصدقنى لان
هذا الفعل كانوا قد ظنوا به انه صلف وطرمذة زائدة فى الاقوال لانهم ان كانوا
بعد زمان جزيل تقديره وبعد عجائب جزيل مبلغاها قد توهموا هذا التوهم
فيه لما تكلم على هذا النحو فاليق بهم واولى أن يظنوا فى ذلك الحين هذا
الظن فيه فقد قالوا له حينئذ ابرهيم قد مات والانبياء قد ماتوا فكيف
تقول انت أن من يسمع أقوالى ويصدق ليس يذوق موتا (يوحنا ص ٨ ع
٥٢) فلكيلا يتمرروا حينئذ قال من يسمع أقوالى ويصدق من أرسلنى يحوى
حيوة دهرية لان هذا القول وهو ايقان الذين يسمعونه انهم انما يصدقون
أباه يجعل كلامه سريعا اقتباله ويجتذبهم اجتذابا ليس بيسير لانهم اذا
اقتبلوا هذا بنشاط جنحوا الى اقتبال باقى أقواله بأيسر مرام فمن هذه الجهة
يخترع فى أقواله العالية ان يقول ألفاظا ذليلة هذا زعم يصرح بحيوة دهرية
وليس يجىء الى الدينونة لكنه قد انتقل من الموت الى الحيوة فبهذين
اللفظين يجعل كلامه سريعا اقتباله بان يوجد من يسمع قوله مصدقا أباه وبان
يستمتع من يقبل منه بنعم صالحة كثيرة ولفظة ليس يجىء للدينونة فمعناها
هو أنه ليس يعاقب لان الموت الذى ذكره ليس هو هذا الموت الذى ههنا
لكنه الموت الدهرى كما ان الحياة التى ذكرها هى تلك الحياة الفاقدة أن تكون
ميتة ٢٥ ثم قال حقا حقا أقول لكم ستجىء ساعة وهى الآن حاضرة حين
تسمع الاموات صوت ابن الله والذين يسمعونه يحيون لما قال الالفاظ قال
برهانها بالافعال لانه لما قال مثلما أن الاب يقيم الاموات ويحييهم فكذلك
يحيى الابن الذين يشاء فلكيلا يظن ذلك تبذخا منه وصلفا خولنا حقيقته
بالافعال اذ قال ستجىء ساعة ثم لكيلا نتوهم زمانا طويلا قال وهى الآن
حاضرة حين تسمع الاموات صوت ابن الله ويحيون أعرفت ههنا سيادته
وسلطانه الممتنع وصفه لان على نحو ما يكون هذا فى القيامة على هذا النحو

قال يكون الآن لاننا فى ذلك الحين اذا سمعنا صوتا موعزا نقام لان الرسول قد قال انه بأمر الهنا تقام الاموات ولعلك تقول من أين يكون هذا واضحا ان هذه الالفاظ التى قالها ليست ألفاظ تمدح أجبتك يستبين ذلك من اللفظ الذى استثنى به وهو الآن لانه لو كان وعد بذلك فى الوقت المنتظر كونه فقط لكان مع كلامه يوجد عندهم متهما فقد خولهم الان برهانه لانه قال عند مقامى معكم تصير هذه الحيوة فما وعدهم ان ليس ذلك ممكنا الا فى ذلك الحين حتى لا يستوجب من هذا الوعد ضحكا كثيرا عليه ثم أورد الاقوال التى قالها فكرا برهانيا اذ قال ٢٦ لان مثلما ان الاب يحوى فى ذاته حيوة فكذلك قد أعطى الابن أن يحوى فى ذاته حيوة أرأيته مظهرا عدم التخالف موضحا الفصل فى شئ واحد وحده فى أن يوجد الواحد أبا والآخر ابنا لان لفظة أعطى انما تورد هذه القسمة وحدها وترى الخواص الاخرى كلها بالسواء فاقدة التخالف والتباين فواضح من هذه الجهة أن الابن يعمل أعماله كلها بسلطة جزيل تقديرها وقدرة موجودة ليس قدرة من جهة أخرى لان على هذه الجهة يحوى حياة مثلما يحويها أبوه ولهذا الغرض يضع أيضا فى الحين اللفظ التالى هذا لتفهم ذلك اللفظ من هذا وان سألت وأى ما هو اللفظ أجبتك هو لفظ أعطاه أن يعمل قضاء فان قلت فلم يردد فوق وأسفل قيامة وقضاء لانه قال مثلما أن الاب يقيم الاموات ويحييهم مثل ذلك يحيى ابنه الذين يشاء وقال أيضا أبى ليس يحكم على أحد لكن القضاء كله أعطاه للابن ومثلما ان الاب يحوى فى ذاته حياة مثل ذلك قد أعطى ابنه أن يحوى فى ذاته حياة وقال أيضا الذين يسمعون صوت ابن الله يحيون وقال ههنا أعطاه أن يعمل قضا فان سألت فلم يردد هذه الالفاظ بمداومة وهى قضاء وحياة وقيامة أجبتك لان هذه الالفاظ اكثر من غيرها هى التى تقتدر أن تستميل السامع العديم ان ينثنى لان من يوقن انه سيقام ويقابل مقابلات عادلة عن

الجرائم

الجرائم التى اجترمها وان كان ماقد عرف علامة أخرى فاذا اقتبل هذا وتحققه سيبادر على كل حال الى أن يصير القاضى را فقا به قال واما انه يوجد ابن الانسان فلا تستعجبوا هذا الان بولس السميساطى ما قال هذا القول وان سألت فكيف قال أجبتك قال أعطاه سلطانا أن يعمل قضاء لانه ابن انسان هو الان هذا القول اذا قيل على هذه الجهة ليس يمتلك من النظام صنفا لانه ليس لهذا الغرض تسلم قضاء لانه ابن انسان هو والا فأى مانع منع أن يوجد الناس كلهم قضاة ولكن اذ هو ابن لذلك الجوهر الممتنع أن يوجد موصوفا لهذا السبب يوجد أيضا قاضيا فعلى هذا النحو يجب أن يقرأ فاما انه ابن انسان فلا تستعجبوا هذا لانه لما ظن عند الناظرين أن اللفظ الذى يقوله يفوق عليه وتوهموا أنه ليس يوجد أكثر من انسان ساذج والاقوال التى يقولها أعظم من أن تكون مناسبة لانسان وأليق ما يقال انها أعظم من أن تكون مناسبة لملاك وانها أقوال اله وحده حل هذه المنازعة واستثنى بقوله (٢٨) لا تستعجبوا انه هو ابن انسان فانه سيجىء وقت اذا سمع فيه الذين فى القبور صوته (٢٩) يخرجون الذين عملوا الاعمال الصالحة الى قيامة حياتهم والذين فعلوا الافعال الردية الى قيامة مداينتهم وان قلت فلاى سبب ما قال لا تستعجبوا انه ابن انسان هو فانه ابن الله هو لانه لما ذكر القيامة فوضع هذا القول فوق هذا الموضوع قائلا يسمعون صوت ابن الله أقول لك ان كان صمت عن ذلك ههنا فلا تستعجب هذا لانه لما ذكر فعلا لم يزل خاصة لله خول سامعيه ان يقيسوا فيما بعد منه انه كان الها وابنا لله لان اللفظ المقول منه بعدا ومنه كان عند أولئك مضافا ومن قياس عجائبه جعل تعليمه يستبين عديما أن يكون مستثقلا لان الذين ينظمون القياسات اذا وضعوا اجزاءها برهنوا المطلوب بشهامة وفى أكثر الاوقات ليس يوردون هم النتيجة لكنهم اذا صير واسامعيهم أحسن رأيا جعلوا طرفهم أبهى حسنا اذا جعلوا ذلك الذى يعاندهم بعينه أن يورد القضية حتى اذا أورد الذين يعاندونهم

القضية بدلا منهم يحكم الحاضرون بالفضل الجزيل فخره لهم لانه لما ذكر
القيامة التي تناسب العازر صمت عن ذكر القضاء لان العازر ما اقيم لاجل هذا
القضاء ولما ذكر القيامة الكلية استثنى بذكر القضاء وقال ان الذين عملوا
أعمال الصالحة يخرجون الى قيامة حياتهم والذين فعلوا أفعال الردية يخرجون الى
قيامة محاكمتهم وعلى هذه الجهة اقتاد يوحنا الصابغ سامعه لما ذكر القضاء
وان من ليس يؤمن بالابن ليس يعاين الحياة لكن رجز الله يثبت عليه وعلى
هذه الطريقة اقتاده ونيقوديمس لانه قال له من يؤمن بالابن ليس يحاكم
ومن ليس يؤمن به قد أوجب القضاء عليه فيما سلف وعلى هذا النحو يذكر
ههنا مجلس قضاء وعقوبة على الاعمال الخبيثة لانه لما قال فوق هذا الموضع
ان من يسمع أقوالي ويصدق من أرسلني ليس يحاكم فحتى لا يظن ظان ان الايمان
وحده يكفيه لخلاصه اضاف الى ذلك الافعال الناشئة من عيشته اذ قال ان
الذين عملوا الاعمال الصالحة يخرجون الى قيامة حياتهم والذين فعلوا الافعال
الطالحة يخرجون الى قيامة محاكمتهم فلما قال ان المسكونة كلها تعطيه
جوابا والناس كلهم من صوته يقامون وذلك فعل جديد منكر الان أيضا عند
كثيرين من الظانين انهم قد آمنوا فاولى به اكثر ان يكون منكرا حينئذ عند
اليهود اسمع كيف اصلح هذا القول منحدرا أيضا مع ضعف سامعيه قال (٣٠)
لست أقدر انا أن أعمل من ذاتي ولا شيأ وعلى نحو ما اسمع احكم وقضاءي هو عادل
لانني لست أطلب المشيئة التي لي لكنني التمس مشيئة من أرسلني على انه كان قد
أعطى برهانا للقيامة ليس يسيرا اذ شدد المخلع ولذلك لم يتكلم أولا في ذكر
القيامة الى ان اجترح تلك العجيبة التي ما كانت ناقصة عن القيامة جدا وذكر
القضاء حينئذ ذكرا غامضا بعد ان شدد جسم ذاك اذ قال له ابصر قد صرت
معافى فلا تخطئن أيضا لكيلا يتكون لك مرض أشر من هذا الا انه مع ذلك يتقدم
فيذكر انهاض العازر هاتفا بذلك وقيامة أهل المسكونه واذ تقدم فذكر

هاتين

هاتين القيامتين قيامة العازر والتى هى حينئذ وصلت الى غايتها سريعا وقيامة
أهل المسكونه الواصلة الى غايتها أخيرا بعد ازمان طويلة حقق هذه أعنى قيامة
العازر ومن الخلع ومن اقتراب وقتها بقوله ستجيء ساعة وهى الان حاضرة وحقق
تلك أعنى قيامة أهل المسكونه من قيامة العازر رسالة لدى البصر أفعالها التى لم
تكن بعد كائنة بافعال قيامة العازر الكائنه سالفا وهذا العمل يتجه لنا
أن نبصره عاملا اياه فى كل مكان واضعا من سبوق تخبيره صنفين أو ثلاثه محققا
دائما من الحوادث الكائنة المنتظر كونها الا انه مع ذلك قد قال وفعل افعالا
جزيلا تقديرها واذ كانوا مع ذلك اضعف تمييزا ما اكتفى بهذه الاقوال
والافعال لكنه بالفاظ أخرى قمع معاندتهم اذ قال لست أقدر ان أعمل من
ذاتى ولا شيأ على نحو ما اسمع اقضى وقضاءى هو عدل لاننى لست أطلب المشيئه
التى لى لكننى التمس مشيئة من أرسلنى لانهم لما توهموا انه يقول أقوالا
مستغربة مخالفة لاقوال الانبياء لان أولئك الانبياء قالوا ان الله هو القاضى
على الارض كلها ومعنى ذلك انه القاضى على الجنس الانسانى وهذا المعنى
فداود النبى قد نادى به فى كل موضع من كلامه قائلا انه يقضى على شعوبه
باستقامة قضائه *(مزمور ع ٩)* وقال الله قاض عدل قوى طويل الامهال
(مزمور ع ٧ و ١٢) والانبياء كلهم وموسى قد قالوا هذا القول والمسيح
فقال ابى ليس يقضى على أحد لكننى انا هو القاضى وهذا القول فيه ما يزعج
اليهودى الذى سمعه حينئذ ويصيره أيضا أن يتوهمه ضد الله فتحدره هنا فى
كلامه كثيرا تحدرا يبلغ تقديره الى المقدار الذى يطالبه به ضعفهم حتى يقتلع
توهمهم هذا المهلك ويزيله فقال أنا لست أقدر أن أعمل من ذاتى شيأ ومعنى
ذلك هو ما تبصرون منى فعلا كائنا غريبا مخالفا ولا عملا ليس يريده أبى فقال
أولا انه ابن انسان وأراهم انهم قد توهموه مع ذلك انسانا فعلى هذه الجهة قال
ههنا على نحو ما اسمع اقضى فعلى نحو ما قال فوق هذا الموضع ما سمعناه بقوله

وما أبصرناه نشهد به فقال يوحنا السابق ما أبصره يشهد به وشهادته ليس يقبلها أحد فقال هذين القولين كلاهما في ذكر المعرفة البليغة وما قالا ذلك في ذكر سمع وبصر محسوسين فعلى نحو ذلك اذا قال ههنا سمعا فليس يظهر معنى آخر الا ان ممتنعا أن يريد هو مرادا آخر الا ما يريده أبوه الا انه ما قال ذلك قولا واضحا الا انهم ما كانوا قد اقتبلوا ذلك من عزم متقوم اذ سمعوه قائلا هذا القول لكنه خاطبهم خطابا متحدرا معهم وعلى معنى الانسانية جدا فقال على نحو ما اسمع اقضى فهنا أيضا ليس قوله تعليما الا انه ما قال على نحو ما اعلم واعرف لكنه قال على نحو ما اسمع ولكنه ما قال هذه الالفاظ قول محتاج الى سماع لانه ما كان عديما أن يكون محتاجا الى تعليم وتعريف فقط لكنه قد كان أيضا عديما ان يحتاج الى سماع وانما قال هذا القول موضحا ائتلاف قضيته وامتناع تخالفها كانه قال انا أقضي على هذا المثال كأن أبي بعينه هو القاضي لما أقضيه ثم قال أيضا وقد عرفت ان قضاءي هو عدل لانني لست أطلب مرادي لكنني أطلب مراد مرسلي وانا أتجاسر ان أسأله ماذا تقول تملك مشيئة غير مشيئة أبيك مع انه قال في موضع آخر مثل ما أنا وأنت نحن واحد (حين تكلم في المشيئة) اعط هؤلاء ان يكونوا فينا واحدا ومعنى هذا هو ان يكونوا في ايمانهم بنا واحدا أرأيت ان الفاظه المظنونة انها أكثر من غيرها ذليلة هذه هي الحاوية المعنى العالي مستورا فيها الا ان القول الذي ذكره ذكرا غامضا هذا هو ان ليست مشيئة أبي أخرى ومشيئتي أنا غيرها لكن كما ان لتمييز واحد مشيئة واحدة فكذلك لي ولابي مشيئة واحدة لا تستعجب ان كان يذكر ائتلافا هذا مقداره فان بولس قد استعمل في وصف الروح هذا المثال اذ قال من هو من الناس قد عرف خفيات الانسان الا روح الانسان التي فيه فكذلك خفيات الله ما عرفها عارف الا روح الله (قرنتيه أولى ص ٢ ع ١٠) فما ذكر لفظا آخر الا هذا اللفظ ان ليس يوجد لي مشيئة أخرى خاصة غير مشيئة أبي

لكن

لكن ذاك كان يريد مرادا فذاك المراد أنا أريده وان أشاء أنا شيأ فهذا يشاءه ذاك وكما ان أحدا ليس يشكونى فى قضاءى لان القضيتين كلتيهما ابتدأتا من رأى واحد بعينه وان كانت هذه الالفاظ تقال قولا أليق بالانسانية فلا تستعجب ذلك لانهم قد ظنوا انه انسان ساذج أيضا فلذلك نحتاج با كثر احتياج فى هذه الالفاظ ان لا نستبحث عن الاقوال التى يقولها فقط لكن ينبغى أن نضيف الى ذلك البحث عن ظن سامعيها وعلى هذا النحو نسمع الاقوال التى يقولها كأنها قد قيلت تعتمد ظن أولئك والا فستتبع الاقوال شناعات كثيرة تأمل قوله لست أطلب المشيئة التى لى فهل مشيئته هى أخرى ناقصة جدا وليست ناقصة على بسيطات النقص لكنها ليست نافعة والا فان كانت مشيئته موافقة لمشيئة أبيه فلم لا يطلبها الان الناس على جهة الواجب يقولون هذا القول من طريق انهم ما لكون مشيئات كثيرة مظنونة عند الله فلم قال هو هذا القول اذ هو معادل لابيه فى أفعاله وأوهامه كلها الان هذه اللفظة ليس يقول انها توجد لرجل مستقصى ومصلوب لان بولس ان كان على هذا النحو مزج ذاته فى مشيئة الله حتى اتجه له أن يقول لست أنا حى أيضا بل المسيح حى فى (غلاطيه ص ٢ ع ٢٠) فكيف قال سيد البرايا كلها اننى لست أطلب المشيئة التى لى لكننى التمس مشيئة من أرسلنى كأن مشيئة ذلك بالحقيقة مشيئة أخرى فما هو القول الذى قد قاله على ما يلوح لى انه يبرز القول كأنه فى انسان و يعتمد به ظن سامعيه اذ كان من الاقوال التى قالها فيما سلف قد بين ما قد قيل اذ قال أقواله بعضها بلفظ لائق بالله و بعضها بلفظ لائق بانسان وقد أصلح أيضا أقواله باعيانها من طريق انه انسان وقال لان قضائى عدل هو وهو يبين من أين يكون واضحا اننى لست أطلب مشيئتى لكن مشيئة من أرسلنى وكما ان المتخلص فى الناس من حب ذاته ليس يتجه عليه على جهة العدل أن يشكى بانه قد حكم حكما زايغا عن الواجب فكذلك ما يقدرون الان أن يطعنوا على باننى

قلت قولا زايغا عن الواجب لان من يشاء أن يثبت أقواله اعنى يتهمه أناس كثيرون بانه قد أفسد الحكم العدل فامامن ليس يتأمل حقوقه فاية حجة يملكها اذا لم يحكم حكومات عدلة فاستفحصوا اذا هذا الفكر فى لاننى ان كنت ماقلت ان أبى أرسلنى وان كنت لم ارفع اليه شرف الايات الكائنة فلعل قد توهم متوهم منكم لاننى لا يثارى ان أصير ذاتى بهيا لست أقول ماوجد حقا فان كنت أحسب الآيات الكائنة لآخر وانسبها اليه فلم ومن اين ينساغ لكم أن تتوهموا واما قوله أرأيت الى أية غاية أحدر كلامه ومن أية جهة قال ان القضاء الذى له يوجد عادلا فمن هذه الجهة لما احتج قال حجة واحدة من حجج كثيرة أرأيت ان ماقلته انا دفعات كثيرة يلمع لمعانا واضحا وان سألت وما الذى قلته أجبتك هوان تفاقم تذلل ألفاظه أكثر من كل حجة يحقق عند العقلاء ان لا يسقطوا فى الارتياب اذا قبلوا مايقوله من تأهب له واستعداد لكنه يجعلهم ان يصلوا الى علو معانيها وينهض بسهولة كثيرة المنسحبين على الارض قليلا قليلا

العظـــــة التاسعة والثلثون

فى زوال الحقد وفى الصدقة وانه ينبغى لنا الان نوجد بسيطين فقط لكن سبيلنا أيضا ان نكون فطونين فى أراء دينيا وفى عيشتنا فاذ قد تفهمنا هذه الاقوال كلها فلا نتجاوزن الالفاظ التى قيلت على بسيط ذات التجاوز لكن فلنستبحث عنها كلها بابلغ الاستقصاء متصفحين فى كل موضع علة الالفاظ التى قد قيلت ولا نظنن ان غباوتنا وسذاجتنا فيهما كفاية لنا للاعتذار عنا الان سيدنا ما أوعز الينا ان نكون وديعين فقط لكنه قد أمرنا ان نكون فطونين أيضا فينبغى لنا أيضا ان نحكم اذا الفطنة مع الوداعة فى اراء ديننا وفى افعال عيشتنا التى نحكمها ونحاكم ذواتنا ههنا حتى لا يوجب الحكم علينا حينئذ مع العالم ونصير على هذا المثال للذين يواخوننا فى العبودية على مثال مانشاء ان يصير سيدنا لنا الان اننا نقول له اصفح لنا عن ذنوبنا كما

نصفح

نصفح نحن لغرمائنا وقد عرفت ان نفسنا اذا جرحت ما نحتمل ذلك بوادعة الا اننا
اذا تفهمنا اننا ما نجود بالاحسان على محزننا لكننا انما نجود به على ذواتنا فسنهمل
سريعا سم غيظنا وبيان ذلك ان الذى لم يسمح للمذنب اليه بمائة دينار ما ظلم ذاك
الذى يواخيه فى العبودية ولا ضره لكنه انما جعل ذاته مطالبا بقناطير جزيل
عددها وهى التى قد كان حصل له فيما سلف المسامحة بها فاذ لم نصفح عن آخرين
فما قد صفحنا عن ذواتنا فلا نقول لا لهنا فقط لا تذكر خطايانا لكن فليقل
كل منا لنفسه لا تذكر خطايا قريبك الكائنة منه اليك لانك أنت اولا تحكم
على الجنايات التى لك على رفيقك وبعد ذلك يتبع الله قضيتك انت الذى
تكتب الشريعة التى فى الصفح وفى العقوبة أيضا وتبرز القضية من اجل هذه
الاصناف وأنت هو صاحب ان يذكر الله خطاياك وان لا يذكرها ولهذا
السبب يامرنا بولس ان نصفح اذا امتلك أحدنا لوما على رفيقه وما أمرنا ان نصفح
على بسيط ذات الصفح لكنه اوعز الينا ان نزيل اللوم حتى لا يبقى له أثر اذ المسيح
الهنا ليس انه ما ورد خطايانا الى الوسط فقط لكنه مع ذلك ولا ذكرنا بارتكابنا
اياها ولا قال اخطأتم تلك الخطايا وتلك الجرائم لكنه صفح لنا ومحا الصك عنا
ولم يحتسب علينا الهفوات التى اجترمناها على ما ذكر بولس فانعمل نحن هذا
العمل ولنمح من سريرتنا ذنوب الذى أذنب الينا كلها وان وجدنا فعلا صالحا
كائنا من محزننا هذا فلنذكره فقط وان كان فعلا محزنا مكروها فلنخرجه من
سريرتنا ونمحوه حتى لا يتبقى منه أثر وان كان ما قد صار منه الينا فعل صالح
فالثواب لنا نحن الغافرين أيضا يكون جزيل المقدار عظيما والتوفيق أكثر نفعا
لان اناسا آخرين يمحون خطاياهم بسهرهم وباضجاعهم على الارض وبصنوف
أخر من الشقاء جزيل تقديرها وأنت فقد اتجه لك ان تغيب جرائمك كلها بطريق
أسهل سلوكا وهى ان لا تحقد ولا تذكر شر القريب فما بالك تدفع السيف على
ذاتك كما يفعل المصروعون والموسوسون وتخرج ذاتك من الحياة المرتجاة وقد كان

واجبا عليك ان تعمل كلما يمكنك حتى يتفق لك امتثالها كلها واذن كانت الحياة
الحاضرة بهذه الصفة ماثورة فما الذى يقوله قائل فى وصف تلك الحيوة التى قد
هرب منها الوجع والغم والتحسر ليس يوجد هنالك ان يخاف موتا ولا يتوهم
لتلك النعم الصالحة غاية فمغبوطون وجزيلوا السعادة وسعيدون هذه السعادة
دفعات كثيرة الذين يستمتعون بتلك النهاية السعيدة كما ان اشقياء وكثيرى
الشقاء وشقيين هذا الشقاء مراة جزيلة الذين يخرجون ذواتهم من تلك السعادة
فان قلت وما هو الذى يصيرنا ان نستمتع بتلك الحيوة اجبتك اسمع المسيح القاضى
بعينه يخاطب شابا من الشباب فى هذه المعانى لانه قال ما الذى أعمله لارث به
الحيوة الدهرية فذكر له ربنا الوصايا كلها الاخرى حتى انتهى الى حب
القريب ولعل قائلا من السامعين يقول نظير ما قال ذلك الشاب الغنى اننا نحن
أيضا قد حفظنا هذه الوصايا لاننا ما سرقنا ولا قتلنا ولا فسقنا فاجيبه الا انك
ما تستطيع ان تقول هذا القول انك قد أحببت قريبك الذى طبيعتك طبيعته
على نحو ما يجب عليك ان تحبه لان أحدنا ان حسد قريبه أو ان اساء القول فيه
وثلبه او ان كان لما ظلمه ذلك انتصر منه او ان كان ما سعفه ولا واساه مما يوجد
له فما قد أحبه * فالمسيح الهنا ما أوعز هذا الايعاز فقط لكنه قد أوعز بغير ذلك
وان سألت وما هو أجبتك انه قال بع الاشياء الموجودة لك واعطها المساكين
وهلم الحقنى فدعا لحوقه مشابهته بالاعمال ولقائل ان يقول وما الذى نتعلمه من
هذه الجهة فنجيبه أولا نتعلم ان من لم يمتلك هذه الوصايا كلها ليس يمكنه ان يمتلك
تلك الحظوظ المقدمة فى تلك النهاية لان ذلك الشاب بعد ان قال انى قد فعلت
هذه الوصايا كلها فان كانت حاله حال مهمل عملا عظيما يقتاده الى توفيق كامل
وتهذيب تام قال له ان شئت ان توجد كاملا فبع الاشياء كلها الموجودة لك
واعطها المساكين وهلم فالحقنى فهذا هو الذى نتعلمه أولا ونتعلم ثانيا
انه وبخ ذلك الشاب بانه تفخم تفخما باطلا لان من كان عائشا فى ثروة جزيل

تقديرها متغافلا عن الناس الاخرين فى فقرهم كيف ذكر انه قد أحب قريبه مثل نفسه ولا صدق قوله ذاك لكننا نحن ينبغى لنا ان نعمل تلك الوصايا وهذه ونجتهد ان نفرغ الاشياء الموجودة لنا وان نبتاع بها املاك السموات ولئن كان طالما بذل أحدنا ما يملكه كله من أجل رتبة عالمية فى طباعها ان تبقى ههنا ولا تبقى ههنا زمانا طويلا لان اناسا كثيرين قد نزعوا هذه الرئاسة قبل وفاتهم بزمان كثير وأناسا غيرهم لاجل هذه الرئاسة بعينها اعدموا حياتهم الا انهم مع معرفتهم بهذه العوارض كلها يستفرغون كل ما يمتلكونه من اجلها فان كانوا لاجل هذه الرئاسة الزائلة يعملون اعمالا جزيلا تقديرها فما الذى يكون اشقى منا اذا لم نترك أشياء يسيرة لاجل تلك الرئاسة الباقية الفائقة ان تكون مسلوبة ولم لا نهب للمساكين هذه الاشياء التى بعد مدة يسيرة نتركها ههنا فاى جنون ليست هذه الافعال منسوبة اليه اذا ضبطنا الاشياء التى سنسلبها كارهين ولم نشاء ان ناخذها معنا اذا أعطيناها للفقراء طائعين بل لو سيق أحدنا الى الموت وشرط له ان يتخلص منه اذا بذل كل ما يمتلكه لاعدّ ذلك منة عظيمة عليه فالآن اذا أعطينا النصف مما نمتلكه يمكننا ان نعتق من الطريق التى تحشرنا مسوقين الى جهنم فنختار ان نعاقب بنارها وان نضبط الاشياء التى ليست هى لنا ضبطا باطلا حتى نباين النعم التى لنا فاى احتجاج نمتلكه وأى عفو يحصل لنا اذ قد مهدت لنا على هذه الجهة طريق سهلة الى الحيوة الدهرية ونحن نتكردس فى الحافات المتطرفة سالكين طريقة خالية من ثمرة ونفقد ذواتنا الفوائد التى ههنا والتى هنالك كلها وقد انساغ لنا ان نستثمرهما كليهما بامكان فسيح ولكن ان كنا لم نفعل ذلك فيما سلف فلنفعله الان ويكون لانفسنا ونصرف الاشياء الحاضرة عندنا فيما يجب لنأخذ الخيرات المرتجات بايسر مرام بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفه الذى له المجد مع أبيه وروح قدسه الى آباد الدهور كلها آمين

المقـــــالة الاربعون

فى قوله ١ ٣١ ان كنت انا اشهد لذاتى فشهادتى ليست صادقة ٢ ٣ آخر هو الذى يشهد لى وقد عرفت ان شهادته صادقة التى يشهد بها لى

ان تعاطى متعاط ان يحتفر موضعا معدنيا وكان غبيا فى هذه الصناعة فليس من شأنه ان يبتدع ذهبا اذ يخلط كل ما يعمله على بسيط ذات التخليط و يقاسى تعبا اضطرارا قد عدم ان يكون نافعا فكذلك الذين ما يعرفون نظام الكتب الالهية ولا يبحثون عن شرائعها وخواصها الكنهم يتناولون سائر الفاظها بمعنى واحد على بسيط ذات التناول و يجنون ذهبا مع تراب وما يصادفون فى وقت من أوقاتهم الذخيرة المخزونة فيها فهذه الاقوال قلتها الان لان الموضوع الذى قد جعلنا الكلام فيه يحوى لعمرى ذهبا كثيرا الا انه ما يستبين واضحا لكنه مطمور باغماض كثيرة من فوقه فلذلك يحتاج لاناس يحتفرون و ينظفون ما فوقه حتى يصلوا الى أخلص معانيه وأخصها به لان من ليس يرتجف فى الحين اذا سمع المسيح قائلا ان كنت اشهد انا لذاتى فشهادتى ليست هى صادقه لانه قد استبان انه شهد لذاته فى جهات كثيرة لانه قال حين خاطب السامرية انا هو المسيح وقد قال للاعمى الذى يكلمك هو ذاك وقد قال لليهود كيف تقولون انتم انك تجدف لاننى قلت اننى ابن الله وهو يعمل هذا العمل فى وجوه كثيرة من فوق هذا القول فلذلك يحتاج لاناس يحفرون و ينظفون ما فوقه حتى يصلوا الى اخلص ما فيه معانيه واخصها به فان كانت تلك الاقوال كلها كاذبة فاى رجاء خلاص يكون لنا ومن أين نجد الحق اذا كان الحق بعينه يقول ان شهادتى ليست

صادقة

صادقة وليس هذا القول وحده يظن انه قول مضاد لكن قوله الاخر أيضا الذى
ليس هو دون هذا لانه اذا أمعن فى كلامه قال وان أشهد انا لنفسى فشهادتى
صادقة هى فقل لى أيهما اقتبل وأيهما أظنه كاذبا ان اتخذنا الكلام على هذا
النحو على نحو ما قيل ولم يبحث عن وجه ذلك ولا عن علته ولا عن غرض من هذه
الاغراض وأمثالها فيكون القولان كلاهما كاذبين لان شهادته ان كانت ليس
هى صادقة ولا قوله بعينه صادق ليس القول الثانى فقط لكن وقوله الاول
أيضا فما هو معنى القول الذى قد قيل فبنا حاجة الى سهر كثير وأولى ما يقال
اننا نحتاج الى نعمة الله لكيلا نثبت فى ألفاظ ساذجة لان أصحاب بدع الهوى فى
الدين على هذه الجهة انخدعوا اذ لم يبحثوا عن غرض المتكلم ولم يستفحصوا املكة
سامعيه لاننا متى لم نستصحب هذه الاصناف وغيرها كقولك نستصحب أوقات
الكلام ومواضعه وعزم سامعيه والا فستتبع الكلام شناعات كثيرة فما
هو اذا معنى ما قد قيل أنا أقوله لما اعتزم اليهود ان يقولوا له ان شهدت أنت
لنفسك فشهادتك ليست هى صادقة فلهذا الغرض سبقهم هو فقال هذه
الاقوال كانه قال لعسا كم تقولون لى اننا ما نصدقك أنت لان على نحو ما يقال فى
أناس ان من يشهد باسراع لنفسه ليس هو مؤهلا لتصديقه فلفظة ليست هى
صادقة ليس ينبغى ان تقرأ على بسيط ذات قراءتها لكن ينبغى ان تقرأ اذا أضفنا
اليها توهم أولئك اليهود فيه كقولك انها عندهم ليست صادقة لانه ما تكلم
هذه الالفاظ يعتمد به رئاسته لكن انما يعتمد بها توهم أولئك فيه فاذا قال
شهادتى ليست هى صادقة انما يوبخ عزم أولئك و يقرع بذلك المعاندة المزمعة
ان تصدر من أولئك اليه واذ قال وان اشهد أنا لنفسى فشهادتى صادقة هى فانما
قد أوضح طبيعة الحق بعينها وانه اذا تكلم عن ذاته فينبغى ان يعتقد انه اهل
مؤهل لتصديقه لانه لما ذكر قيامة الموتى والقضاء عليهم وان من يصدقه ليس
يحاكم لكنه يجئ الى حياته وانه يجلس مطالبا للناس كلهم بالحجج وانه يمتلك

السلطان والقدرة بعينها الذين لابيه فاذا اعتزم ان يصلح هذه الاقوال كلها وضع
معارضتهم أولا على جهة أخرى ضرورية فقال قد قلت ان مثل ما ان أبي يقيم
الاموات ويحييهم مثل ذلك يحيي ابنه الذين يشاء قد قلت ان أبي ليس يقضي
ولا على أحد لكن القضاء كله أعطاه للابن قد قلت انه ينبغي ان يكرم الابن
مثل ما يكرم الاب قد قلت من ليس يكرم الابن فليس يكرم أباه قد قلت ان من
يسمع أقوالي ويصدق مرسلي ليس يعاين محاكمة لكنه قد انتقل من الموت الى
الحيوة قد قلت ان صوتي ينهض الاموات الذين قد ماتوا الآن والذين يموتون
فيما بعد قد قلت انني أطالب الناس كلهم بجواب عن الهفوات التي اجترموها
قد قلت انني أقضي قضاء عدلا وا كافي الذين قد أحكموا الفضائل فلما كانت
هذه الاقوال كلها قضية جازمة وكانت هذه الالفاظ التي قد قيلت عظيمة ولم
يكن بعد قد قيل لاولئك اليهود برهان واضح يحققها لكن برهان غامض فبين
أزمع ان ينهض الى الايقان بان الالفاظ التي قالها وضع أولا هذا القول بقوله على
هذا النحو وان كنتم ما قد نطقتم بعد بهذه الالفاظ لكن لعلكم تقولون هذه
الاقوال كلها أنت تقولها فلست شاهدا مؤهلا للتصديق اذ تشهد لنفسك
وتقض منازعتهم اياه بوضعه هذا القول أولا الذي أزمعوا ان يقولوه وبايضاحه
انه قد عرف أقوال سريرتهم الفاقدة التي كانوا بها اذخولهم هذا برهانا لقدرته
أولا وخولهم بعد هذه المعارضة براهين أخرى واضحة ناجية من الطعن عليها اذ
أورد الاقوال التي قالها ثلثة شهود أحدهم الاعمال الكائنة منه وثانيهم
شهادة أبيه وثالثهم انذار يوحنا به ووضع ادناهن وهي شهادة يوحنا اولا لانه
قال آخر هو الشاهد لي وقد عرفت ان شهادته هي صادقة (٣٣) استثنى بقوله
أنتم أرسلتم الى يوحنا فشهد للحق وانا اتجاسر فاقول له ياسيدي ان كانت شهادتك
ليست هي صادقة فكيف تقول انني قد عرفت ان شهادة يوحنا صادقة فشهد
للحق أرأيت ياسامع كيف قد استبان في هذه الجهة بيانا واضحا ان لفظة

شهادتي ليست هي صادقة انما قالها يعتمد بها توهم أولئك اليهود ولعل
معارضا يقول فما قولك ان كان شهد له يحمد فنقول له حتى لا يقولوا هذا
القول أنظر كيف أزال هذا التوهم لانه ما قال ان يوحنا شهد لي لكنه قال أولا
أنتم أرسلتم الى يوحنا فما أرسلتم اليه لولا انكم احتسبتموه مؤهلا للتصديق
وأعظم من هذا الاحتجاج انهم ما أرسلوا اليه يسألونه عن المسيح لكنهم انما
أرسلوا يسألونه عن نفسه فمن ظنوا انه مؤهل للتصديق في أقواله عن ذاته
فأولى به ان يكون مؤهلا للتصديق في أقواله عن غيره لاننا نحن الناس كلنا
في طباعنا (على ما يقال) ان لا نصدق على هذا النحو القائلين قولا عن أنفسهم
على نحو ما نصدق القائلين عن غيرهم قولا فهذا يوحنا استشعروه على هذا
المثال مؤهلا للتصديق كانه في أقواله عن نفسه ليس يحتاج الى شهادة أخرى
لان المرسلين اليه ما قالوا له ما الذي نقوله عن المسيح لكنهم قالوا له أنت من
أنت ماذا تقول عن نفسك فعلى هذه الصفة امتلكوا تعجبهم من يوحنا عظيما
فهذا المعنى كله اعتمده اعتمادا مستورا بقوله أنتم أرسلتم الى يوحنا ولهذا
الغرض ما ذكر البشير انهم أرسلوا فقط لكنه تعمق مع ذلك في وصف المرسلين
انهم كانوا كهنة من الفريسيين وما كانوا محقورين أدنياء المحل ولا مطرحين
ولا كانت حالهم حال من ينفسد رأيهم ويتغافل عنهم لكنهم كانت فيهم كفاية
ان يعرفوا ما يقوله ذلك الفاضل بابلغ استقصاء ثم قال (٣٤) وأنا لست أستمد
الشهادة من انسان فقد يجوز ان يقال له فلم أوردت شهادة يوحنا على ان
شهادة ذلك ما كانت شهادة انسان لانه قال الذي أرسلني أعمد بالماء ذلك قال
لي فمن هذه الجهة شهادة يوحنا كانت شهادة الله لانه من الله عرفها وقال
ما قاله ولكن لكيلا يقولوا من أين هذا واضح انه من الله عرف ذلك ويذمون
هذه الاقوال أبكمهم من سمو محله اذ خاطبهم أيضا نحو توهمهم لانه ما كان
واجبا ان يعرف هذه الاقوال كثيرون لكنهم أصغوا الى يوحنا كقائلها

ل يو ت ث

من ذاته فى ذلك الحين لهذا الغرض قال انا الست استمد الشهادة من انسان
ولو استخبره مستخبر فان كنت ما استمد الشهادة من انسان وان تتأيد من هذه
الجهة فلم أوردت شهادته فتى لا يقولوا هذه الاقوال اسمع كيف تلا فى ذلك
بايراده معارضة هذه صفتها لانه اذ قال انا الست استمد الشهادة من انسان
استثنى بقوله لكننى أقول هذه الاقوال لتخلصوا أنتم * فالذى يقوله معناه
هو هذا أنا لاجل اننى لم أزل الهاما احتجت الى شهادة انسانية فاذ كنتم أنتم
أصغيتم اليه أكثر واحتسبتموه مؤهلا للتصديق أكثر من جميع أهل عصره
وبادرتم اليه كمتبادرين الى نبي (لان المدينة انبث اهلها الى الاردن) وما
صدقتمونى انا المجترح الايات لهذا السبب أذكركم بتلك الشهادة قال (٣٥)
ذاك كان السراج المتوقد الظاهر فاردتم أنتم ان تبتهجوا فى ضوءه مقدار ساعة
فتى لا يقولوا وماذا علينا ان كان ذاك قال ونحن فلم نقبل قوله فاراهم انهم
قد اقتبلوا الاقوال التى قالها لانهم ما أرسلوا اليه الا دنيا المحل عندهم لكن
كهنة وفريسيين وأرادوا ان يبتهجوا فى ضوءه فعلى هذه الصفة استجبوا يوحنا
وما انساغ لهم ان يرادوا حينئذ الاقوال التى قالها لهم ولفظة مقدار ساعة
هى لفظة موضحة سهولة جنوحهم وانهم ولوا عنه طافرين بمسارعة ثم قال
(٣٦) فانا امتلك شهادة اعظم من شهادة يوحنا الا انكم ان شئتم ان تقبلوا على
مساق القياسات الامانة بى فقد اقتدتكم اليها من أعمالى أكثر اقتيادا فاذا
كنتم لم تريدوا انا اسوقكم الى يوحنا ليس سوق محتاج الى شهادة ذاك لكن
لاننى اعمل كل عمل حتى اخلصكم لاننى امتلك شهادة أعظم من شهادة يوحنا
الشهادة التى من أعمالى لكننى لست اراصد هذا الغرض فقط وهو ان اصير
من الشهادات المؤهلة لتصديقها مقبولا عندكم لكننى أريد ان أكون
مقبولا عندكم من الاقربين اليكم المستجبين عندكم ثم لذعهم بقوله انكم
أردتم ان تبتهجوا فى ضوءه مقدار ساعة واوضح حرصهم الوقتى الفاقد ثباته

فدعاه سراجا موضحا انه ما امتلأ ضوءه من ذاته لكن من نعمة الروح القدس
الا انه ما وضع في قوله الفرق فيما بين ذلك وبينه لانه هو كان شمس العدل
الا انه ما اعتمد ذلك اعتمادا مستورا فقط ولذعهم لذعا شديدا اذ أراهم ان من
عزمهم بعينه الذي منه تهاونوا بيوحنا ما قدروا ان يصدقوا المسيح لانهم انما
استجبوا المستجب عندهم مقدار ساعة فقط فلو لم يعملوا هذا العمل لكان
قد اقتادهم الى عند المسيح سريعا فاذ أراهم من كل جهة انهم قد عدموا ان
يكونوا له مؤهلين للعفو استثنى بقوله انا امتلك الشهادة اعظم من شهادة يوحنا
وهي الشهادة من اعماله لانه قال الاعمال التي اعطانيها ابي لكي اتممها هذه
الاعمال بعينها تشهد لي ان ابي ارسلني فههنا ذكرهم بالخلع الذي شدده
وقومه وبسقماء كثيرين آخرين ولعل قائلا منهم قد قال ان اقواله توجد
تبدجا وشهادة يوحنا هي له تحمد بسبب صداقته اياه على ان هذا القول
ما كان ممكنا لهم ان يقولوه عن يوحنا (الرجل العارف ان يتفلسف بابلغ
التفلسف المستجب عندهم على هذه الصفة) فافعاله اذا ما أمكن ولا عند
المصروعين جدا الجانين ان يتوهموا فيها هذا التوهم فلهذا السبب أورد
شهادة ثانية بقوله الاعمال التي اعطانيها أبي لكي اتممها هذه الاعمال
باعيانها التي انا اعملها تشهد لي ان ابي أرسلني فههنا ينتصب اثابهم اياه على
حل السبت لانهم اذ قالوا كيف يمكن ان يكون من الله لانه ليس يحفظ السبت
لهذا المعنى قال التي اعطانيها أبي على انه قد عملها بتأمره الا انه اراهم بايضاح
كثير انه ليس يعمل عملا مضادا لابيه فلهذا السبب وضع القول الادنى كثيرا
لانه لم يقل ان الاعمال التي اعطانيها أبي تشهد انني عديل ابي لان كلا
الصنفين كانا يعرفان من أعماله انه عديل لوالده وذلك فقد ابتدعه في موضع
آخر فقال ان كنتم ما تصدقوني فصدقوا أعمالي لتعرفوا وتوقنوا انني أنا في أبي
وأبي في فالصنفان كلاهما كانا يشهدان له انه كان عديلا لابيه وانه ما عمل عملا

ضد الوالده فان قلت فلم ما قال هذا القول لكنه ترك القول الاعظم ووضع هذا القول أجبتك لان الغرض المحروص عليه أولا هذا كان تصديقهم انه جاء من الله وهو أدنى بكثير من تصديقهم انه هو عديل لابيه لان ذلك الصنف الاول قد كان مناسبا للانبياء وهذا الصنف الثانى فليس يناسبهم الا انه مع ذلك حرص حرصا كثيرا من أجل التصديق الادنى عالما انهم اذا اقتبلوا هذا التصديق الادنى صار ذلك التصديق الاعلى مقبولا عندهم فيما بعد سريعا ولما ذكر الشهادة التى أعلى واعظم وضع الفعل الادنى منها حتى يقتبلوها ثم قال (٣٧) والاب الذى ارسلنى فقد شهد لى فان سألت واين شهد له أجبتك فى الاردن قائلا هذا هو ابنى الحبيب فاسمعوا منه الا أن هذا القول احتاج تثبيتا لان قول يوحنا كان واضحا لانهم هم ارسلوا وما انساغ لهم ان ينكروه والشهادة التى من عجائبه على مشابهة لذلك لانهم أبصروها عند كونها وسمعوها من الذين شفوا وصدقوها ومن هذه الجهة اشتكوه بافتعالها فى السبت فبقى ان يبين فيما بعد الشهادة التى من عند أبيه ثم اعتزم ان يثبتها فقال ما سمعتم صوته قط وكيف قال موسى ان الله تكلم وموسى جاوبه وكيف قال داود سمعوا صوتا ما كانوا عرفوه (خروج ص ٩ ع ١٩) وقد قال موسى أيضا ان كانت توجد أمة هذه الحال حالها قد سمعت صوت الله ولا رأت صورته (تثنية ص ٤ ع ٣٣) على ان الانبياء يقولون انهم قد رأوه واشعيا وارميا وحزقيال وآخرون أكثر من هؤلاء فان قلت فما الذى قاله المسيح أجبتك انه صاعدهم قليلا قليلا الى رأى فيلسوف موضحا ان ليس فى الله صوت وليس له صورة لكنه هو اعلى من كل الاشكال والنغمات التى هذه صفتها وكما انه لما قال انكم ما سمعتم صوته قط ما ذكر هذا المعنى انه يبدى صوتا الا انه ليس مسموعا فكذلك لما قال ولا رأيتم صورته ما ذكر هذا المعنى انه يملك صورة الا انها ليست ملحوظة لكنه انما قال ان ليس فى الله صنف من هذه الاصناف لان حتى لا يقولوا انك تتبدخ متفخما الله قد

كلم

كلم موسى وحده وقد قالوا هذا القول نحن قد عرفنا ان الله كلم موسى وهذا فما نعرف من أين هو قال ليس فى الله صوت ولا له صورة وما معنى قولى زعم انكم لستم ما قد سمعتم صوته فقط ولا رأيتم صورته بل ولا الفعل الذى قد تفاخرتم به أكثر مفاخرة ولا الذى قد حصلتم كلكم موقنين به أكثر يقانا انكم قد قبلتم أوامره وتمسكتم بها ولا هذا ممكن لكم ان تقولوا انكم قد فعلتموه فلذلك استثنى بقوله (٣٨) ولا قد ملكتم كلامه ثابتا فيكم وكلامه هذا هو فرائضه أوامره شريعته انبياه ولئن كان الله قد اوعز بهذه الاوامر الا انها مع ذلك ليست هى موجودة فيكم اذا ما صدقتمونى لان الكتب ان كانت قالت هذا القول فوق واسفل انه يجب عليكم ان تصغوا الى فانتم ما صدقتمونى فواضح ان كلامه قد انتزح عنكم ولهذا السبب استثنى بقوله لان من ارسله ذاك ما صدقتموه أنتم لكيلا يقولوا فان كنا ما سمعنا صوته فكيف شهد لك قال فتشوا الكتب فتلك هى التى تشهد لى لانه بها شهد لى مع انه فى الاردن قد شهد لى وفى الطور الا انه ما أورد الى وسط كلامه تلك الاصوات لانهم لعلهم كانوا قد انكروها لان الصوت المنحدر من الجبل ما سمعوه هم والكائن فى الاردن قد سمعوه لعمرى الا انهم ما أصغوا اليه لهذا السبب أرسلهم الى الكتب موضحا ان شهادة أبيه من هناك هى فاولا بطل الاخبار العتيقة التى تفاخروا بها اما بانهم قد عاينوا الله واما بانهم قد سمعوا صوته لانه اذ كان واجبا ان ينكروا صوته وان يتخيلوا الحوادث الحادثة فى طور سينا تلا فى أولا توهمهم فى تلك الحوادث وأراهم ان تلك الحوادث الكائنة كانت تحدرا ومقاربة لهم وأرسلهم حينئذ الى شهادة الكتب

العظـــــة الاربعون

فى انه ينبغى لنا ان نتصفح معانى الكتب بحرص كلى ونواظب على ذلك بابلغ

الاجتهاد وفى ان من يعمل الوصايا كلها من أجل الله هو كامل فى فضيلته وفى الصدقة أيضا

فمن هذه الجهة نتأيد نحن اذا حاربنا ذوى بدع هواهم فى ديننا ونتدرع ألفاظ الكتب الالهية سلاحا عليهم لان كل كتاب موحى من الله هو نافع لتعليمنا وتوبيخنا وتلافينا واصلاحنا ولتأديبنا فى العدالة والبر ليكون صاحب الله كاملا متكاملا فى كل عمل صالح (تيموثاوس ثانية ص ٣ ع ١٦) ليس حتى يمتلك بعض الصالحات ولا يملك بعضها لان من هذه سجيته ليس هو كاملا لان قل لى ما منفعتك اذا كنت تصلى صلوة متصلة ولست ترحم رحمة واسعة أو اذا كنت ترحم رحمة واسعة وتستكثر من القنية وتغصب رفيقك أو اذا كنت ما تستكثر من القنية ولا غاصبا لرفيقك ولا مستغنما اياه وكنت تعمل كل ما تعمله من الفضائل لتريه للناس وللتباهى به عند الناظرين أو اذا كنت ترحم بالغ الاستقصاء وأكثر رحمة تعتمد بها ارضاء الله ثم ترفع وتتعظم أو اذا كنت متواضعا جانحا الى الاصوام وأنت محب للفضة متاجر مستمر فى الارض موجه الى نفسك أمر الرذائل كلها لان أصل الشرور كلها هى محبة الفضة كما قال الرسول فلنرهبن هذا العارض ولنهربن من هذه الخطئة لان مرض حب الفضة جعل المسكونة مسلوبة ثباتها هذا الداء بلبل أحوالها كلها هذا الوجع يحجزنا من الخدمة السعيدة للمسيح والتعبد له لانه قال لا سبيل لكم ان تتعبدوا لله والغصب المال لانه يوعز بخلاف ايعاز المسيح لان المسيح يوعز الينا بالاعطاء للمحتاجين وغصب المال يامر باختلاس أشياء المحتاجين المسيح يقول اغفر للذين يغتالون عليك ويظلمونك وهذا يقول اخترع فخاخا للذين لم يظلموك المسيح يقول كن محبا للناس مرافقا أنيسا وهذا يقول كن جافيا قاسيا ولا تحتسب دموع الفقراء شيأ حتى يصير القاضى صارما علينا لان فى ذلك الحين تحضر الاعمال التى عملناها كلها الدى الحاظنا والذين ظلمناهم وسلبناهم يعطفوننا عن كل اعتذار ولئن كان

العازر ما ظلمه الغنى ظلما واذ لم يستمتع بخيرات ذاك الغنى انتصب له ثالبا مستمرا وما تركه يتملك من العفو ولا صنفا واحدا فقل لى أى اعتذار يتملكه الذين ما يرجون مما يتملكونه و يستلبون الاشياء التى ليست لهم و يقلبون بيوت اليتامى ان كان الذين ما اطعموا المسيح عند جوعه استجذبوا الى رؤوسهم نارا جزيلا تقديرها فالخاطفون الاشياء التى ليست واجبة لهم و يضفرون من الظلم صنوفا جزيلا عددها و يحوزون على أملاك جميع الذين يستضعفونهم باشد الظلم أية تسلية يستمتعون بها فلنخرجن من أنفسنا هذا العشق الردى وانما نخرجه اذا تفطنا فى الظالمين قبلنا المستكثرين من القنيات وفى حالهم بعد انصرافهم من الدنيا انما اناس آخرون يتمتعون باموالهم واتعابهم وهم قد حصلوا فى عقاب وتعذيب وفى مساوى معضلة مسلوبة تلافيها او كيف ليست هذه الافعال من جنون فى اقصى غايته ان نتعب ونشقى لكيما نتمادى فى الاتعاب طول مدة حياتنا ونقاسى عقوبات وتعاذيب بعد انصرافنا من الدنيا مسلوبة ان نطيقها وقد كان واجبا ان نتنعم ههنا الان ليس فعل على هذا النحو يولد اللذة مثل فعل الصدقة واذا ذهبنا الى هنالك نتخلص من البلايا كلها بايه ونملك النعم الصالحة الجزيل عددها الان على نحو ما ان الرذيلة من عادتها ان تعذب قبل جهنم الذين يستعملونها ههنا على هذا النحو تجعل الفضيلة قبل الملكوت الذين يعملونها ههنا ان يتنعموا بآمال صالحة وتصيرهم ان يعيشوا فى لذة دائمة فلكيما يتفق لنا امتلاك هذه اللذة ههنا وفى الحيوة المنتظرة فلنتمسك بالاعمال الصالحة فاننا على هذه الجهة يتفق لنا تحصيل الاكاليل المأمولة التى فليتفق لنا كافنا امتلاكها بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفه الذى به و معه لابيه المجد مع الروح القدس الان ودائما والى أباد الدهور كلها أمين

المقالة الحادية والاربعون

(٣٩) فتشوا الكتب فانكم أنتم قد ظننتم أنكم تجدون فيها حياة دهرية فتلك هى التى تشهد لى (٤٠) وماتريدون ان تجيئوا الى لتملكوا حيوة دهرية

يا أحباءى اذا اهتممنا اهتماما جزيلا بالمحامد الروحانية ما نظن ان ممارستنا اياها كيفما اتفق فيه كفاية لخلاصنا ولئن كانت أعمال الدنيا وأشغالها ليس يستطيع أحدنا اذا مارسها ممارسة منحرفة عن القصد وعلى ما اتفق ان يستمد منها نفعا عظيما فأولى وأليق ان يعرض هذا العارض فى الاعمال الروحانية اذ كانت هذه تحتاج الى حرص أكثر دواما ولهذا المعنى أرسل المسيح اليهود الى الكتب ليس الى قراءة ساذجة لها لكنه أرسلهم الى بحث عنها بليغ متصفح لانه ما قال اقرأوا الكتب لكنه قال (فتشوا الكتب) لهذا السبب وأمرهم ان يفتشوها لان أراء الاقوال التى قيلت من أجله تحتاج الى اهتمام كثير (لانها قد سترت عن الكائنين فى ذلك الحين بحجاب فوقها لما يوافقهم) ليمكنهم ان يجدوا الفوائد الموضوعة فى سطورها لانها ما قيلت طافية على وجهها ولا طرحت عند سطحها ولكنها اذ محلها محل ذخيرة نفيسة وضعت فى عمق كبير منها ومن يلتمس الاشياء الراسية أسفل ان لم يلتمسها بتعب وبابلغ الاستقصاء فليس يمكنه فى وقت من الاوقات ان يجد مطلوبه ولهذا المعنى قال (فتشوا الكتب فانكم أنتم قد ظننتم انكم تمتلكون فيها حيوة دهرية) وماقال قد

ملكتم

ملكتم فيها لكنه قال قد ظننتم موضحا انهم ما استثمروا من هنالك شيأ
عظيما جيدا اذ توقعوا انهم يتخلصون من قراءتهم اياها وحدها ولا تكون
الامانة حاصلة لهم فالذى يقوله معناه هذا هو أنما قد استجبتم الكتب
أو ما قد توهمتم انها توجد علة لحياتكم كلها فان هذه الكتب أتأيد انا الآن
لان هذه هى التى تشهد لى وما قد شئتم ان تجيئوا الى لتملكوا حياة دهرية
فالفظة قد ظننتم انكم تملكون فيها قد قالها على جهة الواجب لاجل انهم
ما أرادوا ان يقبلوا منها لكنهم آثروا ان يفتخروا فى قرآتها فقط الساذجة ثم
لكيلا من تلقاء اشفاقه الكثير عليهم يستمد عندهم ظن حب الشرف
وبسبب ايثاره ان يصدقوه يستشعروه يراصد حظ نفسه لانه قد ذكرهم
بصوت يوحنا وشهادة الله وباعماله هو وقال هذه الاقوال كلها لكى يستجذبهم
ووعدهم حياة واذا كان واجبا ان يتوهم كثيرون انه انما قال هذه الاقوال
عاشقا للتشريف منهم اسمع ماذا قال (٤١) لست استمد من انسان تشريفا
ومعنى ذلك هو لست أحتاج فطبيعتى ليست هذه الحال حالها حتى انها تحتاج
الى تشريف من الناس ولئن كانت الشمس ما تستمد من ضوء سراجى زيادة
فانا ابتعد أكثر بعدا من ان احتاج الى تشريف انسانى فان قلت فلم قال هذه
الاقوال أجابك هو لتتخلصوا أنتم لكن هذا القول قاله فوق هذا الموضوع
واعتمده ههنا اعتمادا مستورا بقوله لتتملكوا حياة ووضع أيضا لفظة أخرى
وهى قوله (٤٢) الا انى قد عرفتكم ان حب الله ما قد ملكتموه فى
ذواتكم لانهم على ما ذكروا لما احبوا الله طردوه ولانه صير ذاته عديلا
الله وقد عرف انهم ما يقبلون منه فلكيلا يقول قائل له فلم يقول هذه الاقوال
يقول له أقولها حتى أوبخكم انكم ما طردتمونى لاجل حب الله اذ كان الله
يشهد لى بافعاله وأنبيائه لانكم على نحو ما توهمتم قبل هذا الوقت انى ضد
الله فطردتمونى فكذلك الآن منذ أوريتكم هذه الايات قد وجب عليكم ان

تتبادروا الى لو أحببتم الله الا لانكم ما قد أحببتموه لان لهذا المعنى قلت هذا
القول حتى أوضحكم حاوين صلفا ازاء ندامة فاخرين باطلا ساترين حسدكم فاثبت
هذه الاقوال ليس من هذه الاقوال وحدها لكن من الاقوال التي سبقة ولها لانه
قال (٤٣) أنا جئت باسم أبي فما قبلتموني واذا جاءكم آخر باسم ذاته فاياه
تقبلون أرأيت انه فوق وأسفل لهذا الغرض قال انه أرسل وانه يأخذ القضاء
من أبيه وليس يقدر أن يعمل من ذاته شيأ ليحسم بذلك كل حجة لمكابرتهم
وان سألت ومن هو الذي قال انه يجئ باسم ذاته أجبتك انه ههنا يذكر ضد
المسيح ذكرا غامضا فوضع برهانا على مكابرتهم يحتجز الطعن عليه وهو لانكم
ان كنتم طردتموني انا لانكم أحببتم الله فاليق بكم ويجب عليكم أن تعملوا
بضد المسيح هذا العمل لان ذاك ليس يقول قولا هذه صفته لا ان أباه أرسله
ولا انه جاء برأى ذاك لكن أقواله كلها بخلاف ذلك وهو انه يختلس على جهة
الغصب الحظوط التي ليست واجبة له اذ يقول عن ذاته انه هو اله على الكل
على ما ذكر بولس انه مترفع على كل من يدعى الها أو ذا عبادة مظهر ذاته انه هو
الاله (تسالونيكية ثانية ص ٢ ع ٤) لان هذا هو معنى انه يجئ باسم
ذاته فأنا ما جئت على هذه الجهة لكنني جئت باسم أبي وهذا القول فيه
كفاية أن يوضحهم انهم ليسوا محبين لله لانهم ما قبلوا القائل ان الله أرسله
والآن فقد أعان وقاحتهم من ضد هذا اذ قال انهم يقبلوا ضد المسيح لانهم
اذ لم يقبلوا القائل ان الله أرسله وأزمعوا ان يسجدوا للمتفخم بانه ليس
يعرف الله والقائل عن ذاته انه هو اله على الكل فواضح بين ان طردهم
اياه انما كان من حسدهم له ومن مقتهم الله فلهذا المعنى وضع للاقوال
التي قالها علتين فالاولى منهما الاصلح من غيرها فهي قوله لكيما تتخلصوا
ولتملكوا حياة واذا اعتزموا ان يهزوا به وضع لهم العلة الالذع من غيرها
التي هي قبولهم ضد المسيح موضحا ان سامعيه وان لم يقبلوا منه فان الله من عادته

أن

ان يعمل فى كل مكان أفعاله واعمرى ان بولس عندما تكلم فى وصف ضد
المسيح قال على معنى النبوة ان الله يرسل لهم فعل ضلالة ليجا كموا كلهم الذين
لم يصدقوا الله الحق لكنهم ارتضوا بالظلم الان المسيح ماذكر انه سيجئ ولكنه
قال اذا جاء آخر وفعل ذلك مشفقا على سامعيه اذ مكابرتهم ما كانت بعد
كاملة تامة فلهذا السبب صمت هو عن علة ورود ذلك العنيد الان بولس
ذكرها ذكرا غامضا للمقتدرين ان يعرفوها معرفة بليغة لان ذلك هو الذى
انتزع منهم كل اعتذار ثم وضع علة اجتنابهم تصديقه اذقال (٤٤)
كيف تستطيعون ان تؤمنوا اذا استمد بعضكم التشريف من بعض ولم تطلبوا
المجد الذى من الله وحده ومن هذه الجهة أراهم أيضا انهم ما راقبوا حقوق
الله لكنهم بتظاهرهم هذا ارتادوا ان ينتصروا السقمهم فابتعدوا هذا الابتعاد
النازح من افتعال هذه الافعال لاجل مجده لانهم آثروا الشرف الانسانى
أكثر من ايثارهم المجد الذى من الله وكيف أزمعوا ان يمقتوا تشريف الناس
مقتا جزيلا وقد ازدروا على هذا النحو مجد الله ازدراء أوصلهم الى ان
يفضلوا الشرف الانسانى عليه واذقال انهم ما امتلكوا حب الله وبرهن
هذا القول بهذين القولين كليهما بافعالهم الواصلة اليه وبالتى تصل منهم
الى ضد المسيح وطعن عليهم طعنا واضحا وأوجب أنهم معدومون كل عفو أقام لهم
فيما بعد موسى ثالبا لهم اذقال هذا القول (٤٥) ألعلكم ظننتم اننى أنا
أثلبكم بحضرة أبى وقد يوجد الثالب اياكم موسى الذى قد رجوتموه أنتم
(٤٦) لانكم لو صدقتم موسى لصدقتمونى أنا لان ذلك من أجلى كتب
(٤٧) فان كنتم ما صدقتم الالفاظ التى كتبها ذاك فكيف تصدقون أقوالى
فالذى يقوله معناه هذا هو ان ذاك هو المثلوب قبلى فى أقواله المتوجهة الى
لانكم قد أنكرتم موسى أكثر مما أنكرتمونى وانظر كيف أخرجهم من سائر
الجهات من كل اعتذار قد ذاتم زعما انكم طردى أنا أنكم تحبون الله فقد

أريتكم انكم عملتم هذا العمل اذ بغضتم الله قد قلتم انى أحل السبت وأنقض الشريعة فقد تعريت من هذا الثلب قد وعدتم انكم تصدقون موسى بالافعال التى اجترأتم بها على فقد أريتكم ان هذا الوعد هو أكثر من كل شئ اجتنابا بالتصديق موسى لانه بخوف من مضادة الشريعة الجزيل تقديرها أطاعها وأريتكم أن ولا واحدا آخر من الناس يوجد ثالبا اياكم مجاهرا الا الذى دفع اليكم الشريعة وعلى نحو ما قال عن الكتب التى فيها قد ظننتم انكم تمتلكون حياة دهرية فكذلك قال لهم عن موسى الذى ارتجيتموه وأنتم مستأسرا اياهم فى كل مكان من الاصناف التى تناسبهم ولعل قائلا منهم قد قال من أين يستبين ان موسى يثلبنا وأنك ما تفاخر بكلامك لان ما هو الرأى المشاع بينك وبين موسى اذ حللت السبت الذى اشترع ذلك ضبطه وكيف يثلبنا ذاك وكيف يكون واضحا اننا نؤمن بآخر اذا جاء باسم ذاته فهذه الاقوال كلها انما تقولها مسلو بة شاهدا يحققها فانه يجيبه هذه الاقوال كلها حاوية من العلو ثبيتها لانه اذا اعترف بى أنى من الله جئت من أعمالى ومن صوت يوحنا ومن شهادة أبى فمن أوضح البيان ان موسى سيثلبكم لان تأملوا ما قاله موسى قال اذا جاءكم مجترح آيات معتادا اياكم الى الله يتقدم فيصف لكم الحوادث التى ستكون وصفا بتحقيق فيجب عليكم ان تطيعوه بكافة نشاطكم (تثنية ص ١٣ ع ١)والمسيح قد عمل هذه الاعمال كلها لانه قد اجترح آياته بكافة حقيقتها واجتذب الى الله جميع الذين صدقوه وأورد الغاية بالفاظ سبوق تخبيره بها ولعلك تقول فمن أين يستبين انهم سيؤمنون بآخر فنقول لك يستبين ذلك من ابغاضهم المسيح لان الذين ارتجعوا من الذى جاءهم برأى الله فمن البين انهم سيقبلون معاند الله ولئن كان قد قدم موسى بعد قوله أنا لست أستمد الشهادة من انسان فلا تستعجب ذلك فانه ما أرسلهم الى موسى لكنه انما أرسلهم الى كتب الله ولكن

اذ

اذ كانت الكتب قد أخافتهم أدنى الخوف أدار كلامه الى وجه من قد أورد
اليهم اذ أوقف لهم المشترع بعينه ثالباً اياهم جاعلا الخوف على هذه الجهة أظهر
بياناً عندهم ووبخ كلامهم من أقوالهم التى قالوها وتامل هذا المعنى قالوا انهم
يطردونه لاجل حبهم الله فاراهم انهم انما يطردونه لاجل ابغاضهم الله قالوا
انهم يعتصمون بموسى و يقبلون كلامه فاراهم انهم عملوا هذه الاعمال بسبب انهم
ما صدقوا موسى لانهم لو كانوا التمسوا الشريعة لكانوا قد اقتبلوا من تممها ولو
كانوا أحبوا الله لوجب عليهم ان يطيعوا من استجذبهم الى الله ولو كانوا صدقوا
موسى لوجب عليهم ان يسجدوا لمن تنبأ عليه موسى فان كنتم قبل ان تنكروا
قولى قد أنكرتم قول ذاك فليس منكرا عندكم ان تطردونى أنا الذى قد أنذر
ذاك بى وكما انهم اذ استجبوا يوحنا أظهرهم متهاونين بيوحنا بالمكاره التى
أوصلوها اليه فكذلك لما ظنوا انهم قد صدقوا موسى أراهم انهم قد أنكروا قول
موسى وأقلب على رؤوسهم جميع الافعال التى ظنوا انهم يصدرونها من أجلى
أنفسهم دائما لانه قال اننى انتزح أبعد انتزاحا من ان أزيغكم عن الشريعة لاننى
أدعو مشترعها بعينه ثالباً اياكم والغرض فى انه قال ان الكتب تشهد لى وما
ذكر أين تشهد له ولا استثنى بذلك فهو لا يثاره ان يحصل فيهم الخوف أعظم
تأثيرا وان يرسلهم الى تصفحها وتفتيشها و يحصلهم ذلك فى ضرورة تلزمهم
بالسؤال لانه لو كان ذكر لهم الموضع منها ولم يسألوه لكانوا قد رفضوا شهادتها
فلو كانوا أصغوا الى ما خاطبهم به لوجب عليهم ان يسألوه قبل الاشياء الاخر عن
هذا المعنى و يتعلموه منه لان لهذا الغرض يطنب كلامه فى قضاياه وفى تهويلاته
أكثر وما يطيل الكلام فى براهينه فقط لكى ولو على هذه الطريقة يقتادهم
بالارتياع من الاقوال التى يقولها الا انهم لبثوا صامتين لان الخبيث هذه السجية
سجيته مهما قال قائل أو فعل فاعل فانه ليس ينتبه ولا يتعرض لكنه يلبث حافظا

اسمه

العظـــــة الحادية والاربعون

في ان الفضيلة تجعلنا فهيمين وان الخبث مبدأه من غباوتنا

فلهذا السبب نحتاج ان نخرج من نفوسنا كل رذيلة ولا نضفر في وقت من أوقاتنا صنفا من الغش لان الله يرسل الى المتعوجين طرقا متعوجة (أمثال ص ٢١ ع ٨) وروح الحكمة الاقدس يطفر من الغش هاربا و ينتقل مبادرا من أفكار خالية من الفهم (حكمة ص ١ ع ٥) لان ليس فعل على معنى التشبيه يجعلنا حماقى مثل الخبث لانك اذا كنت غادرا واذا عدمت أن تكون شكورا فهذه أنواع الخبث واذا كنت مغمومًا ولست مظلوما واذا ضفرت غشوشا فكيف ما تكون قد أبرزت غباوة واصلة الى غايتها الان على جهة التشبيه لا شئ يصيرنا فطوتين عقلاء مثل الفضيلة لانها في طباعها أن تجعلنا شكورين حسنين الرأى ودودين للناس رفيقين أنيسين وديعين متحننين لانها من عادتها ان تولد السجايا الصالحة الاخرى كلها الان من تكون هذه الحال حاله فمن يكون بهذه الصفة أوفر فهما منه و بيان ذلك ان الفضيلة هى عين الفطنة وأمها وأصلها كما ان كل خبث يمتلئ من الغباوة ابتداءه و بيان ذلك ان المتعظم السخرط من قلة فطنته تصطاده أدواء عزمه ولهذا السبب قال النبي ليس يوجد شفاء في لحمي من وجه جهالتي (مزمور ٣٧ ع ٧) موريا ان كل خطية من الجهالة و زوال الفطنة تحوى مبدأها الان المسكين في فضيلته الحاوى خوف الله هو أوفر الناس كلهم فهما ولذلك قال النبي ابتداء الحكمة خوف الرب (أمثال ص ١ ع ٧) فلئن كان الخوف من الله من عادته أن يحوى حكمة وكان الخبيث ليس يحوى خوفا فقد عدم الحكمة بالحقيقة ومن عدم الحكمة بالحقيقة هو أعدم الناس كلهم فهما على ان أناسا كثيرين يستعجبون الخبثاء من طريق ان فيهم كفاية ان يظلموا غيرهم و يضروهم وما قد

علموا

علموا انهم ينبغي لهم ان يولوهم أكثر من جميع الناس لانهم اذا ظنوا انهم
يؤذون أناسا آخرين انما يدفعون السيف على ذواتهم وهذا الفعل هو من غباوة
واصلة الى غايتها أن يجرح أحد ذاته ولا يعرف هذا بعينه لكنه يظن انه يظلم
غيره من ذبحه لذاته ولهذا المعنى قال بولس اذ عرف هذا الفعل اننا في حال
ما نجرح أناسا آخرين نقتل ذواتنا لم لا تتظلمون أكثر لم لا تتعدمون أكثر قرنتية
أولى ص ٦ ع ٧) لان لفظة لا تنظلم موضعة في موضع لفظة لا تظلم كما أن
لفظة لم لا تقاسي مكروها هي موضوعة في موضع لفظة لا تعمل مكروها وان كان
هذا القول قيل يظن عند الكثيرين انه قول غامض فاذا يريدون أن يتفلسفوا
ويصيروا مطوبين فاذ قد عرفنا هذه الاقوال فلا نولولن المظلومين ولا نبكين على
المستضامين لكن فلنولول الذين يفعلون هذه الافعال ونبكي عليهم فان هؤلاء
هم الذين قد ظلموا أكثر الذين يحاربون الله بانفسهم ويفتحون عليهم أفواه
ثالبين جزيل عددهم ويستقنون في هذه الدنيا ظنا خبيثا ويستعدون في الدهر
المنتظر تعذيبا عظيما كما ان المظلومين المحتملين سائر العوارض بشهامة
يتملكون الله غافرا والناس كلهم متوجعين لهم ومادحين ومقبلين
وفي هذه الدنيا يستمتعون بحسن الثناء كثيرا موضحين مثالا
لفلسفتهم عظيما ويساهموا النعم الصالحة الدهرية
في الحيوة المستأنفة التي فليتفق لنا امتلاكها
بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفه الذي
معه لابيه المجد مع الروح
القدس الى أباد
الدهور
كلها
أمين

المقالة الثانية والاربعون

الاصحاح السادس (١) بعد ذلك مضى يسوع جائزا بحر الجليل الى نواحى تخوم طبرية (٢) ولحقه جمع عظيم لانهم أبصروا الايات التى اجترحها فى السقماء (٣) ثم مضى يسوع الى الجبل وجلس هناك مع تلاميذه وكان فصح اليهود قريبا

يا حباى ما ينبغى لنا أن نتجاسر على أن نبادر الى الناس المتكبرين الحسودين لكن سبيلنا أن نتعلم أن لا ينال فضيلتنا ضرر ولا نخول اغتياظاتهم الخبيثة مكانا فعلى هذه الجهة نكف كافة جسارتهم وكما أن الحراب اذا هى سطعت شيأ صلبا مكتنزا تنثنى بحد نهضتها الى الذين أطلقوها أيضا واذا كانت شدة أطلاقها ما تحوى حاجزا يضادها تمتد باسراع وتنتهى فكذلك يكون الحال فى الناس الحسودين المتكبرين اذا تجاسرنا أن نبادر اليهم يتذمرون علينا أكثر واذا انصرفنا عنهم وتركناهم أخمدنا جنونهم كله بايسر مرام فلهذا الغرض اذ سمع ربنا أن الفريسيين قد سمعوا أن يسوع يصطنع تلاميذا أكثر من يوحنا ويعمد جاء الى الجليل مخمدا حسدهم مسكنا غضبهم الذى كان لائقا أن يتولد من أفعاله هذه بانصرافه عنهم وذهب أيضا الى الجليل ليس سالكا فى أماكن هى هى باعيانها لانه ما جاء

الى

الى قانا لكنه مضى الى جائز البحر ولحقه جمع عظيم اذ عاينوا آياته التى اجترحها
وأنا أخاطب البشير ايما آيات ولم لا يصفها النا نوعا نوعا لان هذا البشير أكثر
من جماعتهم حرص فى أقواله وفى مخاطباته الجموع ان يكنى عن الاكثر منها
وأ بصره فى سنة بجملتها الا انه من عيد الفصح الى الآن فى عيد الفصح ما عرفنا من
أجل آياته وصفا أكثر سوى انه شفى المخلع وابن الرجل الملكى * لانه ما اجتهد
هذا الاجتهاد ان يحسب آياته كلها * اذا احصاؤها ما كان ممكناله * لكنه وصف
آيات يسيرة من آيات كثيرة عظيمة قال ولحقه جمع عظيم لما عاينوا آياته التى
اجترحها فاللفظ الذى قيل عن هذا الجمع ما كان مناسبا العزم فيلسوف اذ
استمتعوا بتعليم جزيل تقديره فاستمالتهم آياته اكثر وهذا فكان من عزم
اكثف تمييزا لان الرسول قد قال ان الايات ليست للمؤمنين لكنها
لنقيض المؤمنين (قرنثية أولى ص ١٤ ع ٢٩) الا ان المحفل المذكور
عندمتى البشير ما كانت هذا الحال حاله لكن كيف كانت حاله فقد وصفها
ذاك انهم تحيروا كلهم من تعليمه لانه علمهم تعليم مالك سلطانا فان قلت وما
غرضه فى توجهه الآن الى الجليل وجلوسه هنالك مع تلاميذه أجبتك بسبب
الاية التى توقع أن يجترحها وأما صعود تلاميذه وحدهم معه فكان ثلبا الكثرة
الجموع اذ ما لحقوه وما عمل هذا العمل فى توجهه الى الجبل لاجل هذا
الغرض فقط لكنه عمله لكى يعلمنا ان نستريح من الاراجيف ومن الانزعاج
الناشئ فى الوسط لان الهدؤ والقفر موافق للفلسفة وقد توجه هو الى الجبل
دفعات كثيرة وحده ولبث طول ليله يصلى يعلمنا ان من يستدنى الى الله
خصوصا ينبغى له ان يتخلص من كل ارتجاف وان يلتمس مكانا نقيا من الانزعاج
قال وكان الفصح عيد اليهود قريبا فان سألت وكيف ما طلع الى العيد لكن
اذ كان جميع أهل البلاد مسارعين الى أورشليم جاء هو الى الجليل وما جاء هو
وحده لكنه اقتاد معه تلاميذه ومضى من هنالك الى كفرناحوم أجبتك انه حل

الشريعة بسكون ومسائرة اذأخذمن خبث اليهود سبب ذلك (٥) ورفع
عينيه وأبصرجمعاجزيلا موريا انه ماجلس مع تلاميذه فى وقت من الاوقات
على بسيط ذات الجلوس لكن لعله يبالغ فى معنى يقوله لهم مسترجعا اياهم اليه
جانحا الى اصطلاحهم وهذا أكثر من كل شئ يبين اهتمامه بهم وعزمه المتزلزل
المتقارب اهم لانهم جلسوامعه ينظر بعضهم الى بعض ثم رفع عينيه وأبصر
الجمع موافيا اليه ولعمرى ان البشيرين الاخرين ذكروا ان تلاميذه اقتربوا
اليه فسألوه وتوسلوا اليه ان لا يصرفهم صائمين وهذا البشيرذكران ربناسأل
فيلبس على حسب ظنى ان القولين كليهما يوجدان صادقين لان العجيبتين ما
صارتا فى أوقات هى هى باعيانها لكن تلك توجد أقدم من هذه فيستبين ان تلك
أخرى وهذه غيرها ولعلك تسأل فلم سأل فيلبس فأجيبك لانه قدعرف المحتاجين
من تلاميذه الى القسم الاكثر من تعليمه لان هذا التلميذ هو الذى نجده فيما بعد
قائلا أرنا الاب ويجزينا ذلك فلهذا السبب قوم رأيه من أعلى تدبيره لان
الآية لوكانت حدثت على بسيط حدوثها لما كانت العجيبة عظيمة فالان
قد اضطره ان يعترف أولا بقلة العدد عندهم ونزارته حتى اذا عرف فى حال
كانوا يعرف جسامة العجب المزمع كونه أبلغ معرفة فلهذا السبب قال له من
أين لنا خبزات جزيل تقديرها حتى يأكلها هؤلاء وقد قال هذا القول فى
العتيقة لموسى لانه ماعمل الاية أولا الا ان سأله ماهو هذا الذى فى يدك لان
اداء الحوادث البديعة العارضة بغتة من عادتها ان تلقينا فى نسيان الاصناف
الاولى ربطه اولا بالاقرار بالحاضر فى يده حتى اذا تكونت الدهشة من
العجيبة لايمكنه ان يقتلع ذكر ما قد اعترف به ويعرف بعد ذلك جسامة الاية من
مقايستها وهذا الفعل تكون ههنا ولما سأل فيلبس اجابه (٧) مايكفينا
خبزات بمائتى دينار ليتناول كل واحد منهم جزأ يسيرا فهذا القول قاله
مختبرا اياه لانه هو قد عرف ما اعتزم على افتعاله وان سألت ما معنى قوله

مختبرا

مختبرا اياه هل جهل ما اعتزم ذاك أن يقوله له وهذا ليس يجوز أن يقال لكن
ما هى قوة هذه اللفظة أجبتك من الحقيقة يكون ممكنا لك ان تعرفها لانه هنالك
قد قال وصار بعد هذه الحوادث ان الله اختبر ابراهيم وقال له خذ ابنك
المحبوب الذى قد أحببته اسحق (تكوين ص ٢٢ ع ١) فليس
يستبين عند قوله هنالك هذا القول انه توقع أن يعرف من اختباره الغاية من
فعله ان كان يطيعه وان كان ليس يطيعه لان كيف يفعل ذلك العارف
الحوادث كلها قبل كونها لكن القولين كلاهما قيلا قولا انسانيا لان على
نحو ما اذا قال اننى أفتش قلوب الناس فما قال ذاك ان تفتيشه يوجد من
غباوة وجهل لكنه يدل على معرفته البليغة بخفياتها فلذلك اذ قال انه امتحن
ابراهيم فما قال قولا آخر الا أنه قد عرف ابراهيم معرفة بليغة وقد ينساغ لنا أن
نقول قولا غير هذا انه جعله أوفر تهذبا كما جعل ابراهيم متهذبا فكذلك اقتاد
هذا التلميذ بسؤاله اياه الى معرفة الآية البليغ استقصاؤها ولهذا السبب
لكيلا يلبث البشير فى ضعف اللفظة فتظن فى الالفاظ التى قيلت ظنا شنيعا قال
لانه هو قد عرف ما اعتزم على افتعاله بل ذلك المعنى سبيلنا أن نراعيه وبلازم
الضرورة لان البشير متى ما تكون توهم خبيث يدفعه بحرص كثير كما فعل
ههنا لكيلا يتوهم سامعوه توهما هذه صفته استثنى بتلافيه واصلاحه اذ قال
لانه هو قد عرف ما اعتزم على افتعاله وهذا العمل قد عمله هنالك اذ قال ان
اليهود طردوه ليس لانه حل السبت فقط لكن لانه دعا الله أباه جاعلا ذاته
عديلا لله فلو لم تكن قضية المسيح محققة بافعاله لكان قد استثنى هنالك
بهذا التلافى والاصلاح ولئن كان البشير يتوقى فى الاقوال التى قالها هو ان
لا يتوهم فيها متوهم وهما فاولى به وأليق ان يتوقى ذلك فى الاقوال التى قالها عنه
أناس آخرون لو لم يكن قد أبصر توهما واجبا استظهر اعليه لكنه ما فعل ذلك لانه
عرف أن هذا القول هو عزم له وقضية عديمة أن تكون متزعزعة ولهذا السبب

اذ قال جاء لاذاته مدبلا الله ما استعمل له تلاميذه هذا معناه لان هذا القول الذى
قيل ما كان توهم الاولئك اليهود مفسودا لكنه كان قضية له محققة بافعاله
فلما سئل فيلبس (٨) قال اندراوس أخو سيمن (٩) قد يوجد ههنا
صبي يحوى خمس خبزات شعير وسمكتين ولكن ما هى هذه بالمقايسة الى هؤلاء
الذين هذا المقدار مقدارهم فاندراوس أعلى تمييزا من فيلبس ولكنه ما قد
وصل الى كافة المطلوب لانه على ما يلوح لظنى صدر الى عجائب الانبياء
وذكر كيف عمل اليشع الآية فى خبزات الشعير ولهذا السبب طلع الى أبعد
غاية وما اقتدر أن يصل الى ذروة المقدرة بعينها فينبغى أن نتأمل نحن الجانحين
الى التنعم ماهى الاغذية التى اغتذى بها أولئك الرجال العجيبين المعظمين
وننظر الى حقارة مائدتهم فى كيفيتها وكميتها ونتشابههم والالفاظ التالية ألفاظ
ضعف كثير لان بعد ان قال يحوى خمس خبزات شعير استثنى بان قال ولكن
ماهى هذه بالمقايسة الى هؤلاء الذين هذا المقدار مقدارهم لانه ظن ان مخترع
العجائب يزمع أن يصنع من خبزات يسيرة اضعافا يسيرة ومن خبزات كثيرة
اضعافا كثيرة وهذا فما كان غيره متيسرا عنده ان يجعل طبيعة الخبزات
تنبع من خبزات كثيرة ومن خبزات قليلة نبعا متشابها لانه ما احتاج الى مادة
موضوعة ولكن حتى لا يظن ان الخليقة غريبة من حكمته على رأى الذين
ثلبوه فيما بعد وهم السقمى باسقام مركيون وقالوا انه استعمل الخليقة نفعها
موضوعا للعجائب فلما أيس تلميذاه كلاهما حينئذ اجترح العجيبة بعد ذلك
فعلى هذه الجهة ربما أعظم الربح اذا أقرا أولا بصعوبة افتعالها حتى اذا صارت
يعرفان قدرة الله لان لما حان كون الآية التى اصطلحت بالانبياء وان كانت
تلك لم تكن على مشابهة لهذه واعتزم أن يشكر قبل افتعالها فلكيلا يسقطوا
الى توهم ضعيف انظر كيف رفع شأنها فى حالها بافعال سياسته كلها وأوضح
الفصل بين تلك وهذه لان الخبزات لم تكن بعد قد ظهرت لتعلم أن الاشياء
التى

التي ليست موجودة تتشخص له كانها موجودة على ما ذكر بولس انه يدعو
الاشياء التي ليست موجودة كانها موجودة (رومية ص ٤ ع ١٧)
فامرهما أن يتكئوا الجموع متكئين لدى مايدة معدة مصلحة مصلوحه وبهذا
الايعاز أنهض تمييز تلميذيه ولانهما استفادا المنفعه من سؤاله اياهما الطاعه في
الحين وما ارتجفا ولا قالا ما هو هذا كيف امرنا ان نتكئ الجموع وما قد استبان في
الوسط شئ فعلى هذه الجهه ابتديا بالامانة قبل نظرهما الى الآية واللذان انكرا
في الابتداء انكارا جزيلا لا تقديره أفضى بهما الى ان يقولا من أين نبتاع خبزا
اتكيا مع رفقتهما الجموع بنشاط ولعلك تسأل فما رأيه في انه لما اعتزم ان يقوم
المخلع ما صلى ولا صلى حين انهض المائت ولا ابتهل لما ألجم البحر وصلى ههنا
عند تكسير الخبز فاقول لك انه صلى موضحا ان الذين يبتدئون بتناول الطعام
يجب عليهم ان يشكروا الله ولمعنى غير هذا انه عمل هذا العمل في الايات التي
كانت دون غيرها كثيرا لتعلم انه ما عمل هذه الآية متوسلا لانه لو كان ابدعها
متوسلا لكان أولى به وأليق ان يعمل هذا العمل في الايات الاعظم بخلاف من
صنع تلك الايات بتأمره فمن البين انه عمل هذا العمل على جهة المقاربة
والاستكانة ولمعنى غير هذا الان الحاضرين كانوا جمعا عظيما ووجب ان يتحقق
عندهم انه برأي الله جا اليهم فلهذا الغرض متى ما كان وحده يعمل أيات ما كان
يظهر فعلا هذه صفته ومتى ما كان يعمل هذا العمل بحضرة اناس كثيرين فحتى
يصيرهم موقنين انه ليس هو ضد الله ولا معاندا لوالده كان يبطل بشكره توهمهم
فاعطى المتكئين فاكلوا وشبعوا أعرفت الفرق بين العبد وبين سيده لان
أوليك الانبيا امتلكوا النعمة بمكيال واجترحوا العجائب على هذه الصفة فاما
اللهم فلانه فاعل بقدرة مطلقة اجترح الايات كلها متكاثرة بسعة كثيرة
(١٢) وقال للتلاميذ اجمعوا الكسر التي فضلت لئلا يضيع منها (١٣)
فجمعوا وملأوا اثنى عشر زنبيلا وذلك فما كان اظهارا يوجد فضلة زائدة لكنه

كان حتى لا يتوهم افتعال العجيبة خيالا ولهذا السبب ابدعها من مادة موضوعة
ولقائل ان يقول ولم ما خول الجموع ان يحملوا الفضلات لكنه اعتمد بذلك
تلاميذه نقول له لانه شاء ان يعلم هؤلاء خصوصا الذين انتدبوا ان يكونوا معلمي
المسكونة لان الجمع الحاضر ما استثمر فائدة عظيمة من عجائبه عاجلا اذ كانوا
في الحين انسوها وطلبوا عجيبة اخرى وهؤلاء التلاميذ فتوقعوا ان يربحوا ليس
فوائد يسيرة وصارت هذه الآية الكائنة عقوبة ليست بيسيرة موجبة على
يهوذا عند حمله القفة والدليل على ان هذه الحوادث حدثت لاجل تعليمهم
وتأديبهم فالقول الذي قيل بعد ذلك بينه الذي اذكرهم به حين قال افما قد
فهمتم بعد وكم قفافا حملتم ويوضحه ايضا ان قفاف الفضلات صودفت معادلة
بعدة تلاميذه وبعد ذلك لما تادبوا ما كانت بقايا الكسر في العجيبة الاخرى هذا
المبلغ مبلغها لكنها كانت سبع زنابيل وانا فلست استعجب كثرة الخبزات
الكائنة فقط لكنني استعجب مع كثرتها المبالغة في كثرة بقيتها انه جعلها ان
تفضل لا اكثر ولا انقص لكن كان مقدارها المقدار الذي اراده اسابق علمه
بمقدار ما يحملونه وذلك كان من قدرة يعجز وصفها وحققت الكسر الآية
الكائنة وظهرت الكسر والآية كلتاهما أن الايات الكائنة ما كانت
خيالا وان الذين اكلوا من تلك الخبزات كانوا اكلهم واما العجيبة في تكثير
السمك فصارت حينئذ من مادة موضوعة واما اخيرا بعد قيامته فتكونت ليس
من مادة موضوعة وان سألت ولم ذلك اجبتك لتعلم انه استعمل للان مادة ليس
من نقص قدرة ولا محتاجا الى اصل لكنه استعملها ليسد افواه ذوي بدع
هواهم في دينه واهوى (١٤) ان الجموع قالوا هذا هو بالحقيقة النبي ترحا اتفاقهم
هيمان البطن قد اجترح جرائح بلا عددها اعجب من هذه وما اعترفوا بجهة
من الجهات بهذا القول لكن لما شبعوا فظاهر من قولهم هذا انهم قد انتظروا
نبيا خاصا لان أولئك قالوا ليوحنا انت هو النبي قال (١٥) فاذ علم يسوع

انهم

انهم معتزمون ان يوافوا فيختلسونه ليصيروه ملكا انصرف الى الجليل فما اعجب هذا الخبر كم مبلغ غصب هيمان البطن وكم كانت سهولة عزمهم ما انتصروا للشريعة ايضا ولا حصل لهم اهتمام بتجاوزا لسبت ايضا ولا غاروا من اجل الله لكنهم لما امتلاء بطنهم حذفوا هذه العزائم كلها وكان الطعام عندهم هوا كثر حرصهم واعتزموا ان ينتدبوه ملكا الان المسيح هرب وان سألت وما رأيه فى هربه اجبتك هرب مؤدبا ايانا ان نستحقر مراتب الدنيا مورياانه ليس يحتاج الى صنف من الاصناف التى فى الارض لان الذى انتخب الاشياء الحقيرة كلها وهى امه ومنزله ومدينته وتربيته وثيابه ما اعتزم اخيرا ان يستبين بهيا من الحظوظ التى فى الارض لان الاصناف الواردة اليه من السموات كانت بهيه عظيمة وهى الملائكة والنجم وأبوه هاتف والروح شاهد وأنبياء انذروا به من زمان بعيد واما التى كانت له فى الارض كلها حقيرة لتستبين على هذه الطريقة مقدرته اعظم قدرا فهو جاء ليعلمنا ان نزدرى الاشياء التى ههنا ولا نستعظم محل املاك الدنيا البهى حسنها وندهش منها لكن نقهقه على هذه الحظوظ كلها وان نعشق النعم المأمولة لان من يستعجب الاشياء التى ههنا فليس من شأنه ان يستعجب النعم التى فى السموات فلهذا السبب قال ايلاطس ملكى انا ليس هو من الارض يوحنا ص ١٨ ع ٣٦ لكيلا يخطر فى عزمه ايضا ان يستعمل لاستمالته واقناعه خوفا انسانيا واقتدارا عالميا فان قلت فما معنى قول النبى لاورشليم ها هو ملكك يأتى اليك وديعا راكبا على حمار اجبتك انما ذكر ملكه ذاك الذى فى السموات ليس هذا الملك ولذلك قال لست استمد من انسان شرفا (زخرياص ٩ ع ٩)

العظة الثانية والاربعون

فى ان شرف الدنيا ليس هو شيأ وفى الذين يجمعون القنيات جمعا رديا وينفقونها انفاقا ضارا

فلنتعلم يا احبائى ان نزدرى الكرامة التى عند الناس ولا نرتاح اليها لاننا قد كرمنا تكريما عظيما اذا قويس بتلك الكرامة العالمية توجد تلك الكرامة مسبة وضحكة وشهرة وكما ان هذه الثروة العالمية بالاضافة الى تلك الثروة السمائية فقر وهذه الحيوة خلوا من تلك موت لانه قال اتركوا الاموات يدفنون الموتى الذين لهم فكذلك هذا الشرف بالمقايسة الى ذاك المجد هو خزى وضحكة فلا نرغبن فى هذا الشرف لان الذين يخولوننا هذا التشريف ان كانوا يوجدون أحقر من الافياء والاحلام فأليق وأوجب أن يكون تشريفهم أدنى وأحقر من هذه كثيرا لان شرف الانسان كزهر الحشيش فالذى يكون أحقر من زهر الحشيش ولو كان ثابتا باقيا اما الذى كان ينفع به نفسنا وليس فى طباعه أن يفيدنا نفع لكنه من عادته ان يضرنا أعظم المضرات ويصيرنا حينئذ أشر من العبيد المبتاعين بالفضة عبيد اليس لسيد واحد فقط لكن لسادة جزيل عددهم فكم يكون أفضل أن توجد حرا ولا تكون عبدا حرا من التعبد للناس وعبد السيادة الهك فان شئت ان تعشق التشريف فحب الشرف الذى لا يموت لان مشهده ألمع نورا وربحه أعظم محلا وهؤلاء السادة يأمرونك ان ترضيهم بما تنفقه عليهم والمسيح يعمل بخلاف ايعازهم كله لانه يعطيك مائة ضعف للاشياء التى تعطيه اياها ويزيدك عليها حياة دهرية فما الافضل عندك ان تمدح فى الارض أم فى السموات ان يستعجبك الله ام الناس ان تمدح على ربحك ام تذم على خسارتك ان تكال على مداه يوم واحد ام ان تكال الى دهور قد سلبت خبرتها اعط المحتاج ولا تعط الراقص لكيلا تهلك نفس ذلك مع اموالك لانك انت علة هلاك ذاك بتكريمه الفائت وقته لان الذين يلتهون بحضرة الراقصة لو عرفوا ان افتعالهم يصير خلوا من فائدة لكفوا

قديما

قديما من افتعالهم هذه الافعال المنكرة لانهم اذا ماراوك مصدقا ساعيا منفقا للاشياء التى لك كلها وان لم يؤثر وان يمارسوا هذا العمل الا انك أنت تضبطهم باشتهاء الربح والفائدة منك ولو عرفوا ان ولا واحدا من الحاضرين يمدح أفعالهم لانتزحوا سريعا عن بغيهم بسبب زوال الفائدة منه واذا أبصروا عملهم يستحبه أناس كثيرون فيصبرا لهم مديح الناس الاخيرين اياهم طمعا لاختداعهم فلنبتعد اذا من نفقة خالية من فائدة ولنعرف على من يجب ان ننفق ومتى ينبغى ألا نخطىء الهنا بالفعلين كليهما باحتشادنا القنية من جهة ليس يجب جمعها منها وبانفاقها وتدبيرها فيما لا ينبغى فالى كم سخط لست تكون موهلا له اذا أعطيت الزانية وأعرضت عن الفقير وتجاوزته لانك ان أعطيتها من اتعاب عدلة أفليس فعلك هذا يكون لك ذنبا عظيما وهو ان تعطى اجرة للرذيلة ومن أجل الاعمال التى يجب على تلك ان تعاقب بسببها تكرم من أجلها واذا عريت اليتامى وظلمت الارامل وأطعمت الفاسقة فتأمل النار التى تكون للتجاسرين على هذه الاعمال ما أعظمها اسمع ما قال بولس انهم ليسوا يعملون هذه الفواحش فقط لكنهم يرتضون بالذين يعملونها ويستحبون فعلهم (روميه ص ١ ع ٣٢) ولعلنا نلذعكم لذعا شديدا لكننا ان لم نلذعكم نحن فالذين قد أخطأوا خطايا لم يتلافوها بتوبتهم ستبقى تعاذيبهم دائمة بالافعال وماذا ينفعكم أن نتحمد اليكم بالاقوال ونسر الذين سيعاقبون بالافعال أتستحسن فعل الراقص وتمدحه فقد صرت اذا أشر من ذاك لان ذاك تفيده حجة فقره عفوا وان كان لا حجة له وأنت فقد عدمت هذا الاعتذار وذلك فان سألته ما بالك تركت الصنائع الاخرى وجئت الى هذه الصناعة النجسة الدنسة يقول لى لانى يمكننى ان أتعب فيها تعبا يسيرا واستفيد فوائد كثيرة وان سألتك أنت أغرضك فى استحبابك العائش فى الفسق وفى افساد الكثيرين ليس يتجه لك ان تلتجى الى حجة ذاك بعينها لكنك بلازم الضرورة تطرق الى أسفل

وتخجل و يحمرلونك فان كنت اذا طالبناك بحجج ماتمتلك لها جوابا فاذا حضرنا كلنا فى مجلس القضاء ذاك الرهيب الخالى من استعفاء الذى فيه نؤدى جوابا عن فكارنا وأعمالنا كلها كيف نقف و باية الحاظ ننظر الى القاضى ماذا نقول له بماذا نحتج عنده أية حجة نقدمها له واجبة أو عديمة ان تكون واجبة جوابا عن نفقتنا جوابا عن طر بنا أم عن هلاك أناس آخرين نهلكهم بتلك الصناعة مانجد ان نقول ولا حجة واحدة لكننا سنعذب بلازم الضرورة تعذيبا ليس يحوى غاية ولا يعرف نهاية ينتهى اليها فلكيلا نحصل فى هذا التعذيب فلنحترس ههنا من هذه الزلات كلها حتى نحضى بتأميل صالح فيتفق لنا امتلاك النعم الصالحة الدهرية بنعمة ربنا يسوع المسيح الذى به ومعه لابيه المجد مع الروح القدس الآن دائما والى أباد الدهور كلها أمين

المقالة الثالثة والاربعون

فى قوله (١٦) ولما صار المساء انحدر تلاميذه الى البحر (١٧) وطلعوا الى السفينة وجاؤا الى عبر البحر الى كفرناحوم وصار الظلام وما جاء يسوع اليهم (١٨) وأنهض البحر ريحا عظيمة هابة عليهم

لم يكن المسيح حاضرا مع تلاميذه حضورا جسمانيا فقط لكنه اذا كان منتزحا عنهم دبر ما كان موافقا لهم لانه لم يزل سريع النفوذ دقيق الحيلة يبتدع بافعال

متضادة

متضادة فعلا واحدا بعينه وانظر ما الذى فعله هنا ترك تلاميذه وطلع الى
الجبل فاذا صار المساء انحدروا الى البحر وانتظروه متعوقين مجيئه اليهم فلما
صار المساء ما استجازوا ان لا يطلبوا معلمهم وقد تمسك بهم عشق له جزيل تقديره
لانهم ما قالوا الان مساء وقد ادركنا الليل الى اين نذهب الان والمكان
ذو خطر والوقت مصعب لكن شوقهم اليه انهضهم الى ان طلعوا الى السفينة
لان البشير ما اوضح الوقت على بسيط ذات الايضاح لكنه أظهر بذلك حبهم
الحار له فان سألت ولم تركهم ولم يظهر لهم ولماذا ظهر لهم أيضا وحده ماشيا
على البحر أجبتك ليعرفهم كم هو مقدار تركه اياهم ويجعل شوقهم اليه أعظم
تاثيرا وهذا الفعل أيضا موضح مقدرته وكما انهم فى تعليمه ما سمعوا مع الجمع
كافة أقواله فكذلك فى أياته ما ابصروها مع الجمع كلها الان الذين قادوا التقدم
على المسكونة كان واجبا ان يحوزوا اختصاصا أكثر من باقى الحاضرين
وان سألت أية آية عاينوها على انفرادهم أجبتك قد عاينوا تجليه على
الجبل ومشيه على هذا البحر وقد أبصروا بعد قيامته أيات كثيرة كائنة وعظيمة
وانا فمن هذه الايات أحدث على أيات أخرى وجاؤوا الى كفرناحوم وما عرفوا
خبرا واضحا بل أملوا انهم يجدون هنالك أو فى توسط مسيرهم وهذا المعنى
فقد ذكره البشير ذكرا غامضا بقوله ان الظلام كان قد صار وما جاء يسوع
اليهم والبحر فانهض ريحا عظيمة هابة عليهم وان سألت فلماذا اضطربوا
أجبتك ان الاسباب التى جعلتهم ان يضطربوا قد كانت كثيرة ومن جهات
كثيرة فمن الوقت لانه كان ظلاما ومن الشتاء لان البحر أنهض ريحا ومن
المكان لانهم ما كانوا قريبا من الارض لكنهم (١٩) أمعنوا فى مسيرهم
خمسة وعشرين غلوة ومن الحادث المدهش ارتجفوا لانهم أبصروه ماشيا على
البحر وفى حال ارتجافهم قال (٢٠) انا هو لا تخافوا فان سألت ولم ظهر لهم
أجبتك ليريهم انه هو الذى حل الشتاء وأزاله لان هذا المعنى قد بينه البشير

بقوله انهم (٢١) ارادوا ان ياخذه وفى الحين صارت السفينة بقرب الارض
لانه ماخولهم مسيرهم جريا مصونا فقط لكنه جعله مع ذلك برياح ساكنة
وما أظهر ذاته للجمع ماشيا على البحر لان هذه العجيبة كانت أعظم من ضعف
اؤلئك بل ولا ظهر لتلاميذه ماشيا على البحر حينا طويلا لكنه معما ظهر لهم
انصرف عنهم وعلى ما يلوح اظنى ان هذه الاية هى أخرى غير الاية الموضوعة
فى بشارة متى وذلك واضح من جهات مختلفة لانه قد اجترح فى أوقات أيات
هى هى باعيانها حتى يستعجبها الناظرون اليها ولا يستغربوها جدا لكنهم
يقتبلونها بتصديق كثير وقال انا هو ولا تخشوا ومع كلمته استخرج الجبانة
من نفس اؤلئك وفى موضع غير هذا لم يجر الحال على هذا المجرى ولذلك
قال بطرس ان كنت انت هو فمرنى ان أجى الى عندك ولقائل ان يقول
فمن أية جهة ما اقتبلوا هذا فى ذلك الحال والان قبلوه فنقول له لان الشتاء فى
ذلك الحين لبث أيضا مزعزعا سفينتهم والان فمع كلمته صار السكون والهدو
فان لم تكن هذه أولى فتوجد تلك أولى وهذا فقد قدمت ذكره انه قد أبدع
فى أوقات أيات هى هى باعيانها فجعل الاية الثانية فى الزمان مقبولة سريعا
من جهة الايات الاولى فى حينها ولعلك تسال فلاى غرض ما طلع الى السفينة
فاقول لك لايثاره ان يجعل العجيبة أعظم حسنا وان يكشف لهم لاهوته أبين
تعريا ويريهم انه اذا شكر حينئذ ما فعل ذلك محتاجا الى معونة لكنه فعله تقاربا
لاؤلئك متحدرا فاطلق ان يصير الشتاء لكى يطلبوه دائما وسكن الشتاء
ليعرفهم قدرته ولم يطلع الى السفينة ليجعل العجيبة أعظم محلا (٢٢) الا
ان الجموع الحاضرين هنالك لما عرفوا ان ما كانت هنالك سفينة أخرى
الا واحدة اليها طلع تلاميذه وان يسوع ما طلع الى السفينة لكن تلاميذه
فقط فان قلت ولم يتعمق يوحنا فى ذكر ذلك ولم ما قال ان الجموع فى اليوم التالى
عبروا وذهبوا أجبتك يريد ان يعلمنا معنى آخر انه أعطى الجموع يتفطنوا فى

العجيبة

العجيبة الكائنة تقطناخفيا وان لم تكن بهذه الصورة ظاهرة ويحدسوا على كونها لانه قال انهم عرفوا انه ما كان هنالك سفينة أخرى وأيقنوا ان يسوع ماطلع فى تلك مع تلاميذه فلما ذهبوا وجدوه فى كفرناحوم قد تقدمهم أولا فاى توهم آخر كان لهم ان يتوهموه الا انه جاء الى هنالك ماشيا على البحر لانهم ما كان يتجه لهم أن يقولوا انه عبر فى سفينة أخرى لانه قال ان سفينة واحدة كانت هنالك اليها طالع تلاميذه الا انهم مع هذه العجيبة الجزيل قدرها لما ذهبوا الى هنالك ماسألوه كيف عبر وكيف جاء ولا التمسوا أن يعرفوا آية هذا مقدار جلالتها لكنهم قالوا (٢٠) ربى متى جئت الى هنا ان لم يقل قائل ههنا ان لفظة متى جئت الى ههنا يدل من قولهم كيف جئت ولعمرى انه واجباهو ان نعرف ههنا نهضتهم السريع انهزامها الان الذين قالوا هذا هو النبى الذين سارعوا ان يختطفوه فيجعلوه ملكا لما وجدوه لم يرتادوا ارتيادا هذه صفته لكنهم أخرجوا العجيبة من همتهم فعلى ما أظن أنا انهم ما استعجبوا فيما بعد عجائبه الاولى لكنهم التمسوا ايضا استمتاعا بمائدة نظير التى استمتعوا بها اولا فاليهود قد عبروا البحر الاحمر حين اقتادهم موسى الا ان الفرق بين العبورين عظيم ههنا لان موسى عمل كلما عمله مبتهلا ابتهالا لائقا بعبد وربنا عمل هذه العجيبة بسلطانه كله وهنالك حين هب الريح الجنوبى قمع الماء حتى صيرهم ان يعبروا على اليابسة وههنا صارت العجيبة أعظم قدرا لان البحر ثبت فى طبيعته وحمل سيده على هذا الحال على ظهره وشهد بذلك اللفظ القائل انه الماشى على البحر كالساعى على الارض وعلى جهة الواجب اذا اعتزم ان يمضى الى كفرناحوم القاسية العاصية ابدع آية الخبز مرتادا ان يعرك عصيانها ليس بالايات التى اجترحها فيها فقط بل بالعجائب التى اجترحها خارجها الان موافاة جموع جزيل عددها الى تلك المدينة بحرص كثير أى حجر لم يكن فيهم كفاية ان يلينوه الان اولئك الجموع

اثر فيهم ولا تأثيرا هذه صفته لكنهم اشتهوا ايضا طعاما جسدانيا ولهذا السبب عيرهم يسوع

العظة الثالثة والاربعون

فى اننا نحتاج ان نستميح من الله المواهب الروحانية لا الحظوظ العالمية وفى ان الصلوة التى قد علمها ربنا التلاميذه وهى ابانا الذى فى السموات روحانية هى وفى ان ايسار الظالمين ليس هو من الله فاذ قد عرفنا نحن هذه المعانى فلنشكرن الله من أجل النعم المحسوسة ولنضاعف الشكر له اكثر وازيد لاجل المواهب الروحانية لان على هذه الجهة يشاء هو ان يعطينا لاجل هذه الافعال تلك المواهب مقتادا الذين قد عدموا ان يكونوا تامين بهذه الاشياء مودبا اياهم اذا هم ملتهفون الى الدنيا بعد لكنهم اذا أخذوا هذه العطايا وثبتوا فيها يشكرون و يفتهرون اذا كان فى أشفائه المخلع قد شاء ان يعطيه أولا تلك العطية الان الحاضرين ما استجازوا ذلك لانهم اذ قال قد غفرت لك خطاياك متى ص ٩ ع ٥) قالوا هذا يجدف فلا يعرض لنا عارض هذه صفته لكن فليكن لنا اهتمام جزيل بتلك المواهب الروحانية اذا كانت حاضرة عندنا فليس يصير لنا ولا صنف من ضرر من فقد الاشياء اللحمية واذا لم تكن تلك المواهب الروحانية موجودة عندنا فما هو الرجا الذى يكون لنا فيما بعد وما هو السلو الذى يحصل لنا فلهذا السبب نحتاج ان نتوسل الى الله دائما من أجل هذه المواهب وان نستميحه اياها لانه قد علمنا ان نصلى بهذه الالفاظ وما ناسبها وان فحصنا تلك الصلوة فما نجد فيها صنفا لحميا لكننا نجد فيها المواهب الروحانية كلها وذلك الصغير المحسوس يتكون روحانيا فى سجيته لان لفظة ان لا نطلب شيأ أكثر من الخبز الواصل الى جوهرنا الخبز الذى هو فى يومنا هو مناسب لسريرة روحانية فيلسوفة والالفاظ التى قبل هذا اللفظ ليتقدس اسمك ليأت ملكك لتكن

مشيتك

مشيئتك فى الارض كما هى فى السماء ثم اذا قال ذلك اللفظ المحسوس انعطف عنه باسراع واقتادنا الى تعاليم روحانى بقوله أصفح لنا عن ذنوبنا على نحو ما قد صفحنا نحن عن غرمائنا وما وضع بجهة من الجهات فى الصلوات ان نستميحه رياسة ولا ثروة ولا شرفا ولا اقتدارا وانما وضع فيها كافة الطلبات التى توصلنا الى خلاص انفسنا ومنفعتها ولا ذكر فيها بوجه من الوجوه مطلوبا أرضيا لكن المطالب الروحانية كلها الا اثنان كنا قد أمرنا بالابتعاد من القنيات العالمية الحاضرة فكيف لا نكون شقيين منكودين الحظ اذا التمسنا من الله هذه المطالب التى قد أوعز الينا اذ كان قد التمسناها ان نخرجها ونباينها واذا اشتهينا أن نمتلك الاشياء التى قد امرنا من أجلها ان لا نحرص عليها حرصا لان هذا الطلب هو الاهدار فى الصلوة ولاجل هذه المطالب اذا صلينا ما يتم لنا مطلوبنا ولعل قائلا يقول فكيف الناس الخبثا الاشرار يستغنون وكيف الظالمون والنجسون اذا اختلسوا مالغيرهم تتكاثر أملاكهم فليس الله الواهب ذلك لهم فنجيبه ابعد هذا الظن ليس غناهم من الله لكنهم يختلسون تلك الاشياء ويحتشدونها ولعله يقول وكيف يسمح الله لهم بذلك فنقول له انه قد سمح لذلك الغنى فى ذلك الحين وخباه لتعذيب أعظم لذعا أسمع ما قيل له ياولدى قد استوفيت خيراتك واستوفى العازر حظوظه الردية فهو الان يتعزى وأنت تعذب وتتوجع فلكيلا نسمع نحن هذا الصوت اذا تنعمنا تنعما باطلا خاويا وجمعنا قنيات كثيرة وصممنا لانفسنا خطايا جزيلا عددها فلنحتشد الغنى الحقيقى والفلسفة البليغة حتى يتفق لنا تحصيل النعم الصالحة التى قد وعدنا بها التى فليتفق لنا كلنا امتلاكها بنعمة ربنا
يسوع المسيح وتعطفه الذى معه لابيه المجد
مع الروح القدس الآن ودائما
والى آباد الدهور كلها آمين

المقالة الرابعة والاربعون

فى قوله ٢٦ فاجابهم يسوع حقا حقا أقول لكم تطلبوننى ليس لانكم رأيتم ياتى لكن لانكم أكلتم من الخبز وشبعتم ٢٧ اعملوا ليس للطعام الهالك لكن للطعام الباقى الى حياة دهريه

ليس الكلام اللطيف اللين نافعا فى كل مكان لكن قد يحتاج المعلم احيانا الى ما يكون من الكلام أكثر لذعا لان التلميذ اذا كان بليدا كثيف التمييز يحتاج ان ينهضه بسنان عدله حتى يزيل كافة بلادته فهذا العمل عمله ابن الله فى مواضع أخرى وفى جهات أخرى وفى هذا الموضع لان الجموع لما جاؤا اليه سائرين فى البحر قالوا له يا معلمنا متى جئت الى ههنا أورى انه ما يرتاح الى الكرامة من الناس بل ينظر الى غرض واحد هو خلاصهم أجابهم جوابا مضادا ليس مريدا ان يتلافى هذا العارض فقط لكن مرتادا مع ذلك ان يكشف سريرتهم ويقتاد ما فيها الى وسط البيان اذ قال لهم الحق الحق اقول لكم بتحديد وتحقيق تطلبوننى لا لانكم رأيتم آياتى لكن لانكم أكلتم من الخبز وشبعتم فلذعهم بكلامه ووبخهم ولكنه عمل هذا مخلوطا برفق واشفاق لانه ما قال يا شرهين فى الاكل يا عبيد بطونكم قد اجترحت عجائب هذا مبلغ تقديرها فالحقتمونى بجهة من الجهات ولا استعجبتم الايات الكائنة لكنه خاطبهم بالطف خطاب قائلا تطلبوننى ليس لانكم رأيتم أياتى لكن لانكم أكلتم من

الخبز

الخبز وشبعتم فقوله الآن ليس هو من أجل آياته السالفة فقط لكن بسبب الحاضرة لانه قال ما أدهشتكم الآية الكائنة من الخبز بل أذهلكم حال شبعكم والدليل على انه ما قال هذا القول حادثا على عزمهم فأوائك قد أوضحوه في الحين لانهم لهذا الغرض جاؤا أيضا مجيء مؤملين أن يستمتعوا بتلك الخيرات باعيانها ولهذا المعنى قالوا آباؤنا أكلوا المن في البرية يستجذبونه أيضا الى طعام جسداني وهذا الرأي فكان ذللا لهم وثلباعظيما الا انه هو ما ثبت عند توبيخهم وعذلهم بل أضاف الى ذلك تعليما لهم اذ قال لهم اعملوا ليس للطعام الهالك لكن اعملوا للطعام الباقي لحياة دهرية الذي يعطيكموه ابن الانسان لان هذا ختمه الاب الاله فالذي يقوله معناه هذا هو لا يكونن لأحد منكم اهتمام بهذا الطعام لكن اهتموا بذلك الغذاء الروحاني ولكن اذ أناس من المريدين أن يأكلوا على جهة البطالة يزيغون معنى القول من طريق ان المسيح كما زعموا قد بطل به العمل وقطعه تلزمني الضرورة أن أخاطبهم لانهم على ما يقال يثلبون الديانة المسيحية كلها و يوردون التهجين عليها بالبطالة فيلزمنا اضطرارا انذكرهم أولا كلام بولس فانه قد قال تذكروا ربنا القائل ان الاعطاء هو عمل مغبوط أكثر من الاخذ (ابركسيس ص ٢٠ ع ٣٥) على ان من أية جهة اتجه لمن لا يمتلك شيأ أن يعطي صدقة وكيف قال يسوع لمرثا أنت تهتمين وتجلبين من أجل أصناف كثيرة والحاجة الى صنف واحد ومريم فقد اختارت الحظ الصالح وقال أيضا ولا تهتموا للغد (متى ص ٦ ع ٣٤) لاننا يلزمنا اضطرارا أن نحل هذه الاقوال كلها ونخلصها ليس حتى نكفهم فقط عن أن يلبثوا بطالين ان أرادوا لكن حتى لا يظن ان أقوال الله تورد حربا ومضادة لان بولس قد قال في موضع آخر نطلب اليكم أن تفضلوا وتحبوا الاسعاف وتسكنوا وتعملوا صنايعكم لتتصرفوا الى الذين هم خارج محلتنا باحسن شكل (تسالونيكيه

أولى ص ٤ ع ١٠) وقال أيضا السارق لا يسرقن أيضا بل أولى به ان يتعب عاملا بيديه ليمتلك ما يواسى به المحتاج (افسس ص ٤ ع ٢٨) فبولس ما أمرنا ههنا أن نعمل على بسيط ذات العمل لكنه أوعز الينا أن نعمل على هذا النحو بتعب وكد حتى نواسى غيرنا وقد قال هو فى موضع آخر هاتان اليدان خدمتا حوائجى وحوائج الذين كانوا معى ولما راسل أهل مدينة قرنثية قال ماهو ثوابى أن أكون اذا بشرت أجعل بشارتى مسلوبة من الاحتياج الى نفقة (قرنثيه أولى ص ٩ ع ١٨) ولما حصل فى تلك المدينة لبث يعمل عندها كيلا وابرسكيلا لان صناعتهما كانت صناعة الخيم (ابراكسيس ص ١٨ ع ٢) الان هذه الاقوال تظهر الحرب على الاقوال التى قيلت لهؤلاء أشد تأثيرا فيلزمنا اضطرارا أن نوردحلها فما الذى نقوله نحو هذه الاقوال نقول ان لفظة لا تهتموا التى هى لفظة لا تعملوا لكن معناها هو لا تتسمروا فى أشغال الدنيا فهذا هو معنى قوله لا تهتموا اهتماما لاجل الراحة فى الغد لكن سبيلكم أن تستشعروا الاهتمام عملا منحرفا عن غرضكم لان قد يمكن أن يوجد أعمال لا يدخر الى الغد شيأ وقد يوجد اعمال لا يهتم اهتماما لان الاهتمام والعمل ليس هما فعلا واحدا بعينه لانه ليس يعمل عاملا على انه واثق بعمله لكنه يعمل ليواسى المحتاج الى مواساته والقول الذى قيل لمرثا ليس هو من أجل عمل و بطالة لكنه قيل لانه يجب علينا أن نعرف الوقت ولا نفنى وقت الاستماع فى الاعمال الجسدانية فما قال لها هذه الاقوال دافعا اياها الى البطالة لكنه قالها محرضا اياها على الاستماع منه كأنه قال لها انما جئنا نعلمكم الافعال الواجبة فاجتهدت أنت فى اصلاح المأكول أتريدين أن تضيفينى وأن تصلحى مائدة جزيلة النفقة اعملى لى مأكولا آخر وهو ان تخوليني استماعا منى بنشاط مماثلة أختك فما قال هذه الاقوال مانعا حب الضيافة أبعد هذا الوهم وكيف يجوز ذلك لكنه

قالها

قالها يعلمنا انه ما يجب أن نشتغل فى وقت الاستماع فى شغل آخر وقوله
لا تعملوا للطعام الهالك فما أضمر فيه هذا المعنى انه ان نبطل وذلك ان البطالة
خصوصا طعام هالك هو لان البطالة قد علمت مستعمليها كل رذيلة لكنه
أوعز بذلك أن نعمل وأن نواسى الفقراء فان هذا العمل ليس هو طعاما هالكا
لان أحدنا اذا كان بطالا يملأ بطنه ويهتم بتنعمه فهو يعمل للطعام الهالك
واذا كان أحدنا بعمله يطعم المسيح ويسقيه ويكسوه فمن يكون بهذه الصفة
فاقدا حسه مصروعا يفضى به جنونه الى أن يقول ان من هذه الطريقة طريقته
يعمل للطعام الهالك بل لاجل هذا العمل هو الوعد بالملكوت المرتجى وبتلك
النعم الصالحة لان هذا الطعام يبقى دائما وان كان أولئك القوم الذين لحقوه
ما اهتموا بالامانة ولا اهتماما واحدا ولا استبحثوا وحينئذ أن يعرفوا من هو الذى
يعمل هذه الاعمال وبأية قوة يعملها بل ارتادوا امرا واحدا فقط وهو أن
يملأ بطونهم ولم يعملوا للطعام الذى هذه خاصته ولا صنفا منه سمى على جهة
الواجب عملهم طعاما هالكا كأنه قال لهم غذوت أجسامكم لكى تلتمسوا من
هذا الفعل الطعام الآخر الباقى الغاذى أنفسكم فانتم قد تكردستم الى
الطعام الارضى أيضا فلهذا السبب لست اقتادكم الى هذا الطعام الفاقد
التمام لكننى اقتادكم الى ذلك الطعام الذى ليس من شأنه أن يفيدكم حياة
وقتية بل دهرية الغاذى ليس أجسامكم لكن أنفسكم ثم اذ كان قد تكلم
عن ذاته كلاما عظيما اذ كر انه هو يعطيهم هذا الطعام فلكيلا يريبهم
ماذكره اذا جعل كلامه موهلا لتصديقه مصاعدا الى أبيه ايعاز ذلك لانه لما
قال الذى يعطيكموه ابن الانسان أتبعه بقوله لان هذا قد حققه الاب الاله
ومعنى ذلك هذا هو فى هذا أرسله الاب حاملا لكم هذا الطعام وهذه اللفظة
تدل على ترجمة أخرى لان المسيح قد قال فى موضع غيره هذا من يسمع أقوالى
فقد ختم وحقق ان الله صادق هو وهذا معناه انه قد حقق ذلك تحقيقا خاليا

من مناقضة وهذا المعنى على حسب ظنى ان اللفظة قد أظهرته فى هـذا اللفظ فقال هـذا قد ختمه الله الاب أى قد حققه وأعلنه بشـهادته له لانه قد أظهر ذاته بل اذ خاطب أناسا يهودا أورد الى وسط كلامه شهادة أبيه

العظة الرابعة والاربعون

فى ان الحظوظ المظنونة انها بهية فى هذه الدنيا ليست هى شيأ

فلنتعلم يا أحبائى أن نستميح الله هذه المطالب التى هى أهلا أن تطلب وتستماح منه لان تلك أعنى أحوال الدنيا كيفما اتفقت لنا فلا تورد علينا من الضرر ولا صـنفا لاننا ان استغنينا ههنا فانما نستمتع بالتنعم ههنا فقط وان سقطنا ههنا فى فقر فلا نتكبد مصابا مستصعبا لان لا حظوظ الدنيا البهية ولا نوائبها المحزنة تمتلك قوة فى مناسبة الغم واللذة وفعلهما لكن الصنفين كليهما يتيسر التهاون بهما وهما جاريان بمسارعة كثيرة فلذلك دعاهما الهنا طريقين لكن الواحـدة منهـما واسـعة والاخرى ضـيقة وأما الحظوظ المنتظر كونها فالصنفان منهما كلاهما يلبثان قد عدما أن يكونا مائتين أعنى أقسام العقوبة وحظوظ الملكوت فسبيلنا أن نحرص فى تلك الحظوظ حرصا كثيرا حتى ننفلت من تلك الحالة ونهرب منها ونختار الحظوظ الصالحة ونؤثرها لان ما الحظ النافع من التنعم ههنا وهو اليوم موجود وغـدا ليس يوجـد اليوم هو زهرة رائقـة وغـدا هو غبار هالك اليوم هو نار متوقدة وغـدا هو رماد خامد ولـكن النعم الروحانية ليست هذه الحال حالها لـكنها تبقى لامعة دائما زاهرة سـائرة كل يوم أبهى حسنا تلك الثروة ليس تـكف فى وقت من الزمان ولا تنتقل فى وقت من الاوقات ولا تنتهى الى غاية من الغايات ولا تورد فى وقت من الاوقات اهتماما وحسدا وثلبا ولا تهلك جسمنا ولا تفسـد نفسنا ولا تحوى حسـدا ولا تضم لنا بخلا علينا بالتمتع بها لان هـذه العوارض كلها حاصـلة

فى

في هذه الثروة العالمية فذاك المجد ما يرفعنا الى التعظم ولا يصبرنا ان نتلهب ولا يكف في وقت من الاوقات ولا يصيرنا أكدرضوا والراحة والنعيم في ملك السموات تلبث أيضا دائما وتوجد عديمة ان تتزعزع أو تموت ولا يتجه ان يوجد لها غاية وتمام فسبيلنا ان نرتاح الى هذه الحياة لاننا ان اشتقنا اليها فنهتم بشئ من الاشياء الحاضرة لكننا سنزدري بهذه الاملاك ونقهقه عليها ولو أوعز الينا واعز أن ندخل الى قصور الملوك فما كنا نختار ذلك اذا كنا مالكين ارتجاء تلك النعم على ان الدخول الى هذه القصور ليس يوجد عند الناس حظ أسعد منه على حد ظنهم الآن هذا عند المضبوطين بعشق النعم السمائية حظ صغير حقير جدا ليس موهلا ولا اصنف من تعب لان ما يحوى غاية ليس هو محروصا عليه كثيرا وكلما يكف ويوجد اليوم وليس يوجد غدا ولو كان عظيما فهو يستشعر صغيرا جدا يتيسر التهاون به فلا نثبت اذا بالاشياء الهاربة منا ولا نتمسك بالقنيات الزائلة العابرة لكن ينبغي لنا أن نضبط الاملاك الباقية الفاقدة ان تكون متحركة التي فليتفق لنا كلنا امتلاكها بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفه الذي به ومعه لابيه المجد مع الروح القدس الآن ودائما والى آباد الدهور كلها آمين

المقالة الخامسة والاربعون

(٢٨) فقالوا له ماذا نعمل لكي نعمل أعمال الله (٢٩) فقال لهم يسوع هذا هو عمل الله ان تؤمنوا بمن أرسله ذاك (٤٠) فقالوا له ما الاية التي تعلمها حتى نبصرها ونصدقك ماذا تعمل

ليس داء أشر من داء نهم البطن ولا يوجد أقبح منه هذا الداء بصيرة يزينا كثيرا هذا يجعل نفسنا لحمية هذا يعميها ومايتركها تبصر وأبصر هذا العارض عارضا لليهود لانهم اذا تلهفوا الى نهم بطونهم وصاروا كلهم عبيد الشهوات الدنيا وما فهموا معنى روحانيا اقتادهم المسيح باقوال جزيل عددها حاوية ترجمة واشفاقا فما انتهضوا على هذه الجهة لكنهم لبثوا طريحين أسفل لانه ذكرلهم انكم تطلبوننى ليس لانكم رأيتم آياتى لكن لانكم أكلتم من الخبز وشبعتم فلذعهم بتوبيخه وأراهم ايماه والطعام الذى ينبغى لهم ان يطلبوه اذ قال اعملوا ليس للطعام الهالك ووضع الجائزة بقوله لكن لحياة دهرية وشفى القول المشكوك فيه عندهم وهو قوله ان أباه أرسله ولكن أولئك كانت حالهم حال من لم يسمع قولا من هذه الاقوال فقالوا له ماذا نصنع لنعمل أعمال الله فهذه الاقوال قالوها لاحتى يعرفوا ويعملوا يبين ذلك أقوالهم التالية هذا القول الذى كانوا يقتادونه به الى ابراعهم الطعام أيضا مريدين ان يستميلوا الى اشباعهم فقال لهم المسيح هذا هو عمل الله ان تؤمنوا بمن أرسله الله فقالوا ما الآية التى تعملها لكى اذا رأيناها نصدقك (٣١) أباؤنا أكلوا المن فى البرية ليس يكون أعدم حسنا ولا أزول قياسا من الذين آية الخبز أيضا فى أيديهم موجودة فقالوا كانهالم تكن ما الآية التى تعلمها واذ قالوا هذا القول ما أهملوا التماس الآية ان يكون مفوضا اليه لانهم ظنوا انهم يستميلونه الى الالزام بالا يعمل آية أخرى الا آية هذا مثالها كالتى حدثت فى أيام أجدادهم ولهذا الغرض قالوا له أباؤنا أكلوا المن فى البرية ظانين انهم يستنهضونه بهذا القول الى ان يعمل آية هذا الغرض (غرضهم فيها) تقتدر ان تغذوهم تغذية لحمية لان لماذا ماذكروا ولا آية واحدة من الآيات السالفة على انها كانت كثيرة فى مصر وفى البحر وفى القفر لكنهم انما ذكروا هذه خصوصا التى اشتهوها جدا باغتصاب بطنهم اياهم وانا أخاطبهم يامن دعيتموه نبيا وحاولتم أن تجعلوه ملكا لما رأيتم

آيته كيف أنزلتموه منزلة شئ لم يكن وصرتم عديمين أن تكونوا شاكرين فاقدين الموالاة وطلبتم آية اذا بديتم ألفاظ طفيليين وكلاب كلبة من جوعها فالمن الآن مستعجب عندكم ونفسكم ليست قشبة أيضا وأنظر الى مرادهم ماقالوا ان موسى اخترع هذه الآية فما الذى تعمل أنت اذ توهموا انهم يلذعونه بذلك لكنهم خاطبوه عاجلا بتكريم كثير لتأميل الطعام ولا قالوا هذا القول ان الله عمل هذه الجريحة فانت ما الآية التى تعمل لكيلا يتوهموا انهم يعادلونه بالله ولا استوردوا موسى لكيلا يظنوا انهم يذللوا قدره لكنهم وضعوا كلامهم باوسط معنى بقولهم آباؤنا أكلوا المن فى البرية وقد كان يتساغ لربنا ان يقول انى الآن قد اجترحت جرائح أعظم من موسى وما احتجت الى عصاة ولا الى صلوة لكننى اجترحتها كلها من ذاتى فان ذكرتم المن فهذا قد جدت عليكم بالخبزة الآن الوقت ما كان وقت هذه الاقوال لكن الغرض المحروص عليه كان واحدا ان يصاعدهم الى الغذاء الروحانى وأبصر فهمه الفائت ان يكون مخبورا كيف أجابهم فقال (٣٢) ليس موسى أعطاكم الخبز من السماء لكن أبى يعطيكم الخبز الحقيقى من السماء فان قلت فما غرضه فى انه ماقال ليس موسى أعطاكم الخبز لكننى انا أعطيتكموه لكنه وضع الله بدلا من موسى وجعل ذاته عوض المن أجبتك لان ضعف سامعيه كان كثيرا وذلك واضح مما يتلوه لانه قال لهم هذا القول وما ضبطهم على هذه الجهة على انه قد قال فى ابتداء خطابه تطلبوننى ليس لانكم رأيتم آياتى لكن لانكم أكلتم من الخبز وشبعتم والدليل على انهم كانوا يطلبون هذه المطالب فواضح من الاقوال التالية هذه التى تلافاهم بها وما انتزحوا عنها ولا الى هذه الجهة الان ربنا حين وعد السامرية ماذكر أباه لكنه قال لها لو عرفت من هو القائل لك اعطينى لاشرب لاستعطيتيه فاعطاك ماء حيا وقال لها أيضا الماء الذى أعطيه أنا وما أرسل الكلام الى أبيه وهنا ذكر أباه لنعرف كم هو مقدار أمانة السامرية وكم ضعف ايمان اليهود

ولعمري ان المن ليس هو من السماء فكيف يقال انه من السماء وانما قيل كما يقال طيور السماء وأرعد الرب من السماء ولعمري انه يدعى خبزا حقيقيا ليس لان العجيبة الكائنة فى المن كانت كاذبة لكن لانها كانت رسما وما كانت الحقيقة بذاتها ولماذا ذكر موسى ما عادل ذاته بذلك لانهم ما كانوا بعد قد فضلوه على موسى لكنهم كانوا قد حازوا بعد فى موسى ظنا أعظم ولهذا المعنى قال ليس موسى اعطاكم المن ولم يتبع ذلك بانا أعطيكم لكنه قال ان أباه بدلا منه يعطيهم فلما سمعوه قالوا اعطنا هذا الخبز أكله لانهم قد توهموا أيضا انه شئ محسوس وهم بعد يتوقعون تمتع البطنهم ولهذا السبب تبادروا اليه بمسارعة الاان المسيح صاعدهم قليلا قليلا فقال (٣٣) خبز الله هو المنحدر من السماء المعطى للعالم حيوة فما أعطى حيوة لليهود وحدهم لكن للمسكونة معهم كلها وماذكر طعاما ذكرا على بسيط ذاته لكنه ذكر حياة أخرى تخالف هذه بابتدالها وذكر حياة يجود بها على المسكونة لان جميع أهلها كانوا مائتين الاان هؤلاء القوم كانوا جانحين بعد الى أسفل اذ قالوا (٣٤) أعطنا هذا الخبز فاذو بخهم بانهم الى حين توهموا أن توجد عنده مائدة محسوسة تبادروا اليه ولما عرفوا انها مائدة روحانية هى ما ساره واليه أيضا (٣٥) قال انا هو خبز الحيوة من يوافى الى ليس يجوع ومن يؤمن بى ليس يعطش فى وقت من أوقاته (٣٦) لكننى قد قلت لكم انكم قد رأيتمونى وما صدقتمونى وهذا العمل قد عمله يوحنا الصابغ منذ أعلا انذاره اذ تقدم فقال ما قد عرفه بقوله وما أبصره يشهد به وليس يقبل أحد شهادته وقد قال هو أيضا ما قد عرفناه نقوله وما رأيناه نشهد به وما تصدقونني فيعمل هذا العمل اذ سبقهم و بين لهم ان فعلهم هذا ما أرجفه ولا يرتاح الى تشريفهم اياه ولا يجهل غوامض سريرتهم لا الحاضرة ولا المستأنفة انا هو خبز الحياة يؤثر أن يداخل الى تسليم الاسرار وأولا يتكلم فى لاهوته قائلا انا هو خبز الحيوة لانه

ماقال هذا القول عن جسده لانه عند تمام خطابه يتكلم فى ذكر جسده
ويقول الخبز الذى أعطيه أنا هو لحمى لكنه الآن خاطبهم فى ذكر لاهوته
لان لحمه لاجل الكلمة الاله خبز هو مثل ما ان هذا الخبز لاجل حلول الروح
عليه يصير خبزا سمويا وههنا ليس يستعمل شهودا مثلما استعمل فى الابداع
الاول لانه امتلك ابداع الخبزات شاهدا له فهم الآن يتخاصمون له متظاهرين
مرائين وهنالك راددوه وشكوه فلهذا السبب يجزم ههنا قوله ويثبته واذ كانوا
هم قد توقعوا ان يتمتعوا بطعام لحمى لهذا السبب ماارتجفوا الى ان يشوا بعد
ذلك مما ارتجبوه وما أصمتهم على هذه الحال لكنه قد قال لهم أقوالا مخيلة لانهم
لما أكلوا دعوه نبيا وههنا ارتجفوا وارتابوا وسموه ابن النجار الا أنهم ماقالوا
هذا القول لما أكلوا الخبز لكنهم قالوا هذا هو النبي وارتادوا أن يجعلوه ملكا
وقد يتوهم متوهم انهم اغتاظوا بقوله أنه انحدر من السماء وهذا فعلى الظن
الصادق ما كان الذى ولد لهم الاغتياظ لكن الذى اغاظهم عليه أنهم ماأهلوا
أن يستمتعوا منه بمائدة محسوسة لانهم لو كانوا قد اغتاظوا على هذه الجهة
لكان واجبا أن يسألوه ويستخبروا منه كيف هو خبز الحيوة وكيف انحدر من
السماء فهذا العمل لعمرى ماعملوه لكنهم تذمروا عليه والدليل على أن هذا
القول ماشككهم فواضح من تلك الجهة لانه اذ قال أن أبى يعطيكم الخبز
ما قالوا له فاطلب اليه أن يعطيناه لكن قالوا اعطنا هذا الخبز على أنه ماقال أنا
أعطيكم لكنه قال أبى يعطيكم الا أنهم لشهوة الطعام ظنوه أنه مؤهل للتصديق
فى استماحته فالذين ظنوه مؤهلا للتصديق فى اعطائهم الخبز كيف
أجمعوا بعد ذلك أن يرتابوا به وقد سمعوا مع ذلك أن أباه يعطيهم فان
سألت ما علة ذلك أجبتك لما سمعوا انهم ما يمكنهم أن يأكلوا أيضا
أنكروا كلامه وقدموا على ما يليق لهم حجابا لانكارهم وجحودهم قوله عاليا
ولهذا السبب قال قد رأيتمونى وما صدقتمونى فهذا القول أضمر لهم فيه ذكر
آياته أحيانا والشهادة له من الكتب أحيانا لانه قد قال أن تلك الكتب تشهد

لى وانتى قد جئت باسم أبي وماقبلتمونى وكيف تقدرون أن تؤمنوا مع استعداد كم تشريفامن الناس (٣٧) وكل من يدفعه أبي الى يجئ الى عندى ولست أخرج من يوافى الى عندى الى خارج فانظر كيف يعمل كل أعماله بسبب المتخاصين لانه لهذا الغرض استثنى بهذا القول لكيلا يظن به أنه يستفحص ويتكلم هذه الاقوال باطلا ويجوز أن يسأل وماهو معنى ماقاله وكل من يدفعه أبي الى يجئ الى عندى وأنا اقيمه فى اليوم الاخير ولاى غرض ذكر القيامة المشتركة التى يساهمها الملحدون أيضا فأحالها محل هبة مفردة للذين يؤمنون به فاجيبك أنه لم يذكر قيامة على بسيط ذاتها لكنه انما ذكر القيامة التى هذه الخاصة خاصتها الا انه اذ قال فيما سلف لست أخرجه الى خارج ولست أضيع مما يعطنيه قال حينئذ القيامة لان فى القيامة يخرج أناس على ماقال احملوه واخرجوه الى الظلام البرانى الاقصى بعدا (متى ص ٢٢ ع ١٣) وأناس يهلكون لانه قال خافوا خوفا كثيرا من القادر أن يهلك نفسكم وجسدكم فى جهنم وقوله أنا اعطيه حيوة دهرية يدل على هذا المعنى لان الذين عملوا أعمالا ردية يخرجون الى قيامة مداينة والذين فعلوا أفعالا صالحة يخرجون الى قيامة حيوة فههنا أوضح هذه القيامة التى تكون فى النعم الصالحة ويريد أيضا بقوله كل من يدفعه أبي الى يجئ الى عندى أن يلدع انكارهم اياه مبينا أن من لم يصدقه يخالف ارادة أبيه ولعمرى أنه ماقال هذا القول مجردا مكشوفا لكنه قاله مستورا وهذا العمل يعمله فى كل موضع من كلامه مريدا أن يظهر الذين أنكروه مصادمين أباه ليس مصادمين له وحده لانه ان كانت هذه ارادته ولهذا الغرض جاء ليخلص الانسان فالذين لم يؤمنوا به فقد خالفوا ارادته لانه قال اذا أرشد أبي واحدا من الناس فليس يوجد مانع يمنعه من المجئ الى وقد قال فى موضع آخر ليس يقدر أحد أن يجئ الى ان لم يجتذبه أبي وبولس قد قال أنه هو يدفعهم الى أبيه لانه قال اذا دفع المملكة الى الاله أبيه وكما أن أباه اذا

أعطاه ليس يعمل هذا العمل معدما ذاته أولا مما يعطيه أباه فكذلك اذا دفع
الى أبيه ليس يعمل هذا العمل مخرجا ذاته مما دفعه اليه فقال انه يدفع اليه لاننا
به امتلكنا الانقياد اليه ولفظة به هذه تقال فى أبيه أيضا مثلما اذ قال انكم به
دعيتم الى شركة ابنه (قرنثيه أولى ص ١ ع ٩) وبارادة الاب وقد قال هو
أيضا مغبوط أنت ياسمعان بن يونا لان ما أعلن لك هذا لحم ودم (متى ص ١٦
ع ١٦) فالمعنى الذى يضمره ههنا هو هذا أن الايمان بى ليس فعلا حقيرا
لكنه يحتاج الى اشارة من العلو وهذا يصلح القول بجملته موضحا ان هذا
الايمان يحتاج الى نفس جليدة والى خشوع من الله ولكن لعل قائلا يقول له
ان كان كل من أعطاكه أبوك يجى الى عندك والذين يجتذبهم هم يجيئون
اليك وليس أحد يقدر أن يجئ الى عندك ان لم يكن ذلك معطى له من فوق
فالذين ما أعطاهم أبوك ذلك هم اذا يتخلصون من كل علة وزلة فنقول له هذه
الاقوال ساذجة وحجة باطلة لاننا نحتاج الى الاختيار الذى يناسبنا الان لاختيارنا
نوجد أن نتعلم وان نؤمن فليس يظهر ههنا بلفظة من يؤمن بى ليس فعله فعلا
حقيرا وليس يحتاج الى أفكار انسانية لكنه يحتاج اعلانا من العلو نفساحسنا
رأيها قابلة الاعلان ولفظة من يوافى الى عندى يتخلص معناها هو انه يستمتع
باهتمام كثير لانى لاجلهم جئت واشتملت لحما واحتجبت بصورة عبد ثم استثنى
بقوله (٣٨) انحدرت ليس حتى أعمل مشيئتى لكننى انحدرت لاعمل مشيئة
مرسلى وأنا أتجاسر أن أقول له ماذا تقول أخشيئتك أخرى ومشيئة أبيك غيرها
فلكيلا يتوهم متوهم هذا التوهم تلافاه باللفظ الذى يتلوه أيضا وهو (٤٠)
هذه هى مشيئة مرسلى لكى كل باصر الى الابن ويؤمن به يمتلك حياة دهرية فأقول
له أفهذه ليست مشيئتك فكيف تقول فى موضع آخر جئت ألقى على الارض نارا
وماذا كنت أشاء الا اضطرامها فيما سلف (لوقاص ١٢ ع ٤٩) فان كنت
أنت تشاء هذه المشيئة فواضح ان لكما مشيئة واحدة لان قد قال فى موضع آخر

من كلامه وكما أن الاب يقيم الاموات ويحييهم فكذلك ابنه يحيي الذين يشاء وماهي مشيئة أبيك هل هي الا أن لا يضيع منهم ولا واحد وهذه المشيئة تريدها أنت أيضا فليست تلك المشيئة أخرى وهذه المشيئة غيرها لانه اذ أمعن في تعليمه قال كم دفعة شئت ان أجمع أولادك فما شئتم فما هو معنى ما قاله هو انني ما جئت أعمل عملا آخر الا هذا العمل الذي يريده أبي ولست مالكا المشيئة من أبي خاصة بي لان أفعال وأوهام أبي كلها هي أفعالي وأوهامي وأفعالي وأوهامي هي أفعال أبي وأوهامه فان تكن أفعال وأوهام الاب والابن مشاعة مشتركة فعلى جهة الواجب قال انحدرت ليس لكي أعمل مشيئتي الا أنه ما قال ههنا هذا القول لكنه يخزن هذا القول لتمام كلامه لان ألفاظه العالية على ماذكرت يسترها عاجلا ويحيها ويشاء أن يبين انه لو كان قال ان مشيئتي هذه المشيئة هي لكانوا قد ازدروا قوله فقال انني أنا أوافق أبي في مشيئته مريدا أن يلفعهم أشد لذعا كانه قال ماذا ظننتم انكم قد أغضبتموني اذلم تؤمنوا بي فقد أغضبتم اذا أبي لان هذه مشيئة مرسلي لكي كل من أعطانيه لا أضيعه منه فقد بين ههنا انه ليس محتاجا الى خدمتهم ولا جاء لاجل خدمة واصلة اليه منهم لكنه انما جاء لاجل خلاصهم ليس لاجل تكريمهم اياه وهذا فقد ذكره في مخاطبته الاولى اياهم انني لست مستمدا من الناس تشريفا وقال أيضا انما أقول هذه الاقوال لتخلصوا أنتم مجتهدا فوق وأسفل ان يحقق هذا المعنى انه انما جاء بسبب خلاصهم موسوما لابيه تشريفا حتى يعدم ان يكون متهما والدليل على انه لهذا المعنى يخاطبهم فقد كشفه باقواله التي تتلو هذه كشفا بينا لانه قال من يلتمس مشيئته انما يلتمس شرفا يخصه ومن يطلب تشريف مرسله فهو صادق وليس يوجد فيه ظلم هذه هي مشيئة أبي لكي كل باصر الى ابنه ومؤمن به يمتلك حياة دهرية وانا أقيمه في اليوم الاخير وان سألت وما غرضه في انه في اعلا كلامه واسفله يردد القيامة ترديدا متصلا اجبتك حتى لا يعتزوا ان عناية الله هي في

الاشياء الحاضرة فقط حتى وان لم تسلموا ههنا المقابلة لا يكونوا لهذا السبب مستثقلين على ظهورهم لكن ينتظر والحظوظ المرتجاة حتى لا يتهاونوا به اذا لم يعاقبهم في الاوان الحاضر لكن يتوقعوا حياة اخرى غير هذه

العظة الخامسة والاربعون

في ان ذكرا القيامة والمحاكمة يقمع نهضاتنا الشنعة وفي انه باطل هو القول بان يوجد حظ سعيدا وردي لاحد من تلقاء الطالع والبخث وفي ان نهاية هذه الدنيا قريبة

الان اولئك اليهود ما ربحوا شيأ واما نحن فقد نربح من اتصال الهتاف الينا بالقيامة متى ماشئنا ان نستكثر من القنيات متى ما آثرنا ان نختلس شيأ ان اعتزمنا ان نعمل عملا منكرا وحصلنا ذلك اليوم في عقلنا في الحين وصورنا فيه مجلس القضاء فسيضبط هذا الفكر نهضتنا الشنعة اشد ضبطا من كل لجام فسبيلنا ان نقول دائما بعضنا لبعض ونخاطب ذواتنا القيامة موجودة ومجلس قضاء رهيب ينتظرنا وان رأينا انسانا متشامخا وبالخيرات الحاضرة متبذخا نقول هذا القول بعينه مظهرين ان الاشياء كلها تبقى ههنا ومتى رأينا غيره متوجعا متضجرا فينبغي ان نقول له هذا القول بعينه موضحين له ان النوائب الجازفة تحوى نهاية وان أبصرنا وأنيا مخرقا فسبيلنا أن نترنم عليه هذا القول بعينه موضحين انه بلازم الضرورة سيقوم بالحجج عن ونيته فهذه اللفظة فيها كفاية ان تشفي نفسنا أبلغ من كل دواء لان قيامتنا موجودة وقيامتنا قد وصلت الى الابواب وليست بعيدة ولا متنزحة لان بعد مدة يسيرة قريبة سيجيء الوارد وليس يبطئ (عبرانيين ص ٥ ع ٣٧) وينبغي لنا كلنا ان نظهر لدى موقف المسيح (قرنثية ثانية ص ٥ ع ١٠) الخبثاء منا والصالحون فالخبثاء الاشرار يظهرون لديه ليشتمهم الاستخزاء بحضرة البرايا كلها والاخيار يظهرون ليصيروا أبهى نورا لدى الخلائق

بعملتها وكما أن القضاة هنا يعاقبون الاشرار ويكرمون الاخيار علانية كذلك
يصير هنالك حين يصير الاستهزاء لاولئك الارذلين أعظم لذعا وتكون
الاستنارة لهؤلاء الافاضل أبين ظهورا فهذه الحوادث سبيلنا ان نعيدها كل يوم
لانفسنا ونصور بها هذه الحظوظ المأمولة ان رددناها دائما بتذكرها فليس
يقدر أن يعضنا من الاشياء الحاضرة ولا اهتمام واحد لان الاشياء المحظوظة وقتية
والحظوظ التي ليست ملحوظة دهرية فينبغي ان نقول لانفسنا وبعضنا لبعض
قولا متصلا قد يوجد قيامة ومحاكمة ومقابلات عدلة على الاعمال التي عملناها
وجميع الظانين انه يوجد حظ لازم من طالع فليقولوا هذا القول ليتخلصوا في
الحين من هذا السقم لانه ان كان يوجد قيامة ومحاكمة فليس يوجد حظ لازم
من طالع ولو ما حكموا في ذلك باقوال جزيل عددها واختنقوا ولكنني استغزى
اذ اعلمت أناسا مسيحيين الايقان بالقيامة لان المحتاج الى ان يتعلم ان ستوجد
قيامة ولم يكن موقنا متحققا في ذاته ان الاشياء ما تندفع بضرورة وعلى بسيط
ذات اندفاعها ولا تتحرك على ما اتفق فليس هو مسيحيا فلهذا السبب أتضرع
اليكم ان ننظف ذواتنا من جميع الاوهام الخبيثة ونعمل كل ما يمكنا حتى يتفق
لنا ان نحتلك في ذلك اليوم صفوا واعتذارا ولكن لعل قائلا يقول ومتى يكون
انقضاء الدنيا ومتى تكون قيامتنا فها كم زمان قد كان ولم يعرض عارض
هذا تاثيره فاقول له لكن صدقوا انها ستكون لان الذين كانوا قبل الطوفان
قد كانوا يقولون هذه الاقوال وأمثالها وقد تضاحكوا على نوح الى ان وافى
أجلهم هؤلاء الذين قد أنكروه وخاص ذلك الذي صدق وردده والذين
كانوا في زمان لوط ما توقعوا تلك الآفة المنزلة من الله الى ان انحدرت عليهم تلك
الصواعق والشهائب المحرقة فغيبتهم كلهم وابادتهم وما حدث في زمان
هؤلاء ولا في زمان الذين كانوا في أيام نوح مقدمة للآفات التي أزمعت ان
تعرض لهم لكن في حال تنعمهم وسكرهم واغتباطهم كلهم دهمتهم

تلك الآفات المقتاص احتمالها على مثل هذا المثال تكون القيامة ليس
بمبادئ تتقدمها لكنها تكون ونحن موجودون فى وسط سراء أيامنا
ولهذا السبب قال بولس اذا قالوا سلامة وحياطة حينئذ يدهمهم هلاكهم
على غفلة مثلما يدهم المخاض الطلق الحاوية الجنين فى بطنها وما يفلتون
(تسالونيكيه أولى ص ٥ ع ٣) فهذا الحادث يحدث لكى نكون
مجتهدين كل حين ولا نطمئن فى حياطتنا بعينها وأنا أخاطب السامع ماذا
تقول أما تتوقع ان سيكون قيامة ومحاكمة أما الشياطين يقرون بكونها
وأنت تتوقع لانهم قالوا جئت الى هنا قبل الوقت تعاقبنا فالجن يقولون
ستكون عقوبة ويعترفون بمحاكمة ومقابلة وتعذيب فلا نغيظن الهنا
بتجاسرنا على الافعال الرديئة وبانكارنا اعتقاد القيامة وكما ان المسيح سيدنا
تقدم علينا فى أفعاله الاخرى أولا فكذلك تقدم علينا فى هذا الانبعاث
أولا لانه لهذا السبب يدعى بكرا من الاموات فان لم تكن قيامة فكيف
استأنف ان يصير بكرا اذ ليس يتبعه أحد من الاموات ان لم تكن قيامة
فاين يصح حكم الله العادل اذا كان أناس أشرار جزيل عددهم متنعمين
بطيبة أيامهم وسرورها وأناس أخيار هذا مبلغ كثرتهم مضغوطين بغموم
وقد قضوا أعمارهم فى اغتمامهم فاين يتسلم كل فريق من هؤلاء ما يكون
واجبا له ان يكن ما توجد قيامة فليس ينكر أحد القيامة من العائشين
عيشة مشؤمة لكنهم يصلون كل يوم بذلك اللفظ المقدس قائلين ليأت
ملكوتك وان سألت من هم الذين ينكرون القيامة أجبتك هم المسالكون
طرقهم دنسة وعيشتهم نجسة على ما ذكر النبى سبلهم نجسة فى كل حين وتتغيب
أحكامك من وجوههم (مزمور ٩ ع ٢٩) (حزقيال ص ١٣ ع ٢٣)
لان ليس يوجد انسان مالكا عيشة نقية ينكر القيامة من طريق ان الذين
ما يعرفون لانفسهم فعلا خبيثا يقولون بكونها ويريدونها ويصدقونها

حتى يتسلموا مكافاتهم فلا نغبطن ربنا لكن فلنسمعه اذ يقول خافوا القادر ان يهلك فى جهنم نفسكم وجسمكم (متى ص ١٠ ع ٢٨) لكى نصير بخوفه أفضل حالا ونتخلص من هذا الهلاك ونوهل لمث السموات الذى فليتفق لنا كلنا امتلاكه بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفه الذى به ومعه لابيه المجد مع الروح القدس الى أباد الدهور كلها آمين

المقالة السادسة والاربعون

فى قوله (٤١) وتذمرت اليهود عليه لانه قال أنا هو الخبز المنحدر من السماء ٤١ وقالوا أفما هذا هو يسوع بن يوسف الذى نحن قد عرفنا أباه وأمه كيف يقول انه الخبز الذى انحدر من السماء

ان بولس عند مخاطبته فى وصف اليهود قال أولئك الذين جوفهم الههم وشرفهم فى خزيهم (فيليبوسيوس ص ٣ ع ١٩) وهذا فواضح فيما سلف من أفعالهم و بين أيضا من أقوالهم التى قالوها للمسيح لما اقتربوا اليه لانه حين أعطاهم خبزا وملأ بطنهم قالوا انه نبى والتمسوا ان يجعلوه ملكا ولما علمهم من أجل الطعام الروحانى من أجل الحياة الدهرية لما عطفهم من الاشياء المحسوسة وخاطبهم فى وصف القيامة وجعل رأيهم أعلا تمييزا حين وجب عليهم أن يستعجبوه كثيرا حينئذ تذمروا وطفروا ناكصين عنه وأنا أخاطبهم فان كان هو

النبى

النبي على ماذكرتم ان هذا هو الذي في وصفه قال موسى ان الرب الهكم يقيم
لكم نبيا من اخوتكم مثلي فاسمعوا منه فقد وجب عليكم أن تسمعوه قائلا انى
من السماء انحدرت الا انهم ما سمعوا قوله لكنهم تذمروا مع أنهم قد احتشموه
أيضا بسبب أن آية الخبز كانت جديدة فلهذا السبب ما رادوه مرادة ظاهرة
وبتذمرهم أظهروا انهم قد اغتاظوا عليه لانه ما خولهم المائدة التى التمسوها
منه وأرادوها واذ تذمروا قالوا أليس هذا ابن يوسف فمن هذه الجهة استبان
واضحا أنهم ما كانوا قد عرفوا بعد ولادته العجيبة البديعة ولهذا السبب
دعوه ابن يوسف وما انتهرهم ولا قال لهم لست أنا ابن يوسف وما قالوا هذا القول
لانه كان ابن يوسف لكنهم قالوه لانهم ما استطاعوا أيضا ان يسمعوا ولادته تلك
العجيبة فان كانوا ما استطاعوا أن يسمعوا سمعا بينا مولده بذاته تجمه فأولى بهم
وأليق انهم ما استطاعوا ان يسمعوا مولده الفاقد وصفه الذى فى العلو ولئن
كان ما كشف لهم مولده الذليل فاليق وأوجب انه ما قلدهم تلك الاسرار
العالية على ان هذا قد شككهم تشكيكا كثيرا انه موجود من أب حقير المحل
دنى الحظ لكنه ما أعلن لهم ذلك عاجلا لكيلا يبطل شكا آخر ويخترع شكا
غيره وان سألت عما قاله هو عند تذمرهم عليه أجبتك انه قال (٤٤) ليس يقدر
أحد أن يجئ الى ان لم يجتذبه أبى الذى أرسلنى الا أن أصحاب مانى يتواثبون بهذه
الالفاظ الى هلاكهم قائلين انتا ما وضع فينا اختيار مفوض الينا على أن هذا
القول قد بين اننا ماتأمرون على عزمنا واعل قائلا منهم يقول فان كان من يشاء
يجئ اليه فما احتياجه الى اجتذابه فنقول له هذا القول ليس يبطل ما هو الينا
لكنه يبين اننا محتاجون الى معونته فبين ههنا أن ليس المكاره جائيا اليه
لكنه يبين المستمتع بعونة ونجدة كثيرة جائيا اليه ثم يوضح الحال الذى به يجتذبه
لان حتى لا يتوهم أيضا فى الله توهما محسوسا استثنى بقوله (٤٦) ليس ان الله
أبصره باصر الا الموجود بالحقيقة من الله هذا أبصر الاب فان قلت كيف يجتذبه

أجبتك هذا الاجتذاب قد تقدم النبي منذ أعلى الزمان فهتف به وقال (٤٥) انهم سيكونون كلهم متعلمين من الله أعرفت رتبة الايمان وكيف يتعلمون الايمان ليس من أناس ولا من انسان لكنهم انما يتعلمون الايمان من الله بعينه فلهذا الغرض اذ جعل كلامه مؤهلا لتصديقه أرسلهم الى الانبياء فان قلت ان كانوا سيكونون متعلمين من الله فكيف أناس لم يؤمنوا به أجبتك ان هذا القول الذى قيل انما قيل فى وصف الكثيرين وخلوا من هذا القول فقول النبي ذلك يبين المريدين كلهم ان يصدقوه متعلمين من الله لانه تقدم فجلس معلما لكل من يشاء لم يزل متسوما التخويلهم علومه دافقا على جماعتهم تعليمه وأنا أقيمه فى اليوم الاخير (يوحناص ٦ع ٣٩) فليس مرتبة الابن ههنا صغيرة اذا كان أبوه يقتاد اليه وهو يقيم من يجئ اليه فليس يقول هذا القول قاسما الافعال مع أبيه لان كيف يكون ذلك لكنه يقول ذلك موضحا معادلة المقدرة فكما أنه لما قال هنالك وأبى الذى أرسلنى يشهد لى ثم حتى لا يستفحصوا صوتا أرسلهم الى الكتب فكذلك لكيلا يتوهموا هذا التوهم ههنا بعينه أرسلهم الى الانبياء مرددا الانبياء فى أعلا كلامه وأسفله ترديدا متصلا مظهرا ذاته أنه ليس هو ضدا الى أبيه فان قلت فأقوال فى الذين كانوا قبل وروده أما كانوا متعلمين من الله فما هى الخاصة المميزة له ههنا أجبتك انهم حينئذ باناس علموا أقوال الله والآن فعلموها بابن الله الوحيد والروح القدس ثم قال ليس ان الله أبصره باصر الا الموجود بالحقيقة من الله فليس قوله ههنا فى معنى العلة لكن فى غريزة الجوهر والافان كان قال هذا القول وكلنا نحن من الله فاين الخاصة المنفردة المميزة له وان قلت فلاى غرض ما وضع هذا القول أوضح بيانا أجبتك بسبب ضعف أولئك ان كان اذ قال اننى انحدرت من السماء ارتابوا هذا الارتياب فما الشك الذى ما كان قد عرض لهم لو كان استثنى بهذا القول و يدعو ذاته خبز الحيوة لانه يضبط حياتنا هذه المستأنفة وقد

قال

قال من يأكل هذا الخبز يحيى الى الدهر فالخبز ههنا اما أن يكون قد قال انه أراد
الاعتقادات الخلاصية والايمان به واما يكون قد قال انه جسده لانهما جميعا
يقويان نفسنا على انه قد قال فى موضع آخر ان سمع سامع قولى فليس يذوق موتا
فتشككوا وههنا فاعرض لهم عارض هذه صفته بسبب استعطافه اياهم من
الخبزات المتكونة به وانظر من أين يخترع الفصل بين هذا الخبز وبين المن
فيتجه لك أن تسمع ذلك من نهاية الطعامين كليهما لانه اذ أوضح انه ما خول
الحاجة الى ذلك الفصل مستغربة استثنى بقوله (٤٩) آباؤكم أكلوا المن فى
البرية وماتوا ثم اخترع ما من شأنه أن يحقق لهم تحقيقا واضحا انهم قد أهلوا
لحظوظ أعظم من آبائهم الذين هم موسى وأولئك الرجال العجيبين بكثير لانه
لما قال ان الذين أكلوا المن ماتوا استثنى بقوله من يأكل من هذا الخبز يحيى الى
الدهر وما وضع لفظة فى البرية على بسيط ذات وضعها لكنه وضعها مضمرا
فيها أن المن ما طال مداه الى زمان طويل ولا دخل معهم الى أرض الموعد وهذا
الخبز فليست هذه الغريزة غريزته (٥١) والخبز الذى أعطيه أنا هو لحمى الذى
أعطيه أنا من أجل حياة العالم وعلى جهة الواجب يتحير ههنا متحير فيقول أى
وقت كان لهذه الاقوال التى ما عمرت أحدا ولا نفعته وصارت مفسدة للمتعمرين
لان البشير قال من هذا القول ذهب كثيرون من تلاميذه الى ماورائهم وقالوا
مستصعب هو هذا القول من يستطيع أن يسمعه لان قد كان ممكنا أن تسلم هذه
الاقوال الى تلاميذه وحدهم على ماذكر متى أنه خاطبهم على انفراد فما الذى
نقوله وان استخبرت وما هو الغرض النافع من هذه الالفاظ أجبتك أن الغرض
النافع منها والضرورى اللازم جزيل تقديره لانهم لما ثابتوه طالبين طعاما
جسمانيا ذاكرين الطعام المعطى فى زمان أجدادهم داعين المن عظيما محله
أوضح لهم أن تلك الاصناف كلها كانت رسما وظلا وأن حقيقة الاشياء هى
هذه الحاضرة وذكر الطعام الروحانى ولعلك تقول فقد كان يجب أن يقول أن

أباءكم أكلوا المن فى البرية وأنا قد أعطيتكم خبزا فنقول لك الا أن الفرق بينهما
عظيم لان هذا الخبز قد ظن انه أدنى محلا من ذلك المن لانحدار ذلك المن من العلو
ولكن عجيبة الخبز من أسفل ولذا التمسوا طعاما منزلا من السماء لذلك قال قولا
متصلا انى قد انحدرت من السماء وان استخبر مستخبر وما غرضه انه أورد كلاما
فى ذكر اسراره نقول ذلك الجواب ان ذلك الوقت كان مناسبا لهذه الاقوال
جدا لان اغماض الاقوال التى قالها من شأنه أن ينهض سامعها دائما ويصيره
أكثر اصغاء وبحثا فيما كان ينبغى أن يرتابوا لكن قد كان ينبغى لهم أن يسألوه
ويستخبروا الا أنهم الآن انصرفوا الا انهم ان كانوا قد ظنوا انه نبى فقد كان واجبا
عليهم أن يصدقوا الاقوال التى قالها فيجب من ذلك ان الارتياب كان من غباوة
أولئك ليس من استعجام الاقوال التى قيلت لهم وانظر أنت كيف يصاعدهم
اليه قليلا قليلا لانه قال ههنا أنه هو يعطى الخبز ليس أبوه اذ قال والخبز الذى
أعطيه أنا هو لحمى الذى أعطيه أنا من أجل حياة العالم ولكنك تقول أن
تعليمه كان مستغربا مستعجما على أن يوحنا السابق منذ أعلى انذاره قد أضمر هذا
المعنى فى قوله لما سماه حملا ولكنك تقول أنهم ولا على هذه الجهة عرفوه
فاجيبك وقد عرفت أنا ذلك لكن ولا تلاميذه عرفوه لانهم ان كانوا ما قد
عرفوا بعد قولا فى ذكر القيامة ولذلك جهلوا معنى قوله حلوا هذا الهيكل وأنا أقيمه
فى ثلاثة أيام فأولى بهم وأليق انهم ما كانوا عرفوا قولا فى معنى ما قيل لهم لان هذه
الاقوال كانت أغمض من تلك ولعمرى أنهم قد عرفوا أن الانبياء قد أقاموا
أمواتا وان كانت الكتب ما ذكرت القيامة على هذه الجهة ذكرا واضحا الا أن
أحدا من الناس أكل لحما ما قال ذلك ولا واحد من أولئك الانبياء فى وقت من أوقاته
الا أنهم مع ذلك قبلوا قوله ولحقوه واعترفوا أن عنده ألفاظ حياة دهرية لان
التلميذ هذه خاصته الا يستبحث من أقوال معلمه لكن يستمعها ويقبلها
وينتظر وقت حلها وشرح معناها اللائق بها ولعلك تقول وما الفائدة من

ذلك

ذلك لان قد عرض منها ضد ذلك وعادوا الى ماورائهم فاقول لك أن عودتهم هى من غباوتهم لان متى مادخل أنبياء كيف رافقه زوال الامانة فعلى هذه الجهة ارتجف نيقوديمس اذقال كيف يقتدر انسان أن يدخل الى جوف أمه وعلى هذه السجية اضطرب هؤلاء اذقالوا (٥٢) كيف يقتدر هذا أن يعطينا لحمه نأكله لانك ان كنت تطلب أيها اليهودى كيف فلم ماقلت هذا القول فى أوان تكثير الخبز كيف امتدت الخمس خبزات وانبثت الى أناس هذا المبلغ الجزيل كان مبلغهم انهم كانوا حينئذ من شبعهم فقط ليس من معاينتهم منظرا عجيبا لكنك تقول أن الخبرة حينئذ علمتهم فاقول لك فقد كان واجبا أن تكون هذه الاقوال من تلك الخبرة مقبولة عندهم أحسن قبولا لان لهذا الغرض سبق فاجترح تلك العجيبة البديعة حتى يتعلموا بتلك العجيبة أن لا ينكروا مايقوله فيما بعد

العظة السادسة والاربعون

فى تناول سرائر القربان المقدسة وانه خلاص للمؤهلين لها وعقاب للغير المؤهلين

ولعمرى ان أولئك مااستثمروا حينئذ من الاقوال التى قيلت لهم نفعا ونحن فقد استمتعنا بالاحسان بالافعال باعيانها فلذلك يلزمنا اضطرارا أن نعرف عجيبة أسرار القربان ماهى ولم أعطيت وماهى منفعتها نحن جسم واحد وأعضاء من جسده ومن عظامه فالخابرون هذه الاسرار فليتبعوا الاقوال التى قيلت لئلا تكون هذه الحال حالنا فى حبه فقط لكن نكون بالفعال بعينه نمتزج فى ذلك اللحم ويصير هذا لنا بالطعام الذى وهبه لنا اذشاء أن يرينا الشوق الذى قد حواه مرتاحا الينا ولهذا السبب خلط ذاته فينا وعجن جسده فينا لنصير شيأ واحدا كمثل جسم متحد براسه لان هذا الفعل هو فعل الشائقين جدا وهذا المعنى

ذكره أيوب الصديق فى وصف عبيده ذكرا خفيا الذين كان محبوبا عندهم بافراط
زايدا انهم لما أوضحوا أشواقهم اليه قالوا من يعطنا ان نشبع من لحمانه لذلك عمل
المسيح هذا العمل اذا استقادنا الى ود أعظم وأوضح اشتياقه الينا فاوهب للتائقين
اليه ان يبصروه فقط لكنه وهب لهم ان يلمسوه ويأكلوه ويجنوا أضراسهم
فى لحمه ويعانقوه ويشبعوا من الشوق اليه كله فسبيلنا ان ننصرف من تلك
المائدة على هذا المثال كسباع يتنفسون نارا صائرين مرهوبين عند ابليس
الحال متفطنين فى رأسنا وفى الحب الذى أظهره لنا فالوالدات طالما أعطين
أطفالهن لاخرات يربينهم فانا (زعم) ما عملت هذا القول لكننى أغذوكم
بلحمانى وقد قدمت لكم ذاتى مريدا ان تكونوا كلكم شريفا حسبكم
باسطا لكم امالا صالحة للنعم المستأنفة لان من قد اعطاكم ههنا ذاته فاولى به
وأليق ان يعطيكم ذاته فى الدهر المستأنف قد شئت ان أكون اخا لكم
وشاركت لحما ودما لاجلكم وها انذا أعطيكم أيضا لحمى بعينه ودمى اللذين بهما
صرت نسيبا لكم هذا الدم يصير الصورة الملكية زاهرة فيكم هذا الدم حسن
لكم يمتنع الاحتيال عليه هذا الدم ليس يترك شرف حسب نفسكم ان يذبل
ضامرا اذ يسقيها ويغذيها دائما لان الدم المتكون فيكم من الاغذية ليس يصير
فى الحين هذا الصنف لكنه يصير صنفا آخر وهذا الدم فليس هذا الفعل فعله
لكنه فى الحين يسقى نفسنا ويحصل فيها قوة عظيمة هذا الدم السرى يطرد
الشياطين ويصيرهم ان يوجدوا مبتعدين عنا ويدعوا الملائكة الينا وسيد
الملائكة لان الدم السيدى أينما شوهد فمن شأنه ان تهرب منه الشياطين وتبادر
اليه الملائكة هذا الدم لما أريق غسل المسكونة كلها والسعيد بولس قد تفلسف
فى وصف هذا الدم فى رسالته الى العبرانيين باقوال كثيرة هذا الدم طهر مقادس
القديسين والمواضع الغامضة فيها ولئن كان رسمه اقتدر فى هيكل العبرانيين اقتدارا
هذا مبلغه جزيلا ولما لطخت به ملابن الابواب فى وسط مصر فالحق أولى

وأليق

وأليق أن يقتدر اقتدارا عظيما هذا الدم قدس المذبح الذهبي خلوا من هذا
ما اجترأ رئيس الكهنة أن يدخل الى غوامض الهيكل المختاص الدخول
اليه هذا الدم انتدب الكهنة هذا الدم طهر خطايانا في رسومه فاذن كان حوى
في رسومه مقدرة هذا المقدار الجزيل مقدارها ان كان الموت أراعه وسمه هذا
الارتياع الشديد فقل لي كيف ما قد أراعه الحق بعينه وأخافه هذا الدم خلص
نفوسنا بهذا الدم تغسل نفوسنا وبه تتجمل وبه تحمى نارها هذا الدم يجعل
عقلنا ألمع من النار هذا الدم يجعل نفسنا أبهى حسنا من الذهب هذا الدم حين
أريق جعل السماء مسلوكة بالحقيقة ان أسرار الكنيسة لمريعة بالحقيقة
أن مذبحها الرهيب مريع قد طلع لعمري من الجنة ينبوع أفاض أنهارا
محسوسة ومن هذه المائدة تطلع عين فائضة أنهارا روحانية حول هذه العين
ليس شجر صفصاف مغروسة خائبة من أن توجد مثمرة لكن حولها أشجار
واصلة الى السماء بعينها حاوية ثمرا أبا الغاقد عدم أن يذبل طريا دائما فمن يضويه
الحر فليحضر عند هذه العين وليبرد استحراره لانها تحل قشب القحط وتعزي
الغروس المحترقة كلها ليس المحترقة من الشمس لكن المحترقة من النبل المحمى
لانها تمتلك ابتداءها من العلو وأصلها من هناك من حيث تسقى ومجاري هذه
العين كثيرة التي يفيضها المعزي ويكون الابن وسيطها ليس حاويا معولا
ومطرقا لكنه فاتح السريرة التي فينا هذه العين هي عين نور فائضة شعاعات الحق
هذه العين تقف حولها قوات الملكية فوق ناظرين الى حسن مجاريها الان تلك
القوات تبصر أبين مما نبصر نحن قوة القرابين الموضوعة وشعاعاتها التي يمتنع
الدنو منها وبمنزلة ذهب ذائب ان أغاص أحدنا فيه يده أو ان أولج فيه لسانه فقد
صير في الحين يده أو لسانه ذهبا فكذلك تصير ههنا القرابين الموضوعة نفسنا
لانها نهرنا وتحمى نفسنا أشد من النار الا أنه ما يحرقها لكنه يصبغها فقط اذا
أخذته هذا الدم قدم رسمه منذ أعلى الزمان في المذابح دائما وفي ذبحات ذوي

العدل هذا الدم ثمن المسكونة بهذا الدم ابتاع المسيح كنيسته بهذا الدم وشاهها
كلها لان بمنزلة انسان ابتاع عبيدا واعطى ثمنهم ذهبا ولما اراد أن يزينهم
بذهب فكذلك عمل يسوع الهنا ابتاعنا بدمه وزيننا ورشنا بدمه فالذين
يساهمون هذا الدم فقد وقفوا مع الملائكة ورؤساء الملائكة والقوات الذين
فوق متسربلين حلة المسيح الملكية مالكين أسلحتهم روحانية الا انني ماقلت
الآن قولا عظيما لانهم هم لابسون مالكهم المسيح بعينه ولكن كما أن هذا الدم
هو عظيم وعجيب فكذلك اذا تقدمت اليه بطهارة فقد تقدمت الى خلاصك
وان تقدمت اليه بفطنة خبيثة فقد تقدمت الى عقوبتك وتعذيبك لان من
يأكل ويشرب لحم ودم ربنا بغير استحقاق فانما يأكل ويشرب عقوبة ذاته
(قرنثيه أولى ص ١١ ع ٢٩) ولئن كان الذين يوسخون ديباجة الملك
البنفسجي لونها يعاقبون كما يعاقب الذين يمزقونها بالسواء فليس منكرا أن
يتكبد الذين يقتبلون جسد ربنا بسريرة نجسة عقوبة الذين فرزوه بالمسامير
بعينها وانظر كيف بين بولس تعذيبهم مرهوبا اذ قال متى خالف شريعة
موسى بحضرة شاهدين أو ثلثة يمات خلوا من رأفات فاكم تعذيب أشر من ذلك
تظنون أنه يؤهل من قد توطأ ابن الله واحتسب دم عهده الذي به قدس نجسا
(عبرانيين ص ١٠ ع ٢٨) فلنتيقظ يا أحبتي الى أنفسنا اذ قد استمتعنا بنعم
صالحة هذا المحل محلها واذا أردنا أن نتكلم كلاما مستقبحا أو اذا رأينا ذواتنا
قد اختلسنا غيظنا أو غيره من أسقام هوانا فسبيلنا أن نفتكر في التي قد أهلنا لها
وفي جلالة الروح الذي استمتعنا به وليكونن لنا هذا الافتكار رادعا لادواء
حزمنا البهيمية الفاقدة القياس الى متى نستمر في الاشياء الحاضرة الى متى
ماننتهض الى متى مانهتم بخلاصنا فلنتفطن في النعم التي أهلنا لها المسيح ولنشكره
ولنمجده ليس بامانتنا فقط لكن فلنمجده باعمالنا باعيانها لننال مواهبه
الروحانية وخيراته الصالحة المنتظرة بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفه الذي
به ومعه لابيه المجد مع الروح القدس الآن ودائما والى آباد الدهور آمين

المقالة

المقالة السابعة والاربعون

فى قوله (٥٣) فقال لهم يسوع حقا حقا اقول لكم ان لم تأكلوا لحم ابن الانسان وتشربوا دمه فما تملكون حياة فى ذواتكم (٥٤) من يأكل لحمى ويشرب دمى يمتلك حياة فى ذاته

اذا خاطبنا فى معانى روحانية فلا يكونن فى نفوسنا همة عالية ولا افتكار أرضى لكن فلننصرف عنا الافكار كلها وما ناسبها ولنهمل الهموم كلها وما ناسبها ونتمكن فى استماع الاقوال الالهية وحدها ولئن كان متى حضر ملك ينطرد كل رهج فأولى وأليق اذا خاطبنا الروح القدس يجب علينا أن يكون لنا هدو وصمت كثير وارتياع جزيل لان الاقوال التى قيلت اليوم مؤهلة لارتياع وخوف لانه قال حقا حقا أقول لكم ان لم يأكل أحدكم لحمى ويشرب دمى فليس يمتلك حياة دهرية لانهم اذ قالوا ان هذا هو ممتنع أراهم انه ليس ما هو ممتنعا فقط لكنه أوضح لهم مع ذلك انه لازم ضرورى جدا من يأكل لحمى ويشرب دمى يمتلك حياة دهرية وأنا أقيمه فى اليوم الاخير لانه لما قال ان من يأكل من هذا الخبز ليس يموت الى الدهر قد كان واجبا أن يزيدهم هذا القول على حذو ما قالوا فيما سلف ابرهيم قد مات والانبياء قد ماتوا فكيف تقول أنت انه ليس يذوق موتا فوضع القيامة حالا بها المطلوب موضحا انه ليس يموت الى الغاية ويردد كلامه فى وصف سرائر القربان ترديدا متصلا موضحا ممارسة ذلك

ضرورية وان هذا الفعل يجب أن يصير على كل حال وان سألت وما هو قوله (٥٥) جسدى ما كل حق ودمى مشرب حق أجبتك اما يريد أن يقول هذا القول ان الاكل الحقيقى هذا هو الذى يخلص نفسكم واما يريد أن يحقق عندهم الالفاظ التى قالها حتى لا يظنوا ان القول الذى يقوله لهم هو رمز غامض ومثل ولكن يلزمهم اضطرارا ان يأكلوا جسده ثم قال (٥٦) من يأكل لحمى يثبت فى فهذا القول قاله موضحا انه يمتزج فيه والقول الذى يتلو هذا يظن أنه قول عديم ان يوجد كاملا اذا لم يستبحث عن معناه لان أى نظام هذا ان يقول بعد قوله من يأكل لحمى يثبت فى وينظم اليه (٥٧) مثلما أرسلنى أبى الحى وأنا حى لاجل أبى ولعمرى أن هذا القول الذى قاله يحوى نظامه جزيلا لانه لما ذكر فى أعلى كلامه وأسفله حياة دهرية أصلح هذا القول واستثنى بقوله انه يثبت فى لانه ان كان يثبت فى وأنا حى فواضح بين ان ذلك سيحيى ثم قال مثلما أرسلنى أبى الحى وهذا القول هو قول مقايس ذاته بابيه ومماثل اياه فالذى يقوله هذا هو معناه أنا حى على هذا المثال مثلما أبى حى ولكن لا تظنه عديما أن يكون مولودا استثنى بهذا القول وهو لفظة لاجل أبى وليس هذا القول موضحا أنه محتاج لحياته الى فعل من الافعال لانه قد أزال هذا الظن فوق هذا الموضع وقال لان كما أن الاب يمتلك حياة فى ذاته فعلى هذه الجهة أعطى ابنه أن يمتلك حياة فى ذاته فان كان يحتاج الفعل فسيوجد اما أبوه ما أعطاه على هذه الجهة امتلاك حياة فى ذاته ويكون القول كاذبا واما ان كان أعطاه ذلك على هذه الجهة فليس يحتاج هو الى أحد غيره مقايس به فان قلت فما هو معنى لاجل أبى أجبتك انه ههنا يذكر علته ذكرا غامضا فقط فالذى قاله هذا هو معناه كما أن أبى هو حى فكذلك أنا حى ومن يأكلنى فذاك يحيى لاجلى ويذكر ههنا حياة ليس على بسيط ذاتها لكنه يذكر الحياة النافعة والدليل على انه ما يتكلم فى ذكر حياة على بسيط ذاتها لكنه انما يتكلم فى ذكر تلك الحياة الجيدة المغتاص وصفها فواضح من تلك

الجهة

الجهة * لان جميع الكفار والاغبياء عن العلم يخيبون وما يأكلون من ذلك اللحم
أرأيت انه ما تكلم في ذكر هذه الحياة بل في ذكر تلك الحياة السعيدة فالذى
يقوله هذا هو معناه ان من يأكل يحيى ليس يهلك اذا قضى أجله ولا يعاقب
وما يتكلم أيضا في ذكر القيامة العامة لان الناس كلهم يقاومون * لكنه انما
يتكلم في ذكر تلك القيامة المنفردة بالسعادة القيامة الجيدة الحاوية مجازاة
الصلاح * (٥٨) هذا هو الخبز الذى نزل من السماء ليس كما أكل أباؤكم
المن في البرية وماتوا * من يأكل هذا الخبز يحيى الى الدهر * يردد هذا القول
ترديدا متصلا حتى يرسمه في سريرة سامعيه لان تعليمه في هذه المعانى كان تعليما
اخيرا وحتى يحقق عندهم الايقان في القيامة وبالحياة الدهرية ولذلك استثنى
بذكر القيامة ولما وعد بحياة دهرية بين ان هذه الحياة لن توجد الان
لكن بعد القيامة فان قلت ومن اين هذه الاقوال واضحة أجبتك من الكتب
لانه في كل مكان من كلامه يرسلهم اليها ويعزا اليهم أن يعرفوا هذه الاقوال
منها وبقوله انه يعطى العالم حياة دهرية يقتادهم الى مغايرة أهل العالم
حتى متى تأملوا لاستمتاع آخرين بالموهبة لا يلبثوا خارجا ويذكرهم بالمن
اذكارا متصلا وبين الفرق بينه وبين هذا الخبز ويقتادهم الى تصديق
ذلك لانه ان كان قد أمكنه أن يضبط حياة أولئك الناس في مداه أربعين سنة
خلوا من أن يبذر واحنطة وساق عيشهم الآخر فاولى وأليق أن يقتدر
الان من طريق انه أعظم من ذلك ولئن كان أولئك الناس كانوا رسوما فجمعوا
المن المنزل عليهم خلوا من اعراق واتعاب فاليق بهذا الخبز وأولى أن تكون
هذه الحال حاله اذا لفصل بينه وبين ذلك كثير وانه ما ينقضى في وقت من
الزمان وانه يمتع آكله بحياة حقيقية ويذكر في كل مكان من كلامه حياة
اذ هى مأثورة عند الناس وليس عندهم على هذا المثال شيأ مستلذا مثل الا
يموتوا اذا كان في العهد العتيق هذا الوعد وعده بطول العمر وبالايام

الكثيرة ولكن ههنا الان ليس طول عمر على بسيط ذاته لكن حياة لن تحوى تماما ولا غاية ومع ذلك فيريد ان يريهم الا انه يحيل العقوبة المتكونة من الخطية ويزيلها لما نقض تلك الخطية المميتة واستورد بخلاف تلك الاولى قضية موردة حياة دهرية (٥٩) هذه الاقوال قالها فى المجمع لما علم فى كفر ناحوم بحيث صارت قوات كثيرة فمن هذه الجهة وجب عليهم أن يتبعوه عاجلا فان سألت فلم علم فى مجمعهم وفى هيكلهم أجبتك جمع فى ذلك غرضين هما ايثاره أن يصطاد الجماعة الكثيرة منهم وارتياده أن يريهم انه ليس هو على طريقة مضادة الى أبيه * (٦٠) وكثيرون من تلاميذه اذ سمعوا أقواله قالوا هذا القول مستصعب هو وما هو المستصعب هو انه يوجد خشنا متعبا حاويا تعسفا ولعمرى انه ما قال قولا هذا معناه لانه ما خاطبهم فى اصلاح الطريقة لكنه انما خاطبهم فى آراء دينية مرددا فى اعلى خطابه واسفله الايمان به فما معنى قولهم هذا القول مستصعب هو الا انه وعدهم بحياة وقيامة لانه قال انه انحدر من السماء الا انه قال انه ممتنع أن يتخلص من ليس يأكل جسده أفهذه الاقوال قل لى يا سامعها مستصعبة ومن يقول هذا القول فما معنى قولهم ان هذا القول مستصعب معناه ان قبوله كان مستصعبا عليهم متجاوزا حاويا خوفا جزيلا لانهم ظنوه يتكلم أقوالا أعظم من رتبته فائقة عليه وقالوا من يستطيع أن يسمعه محتجين عن أنفسهم لما اعتزموا ان يطفروا منحرفين عنه (٦١) فلما عرف فى ذاته يسوع انهم يتذمرون فى أنفسهم لان خاصة لاهوته هى ان تورد الى الوسط الاوهام الفاقدة التكلم بها قال أهذا القول يشككم (٦٢) فما قولكم اذا رأيتم ابن الانسان صاعدا الى حيث كان أولا وهذا المعنى قد عمله فى حين خطابه ناثانائل اذ قال له لانى قلت لك انى رأيتك تحت التينة تؤمن سترى أعظم من هذه الايات وفى حين مفاوضته نيقوديمس قال ما طلع أحد الى السماء الا ابن الانسان الموجود فى السماء ولعلك تقول فما غرضه هل ينظم شبهات

فى

فى شبهات فاقول لك لا كان ذلك لكنه يرتاد أن يستقيدهم اليه بجسامة
آراء دينه و بكثرتها لانه لو كان يقول على بسيط ذات القول انى انحدرت من
السماء وما استثنى بقول أكثر من ذلك لكان قد شككهم اكثر تشكيكا
فبقوله ان جسدى حياة العالم و بقوله انى على نحو ما ارسلنى أبى الحى فانا حى
لاجل أبى و بقوله انى من السماء انحدرت حل الشبهة وازال الشك وذلك ان
من يتكلم فى وصف ذاته قولا واحدا عظيما يكون اذا اتمهما بمنزلة مخترع لفظا
بديعا ومن ينظم أقوالا جزيلة يتلو أحدها الآخر فذلك يزيل عنه التهمة
كلها و يعمل كل ما يعمله و يقول كل ما يقوله حتى يستميلهم عن ظنهم ان
يوسف أبوه وما قال هذا القول مرتادا أن يزيل تشكيكهم لكن أولى ما يقال
انه ارتاد ان ينقضه ويزيله لان الظن به انه من يوسف ما اقتبل ما كان يقوله
والموقن انه قد انحدر من السماء واليها يصعد فذاك من شأنه أن يصغى الى
أقواله التى كان يقولها بأيسر الاصغاء واسهله ومع هذه الاقوال فقد أورد
حلا آخر بقوله (٦٣) الروح هو الذى يحيى اللحم ليس ينفع ولا نفعا فالذى
يقوله هذا هو معناه ينبغى لكم أن تسمعوا الاقوال من أجلى سماعا روحانيا
لان من يسمعها سماعا لحميا ليس يستفيد نفعا ولا يمتع بربحها واستماعها اللحمى
هو ارتياب سامعها كيف انحدر من السماء وتوهمه انه ابن ليوسف ولفظة
كيف يستطيع أن يعطينا لحمه نأكله هذه الاوهام كلها لحمية فينبغى لنا أن
نتفهمها تفهما سريا و روحانيا فان قلت وكيف كان يقتدر أولئك أن يفهموا
لفظة ان يأكلوا لحمه أجبتك قد كان واجبا عليهم أن ينتظروا الوقت الواجب
وان يستخبروه ولا ييأسوا و يرتابوا الالفاظ التى قلتها لكم انما هى روح وحياة
وان قلت ما معنى قوله هى روح أجبتك روحانية هى وان تحوى لفظا لحميا ولا
نظاما طبيعيا لكنها متخلصة من هذه الضرورة كلها التى فى الارض ومن الشرائع
الموضوعة ههنا تحوى معنى آخر مستغربا كما انه قال ههنا الروح بدلا من المعانى

الروحانية فكذلك لما قال لحما قال معانى لحمية لكنه يعني استماع أقواله استماعا لحميا او اعتمدهم اعتمادا مستورا انهم يشتهون دائما شهوات لحمية وقد كان يجب عليهم أن يرتاحوا الى الشهوات الروحانية لانه متى ما فهم أحدنا قوله تفهما لحميا فما قد استفاد نفعا فان قلت فما رأيك أفما يوجد اللحم الذى له لحما أجيبك انه لحم وذلك واضح جدا ولعلك تقول فكيف قال اللحم ليس ينفع ولا نفعا فاقول لك لم يقل هذا القول من أجل لحمه (لا كان ذلك) لكنه انما قال من أجل الذين يتفهمون الاقوال التى قالها تفهما لحميا وان استخبرت فما هو معنى ان يتفهمها أحدنا تفهما لحميا أجيبك هو ان ينظر الى الاقوال الموضوعة على بسيطة ذات النظر اليها ولا يتخيل فيها تخيلا أكثر من لفظها لان هذا هو نظر لحمى فيجب علينا الا نميز الالفاظ الملحوظة هذا التمييز لكن ينبغى لنا أن نتأمل بالحاظنا الباطنة أسرار الاقوال كلها فان هذا النظر نظر روحانى من ليس يأكل لحمى ولا يشرب دمى فليس عنده حياة فى ذاته فكيف ليس ينفع اللحم نفعا الذى ليس يمكن أحدا ان يحيى خلوا منه أرأيت ان لفظة اللحم ليس ينفع ولا نفعا لم يقلها من أجل لحمه لكنه انما قالها من أجل الاستماع اللحمى (٦٤) لكن قد يوجد أقوام منكم ليسوا يؤمنون ولا يصدقون ها هو أيضا يرتب فى اقواله رتبة مألوفة اذ يتقدم فيذكر الحوادث المنتظر كونها ويبين انه ما قال هذه الاقوال مرتاحا الى التشريف من أولئك لكنه انما قالها مهتما بهم بقوله ان أقواما منكم ليس يؤمنون انحرج تلاميذه وعزاهم منهم لانه فى مبتدأ امرها وضحه قال قد رأيتمونى وما صدقتمونى وقال ههنا قد يوجد أقوام منكم ليسوا يصدقون لانه قد عرف من الابتداء من هم الذين ليسوا يصدقونه ومن هو الذى يسلمه ولهذا السبب قال (٦٥) ليس يقدر أحد ان يجيء الى ان لم يكن ذلك معطى له من فوق من عند أبى فالبشير ههنا يذكر لنا فعل سياسته الطوعى واحتماله ذكرا مستورا ولفظة من الابتداء لم توضع ههنا على بسيط ذات وضعها لكنها وضعت لتعرف معرفة من أعلى الدهر

السابقة

السابقة وانه قد عرف داؤه قبل هذه الالفاظ ليس انه عرفه بعد ان تذمر أولئك ولا بعد ان تشككوا لكنه قد عرفه قبل ذلك وهذا فعلا للاهوته كان ثم قال ان لم يكن ذلك معطى له من عند أبي من فوق محققا عندهم ان يستشعروا الله أباه ولا يتوهموا ان يوسف أبوه موضحا أن الايمان به ليس هو فعلا حقيرا كانه قال الذين ما يؤمنون بي ما يقلقونني ولا يزعجونني ولا يغربونني من حلمي لانني قد عرفت هذا من أعلى الدهور قبل ان يكون قد عرفت من هم الذين أعطاهم أبي الايمان بي فاذا سمعت ان أباه أعطاهم ذلك فلا تظن هذا الاعطاء حظا خاصا على بسيط ذاته لكن صدق ذلك المعنى ان من جعل ذاته مؤهلا لاخذ ذلك هو الذي أخذه

(٦٦) فمن هذا القول ذهب كثيرون من تلاميذه الى ماورائهم وما مشوا معه أيضا على جهة الصواب ما قال البشير انهم انصرفوا لكنه قال انهم ذهبوا الى ماورائهم وهذا معناه انهم انقطعوا من الزيادة في الفضيلة وأطاعوا الامانة التي كانوا قدما لكوها قديما بالمشاقة واذوائهم من مصاحبته الان الاثني عشر ما عرض لهم هذا العارض وانظر ماذا قال لهم (٦٧) هل قد شئتم ان تمروا موضحا بذلك أيضا انه ليس محتاجا الى خدمتهم مبينا لهم انه ليس لهذا الغرض ادارهم معه في الانذار لان كيف يكون ذلك رأى القائل لهم هذه الاقوال فان قلت فلم ما مدحهم ولم ما استعجبهم اجبتك انه جمع في ذلك غرضين هما حفظه الرتبة اللائقة بالمعلم وايضاحه انه بهذه الطريقة وجب ان يستجذبهم أليق استجذابا لانه لو كان مدحهم لتوهموا انهم قد أسدوا اليه منة ان عرض لهم عارض انساني وبايضاحه انه ليس محتاجا الى لحوقهم اياه ضبطهم ابلغ الضبط والثقه وانظر كيف قال هذا القول بابلغ فطنة لانه ما قال اذهبوا لان هذا كان يكون قول دافع اياهم طاردا لهم لكنه سألهم هل وأنتم قد شئتم ان تمروا فهذا كان قول منتزع كل غصب والزام ليس قول مرتاد ان يتشبث بهم باستحياء واحتشام لكن بمعرفتهم المنة له عليهم وماتلب أولئك تلبا ظاهرا لكنه لذمهم بسكون وبين كيف يجب ان يتفلسف في هذه الحوادث وأمثالها الاننا نحن

نقاسى اضداد هذه العوارض على جهة الواجب اذ نعمل كل ما نعمله لتشبثنا
بتشريف يصل الينا ولذلك نتوهم ان أحوالنا تنتقص بانصراف الغلمان الذين
يخدموننا عنا ونحن اذا فاد كاذ لتلاميذه ولا دفعهم لكنه استخبرهم فما كان فعله
فعل متهاون بهم لكن فعل من لا يشاء ان يضبطهم بغضب والزام لان ثبوتهم
على هذه الحال هو مسا ولا انصرافهم واسمع ما قال بطرس (٦٨) الى من ننطلق
وأنت تمتلك ألفاظ حياة دهرية (٦٩) ونحن فقد صدقنا وعرفنا انك أنت ابن
الله الحى أرأيت أن ليس ألفاظ ربنا هى التى كانت شككت أولئك لكن
زوال تيقظ سامعيها ووَنيتهم وقلة حفاظهم لانه ولو لم يقل هذه الاقوال لكانوا
قد تشككوا وما كانوا كفوا عن جوحهم الى الطعام الجسدانى دائما وعن
تسمرهم فى الارض ولمعنى آخروهو ان هؤلاء قد سمعوها مع أولئك وأظهروا
اضداد أقوال أولئك اذ قالوا الى من ننطلق فهذا اللفظ مظهر تودداً كثيراً
موضحاً ان المسيح هو عندهم أكرم من الكل وأجل من آبائهم وأمهاتهم
وموجوداتهم كلها وانهم ان انتزحوا عنه ليس يتجه لهم فيما بعد مكان يلتجئون
اليه ثم لكيلا يظن ان لفظة الى من ننطلق لهذا المعنى قيلت فقط لمعنى انهم
ما يجدون أناسا يقتبلونهم غيره تامل ما استثنى به اذ قال وأنت تمتلك ألفاظ حياة
دهرية لان أولئك الذين انصرفوا سمعوا سماعاً جميلاً بافكار انسانية وهؤلاء
سمعوها سماعاً روحانياً واحالوا المطلوب كله الى تصديقها ولهذا الغرض قال
الالفاظ التى قلتها روح هى فلا تتسلم تعليم ألفاظى بسياق الاشياء ونظامها
و بضرورة الحوادث الكائنة فالالفاظ الروحانية ليس هذا المعنى معناها
ما تستعبران تتعبد للشرائع التى فى الارض وهذا القول قد قاله بولس لا تقولن
فى قلبك من يطلع الى السماء ومعنى ذلك هو ليحدر المسيح منها أو من ينحدر الى
القعر ومعنى ذلك هو ليصعد المسيح من بين الاموات (رومية ص ١٠ ع ١٦)
وأنت تحوى ألفاظ حياة دهرية فهؤلاء قد اقتبلوا القيامة والنهاية التى هنالك
كلها

كلها وأبصر حب الرسول الى اخوته واخلاص وده لهم لانه اعتذر عن صفهم
كله لانه ماقال فقد عرفت لكنه قال قد عرفنا وتأمل كيف قد وصل بطرس
الى الفاظ معلمه باعيانها الى ان قال ليس ألفاظ اليهود بأعيانها الان أولئك
قالوا هذا هو ابن يوسف وهذا قال أنت هو ابن الله الحى و يحوى ألفاظ حيوة
دهرية لما سمع معلمه قائلا انى سأقيمه و يملك حياة دهرية لانه أوضح اذا
عاد ذكر هذه الالفاظ انه قد ضبط الاقوال التى قيلت كلها الا ان المسيح
مامدح بطرس ولا أستحبه على انه قد عمل هذا العمل فى موضع آخر لكنه قال
(٧٠) ألست أنا انتخبتكم الاثنى عشر وواحد منكم محال لان بطرس
لما قال ونحن قد صدقنا أخرج المسيح من صفهم يودس لانه ماقال هنالك
فى ذكر التلاميذ قولا لكن لما قال المسيح فانتم من تقولون انى قال أنت
هو المسيح ابن الله الحى وههنا اذ قال ونحن صدقنا فعلى جهة الواجب
ماترك يودس فى صف تلاميذه فعمل هذا العمل ليوضح رذيلة الدافع من
بعد نازح ومن أعلى الانذار لعلمه انه مايستفيد نفعا ولعمرى انه يكون
بانماذاته وأبصر حكمة سيدنا انه ماجعله ظاهرا ولا تركه ان يستر مكره
فغرضه كان فى ذلك الفعل لئلا يتواقح و يصير أشد محكا وقصده فى هذا
الفعل لكيلا يظن انه قد خفى عنه عزمه فيرتكب جراءته باوفر وقاحته ولهذا
المعنى اذا امعن فى التعليم يورد توبيخاته أبين وضوحا لانه فى أول الخطاب
أحصاه مع الآخرين فقال يوجد أناس منكم ليسوا يؤمنون والدليل على انه
عد الدافع معهم اسمع البشير ماذا قال فى ايضاحه لانه قد عرف من الابتداء من
هم الذين يصدقون ومن الذى يسلمه ولما ثبت على عزمه أورد عليه توبيخه
أشد لذعا فقال واحد منكم يسلمنى هو محال فبث الخوف عليهم كلهم مشاعا
مشتركا مريدا ان يسترذلك ولعمرى ان واجبا هو ان نتحير ههنا فى ان تلاميذه
ماقالوا الآن قولا وأخيرا ارتاعوا وتحيروا ونظر أحدهم الى الآخر واستخبروه

هل أناهو ياسيدى وأشار بطرس الى يوحنا ان يعرف الدافع وان يستخبر
معلمه من هو فما هى علة ذلك أنا أقول ان بطرس ما كان قد سمع ياشيطان
مرالى ورائ فلهذا السبب ما امتلك الان خوفا فلما انتهرو تكلم من حب
كثير وما وقف لكنه دعاه شيطانا لما سمع ان واحدا منكم يسلمنى ارتاع حينئذ
على جهة الواجب فالان ليس يقول ان واحدا منكم يسلمنى لكنه قال ان
واحدا منكم هو محال ولذلك ما عرفوا ما قاله لكنهم توهموه يثلب خبيثا
فقط ولعلك تسأل فاسمعنى قوله ألست أنا انتخبتكم وواحد منكم هو
محال أجبتك انه قال هذا القول مزيلا من تعليمه الملق والدكازة لانه لما
تركه أولئك كلهم وثبت هؤلاء عنده وحدهم واعترفوا بلسان بطرس انه المسيح
فحتى لا يظنوا انه لاجل هذا الثبات قد اعتزم ان يتملقهم ويدكازهم أزال الدكازة
وحجزها فالذى قاله هذا هو معناه ليس يستعطفنى شئ و يحجزنى عن الاوبخ
الاشرار فلا تظنوا انكم قد ثبتم معى ارتادان ادكزالكم وأتملقكم واذ قد
لحقتمونى لست أوبخ الاشرار منكم لان الفعل الذى هو أعظم من استعطاف
المعلم ولاذاك يستعطفنى لان الثابت معى فقد أباح دلالة على خلوص وده اياه
ومن قد انتخبه معلمه فاذا رفض وأطرح يشتمل معلمه عند الفاقدين الفهم
ظن غباوة اذا انتخبه ثم رفضه الان ولا هذا الظن يحجزنى عن التوبيخ للخبثاء
وهذا الظن فالاوثانيون الان يشكونه فى المسيح بتوهم بارد خال من الفهم لان
الهنا ليس فى طباعه ان يجعلنا أخيارا صالحين بالزام وغصب وليس انتخابه
غاصبا للافعال المأمول كونها لكنه أمر بها ولكى تعلم ان دعوته وانتخابه
لن تغتصب ولا تقتسر المدعوين بتجمهلك الايقان به من ان قد عرض ان
كثيرين من المدعوين المنتخبين هلكوا فمن هذه الجهة استبان ظاهرا ان قد
وضع فى عزمنا ان نتخلص وان نهلك

العظة السابعة والاربعون

فى الاغنياء وفى محبى الفضة وفى يودس

فاذا قد سمعنا هذه الاقوال فلنتعلم ان نستفيق ونتيقظ دائما لانه ان كان الحاصل فى ذلك الصف الجليل المقدس المستمتع بموهبة هذا المقدار فى الجلالة مقدارها المجترح آيات وجرائح لان هذا قد كان مع التلاميذ الآخرين الذين أرسلوا لينهضوا الاموات ويطهروا البرص لما اصطيد بسقم صعب بداء حب الفضة أسلم سيده وما نفعه شئ لا الاحسانات ولا الموهبة ولا كونه معه ولا خدمته اياه ولا غسل رجليه ولا مشاركته فى المائدة ولا ضبطه درج النفقة لكن هذه كلها صارت له زيادات لتعذيبه فسبيلنا نحن ان نخاف لئلا نماثل يودس بحبنا الفضة لعمرى انك ما تسلم المسيح الا انك اذا تغافلت عن فقير ذائب بالجوع أو ضاو بالبرد تستجذب أنت اليك تلك العقوبة بعينها واذا شاركها الاشرار عادمين ان نكون مؤهلين لها بسجية فاقدة ان تكون مؤهلة لها استهلاك مع قاتلى المسيح بالسوء اذا اختلسنا ما ليس لنا اذا اخنقنا الذين هم أدنى منزلة منا نستجذب تعذيبا عظيما وذلك من جهة الواجب جدا لان الى متى يضبطنا عشق الاشياء الحاضرة الفاقدة المنفعة التى هى فضلة زائدة لان الغنى انما يتكون فى الاشياء التى هى فضلة وليست فيها منفعة الى متى تسمرفى القنيات الباطلة الى متى ما ننظر الى السماء أما نستفيق أما نشبع من هذه الاشياء الارضية السائلة أما نتعلم بالخبرة حقارتها فلنتفطن فى الذين استغنوا قبلنا أفما أملاكهم كلها منام أو ليست ظلالا وزهرا أو ليست حديثا وكذبا بصورة الحق أو ليست سيلا نامندفقا فلان أيسر واثرى فاين ثروته الان هلكت وانفسدت والخطايا المتكونة لاجلها بقيت والعقوبة الحادثة من أجل الخطايا ثابتة دائمة والبق ما يقال ولو لم يكن عقوبة ولا قد سومت

مملكة لكان واجبا علينا ان نحتشم من طبيعته طبيعتنا وجنسه جنسنا اذ يستعطفنا عليه تألمه المواخي تأل المنافه نحن الان نربي كلابا وكثيرون حميرا وحشية وذيابا ووحوشا مختلفة ونعرض عن انسان ضاو بجوعه فيكون الوحش الغريب من جنسنا أكرم عندنا من مجانسنا ونجعل الذي يناسبنا أهون عندنا مما ليس موجودا ولا مناسبا لكن صوابا عندنا ان نبتني لنا منازل بهيا حسنها وان نملك عبيدا كثيرين وان نبصر مضطجعين تحت سقف ذهبي وذلك فضلة زائدة قد زالت المنفعة منها لان قد يوجد ابنية أبهى من هذه حسنا وأشرف كثيرا يلزمنا اضطرارا ان نفرح بها وبامثالها الحاظنا وليس مانع يمنعنا من ذلك اتشاء ان تبصر سقفا أجل السقوف حسنا اذا حان المساء أبصر السماء متلمعة بنجومها الا انك تقول ان هذا السقف ليس هو لي فاقول لك الاليق ان يكون هذا السقف لك أكثر من ذلك لان هذا السقف لاجلك صار وهو مشترك لك ولاخوتك وهذا السقف الذهبي ليس هو لك لكنه للذين يرثونه بعد وفاتك وهذه السماء تقتدر ان تنفعك أعظم المنافع اذ ترسلك بحسنها الى مبدعها وهذا السقف المذهب يضرك أعظم المضرات اذا صار في يوم القيامة ثالبا لك عظيما اذا كنت أنت متوشحا بذهب والمسيح فليس يملك ثوبا ضرورياً لابد منه فلا نلبثن في غباوتنا هذه الجزيل تقديرها ولا نسعى محاضرين وراء الاشياء الهاربة منا ونهرب من الاملاك الباقية معنا ولا نهمل خلاصنا لكن سبيلنا ان نتمسك بالرجاء المأمول فالشيوخ فليتمسكوا به من طريق علمهم علما يقينا ان قد بقي لهم من حياتهم زمانا يسيرا والاحداث من طريق ايقانهم ايقانا واضحا ان ماقد بقي من عمرهم ليس كثير لان ذلك اليوم يجيء كمجيء السارق في الليل فاذا قد عرفنا هذه الحوادث فينبغي ان تسلي النساء منا رجالهن ويعدل الرجال نساءهم وتعلم الاحداث والعواتق ونؤدب كلنا بعضنا بعضا ان يعرضوا عن القنيات الحاضرة وان يشتاقوا الى النعم

المأمولة

المأمولة حتى نفتقد وان يتفق لنا امتلا كها بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفه الذى به ومعه لابيه المجد مع الروح القدس الان ودائما والى أباد الدهور أمين

المقاله الثامنة والاربعون

فى قوله الاصحاح السابع (١) وبعد ذلك مشى يسوع فى الجليل لانه ماشاء ان يمشى فى اليهودية لان اليهود التمسوا ان يقتلوه (٢) وكان عيد اليهود نصب المظلات قريبا

ليس داء أشر من الحسد وعلى جهته دخل الموت الى الدنيا لان ابليس المحال لما أبصر الانسان مكرما ما احتمل حسن حاله فعمل كل ما أمكنه حتى قتله وفى كل مكان يبصر باصرا هذه القرمة هذا الثمرة متكونا على هذه الجهة ذبح هابيل على هذه الطريقة قارب داود ان يقتل على هذه الحال قتل آخرون كثيرون من ذوى العدل من هذه الجهة صار اليهود قاتلين المسيح ولما أوضح البشير هذا المعنى قال بعد ذلك مشى يسوع فى الجليل لانه ما حوى سلطانا ان يمشى فى بلد اليهودية لان اليهود التمسوا ان يقتلوه وأنا أخاطب البشير ماذا تقول أيها المغبوط يوحنا أفلقادر على كل شئ ما حوى سلطانا الذى قال ان تطلبون والقاهم الى ماورائهم الحاضر وليس ملحوظا هذا ما حوى سلطانا كيف

جهراخيرافيما بينهم فى وسط الهيكل وفى وسط العيد والجمع موجود والقائلون
حاضرون وخاطبهم بهذه الاقوال التى أغاظتهم كثيرا وهذا الفعل فقد
استعجبوه قالوا ليس هذا هو الذى يلتمسون قتله وها هو يتكلم بمجاهرة
ومايعملون به سواء وماهى هذه الافعال الخفية وليس هى أفعالا خفية لا كان
ذلك لكننا ينساغ لنا ان نقول انه أوضح أفعال لاهوته وأفعال ناسوته لانه اذ
قال ماحوى سلطانا فحاله حال من يخاطبنا فى وصف انسان عامل الاعمال
الانسانية واذقال انه وقف فى وسطهم وما أمسكوه فانما يبين لنا قدرة لاهوته
لانه هرب هرب انسان وظهر ظهورا له محققا اياهما كليهما لانه اذ كان
فى وسط المقتالين عليه ولم يمسكوه أوضح لنا قدرته الممتنع قهرها وحربها
وانقباضه أيضا وتواريه حقق تدبيره وسياسته لكيلا ينساغ ان يقول بولس
السميساطى ولا مركيون قولا ولا السقماء باسقامهما لانه أطبق أفواههما
كليهما وسدها وبعد ذلك كان عيد اليهود نصب المظلات قريبا فلفظة بعد
ذلك ماتدل على معنى آخر الا على أن البشير فيما بين ذلك قد قطع زمانا طويلا
مداه وطفره وتجاوزه وهذا بين واضح من تلك الجهة لان البشير حين قال
انه جلس فى الجبل كان عيد الفصح وههنا يذكر عيد نصب المظلات وفى
خمسة أشهر ماوصف لنا وصفا آخر ولا علمنا شيأ آخر ما خلا الآية الكائنة
فى الخبز ومفاوضته التى اعتمد بها الجموع الذين أكلوا الخبز والبرهان على انه
ما كف فى نهار ولا فى مساء مجترحا آياته ومخاطبا باقواله وطالما مارس ذلك فى
الليل فقد عرف على هذه الجهة عند تلاميذه على ماذكر البشيرون كلهم فان
قلت فلم كنى البشير عن ذلك أجبتك انه ما اتجه له ان يحسب أفعاله وأقواله
كلها ولمعنى غير هذا انهم اجتهدوا ان يذكروا هذه الافعال والاقوال التى
لحقه من أجلها أما مذمة من اليهود وأما معاندة لان تلك الآيات قد كان لها
أمثلة وأشباه كثيرة لاننا طالما سمعنا انه قد ابرا سقيمين وقد أنهض أمواتا

وانهم قد استعجبوه ومتى انجه ان يقول قولا مستغربا أو ان يقرع في مفاوضته بالفاظ مظنونة انها تنعطف على هذه الاخبار وضعوها وأوضحوها مثال ذلك ماقيل الآن ان اخوته اجتنبوا التصديقه لان فعلهم ليس يحوى وشاية يسيرة وواجب هو ان يستعجب عزم البشيرين الوادين للصدق كيف ما خجلوا ان يذكروا هذه الاخبار التي يظن انها تجلب لمعلمهم تخجلا لكنهم اجتهدوا كثيرا ان يصفوا هذه اكثر من غيرها فهذا البشير قد تجاوز الان أيات وعجائب كثيرة ومفاوضات جزيلة وطفر في الحين الى هذا الخبر لانه قال (٣) ان اخوته قالوا له تحول من هنا الى بلد اليهودية لكي تعاين تلاميذك الاعمال التي تعملها (٤) لان ليس يعمل عاملا في الخفية عملا ويلتمس هو ان يوجد في مجاهرة وعلانية (٥) لان ولا اخوته كانوا أمنوا به ولقائل أن يقول وأي لفظ زوال الامانة قالوه اذ سألوه أن يجترح عجايب فنجيبه ان ألفاظهم هذه ومجاهرتهم المسلوبة وقتها هي ألفاظ اصفار من الامانة كثير وجسارة لانهم توهموا من المجانسة انه ينبغي لهم أن يخاطبوه بمجاهرة فابتداء كلامهم يظن كانه كلام أصدقاء وقد كان متولدا من مرارة كثيرة لانهم ههنا قرفوه بالجبانة وبحب التشريف لان قولهم ليس يعمل عامل عملا في خفية كان قول من يشكوا من جبانة ويتهم مع ذلك مايجترحه كأنه ليس حقيقيا وقولهم ويلتمس هو ان يوجد في جهر ظاهر كان قول من يذم منه حب التشريف وتأمل لي أنت قدرة المسيح الان من هؤلاء الذين قالوا هذه الاقوال صار أسقفا أولا لاورشليم يعقوب المغبوط الذي في وصفه قال بولس ما ابصرت أحدا آخر من الرسل الا يعقوب أخا ربنا (غلاطية ص ١ ع ١٩) وقد قيل ان يهوذا صار انسانا عجيبا على ان هؤلاء قد حضروا في قانا الجليل الخمر الصائر من ماء الا انهم ما استفادوا حينئذ نفعا فان سألت فمن اين حصل اصفارهم من الامانة الجزيل تقديره أجبتك من اختيارهم ومن حسدهم لان المجانسة

فى طباعها أن يحسدها بنحو من الانحاء القريب الذى يناسبها وان سالت ومن هم التلاميذ الذين ذكروا ههنا أجبتك هم الجمع التابع اياه ليس الاثنى عشر وابصر كيف أجابهم المسيح ألطف الجواب لانه ما قال لهم ومن أنتم اذ تشيرون على بهذه المستورات وتعلمونى لكنه قال (٦) ما حضر زمانى بعد وقد يلوح لظنى فى هذا الوجه انه يذكرهم نى آخر ذكرا غامضا لانهم لعلهم ارتادوا أن يسلموه الى اليهود فقال لهم نحو هذا العزم ما قد حضر زمانى بعد الذى هو زمان صلبى وتألمى ومابالكم تستحثوننى قبل الوقت ان أصعد الى هنالك وزمانكم أنتم هو متسوم فى كل حين فانتم ولو اقترنتم دائما باليهود فما يقتلونكم اذ قد ماثلتموهم فى أعمال واحدة باعيانها وأنا فالذين يرتادون قتلى فمن هذه الجهة لكم دائما وقت تقترنون بهم وما تتورطون فى خطر ولى انا حينئذ وقت اذا حان وقت صلبى اذا احتجت ان أموت لان الدليل على انه هذا القول يقول قد أوضحه باقواله التالية هذا القول اذ قال (٧) ما يقتدر العالم أن يمقتكم لان كيف يمقت الذين يريدون مشيئاته باعيانها ويحاضرون من أجل أفعاله باعيانها وهو يمقتنى انا لاننى اوبخه بان أعماله هى خبيثة ومعنى ذلك هو اننى الذعه واطعن عليه بالطف الطعن والتوبيخ فمن هذه الاقوال نتعلم ان نمسك غيظنا ولا يعرض لنا عارض خال من الواجب ولو كان الذين يشيرون علينا أدنياء المحل حقيرين ولئن كان سيدنا قد احتمل بوفور وداعته الذين أشاروا عليه بافعال ليست واجبة مشيرين بافعال ليست بنية صالحة فما هو العفو الذى يتفق لنا امتلاكه اذ نحن تراب ورماد وتتكره الذين يشيرون علينا ونستصعب مشورتهم ان كان الذين يشيرون علينا أدنى منزلة منا قليلا ونحتسب مشورتهم عديمة أن تكون موهلة لنا فتأمل سيدنا كيف دفع ثلبهم بكافة الوداعة لانهم اذ قالوا اظهر ذاتك للعالم قال العالم يمقتنى مزيلا ثلبهم لانه قال انى ابتعد أبعد البعد من ان ابتغى من الناس تشريفا لاننى لست انقبض

عن

عن توبيخى اياهم مع انى عارف المقت المتولد من هذا التوبيخ والموت
المتكون عنه فان قات واين وبخهم أجبتك وبّخ كف عن افتعال ذلك أفما
قد قال هل قد ظننتم انى أنا أوبخكم وأثلبكم لدى أبي وقد يوجد موسى ثالبا
اياكم وأنا قد عرفتكم انكم ماقد ملكتم حب الله فكيف تقدرون
ان تؤمنوا وأنتم تستمدون التشريف من الناس وما تلتمسون الشرف
الذى من الله وحده فبهذه الاقوال أوضح معنى آخر ان توبيخه المجاهر
ولد هذا المقت ليس لحله السبت فان سالت فما غرضه فى انه أرسلهم الى العيد
اذ قال لهم (٨) أصعدوا أنتم الى هذا العيد فانا لست أصعد الآن
أجبتك بيّن انه قال هذه الاقوال ليس محتاجا اليهم ولا مريدا ان يتملقهم
لكن مطلقا لهم ان يعملوا الفرائض اليهودية ولعل قائلا يقول كيف طلع
الى العيد بعد ان قال لست أطلع فنجيبه ماقال بلفظ جازم لست أطلع الآن
ومعنى ذلك هو لست أطلع الآن معكم لان وقتى ماتكامل بعد مع انه
فى الفصح المستأنف اعتزموا ان يصلب فان قال وكيف ماطلع هو لانه ان كان
وقته ماحضر بعد ولهذا المعنى ماطلع فقد كان واجبا الا يصعد بالجملة فنجيبه
الا انه ماطلع الى العيد لهذا الغرض لكى يتألم لكنه طلع ليعلمهم ولعل
السائل يستخبر فلم طلع سرا لانه قد كان قادرا اذا طلع طلوعا ظاهرا ان يوجد
فى وسطهم ويضبط نهضتهم الفاقدة الترتيب وذلك فقد عمله دفعات كثيرة
فنجيبه الا انه ماشاء ان يعمل هذا العمل متواترا لانه لو كان طلع طلوعا
ظاهرا وأعماهم أيضا لكان قد أوضح جرائع لاهوته أعظم ايضاحا وكان قد
جرده أعظم تجريدا ولما توهم أولئك ان توقفه يوجد من جبانته أراهم
سياسته وجسارته جميعا لانه اذ تقدم فعرف الوقت الذى فيه قاسى ماتألم به
اختار حينئذ أن يصعد الى اورشليم وآثر ذلك كثيرا واذ قال اطلعوا الى العيد فانما
يقول هذا القول لا تظنوا انى الزمكم ان تثبتوا معى ولستم تؤثرون ذلك وقوله

ماتكامل وقتى بعد فهو قول موضع انه يجب ان تكون منه آيات وان تكلم
الشعب بمفاوضاته حتى تؤمن به جموع أكثر عددا ويصير تلاميذه أوفر جلدا
اذا عاينوا مجاهرة معلمهم وماقاساه

العظـــة الثامنة والاربعون

فى ذم الغضب ومدح الوداعة

سبيلنا ان نتعلم مما قد قيل الوداعة والدعة لانه قد قال تعلموا منى فانى وديع
ومتواضع فى قلبى ولنحسم عنا كل مرارة وان ترفع علينا مترفع ينبغى أن
نصير نحن متذللين ولا ننتصر لذواتنا فنقتل أنفسنا لان الغضب هو وحش
ووحش حادّ حار فينبغى ان نرقيه برقيات من الكتب الالهية ونقول أنت
تراب ورماد (تكوين ص ٣ ع ١٩) فما المنفعة فى أن يتكبر
التراب والرماد وان سرعة غضبه سقطة له (سيراخ ص ١٠ ع ٩ أيضا
ص ١ ع ٢٣) وان الانسان الغضوب ليس شكله حسنا (أمثال
ص ١١ ع ١٠) لان ليس يوجد أقبح من وجه غضوب ولا يكون
أوحش من صورته فان كان وجه الغضوب بهذه الصورة قبيحا فاولى بنفسه
واليق ان تكون وحشته مستقبحة وكما ان الحمأة اذا حركت تتكون منها
نتانة كثيرة فكذلك نفسنا اذا ارتجفت من الغضب فيتكون فيها نتن
جزيل الا انه لعل قائلا يقول اننى لست أحمل المسبة من أعدائى فاقول له
ولم ذلك لان المسبة ان كانت صادقة فسبيلك ان تلذع ذاتك قبل ذاك وان
تعتد له من توبيخاته اياك منة عليك وان كانت الشتيمة كاذبة فاضحك
عليها فان قال يافقير اضحك قال يامسكينا قهقه قال يازرى الجنس ويافاقدا
فهمه تحسر من أجل ذلك القائل لان من قال لاخيه يا أحمق يكون مستوجبا
لنار جهنم واذا شتمت أنت انسانا فتفطن فى العقوبة التى تعاقب بها فلست

مانقتني فقط غضبا لكنك ستهمل ايضاده وحا لان ليس يغتاظ أحدنا على
من كان محموما ولا على من كان ملتهبا بنار فارسية لكنه يرحم جميع الذين
هذه الحال حالهم ويبكي عليهم فالنفس المنتظمة هذه الحال حالها ولكن ان
شئت ان تنتصر من شاتمك فاصمت عنه وقد ضربته ضربة قاتلة وان نظمت
شتيمة الى شتيمة فقد أضرمت نار الخصومة ولعلك تقول الان الحاضرين
يذمون ضعفي اذا سكت فاقول لك ما يذمون ضعفك لكنهم يستعجبون فلسفتك
واذا شتمت فبئس ما صنعت لانك اذا حزنت فستضطر الحاضرين ان يظنوا ان
ماقيل فيك صادقا لان الغني اذا سمع انه فقير هو يضحك لانه ما قد عرف
له فقرا فان أجمعنا ان نضحك على الشتائم فنعطي برهانا عظيما على اننا لسنا
نعرف ما قيل فينا ولعني آخو الى متى نرتاع من توبيخات الناس الى متى نستحقر
سيدنا العام سودده ونتسمر في اللحم لان متى وجد فيكم محك وحسد وانشقاقات
ألستم لحميين أنتم فينبغي ان نصير روحانيين ونلجم هذا الوحش الردي فالغيظ
ليس بينه وبين الجنون فرق لكنه شيطان وقتي هو وأليق ما يقال ان
السخوط أصعب حالا من المتشيطن لان المتشيطن يتمتع بسماحة والسخوط
مؤهل لعقوبة جزيل عددها اذ قد دفع ذاته طوعا الى هاوية هلاكه أعني
جهنم المأمولة منه مادام ههنا طائلة اذ يولج الى أفكار نفسه في كافة ليله وفي
طول نهاره ارتجافا وقلقا مسلوبا احتماله فلكيما نستخلص ذواتنا من
التعاذيب في هذه الدنيا الحاضرة ومن العقوبة في الآخرة المستأنفة ينبغي
ان نخرج داء الغضب منا اذا أوضحنا كل وداعة ودعة لكي نجد ههنا في نفسنا
راحة وفي ملك السموات الذي فليتفق لنا الحصول فيه بنعمة ربنا يسوع
المسيح الذي به ومعه لابيه المجد مع الروح القدس الآن ودائما والى أباد الدهور
أمين

المقالة التاسعة والاربعون

فى قوله (٩) وآذقال هـذه الاقوال أقام فى الجليل (١٠) فلما صعد اخوته حينئذ صعد هو أيضا الى العيد ليس فى حال ظاهر الكن فى حال مستور

الافعال التى دبرها المسيح تدبيرا انسانيا دبرها الى هذا الغرض وحده لكى يحقق بها اشتماله بجمال الكنه دبرها ليؤدبنا الفضيلة لانه لو كان عمل أعماله كلها عمل اله من أين كان يمكننا ان نعرف ما ينبغى ان نعمله ان سقطنا فى عارض انسانى مثلما أقول لما حصل فى بلدة اليهود القاتلين بعينها وعبر فى الحين فيما بينهم وقبض نهضتهم لو كان عمل هذا العمل دائما ونحن فليس يمكننا ان نعمل هذا العمل فاذا سقطنا فيما بين أعدائنا أو فى نائبة ومن أين كان نعرف كيف ينبغى ان نستعمل ما نعمله وهل يجب أن نموت فى الحين أو ينبغى أن ندبر تدبيرا حتى نفسخ الحجة علينا ونحن الذين ما نقتدر أن نعبر فيما بين أعدائنا من اين نعرف ما ينبغى أن نعمله فلهذا السبب نتعلم منه هذه الاصناف لانه قال فلما قال يسوع هذه الاقوال ثبت فى الجليل ولما طلع اخوته حينئذ هو طلع الى العيد ليس فى حال ظاهر لكن فى حال مستور فلفظة قوله لما طلع اخوته كان مظهر انه ما شاء أن يطلع مع أولئك ولهذا الغرض ثبت فى الجليل وما جعل ذاته واضحا اذا اجتهد أولئك لنحو من الانحاء أن يوضح ذاته فان قلت فمن كان متكلما دائما بجاهرة ما غرضه أن يعمل هذا العمل كانه فى حال مستور أجبتك

ما قال انه طلع مستترا لكنه قال طلع كانه فى حال مستتر لانه ارتأى هذا الرأى
على ما ذكرت ليعلمنا أن ندبر الاحوال ونخلوا من هذا الغرض فما كان
خطرا متساويا أن يحصل فيما بينهم وهم مستعرون الغضب حادون الغيظ وان
يحصل بعد ذلك فى وسطهم اذا انحل عيدهم (١١) وان اليهود طلبوه وقالوا
أين هو ذاك فمعاداتهم لعمرى التى أحكموها فى أعيادهم حسنة عند ذويهم
الى مهالك القتل دائما ومن هذه اجتهدوا أن يصطادوه وقد قالوا هذا القول
فى مكان غير هذا أظننتم انه ليس يجئ فى العيد وقالوا اين هو ذاك فمن
بغضهم اياه الكثير وعداوتهم ما أرادوا أن يسموه باسمه فاستحياؤهم لعمرى
فى العيد الكثير وتورعهم عظيم لانهم اجتهدوا أن يصطادوه من العيد
(١٢) وكان فيما بين الجموع تذمر كثير من أجله وأنا أظن انهم احتد غيظهم
ومن المكان الذى حدثت فيه الآية واستعمالهم ذلك كثيرا الى أن يتذمروا
عليه والى أن يرتاعوا منه وما اغتاظوا على هذا النحو من أجل الآية
السالف كونها مثل ارتياعهم الا يجترح أيضا آية هذا المحل محلها وتساروا
من أجله وجعلوه عن كراهية منهم ظاهرا فبعضهم قالوا انه صالح هو وبعضهم
قالوا انه يضل الشعب فذاك الرأى الاول على حسب ظنى هو رأى الناس
الكثيرون وهذا الرأى الثانى هو رأى الرؤساء والكهنة لان لفظة قولهم
لا ولكنه يضل الشعب يدل على هذا المعنى وأنا أخاطب أحدهم قل لى
ماذا عمل فاضل الجمع هل خيل اليهم انه اجترح آيات ولعمرى ان الخبرة قد
أوضحت ضد ما قالوه (١٣) وما تكلم متكلم من أجله مجاهرة لاجل
خوفهم من اليهود أرأيت فى كل مكان عزم رؤساؤهم منفسدا والمرؤوسين
معافين فى حكمهم وليسوا مالكين شجاعة واجبة وهذا مناسب للجماعة
خصوصا (١٤) وفى انتصاف العيد طلع يسوع وعلم فتأخره عن التعليم
صيرهم أشد اصغاء لان الذين طلبوه فى الايام الاولى أبصروه على غفلة حاضرا

فالذين قالوا انه صالح والذين قالوا انه خبيث توقعوا ان يحجوا اليه عند تكلمه
فاولئك حتى يستفيدوا فائدة ويستعجبوه وهؤلاء حتى يتنالوه ويقبضوا عليه فقول
أولئك انه يضل الجمع انما قالوه من تلقاء تعليمه آراء دينه أو ما فهموا ما قاله
لهم وقول هولاء انه صالح انما قالوه من تلقاء أبائه فلما أرخى غضبهم حضر
بعد ذلك حتى يسمعوا ما يخاطبهم به بفراغ وتفهم ولا يسد غيظهم اذانهم أيضا
ولعمري ان البشير ماذكر لنا ما علمهم اياه وقال هذا القول فقط انه كان
لفظا عجيبا وذكر انه ارضاهم وأحال تذمرهم لان الاقوال التى قالها
كانت هذه القوة الجزيلة قوتها عظيمة لان الذين قالوا انه يضل الشعب لما
استحال تذمرهم استعجبوه وقالوا كيف قد عرف كتبنا وما تعلمها أرأيت
استعجابهم اياه ههنا مملتا خبثا لان البشير ماذكر انهم استعجبوا تعليمه أو انهم
اقتبلوا ما خاطبهم به لكنه قال انهم جوا الى انذهال آخر وتحيروا وقالوا من
اين قد عرف هذه الاقوال وقد كان واجبا أن يعرفوا ويستيقنوا من حيرتهم
هذه انه ما كان فيه قولا انسانيا الا انهم اذما أرادوا ان يكشفوا هذا المعنى
لكنهم أثروا أن يثبتوا عند استعجابهم اياه فقط اسمع ما قاله هو (١٦)
قال تعليمي ليس هو لي فها هو يجاوبهم أيضا على نحو ظنهم مقتادا اياهم
الى أبيه مؤثرا ان يطبق أفواههم من هنالك (١٧) ان كان أحد يريد ان يعمل
مشيئته ذاك يعرف من أجل تعليمي هل هو من الله أو أنا أتكلم به من ذاتي فان
سألت وما معنى ما قد قاله أجبتك انه قال انتزعوا ارتيابكم واغتياظكم
وحسدكم وبغضكم الناشئ منكم لى باطلا وليس مانع يمنعكم ان تعرفوا
ان ألفاظى هى بالحقيقة الفاظ الله لانكم الان قد أظلمتكم هذه الاسقام
وقد أفسدت حكمكم القويم اذ لم فيكم فاذا ما انتزعتم هذه الادواء فما
تقبلون أيضا هذا الرأى الا انه ما قال لهم هذا القول لانه لذعهم لذعا شديدا
وقد ذكر لهم هذه الاقوال كلها اذ كرامستورا بقوله من يعمل مشيئته يعرف

من

من أجل تعليمي هل هو من الله أو أنا من ذاتي أتكلم به ومعنى ذلك هو ان كنت
أنا أتكلم كلاما غريبا مستغربا وضدا لان لفظة من ذاتي حاصلة في هذا المعنى
دائما لانني لست أتكلم كلاما منحرفا عن الآراء الصائبة عنده لكن الاقوال
كلها التي يريدها أبي هذه أريدها أنا أي ان أراد مريد ان يعمل مشيئتي يعرف
من أجل تعليمي فان قلت وما معنى ان أراد مريد ان يعمل مشيئته أجبتك ان كان
أحدكم عاشقا العيشة في الفضيلة سيعرف قوة الاقوال التي قالها ان أراد مريد
ان يصغي الى النبوات سيعرف هل فيها وفي معناها أتكلم أم لا ولعلك تقول
فكيف يكون التعليم له وليس له لانه ما قال هذا التعليم ليس هو لي لكنه لما
ذكر أولا انه هو له ومناسبا له استثنى بعد ذلك بقوله انه ليس لي فكيف يمكن ان
يوجد قول واحد بعينه له وليس له فنقول لك انه له لانه ما قاله متعلما اياه وليس
هو له لان تعليمه كان تعليم أبيه ولعل معترضا يقول فكيف قال أملاك أبي
كلها هي وأملاكي املاكه (يوحنا ص ١٧ ع ١٠) ويعتمده فيقول
لانها ان كانت هي اذا لابيك فلهذا السبب ليس هو لك فذاك القول كذب
لان لهذا المعنى قد وجب لك فنقول له الا ان لفظة هو لي يبين بيانا شافيا ان
التعليم يوجد له ولابيه واحدا كانه قال هذا القول تعليمي ليس يحوي لفظا
متخالفا كانه موجود لآخر لان الاقنوم ان كان آخر لكنني على هذا النحو
أتكلم وأعمل تكلما وعملا يبلغان في تمثيلهما الى ان لا يظنهما ظان انهما تكلم
وعمل غير تكلم أبي وعمله لكنهما التكلم والعمل الذي تكلم به أبي وعمله
باعيانهما ثم أورد قياسا آخر يعجز معاندته اذا حضر الى وسط كلامه قولا
انسانيا وادبهم بما في العادة وهو قوله (١٨) من يشاء ان يثبت تعليما
يناسبه فليس يرتاد ذلك لغرض آخر الا ليستثمر شرفا له فان كنت أنا لست
أشاء ان استثمر تشريفا فلم أشاء ان أثبت تعليما منسوبا الى من يتكلم من ذاته
ومعنى ذلك هو من يتكلم كلاما يخصه متميزا له فلهذا الغرض يتكلم ليثبت

شرفا له فان كنت أنا أبتغي مجد مرسلي فلم أشاء ان أعلم تعليما آخر أرأيت
ان علة من العلل كانت لاجلها قال تلك الاقوال ومن أجلها قال انه ليس
يعمل من ذاته عملا لكي يصدقوا انه ليس يرتاح الى شرف ولا الى حب رئاسة
ولهذا السبب اذ قال أقوالا ذليلة وقال أنا أبتغي تشريف أبي فانما يقول ذلك
في كل مكان مريدا ان يحقق عندهم انه ما يعشق شرفا وامرى ان اتكلمه
أقوالا ذليلة عللا كثيرة هي الا يظن انه عديم ان يكون مولدا الاية وهو مضادا
لله ليبين انه قد تدبر بلجما اغماض أقواله عن سامعيه ليعلم الناس ان
يتواضعوا ولا يقولوا عن ذواتهم وصفا عظيما وتكلمه ألفاظا رفيعة عالية
علة واحدة يجدها طالبها وهي عظم طبيعته لانه ان كان لما قال لهم انه قبل
ابراهيم تشككوا فما الذي ما كان أصابهم اذا سمعوا منه دائما الفاظا عالية
(١٩) أليس موسى أعطاكم الشريعة وليس أحد منكم يعمل الشريعة
ما بالكم تلتمسون قتلي والقائل ان يقول وهذا القول أي نظام يتلك وما
الشركة بينه وبين الاقوال التي قيلت قبله فنجيبه قد أوردوا له زللين احدهما
انه حل السبت والآخر انه دعى الله أباه جاعلا ذاته عديلا لله فالبرهان على
ان قوله هذا ما كان مناسبا الظن أولئك لكنه كان مناسبا العزمه هو فانه ما قال
هذا القول كما قاله الكثيرون لكنه قاله قولا منفردا له خاصا به فواضح من
تلك الجهة طالما قال كثيرون من الناس ان الله أبا لهم كقول القايل ان الها
واحدا خلقنا وأبا واحدا لجماعتنا (ملاخيا ص ٢ ع ١٠) ولكن
ليس من تلقاء هذا القول صار الشعب عديلا لله ومن هذه الجهة ما تشككوا
اذ سمعوا هذا القول وكانهم قالوا انه ليس هو من الله وشفاهم في أكثر الاوقات
واحتج لهم عن حل السبت فكذلك هذا القول لو كان مناسبا التوهم أولئك
وما كان من عزمه لكان قد تلافاه لكنه ما قال قولا هذا معناه لكنه قال ضد
ذلك

ذلك وأوضح باقواله التالية هذا القول انه عديل الله هو لان قوله كما ان الاب يقيم
الاموات ويحييهم فكذلك الابن يحيي الذين يشاء ان يحييهم وقوله لكي يكرم
الكل الابن مثلما يكرمون اباه وقوله الاعمال التي يعملها ذاك هذه يعملها
الابن على مشابهة له هذه كلها مذيعه معادلته أباه أما ظنهم انه يحل الناموس
فقد قال لا تظنوا انى جئت لاحل الناموس أو الانبياء مبطلا ظنهم ذلك وأما ههنا
أى فى باب ظن المعادلة أعنى معادلته أباه فليس فقط انه ما بطله لكنه أيضا قد
حققه ولذلك لما قالوا فى موضع آخر انك تجعل ذاتك الها ما بطل ظنهم هذا
لكنه تعالى قد حققه اذ قال هل لا تعلموا ان ابن الانسان يحوى سلطانا أن
يغفر الخطايا فى الارض قال للمخلع أحمل سريرك وامشى فثبت اذ ذاك القول
الاول الذى هو ان يجعل ذاته عديل الله موضحا انه ليس هو ضد الله لكنه
يقول أقوالا بعينها ويعلم التعاليم بعينها التى لابيه فان قلت ولماذا قال ليس
أحد منكم يعمل بالشريعة أجبتك لانهم كلهم التمسوا قتله فكانه تعالى قال ان
كنت انا حللت الشريعة الا انى خلصت انسانا وأما أنتم فقد تخالفون الشريعة
فى عمل منكر فعلى انا وان كان مخالفة على ما تزعمون الا انه لخلاص وليس
واجبا ان تحكموا على أنتم الذين تخالفون فرائضها العظيمة لان فعلهم اذا قد
احال الشريعة كلها ثم انه تعالى قد بناظرهم أيضا على انه تعالى قد ناظرهم
فيما سلف لكنه فى ذلك الحين خاطبهم خطابا أعلى محلا مناسبا لرتبته عز وجل
وأما الآن فهو يخاطبهم خطابا أول وان سألت فما رأيه فى ذلك أجبتك انه
ماشاء أن يغايظهم مغايظة متصلة وقد تمادوا الآن فى مساعى غيظهم ونهضوا
الى القتل فلذلك اذ قد يقمع غيظهم بهذين الصنفين أحدهما بتعديله جرأتهم
اذ قال لماذا تريدون قتلى والثانى بايضاحه ان القاتلين ليسوا مؤهلين أن يحكموا
على غيرهم أبصر أن تذلل لفظ المسيح تعالى وجسارة لفظ أولئك قال البشير
أجاب الجمع وقالوا ان بك شيطان من يريد قتلك فهذا لفظ غيظ وغضب

ونفس متوقحة تعد توبيخها بلفظ عجيب مصدره التقريع اليه على
ماظنوا فكانت حالهم حال لصوص اعدوا اغتيالاته ثم ارتادوا ان يصيروا
حكاما واعتمدوا ان يغتالوا عليه بانه مدعيا أن يكون مصونا
محترسا ففعلوا ذلك بانكارهم الاغتيال عليه فاهمل ربنا توبيخ قولهم هذا
لكيلا يجعلهم أشد توقحا ومارس الاحتجاج أيضا من حل السبت منشيا لهم من
الشريعة قياسات وانظر كيف قال لفظا مستعجبا ان عصيتموني فليس ذلك
مستعجبا اذ كنتم قد عصيتم الشريعة التي قد توهمتم انكم تسمعونها التي قد ظننتم
ان موسى أعطاكم اياها فليس مستغربا ان كنتم ماقد أصغيتم الى أقوالي لانهم
لما قالوا ان الله كلم موسى وهذا فانعرف من اين هو بين لهم انهم قد أوصلوا
المسبة الى موسى لان ذاك أعطاهم الشريعة وماقد سمعوها (٢١) قد
عملت عملا واحدا فاستعجبتموه لهذا السبب لما وجب ان تحتجوا عني قبلتم ذلك
بمنزلة زلل لان في كون الآية ليس يذكر أباه لكنه يورد وجهه هو اذ قال قد
عملت عملا واحدا وأراد ان يريهم انه لا يعملها حلا للشريعة وان قد توجد
افعال كثيرة أحق بالتفضيل من الشريعة فان موسى ارتضى ان يقتبل وصية
تسود على الشريعة متأخرة عليها وذلك ان الختانة أعلى تامرا من السبت وأفضل
على انها ليست من الشريعة لكنها من الاباء فانا قد عملت عملا ارفع تامرا من
الختانة وأفضل ثم ماذكر وصية ناموسية ان الكهنة يدنسون السبت على
ماذكرا لهم سالفا لكنه أبكمهم من وصية أعظم في سموها ولفظة استعجبتموه هي
انكم ارتجفتم وقلقتم لان الشريعة لو كان واجبا ان تكون ثابتة لما كانت
الختانة أعلى تامرا منها وأفضل وماقال انني عملت عملا أعظم من الختانة لكنه
ذكر ذلك ذكرا خفيا بقوله (٢٣) ان كان الانسان يأخذ الختان أرأيت انه
حينئذ يثبت الشريعة أكثر اذا حلها أرأيت ان حل السبت هو حفظ للشريعة
من طريق انه لو لم يحل السبت لكان يلزم اضطرارا ان تنحل الشريعة فوجب

من

من ذلك انني أنا أثبتها وما قال انكم حنقتم على لاني عملت عملاً أعظم من الختانة لكنه ذكر ما فعله فقط وأمرهم بالحكم فيه ان كانت العافية الكاملة الواصلة الى المخلع ليست أفضل من الختانة وألزم ضرورة وانما هي ليأخذ الانسان سمة وعلامة وما انتم عملاً يؤدي الى عافية وهي تحل الشريعة فاستصعبتم أنتم واغتظتم ان يتخلص انسان من مرض هذا المبلغ مبلغ تماديه (٢٤) لاتحكم على الوجه فان سألت وما معنى على الوجه أجبتك انه قال لا تكونوا اذا تشرفون موسى تشريفاً أعظم توردون القضية من مرتبة وجوه الناس لكن أوردوها من طبيعة الاشياء والاحوال فان هذا هو معنى ان تحكموا حكماً عدلاً الان لاي سبب ما يشكو موسى أحد منكم ولم ما خالفه مخالف وانما أمر ان يحل السبت من قبل وصية دخيلة على الشريعة من خارج لكن ذلك ارتضى ان توجد وصية أعلى تأمراً من شريعته وأفضل وهذه الوصية ليست واردة من الشريعة لكنها وردت من خارج وهذا فهو شيء عجيب جداً وأنتم الذين لستم مشترعين الشريعة تنتصرون للشريعة انتصاراً خارجاً عن المقدار الان موسى مؤهل للتصديق أكثر منكم الذي أوعز ان يحل الشريعة وصية ليست شرعية وقوله جعلت انساناً كله يبين به ان الختانة هي عافية جزوية وان سألت ما هي عافية الختانة أجبتك قال نفس الانسان التي ما تختتن تستأصل (تكوين ص ١٧ ع ١٤) فانا انهضت ليس سقيماً سقماً جزوياً لكنني انهضت منفسداً كله

العظة التاسعة والاربعون

في العدل وان الظالم ليس يفيده نفعاً ان يتملك والدين مقسطين عدلين قد تحكموا اذاً على الوجه فهذا القول ما قيل للكائنين في ذلك الحين وحدهم لكنه قد قيل معهم لنا أيضاً حتى لا يفسد الحكم العدل بصنف من الاصناف لكن نعمل كل ما يمكنا من أجل الحكم العدل فان كان أحدنا فقيراً وان كان

موسرا الانصف فى الى وجهيهما لكن سبيلنا ان نفحص أفعالهما وأحوالهما فقد قال لا ترحمن فى القضا فقيرا فان قلت وما معنى قوله هذا أجبتك انه قال ان اتفق ان يكون الظالم فقيرا فلا تحنن عليه ولا تميلن معه فان كان ليس يجب ان نحمد الى فقير فاولى واوجب علينا انه يجب ان لا نحمد الى غنى هذه الاقوال أقولها ليس للذين يحكمون وحدهم لكننى أقولها للناس المؤمنين كلهم حتى لا يفسدوا بجهة من جهات القضاء العدل لكن يحفظوه كاملا فى كل مكان لان ربنا يحب العدل ومن يحب الظلم يمقت نفسه (مزمور ١٠ ع ٦) فلا نمقتن نفوسنا ولا نحبن ظلما الان كم هى فائدة الظلم يسيرة وليست شيأ وتهلك أخيرا سوء الهلاك بوارا وأولى ما يقال اننا ولا ههنا نتمتع به لاننا اذا تنعمنا بالظلم فطنة خبيثة أفما هذا التنعم تعذيب وعقوبة فلنحبن الحكم العدل ولا نضرن بجهة من الجهات هذه الشريعة لان ما الذى يمكننا ان نستثمره من هذا العمر الحاضر ان لم نأخذ منه فضيلة وننصرف ما الذى يعضدنا هنالك أفيعضدنا صداقة ومناسبة أو نعمة جاه فلان وما معنى قولى نعمة جاه فلان ولو ملكنا أبانا نوح أو دانيال فان يفيدنا هذا نفعا اذا استخدمنا أعمالنا الى المقابلة عليها لكن الحاجة بنا ماسة الى شئ واحد وحده وهو فضيلة فى نفسنا فان هذه تقتدر ان تخلصنا وتستخلصنا من النار الابدية وترسلنا الى ملك السموات التى فليكن لنا كلنا ان نحصل فيه بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفه الذى به ومعه لابيه المجد مع الروح القدس الان ودائما والى أباد الدهور كلها

أمين

المقالة الخمسون

فى قوله (٢٥) فقال اناس من أهل اورشليم أما هذا هو الذى يلتمسون قتله ٢٦ وها هو يتكلم بمجاهرة وما يقولون له شيأ لعل قد عرف الروساء بتحقيق ان هذا هو المسيح بالحقيقة (٢٧) الا ان هذا قد عرفنا من اين هو

لم يوضع فى الكتب الالهية قول على بسيط ذاته لانها قد قيلت بالروح القدس فلهذا السبب ينبغى ان نفحص عنها بابلغ الاستقصاء لاننا نتجه لنا ان نجد فى لفظة واحدة معنى كاملا كقولك اللفظ الذى هو الان موضوع لنا القائل ان كثيرين من أهل أورشليم قالوا أليس هذا هو الذى يلتمسون قتله وها هو يتكلم بمجاهرة وما يقولون له شيأ فان سألت فما الغرض فى ذكر أهل أورشليم أجبتك ان البشير يبين ان الذين استمتعوا بالايات العظيم محلها كثيرا اولئك كانوا أحق الناس كلهم بالترقى لهم للذين أبصروا اللاهوت علامة عظيمة عطفوا المطلوب كله الى حكم روسائهم المفسودين أفما توجد علامة عظيمة ان يهدى على غفلة أناسا مجانين قاتولين جائلين طالبين ان يقتلوا ويضبطوا بايديهم فمن عمل هذا العمل من أخذ على هذه الجهة جنونا كاملا الا انهم مع ذلك بعد الايات التى هذا مقدارها أبصر غباوتهم وجنونهم أليس هذا هو الذى يلتمسون قتله وما يقولون له شيأ على بسيط ذات القول لكنهم قالوا وما يقولون شيأ للمجاهرة لانه اذ خاطبهم

بمجاهرة وبكافة الحرية أغاظهم أشد الغيظ وأكثره الا انهم ماعملوا شيأ الا انهم
قدعرفوا بالحقيقة ان هذا هو المسيح وأنا أسألهم فانتم مارأيكم فيه آية قضية
تورودنها من أجله وبناسبهم ان يقولوا قضية ضدية ولهذا السبب قالوا ان هذا
قدعرفنا من اين هو فتبرحا لخبثهم وترحا التضاد كلامهم اذ لم يتبعوا قضية روسائهم
لكنهم أبرزوا قضية أخرى مفسودة مؤهلة لغباوتهم قالوا قدعرفنا هذا من اين هو
والمسيح اذا جاء فليس يعرف عارف من أين هو مع ان رؤساءكم لما سئلوا قالوا
انه من بيت لحم يولد وقد قال أقوام آخرون أيضا نحن قدعرفنا ان الله قد كلم
موسى وهذا فما قدعرفنا من اين هو (يوحنا ص ٩ ع ٢٩) فقد قالوا قد
عرفنا من اين هو وما قدعرفنا من اين هو أبصر ياسامعا ألفاظ سكارى وقد قالوا
هذا أيضا هل من الجليل يجيء المسيح أوما يجيء من بيت لحم الضيعة أعرفت
قضية مجانين قدعرفنا وما قدعرفنا من بيت لحم يجيء المسيح والمسيح اذا جاء
فليس يعرف عارف من اين يجيء ما الذي يكون أوضح من هذا الحرب لانهم
نظروا الى غرض واحد فقط هو الا يقبلوا قوله فان سألت عما اجابهم المسيح
عن أقوالهم هذه (٢٧) قال قد عرفتموني من اين أنا وما جئت
من ذاتي لكن مرسلي صادق هو الذي ما قدعرفتموه أنتم وقال أيضا
لو عرفتموني لعرفتم أبي فان قلت فكيف قال انهم يعرفونه من اين هو
وقال أيضا انهم ما يعرفونه ولا يعرفون أباه أجبتك ما تكلم كلاما متضادا الا كان
ذلك لكنه تكلم كلاما منتظما لا نقابه جدا لانه يذكر معرفة أخرى اذ قال
ما عرفتموه على نحو ما اذا قال الكتاب ان ابني عالي ابناء مفسدان فما عرفا الله
(ملوك أول ص ٦ ع ١٢) وقال أيضا واسرائيل ما عرفني (أشعياص ١
ع ٣) على ما قال بولس يعترفون انهم يعرفون الله الا انهم باعمالهم ينكرونه
(تيطوس ص ١ ع ١٦) فقد يوجد اذا عارف ليس يعرف فقد قال اذا هذا
القول لو عرفتموني لعرفتم انني ابن الله أنا الان لفظة من اين ما اعتمد بها ههنا
المكان وذلك واضح من اللفظ الذي يتلو هذا وهو وما جئت من ذاتي لكن

مرسلي

مرسلي صادق هو الذي ماقد عرفتموه أنتم فالجهل الذي ذكره ههنا جهلوه باعمالهم على ماذكر بولس يعترفون انهم يعرفون الله الا انهم باعمالهم ينكرونه لان خطاهم ما كان من غباوة لكنه كان من رذيلة ومن عزم خبيث واذ عرفوا هذا الشئ أرادوا ان يجهلوه ولعلك تقول هذه الاقوال أي نظام لها الا انه كيف لما وبخهم تكلم أولئك باقوالهم لان أولئك اذ قالوا هذا قد عرفناه من اين هو استثنى هو بقوله وقد عرفتموني * لان ما الذي قال أولئك اننا ماقد عرفناه وهؤلاء قد قالوا هذا القول اننا قد عرفناه من أين هو وما حققوا لفظا آخر الا انه من الارض وانه ابن النجار هو وهو بقوله صاعدهم الى السماء فقال قد عرفتم من اين أنا ومعنى ذلك هو لست من ههنا من حيث توهمتم لكنني من مكان مرسلي * لان قوله ماجئت من ذاتي يذكر هذا المعنى ذكرا غامضا انهم قد عرفوا ان الاب أرسله وان كانوا ما كشفوا ذلك فقد وبخهم توبيخا مضعفا فالصنف الاول من توبيخه ان الالفاظ التي قالوها على انفرادهم أوردها الى وسط كلامه هاتفا بها حتى يخجلهم ثم كشف الالفاظ التي في سريرتهم كانه قال لست أنا من المطرودين ولا من الذين جاؤا على بسيط بحثهم لكن مرسلي صادق هو الذي ماقد عرفتموه أنتم * فان قلت وما هو معنى مرسلي صادق هو أجبتك قال ان كان المرسل صادقا هو فواجب ان يوجد المرسل صادقا وعلى معنى آخر قد اصلح هذا القول اذ اقتنصهم من أقوالهم * لانهم اذ قالوا اذا جاء المسيح فليس يعرف عارف من أين هو أراهم من هذه الجهة ذاته انه هو المسيح * لان أولئك لما قالوا ليس يعرف عارف من أين هو يعتمدون انفصال جدمكاني ومن هذه الجهة أراهم ذاته انه هو المسيح لانه جاء من عند أبيه * وفي كل مكان يشهد لذاته وحده بمعرفته أباه * اذ قال ليس الاب أبصره باصر الا الموجود من الاب واقواله هذه اغاظتهم * لان قوله انكم ماعرفتموه وتوبيخه بانكم اذ عرفتم ذلك تتصنعون بانكم تجهلون فيه كفاية ان يعضهم ويلذعهم * (٣٠) فالتمسوا

أن يمسكوه فما ألقى أحد منهم يده عليه لان وقته ما كان بعد قد جاء* أرأيتهم مضبوطين ضبطا قد عدم ان يرى* وغيظهم ملجما فان قلت فلاى غرض ما قال انه ضبطهم ضبطا قد عدم ان يرى لكنه قال وقته ما كان بعد قد جاء اجبتك ان البشير اراد ان يتكلم كلاما أليق بالانسانية وأوفر تذللا حتى يتوهموه انسانا لانه اذ قد تكلم فى كل مكان أقوالا عالية لاجل ذلك زرع هذه الالفاظ *لانه اذا قال انى منه أنا فليس يقول قول نبى متعلم لكنه يقول قول ناظر اليه وموجود معه بالحقيقة *لانه قال قد عرفته لانى منه أنا* أرأيت كيف يصلح فى أعلى كلامه وأسفله قوله ماجئت من ذاتى* ومرسلى صادق هو محاربا ذلك القول وهو الا يظن انه غريب من الله* وتأمل كم هو ربح تذلل أقواله لانه قال وبعد ذلك قال كثيرون (٣١) المسيح اذا جاء العله يعمل آيات أكثر من الآيات التى عملها هذا كم هى آية وانما كانت آياته ثلاثا* آية الخمر وآية المخلع وآية ابن الرجل الملكى* وما وصف لنا البشير أكثر من هذه الجهة يتبين واضحا ما قد قلته دفعات كثيرة ان البشيرين تجاوزا آياته الكثيرة وخاطبونا فى ذكر هذه الآيات التى لاجلها أثار رؤساء اليهود شرهم فالتمسوا ان يضبطوه ويقتلوه لان من هم الذين ما ارتاح جماعة الناس الى رئاستهم عليهم ولا تقدر ان تضبط حسدهم الا الى هنة لان الجماعة الحاضرين قالوا المسيح اذا جاء لعله يعمل آيات أكثر من التى عملها هذا مع ان ولا هذه الامانة كانت معافاة لكنها كانت أمانة جماعة حقيرة* لان قولهم اذا جاء ما كان قول موقنين جدا انه هو المسيح* فاما هذا القول يتساغ ان يقال فيهم واما يقال ان الجموع قالوه بمتابعة هواهم من طريق ان رؤساهم اجتهدوا فى أعلى كلامهم وأسفله ان يبينوا انه ليس هو المسيح* فلو اعتقدنا ان هذا ليس هو المسيح أفهل ذاك يكون أفضل من هذا وهذا القول الذى أقوله دائما ان الذين هم اكشف تمييزا ليس يقتادهم الى الايمان لا التعليم ولا مفاوضة الجماعة لكن الآيات تستقيدهم* (٣٢) ثم سمع الفريسيون الجمع

متذمرا

متذمرا فارسلوا غلمانهم ليقبضوا عليه * أرأيت ان حل السبت كان اغتياظهم
منه تظاهرا وانما الذى مضهم أكثر مضاضة هذا كان لانه ما يتجه لهم ههنا ذنب
يشكونه منه لا فيما قاله ولا فيما فعله وبسبب الجمع أرادوا ان يقبضوا عليه
وما اجترأهم على ذلك اذ توقروا التورط فى الخطر وارسلوا غلمانهم باذلين
اياهم للمكروه فترحا لتمردهم وجنونهم واليق ما يقال ثبا لغباوتهم * فطالما
ارتادوا لهم القبض عليه فما استطاعوا ففوضوا ذلك الى غلمانهم * اذ سكنوا غضبهم
على بسيط ذات تسكينه * على انه خاطبهم عند البركة خطابا كثيرا وما عملوا عملا
هذه صفته لكنهم التمسوا ذلك الا انهم ما مارسوه * وههنا ما احتملوا اعتزام الجمع
ان يتبادروا اليه * واسمع ما خاطبهم به المسيح (٣٣) انما أنا معكم أيضا مدة يسيرة
ومع اقتداره ان يجنى سامعيه ويريعهم خاطبهم بالفاظ مملوءة من تواضع العزم
كأنه قال لهم ما سبب اسراعكم الى قتلى وطردى تصبروا مدة يسيرة واستجيز
ان أضبط المسارعين ان يضبطونى * ثم لئلا يظن ظان ان قوله انما أنا
معكم مدة يسيرة * دال على موت مشاع عام للكل لانهم قد ظنوا هذا الظن
فلكيلا يظن ظان ذلك ويتوهم انه ليس يفعل بعد وفاته فعلا استثنى بان قال
وحيث أكون أنا ما تستطيعون أنتم ان تجيئوا اليه * فلو كان توقع ان يلبث
فى موته لاقتدروا هم أن يذهبوا اليه لاننا الى هنالك نذهب كلنا
* فالجماعة الاوفر سذاجة احتمت أقواله هذه التى قالها واراعت العصبة
الاجسر من غيرها وجعلت الجمع الواد التعليم ان يسارعوا الى استماعها من
طريق ان قد بقى له مدة يسيرة وما يمكنهم الاستمتاع بهذا التعليم دائما * وما قال
على بسيط ذات القول انما أنا ههنا مدة يسيرة لكنه قال انما أنا معكم مدة يسيرة
* ومعنى ذلك هو وان طردتمونى وقتا يسيرا فلست أكف واعظا اياكم
قائلا ما يؤديكم الى خلاصكم مدبرا ما يوافقكم واذهب الى من أرسلنى
فهذا القول قد كان فيه كفاية ان يريعهم وان يلقيهم فى جهاد لانه يدل على
تحصيلهم فى الاحتياج اليه لانه قال ستطلبوننى وما تجدوننى * فان قلت واين طلبته

اليهود أجبتك قد قال لوقا البشير ان نسوة ندبنه متحسبات عليه * وقد بكى من
أجله على ما يوجبه القياس اناس آخرون كثيرون وانتحبوا فى ذلك الحين * ولما
فتحت مدينتهم واستبيحت قد تذكروا المسيح وعجائبه والتمسوا مجاهرته * فهذه
الاقوال كلها أو ردها مريدا ان يستجذبهم لان لفظه انه قد تبقى له وقت يسير وانه
سيكون بعد انصرافه عنهم مأثورا عندهم وانهم ما يقتدرون فيما بعد ان يجدوه
كلها فيها كفاية ان تستميلهم الى الاقتراب اليه لان حضوره ان كان ليس
مزمعا ان يوجد مأثورا عندهم فما يظنون انه قد قال لهم قولا عظيما * وأيضا لو
استأنف ان يوجد مأثورا وكان ممكنا ان يوجد لما أرجفهم ارجافا شديدا
وأيضا فلو استأنف ان يحضر عندهم زمانا طويلا لما صار وا بهذه الصفة طريحين
على ظهورهم مهملين اهتمامهم به * فهو الآن من سائر الجهات يستاقهم اليه
ويريعهم ولفظه اذهب الى من أرسلنى * هى لفظة موضحة * انه ولا صنف من
الضرر يتكون له من اغتيالهم عليه وان تألمه طوعا بايثاره فقد سبق فقال
لهم صنفين من سبوق تخبيره انه يذهب بعد مدة يسيرة وانهم ما يجيئون الى عنده
وذلك فما كان قول تمييز فهم انسانى ان يسبق فيصف وفاته * وابصر داود قائلا
يارب عرفنى نهايتى وعدد أيامى ماهو لكى أعرف ما يعوزنى * وبجملة التحقيق
فليس يوجد أحد الناس عارفا هذا الغيب فمن هذا القول الواحد حقق القول
الآخر * وعلى حسب ظنى انا ان هذا القول أيضا قد اعتمد به الخدام اعتمادا
خفيا وأصدر كلامه اليهم وبه استجذبهم * خصوصا اذ اوضح لهم ذاته عارفا علة
مجيئهم اليه كانه قال تصبروا قليلا واذهب (٣٥) فقال اليهود لانفسهم الى أين
يستأنف هذا ان يذهب ولعمرى ان الذين اشتهوا ان يستتر بحوامنه وعملوا كل
ما أمكنهم حتى لا يبصروه ما كان واجبا ان يطلبوا هذا المطلوب * لكن الاليق
بهم ان يقولوا انما نسر بهذا ومتى يكون انصرافه لكنهم أثر فيهم تأثيرا مما قاله
وطلبوا اذ توهموا فى ذواتهم توهما خاليا من الفهم الى أين يستأنف ان ينطلق *

(٣٦) هل ينطلق الى شتات الوثنيين * وان سألت ماهو شتات الوثنيين اجبتك ان اليهود بهذا الاسم كانوا يسمون الامم * لانهم كانوا منزرعين فى كل مكان شتاتا و يختلط بعضهم فى بعض خلوا من احتشام * وهذا التعبير فقد قاسوه هم فيما بعد * لانهم هم صاروا منزرعين شتاتا * لان امتهم القديمة كلها كانت مجموعة فى صقع واحد * وما كان يتجه ان يوجد يهوديا فى مكان آخر الا فى بلد فلسطين وحده فلهذا المعنى كانوا يسمون الوثنيين شتاتا يعيرون أولئك و يستعظمون فى أنفسهم ولسائل ان يسأل وما معنى قوله المكان الذى أذهب أنا اليه ما يمكنكم أنتم ان تجيئوا اليه فاجيبه لعمرى انهم كانهم فى ذلك الحين قد اختلطوا بأولئك الوثنيين وصارت اليهود فى كل موضع من المسكونه فلو كان دل بقوله على الوثنيين لما كان قال المكان الذى اذهب أنا اليه ما يمكنكم أنتم ان تجيئوا اليه ولما قالوا هل يستأنف ان يذهب الى شتات الوثنيين وما قالوا ويفسدهم لكنهم قالوا و يعلمهم فعلى هذه الجهة كانوا قد نزحوا عن غيظهم وصدقوا ما قيل لهم فلولا انهم صدقوه لما كانوا ابتغوا فى أنفسهم ماهو معنى كلامه

العظة الخمسون

فى العدل

الان هذه الاقوال قيلت لاولئك اليهود فيشتملنى خوف الاعتلاك هذه الاقوال وقتا يقال فيه لنا ان المكان الذى قد يوجد فيه ما يمكنا ان نذهب اليه بسبب عيشتنا الممتلئة خطايا لانه قد قال من أجل تلاميذه أشاء أيضا أوجد أنا ان يكون أولئك معى (يوحنا ص ١٧ ع ٢٤) فاخشى الا يقول من أجلنا ضد هذا القول انه أينما أكون أنا ما يمكنكم ان تجيئوا لاننا اذا عملنا اضداد أوامره كيف نستطيع ان نذهب الى هناك لان فى عمرنا الحاضر متى ما عمل

أحد من الجند أعمالا ليست مؤهلة للملكه ليس يستطيع ان يضرملكه
لكن بعد أن تنقض رئاسته يقاسى عقوبة واصلة الى غايتها فاذا كنا نختلس
ما ليس لنا ونستكثر من القنيات اذا كنا نظلم ونضرب اذا كنا لا نعمل صدقة
ما نقدر ان نذهب الى هناك لكن يعرض لنا ما عرض للعذارى الجاهلات
لان المكان الذى كان فيه ما امكنهم الدخول اليه لكنهن انصرفن لما طفئت
مصابيحهن ومتى انطفأ بهاؤهن وخلوا أنيتهن من النعمة والموهبة لان ذلك اللهيب
الذى نقتبله فى الحين بنعمة الروح اذا شئنا نصيره أشد نورا وان لم نشأ
سنضيعه سريعا واذا طفى ذلك اللهيب فليس يكون فى نفوسنا شئ آخر الا ظلاما
لانه كما ان المصباح اذا توقد يكون ضياؤه عظيما فكذلك اذا انحل توقده ليس
يكون فيه شئ آخر الا ظلاما ولهذا المعنى قال الرسول الروح لا تطفئوه وانما ينطفى
اذا لم يمتلك زيت رحمة اذا صدمه من الريح اعصاف أشد هبوبا اذا حصر وضيق
عليه لانه على هذا المثال تنحصر النار وتضعف فالروح تضغطه هموم الدنيا
وتضعفه وتطفئه الشهوة الخبيثة ومع ما قد ذكرناه فليس شئ على هذا النحو يطفى
لهيب الروح مثل ما تطفئه جفاوتنا واختطافنا ما ليس لنا وزوال انسانيتنا لان
الروح اذا كان (مع انه ليس يمتلك زيتا) يصب عليه ماء بارد وهذا الماء هو
الاستغنام واستكثار القنية الذى يبرد نفوسنا بحزن المظلومين فكيف يقتدر
فيما بعد ان يتوقد فسنذهب من ههنا حاملين رمادا وغبارا ما لكين الدخان ثالبا
ايانا ثلبا عظيما باننا امتلكنا مصابيح فطفيناها الان حيث يكون دخان يوجد
بلازم الضرورة نار قد طفئت لكن لا كان أن يسمع أحدمنا ذلك الصوت لست
أعرفكم لان من أين يوجد أن نسمع ذلك الصوت الا اذا رأينا فقيرا نجعل حالنا
حال من لم يبصره اذا جهلنا نحن المسيح جائعا مفتقرا جهلنا هو اذا احتجنا رحمة
وذلك على جهة الواجب لان من يتغافل عمن كان مضغوطا مغموما ولا يعطى مما له
فكيف يطلب أن يأخذ مما ليس له فلهذا السبب اتضرع اليكم أن نعمل

كل

كل ماءكان نصلى به حتى لا يعوزنا زيت الرحمة ولا ينقص من عندنا لكن نزين به مصابيحنا وندخل الى الخدر مع ختننا الذى فليتفق لنا كلنا الدخول اليه بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفه الذى به ومعه لابيه المجد مع الروح القدس الآن ودائما الى آباد الدهور كلها آمين

المقالة الحادية والخمسون

(٣٧) وفى اليوم الاخير المعظم من العيد وقف يسوع وصاح قائلا ان يعطش أحد كم يجيئ الى ويشرب (٣٨) من يؤمن بى كما ذكر الكتاب تجرى من جوفه أنهار ماء الحيوة

يجب على الذين يتقدمون الى انذاره ويجنحون الى تصديقه أن يوضحوا عشق العطاش وان يشعلوا فى أنفسهم الشهوة جزيلا تقديرها فانهم يقتدرون على هذه المحبة أن يضبطوا ما يقال لهم بصيانة كثيرة و بيان ذلك ان العطاش متى تناولوا قدح ماء يكرعونه بنشاط كثير وحينئذ يريحون عطشهم فهذه الحال تكون حال الذين يسمعون الاقوال الالهية ان استمدوها عطاشا فانهم يتعبون فى وقت من الاوقات حتى يرتشفوها ولعمرى انه قد بين اننا نحتاج أن نعطش ونجوع الى استماعها اذ قال مغبوطون الجياع والعطاش الى العدل وقد قال ههنا من يعطش فليجئ الى ويشرب (متى ص ٥ ع ٦) فالذى يقوله معناه هذا هو لست الزم أحدا ولا اجتذبه بالزام وغصب لكن ان كان أحدكم قد حوى نشاطا كثيرا من كان متحرقا بشوقه فلهذا أدعوه انا * ولسائل ان يسأل ولم بين البشير انه

قد صاح فى اليوم الاخير الكبير لان اليوم الاول كان كبيرا واليوم الاخير من العيد كان أيضا كبيرا فنجيبه لان الايام التى قبلها كانوا يقضونها فى التنعم خصوصا فان استخبر أيضا ولم خاطبهم فى اليوم الاخير أجبناه لانهم كلهم فيه كانوا يلتئمون مجتمعين لانه فى اليوم الاول ما جاء وقد ذكر العلة لاخوته بل ولا قال فى اليوم الثانى ولا فى اليوم الثالث منه قولا هذا معناه حتى لا يتحلل ما يقوله اذا استأنفوا ان يذهبوا الى التنعم وفى اليوم الاخير حين انصرفوا الى منازلهم أعطاهم زادات الى خلاصهم وصاح مظهرا من جهة واحدة مجاهرته ومن جهة غيرها بسبب الجمع لانه كان عظيما ولما أوضح انه انما خاطبهم فى وصف شرب معقول استثنى بقوله من يؤمن بى على ماذكر الكتاب تجرى من جوفه انهار ماء الحياة والجوف ههنا يتوخى به القلب على ما قيل فى موضع آخر وشريعتك فى وسط جوفى (مزمور ٣٩ع ١٠) وان سألت وأين ذكر الكتاب ان انهار ماء حى تجرى من جوفه أجبتك ماذكر الكتاب ذلك بجهة من الجهات فان قلت وما معنى قوله أجبتك قال من يؤمن بى على ماذكر الكتاب فيجب ان ننقط ههنا نقطة فاصلة ليكون تجرى من جوفه انهار ماء حى من ايجابه وتحقيقه لان كثيرين لما قالوا هذا هو المسيح * المسيح اذا جاء العله يجترح آيات أكثر من التى اجترحها هذا أراهم انه يجب أن يمتلكوا عزما متقوما ولا يؤمنوا به على هذا النحو من تلقاء آياته مثلما يؤمنون به من الكتب فكثيرون قد أبصروه مجترحا عجائبه وما اقتبلوه على انه المسيح بل استأنفوا ان يقولوا ان الكتب أليست تقول ان المسيح من نسل داود يجئ وهذه الالفاظ رددوها فى أعلى كلامهم وأسلفه فاراد أن يريهم انه ليس يهرب من البرهان بالكتب فارسلهم أيضا الى الكتب لانه قال فوق هذا الكلام فتشوا الكتب وقال أيضا يوجد مكتوب فى الانبياء ويكونون كلهم متعلمين من الله وموسى يثلبكم وقال ههنا على ماذكر الكتاب ان انهارا تجرى من جوفه مضمرا فى قوله فيض النعمة الواسع الفاقد

البخل

الانجيل وهذا ذكره فى مكان آخر ودعاه عينا من الماء فائضة لحياة دهرية ومعنى هذا هو ان يجرى نعمة كثيرة وفى موضع آخر ذكر حياة دهرية وههنا قال ماء حياة فقوله حيا يعنى انه فاعل دائما لان نعمة الروح متى ما دخلت الى سريرتنا وتمكنت تفور أكثر من كل عين ماء وما تنقص ولا تفرغ ولا تقف فقد اوضح اذا خاصة ورودها الغا قدة أن تكون ناقصة وسجية فعلها المتحجز وصفها اما ودعاها عينا وانهارا وما ذكر نهرا واحدا لكنه ذكر انهارا مغتاصا وصفها وأوضح هنالك بفيضها مددها وقد يعرف عارف ما ذكره معرفة واضحة أن تفطن فى حكمة استيفان وان تأمل لسان بطرس وسرعة خاطر بولس كيف ما احتملهم شئ ولا قاومهم لا غضب جموع الناس والاراجيف المغتصبين ولا اغتيالات الشياطين ولا ميتات فى كل يوم لكن صورتهم كانت صورة انهار متدفقة بحروبة كثيرة ودوى جزيل سحبوا على هذا المثال كل ما التقاهم ودهمهم (٣٩) وهذه قالها (زعم البشير) فى ذكر الروح الذى استانف المؤمنون أن يأخذوه لانه ما كان بعد قد ورد روح القدس فان قلت كيف تنبأ الانبياء واجترحوا العجائب الجزيل عددها أجبتك ان الرسل ما أخرجوا الجن بروح لكنهم أخرجوهم بالسلطان الذى أخذوه منه على ماذكره وان كنت أنا ببعلزبول أخرج الشياطين فبنوكم بماذا يخرجونها (متى ص ١٢ ع ٢٧) هذا القول قاله موضحا ان قبل صلبه ليس كلهم أخرجوا الشياطين بروح لكنهم أخرجوهم بالسلطان المأخوذ منه وحين اعتزم أن يرسلهم حينئذ قال لهم خذوا روحا قدوسا وأيضا وافى اليهم روح القدس وحينئذ اجترحوا الآيات وحين أرسلهم ما قال انه اعطاهم روحا قدوسا لكنه قال أنه أعطاهم سلطانا اذ قال نقوا البرص أخرجوا الشياطين انهضوا أمواتا قد أخذتم مجانا فاعطوا مجانا (متى ص ١٠ ع ٨) وفى ايام الانبياء فقد اعترف كل المؤمنين ان قد كانت لهم عطية روح قدس الا ان هذه النعمة كانت منقبضة ومنتزحة عن الارض وناقصة تاركة أصحابها

من ذلك اليوم الذى قيل فيه يترك بيتكم خرابا (متى ص ٢٣ ع ٣٨) وقبل ذلك
اليوم تسلم تناقصها هذا ابتداءه لان ما كان عندهم أيضا بنى ولا أظهرت النعمة
لهم أوحيتها الالهية فاذا انقبض روح القدس ثم استأنف أن يتدفق تدفقا
واسعا صار بعد الصليب ابتداء هذه الاباحة ليس باصناف واسعة فقط لكن
تكون بعد ابتداء المواهب أعظم قدرا على نحو قوله ماقد عرفتما الاى روح
أنتما وقد قال الرسول أيضا ما قد أخذتم روح عبودية لكنكم أخذتم روح
البنوة بالوضع وذلك ان القدماء قد امتلكوا روحا وما خولوه لاناس آخرين
الان الرسل ملاءوا ربوات من الناس روحا فلما استأنفوا أن يأخذوا هذه
النعمة وما كانت بعد قد دفعت اليهم لهذا السبب قال البشير لان روح
القدس ما كان قد ورد بعد واذ كان ربنا كلامه فى ذكر هذه النعمة قال البشير
لان ما كان بعد روحا قدسا أى قد أعطى لان يسوع ما كان بعد قد مجد فدعى
الصليب مجدا الاننا اذا كنا أعداء وخاطئين معوزين من موهبة الله ممقوتين عند
الله وكانت النعمة برهان الصلح والموهبة ما تعطى للاعداء ولا للمقوتين لكنها
تعطى للاصدقاء وللذين قد حسن ارضاؤهم وجب أولا ان تقدم الضحية عنا وان
تنحل العداوة فى لحمه وان نصير اصدقاء للالهنا وأحباء وبعد ذلك نأخذ موهبته
ولئن كان هذا الحادث قد حدث فى الموعد لابرهيم فاليق وأوجب أن يحدث فى
النعمة وهذا المعنى اذ أوضحه بولس قال ولئن كان الوارثون هم من الشريعة
فقد بطل الايمان لان الشريعة تختلف غيظا (روميه ص ٤ ع ١٤) فالذى
يقوله معناه هذا هو ان الله وعد ابرهيم ونسله ان يعطيه الارض الان أولاده
كانوا قد عدموا أن يكونوا مؤهلين للوعد وما اقتدروا أن يرضوا الله من أتعابهم
فلهذا السبب ورد الايمان والتصديق وهما فعل سهل المأخذ لكى نستجذب
النعمة ولا نفقد المواعيد فقال الرسول لهذا السبب هم من امانة وتصديق
ليكون ذلك بنعمة حتى يوجد الوعد محققا لهذا السبب بنعمة لانهم من اعراقهم

ما اقتدروا

ما اقتدروا ان يرثوه فان قلت فلم اذ قال على ما فى الكتب ما استثنى بالشهادة أجبتك لان عزمهم كان مفسودا (٤٠) لان بعضهم قالوا هذا هو النبى (٤١) وغيرهؤلاء قالوا انه يضل الجمع (٤٢) وآخرون قالوا اليس يجئ المسيح من الجليل لكنه يجئ من بيت لحم الضيعة وغيرهؤلاء قالوا المسيح اذا جاء ليس يعرف عارف من أين هو وكان عزمهم مختلفا من طريق انه فى جماعة مضطربة لانهم ما أصغوا الى ما قيل لهم بابلغ استقصاء ولا حتى يتعلموا فلهذا السبب ما أجاب هؤلاء جوابا مع انهم كانوا يقولون ألعل المسيح يجئ من الجليل ومدح ناثانائيل اذ قال أشد من هذا القول والذع * أمن الناصرة يمكن ان يوجد شئ صالح وأنزله بمنزلة اسرائيلى صادق لان هؤلاء هم الذين قالوا النيقوديمس فتش وأنظر ان من الجليل ليس يقام نبى وما قالوا ما قالوه طالبين ان يتعلموا لكنهم قالوا على بسيط ذات القول ليحيلوا اشرف المسيح وناثانائيل فكان عاشقا للحق عارفا الاقوال العتيقة بابلغ استقصاء فقال ما قاله وهؤلاء فكانوا ناظرين الى غرض واحد فقط هو ان يعكسوا انه المسيح هو وهذا ما أعلن هولهم ذلك لان الذين يتكلمون أقوالا مضادة لانفسهم فيقولون أحيانا المسيح ليس يعرف عارف من أين يجئ ويزعمون أحيانا انه يجئ من بيت لحم فبين واوضح انهم اذا عرفوا كابروا فليكن على رأيهم انهم جهلوا المكان انه من بيت لحم بسبب تربيته فى الناصرة على ان ولا هذا القول يعوزه عفو الا انه ما ولد هنالك فى الناصرة فلو جهلوا جنسه انه من بيت داود قبيلته فكيف قالوا أليس من نسل داود يجئ المسيح لكنهم ارتادوا ان يستروا هذا القول بذلك اذ قالوا كلما قالوه بمكر فلماذا لم يقتربوا اليه قائلين اذ قد استعجبنا أقوالك الاخرى كلها وأنت تأمرنا ان نقبل منك على ما فى الكتب قل لنا كيف يقول الكتاب ان المسيح ينبغى ان يجئ من بيت لحم وأنت فقد جئت من الجليل الا انهم ما قالوا أقوالا من هذه الاقوال لكنهم يتكلمون أقوالهم كلها بتخابث لان الدليل على ذلك انهم ما التمسوا ولا أرادوا ان يعرفوا

فقد استثنى البشير فى الحين بذكر (٤٤) ان أقواما أرادوا ان يمسكوه فما ألقى
واحد منهم يده عليه لانهم لولم يشتماهم شئ آخر لقد كان هذا بعينه فيه كفاية
ان يقتادهم الى تخشع وتندم لكنهم ماتخشعوا ولا تندموا وعلى ماذكر النبى
ضربوا ولا تندموا ولا تخشعوا (مزمور ٣٤ع١٩) لان الخبث هذه السجية سجيته
ليس يشاء ان يجمع لاحد اذ ينظر الى غرض واحد فقط هو ان يقتل من يغتال
عليه لكن اسمع ماقال الكتاب من يحتفر الى قريبه حفرة سيتكردس اليها
(أمثال ص٢٦ع٢٧) وهذا العارض فقد عرض حينئذ لانهم هم ارتادوا اقتله
على ان يخمدوا انذاره فعرض خلاف ذلك لان انذاره أزهر بنعمة الله
وأحوالهم كلها خمدت وهلكت وفقدوا أوطانهم وحريتهم وطمانينتهم
وديانتهم وعدموا مسرة أيامهم كلها وصاروا عبيدا مأسورين

العظة الحادية والخمسون

فى الانكافى شرا بشر

فاذ قد عرفنا هذه الاقوال كلها فلا نغتال فى وقت من الاوقات على اناس
آخرين اذ نعلم يقينا اننا انما نرهف السيف على أنفسنا ونضرب ذواتنا ضربة
أعمق غورا لكنك تقول قد غمك انسان وتوثر ان تنتصر منه لا تنتصر منه فانك
على هذه الجهة تقتدر ان تنتصر منه فاذا انتصرت فما قد انتصرت ولا تظن ان
القول الذى قلته يحوز معنى مستورا لكن اعتقده قولا صادقا ان قلت كيف ذلك
وباى حال أجبتك لانك اذا لم تنتقم ممن غمك فقد جعلت الله عدوا له ومتى
ما انتصرت منه فليس يكون ذلك ايضا لان الرب يقول لى الانتصار وانا أكافى
(روميه ص١٢ ع١٩) لاننا ان كنا نمتلك غلمانا فاذا عرضت بينهم منافرة
خصومة ولم يفوضوا الينا العقوبة والمقابلة لكنهم يفوضون الى ذلك أنفسهم
فلوا استجاروا بنا ربوات دفعات فليس من شأننا اننا ما ننتصر لهم فقط لكننا
نغتاظ عليهم ونقول لاحدهم يا هاربا ومضروبا على خطائه قد كان واجبا ان ترد

كلما

كلما عرض لك الينا فاذ قد سبقت فانتقمت لذاتك فلا تتعنت بشئ فالهنا الذى
قد اوصانا ان نفوض اليه هذه العوارض كلها يليق به أكثر ان يقول هذا القول
لان كيف لا يكون شنعا ان نطالب غلماننا بفلسفة وطاعة هذا مقدارها
ولا نفوض الى سيدنا ما نريد غلماننا أن يفوضوه الينا فهذه الاقوال أقولها
بسبب عزمنا النشيط الى أن يعاقب بعضنا بعضا * لان من كان متفلسفا
بالحقيقة ليس يحتاج ان يعمل هذا العمل لكنه يسامح بالخطايا
المجترمة اليه ويعفى عنها * وان كان ليس يأخذ تلك الجائزة العظيمة
فهو يحصل الصفح عوض هذه الجرائم التى صفح عنها * لان قل لى ان كنت تلوم
من قد أخطأ فلم تخطئ أنت وتتهور فى الزلات باعيانها أشتمك ذاك فلا تشتمه عوض
شتمه اياك والا فقد شتمت ذاتك * أضر بك فلا تضربه عوض ما ضربك * والا
فليس لك بجهة من الجهات فضلا تزيد به عليه * أغمك فلا تغمه عوض ما احزنك
والا فليس لك ربح الا كنك قد صرت عديلا له * فعلى هذا النحو تقتدر ان تخذله
ان احتملته بوداعة وتحبب * وعلى هذه الجهة تستميله الى الاستحياء منك * وعلى
هذه الجهة تقطع اغتياظه * فليس يشفى أحدنا شرا بشر لكنه بالعمل الصالح
يشفى العمل الردى * فهذه المحامد عند الاوثانيين أقوام يتفلسفون بها * فسبيلنا ان
نستحى ان يكون عند الاوثانيين الفاقدين الفهم فلسفة موجودة هذا مقدارها
ونحن نظهر أدنى منهم وأقل احتمالا * فكثيرون منهم قد ظلموا فاحتملوا وكثيرون
منهم قرفوا و وشى بهم وما انتقموا ممن وشى بهم * واغتيل عليهم فاحسنوا الى من
اغتال عليهم بخوف ليس يسيرا الا يوجد عندنا أناس أعلى محلا منهم فى عيشتهم
فيصيروا العقوبة لنا أشد لذا لان اذا كان الذين قد سلموا الروح القدس وهم
ينتظرون ملك السما ويتفلسفون فى وصف النعم السموية ولا يرهبون جهنم الذين
قد أمر وان يصير واملائكة الذين يتمتعون بالاسرار لا يصلون الى الفضيلة بعينها
التى عند أولئك فأى رجاء نمتلكه لاننا ان كنا قد يجب علينا ان نتجاوز اليهود

لانه قد قال ان لم يفضل عدلكم أكثر من عدل الكتبة والفريسيين فما تدخلون الى ملك السما* (متى ص ٥ ع ٢٠) فاولى بنا وأليق ان نتجاوز الاوثانيين ونزيد فضلنا عليهم * فان كان يجب علينا ان نفضل على الفريسيين فاليق بنا واوجب ان نفضل على نقص المؤمنين * وان كنا لا نفوق على سيرة أولئك ونتجاوزها فتغلق دوننا أبواب الملكوت * فاذا ظهرنا أشر من الاوثانيين فكيف يتفق لنا امتلاكها فلننقصين عنا كل مرارة وغيظ وغضب (فيلبيسيوس ص ٣ ع ١) لانه ينبغى لى ان أقول لكم أقوالا هى هى بعينها ويليق بكم أنتم ان تستوثقوا منها * وذلك ان الاطباء طالما استعملوا دواء واحدا بعينه ونحن ما نكف من الهتاف باقوال هى هى باعيانها ولا عن اذكاركم بها معلمين ايا كم ومتضرعين اليكم * لان رهط أشغال الدنيا جزيل مولد فينا نسيانا فنحتاج الى تعليم متصل متواتر حتى نفيد ايضاحه باعمالنا ولا نجتمع ههنا باطلا لكى يتفق لنا امتلاك النعم الصالحة المستأنفة بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفه الذى به ومعه لابيه مع الروح القدس المجد الآن ودائما والى آباد الدهور كلها آمين

المقالة الثانية والخمسون

فى قوله (٤٠) ثم جاء الغلمان الى رؤساء الكهنة والفريسيين فقال لهم أولئك لم ما أحضرتموه فاجابهم الغلمان ما تكلم انسان فى وقت من الاوقات مثل هذا الانسان*

ليس شئ أبين من الحق وضوحا ولا أوفر منه بساطة اذا لم نعمل نحن المنكر* كما اننا

اننا اذا عملنا المنكر ليس يكون فعل اصعب من فعلنا * لان هاهم الفريسيين
والكتبة الظالمين على قياسهم انهم احكم من غيرهم قد حضروا عند المسيح دائما
وابصروا عجائبه وقرأوا الكتب وما افادهم ذلك نفعا لكنهم انضروا به
وعلمانهم فما انساغ لهم ان يقولوا قولا من هذه الاقوال اصطيدوا حين اصطادتهم
مخاطبة واحدة من المسيح سمعوها مع الجمع * وكانوا قد ذهبوا اليه حتى يقبضوا
عليه فعادوا من عنده مربوطين باستجابه * فليس يجب لنا ان نمدح فهمهم فقط
لانهم ما احتاجوا الى آيات لكن تعليمه وحده اقتنصهم * لانهم ما قالوا ما اجترح
فى وقت من الاوقات انسان عجائب مثل هذا لكنهم قالوا ما تكلم فى وقت من
الاوقات انسان هذا الكلام * فليس ينبغى اذا ان نستعجب فهمهم فقط لكن
سبيلنا مع ذلك ان نستعجب مجاهرتهم * لانهم قالوا هذه الاقوال للذين أرسلوهم
للفريسيين المحاربين الذين قد عملوا كل ما أمكنهم من أجله * لانه قال وجاء الغلمان
فقال لهم الفريسيون لم ما احضرتموه ولعمرى ان مجيئهم كان أعظم من مقامهم عنده
بكثير لانهم كانوا حينئذ قد تخلصوا من صرامتهم * الا انهم الان صاروا مشيدين
بحكمة المسيح وأوضحوا مجاهرتهم أعظم ايضاحا وما قالوا ما استطعنا ان نحضره
بسبب الجمع * لانهم قد أصاخوا اليه كما صاختهم الى نبى * لكنهم قالوا ما تكلم انسان
فى وقت من الزمان هذا الكلام * على انهم قد أمكنهم ان يذكروا ذلك
الاحتجاج لكنهم أظهروا عزمهم القويم * لان قولهم هذا ما كان قول من قد
استعجب سيدنا فقط لكنه كان قول ثالبين هؤلاء الفريسيين * لانهم أرسلوهم
ليقبضوا على من كان يجب عليهم ان يسمعوا منه ويطيعوه على انهم ما سمعوا منه
مفاوضة طويلة لكن يسيرة * لان سريرتنا ان كانت خالية من المحاباة فما
نحتاج الى أقوال طويلة لان الحق هذه السجية سجيته فان سألت فما الذى قاله
الفريسيون وقد كان واجبا عليهم ان يتخشعوا فعملوا خلاف ذلك أجبتك انهم
عابوا فعلهم وشكوهم اذ قالوا (٤٧) العلكم أنتم قد خدعتم فهاهم يدكلزون

انهم ايضا وما يخاطبونهم بابلغ المجاهرة تخيفتهم الا ينفصلوا عنهم انفصالا كاملا
لكنهم يظهرون غضبهم ويخاطبونهم باشفاق عليهم لان قد كان واجبا ان يسالوهم
فى الذى تكلم به وان يستجمعوا ما يقوله فعملوا هذا العمل لانهم عرفوا ان
كلامه كان قد اقتنصهم اذقايسوا هذه المقايسة من دلالة خالية من الفهم جدا
ولعل أحدهم قد قال (٤٨) فلم ما آمن به أحد من رؤسائنا فاجيبه قل لى أوهنا
تشكوا من المسيح وما تشتكى المسلو بين تصديقه (٤٩) لكن هذا الجمع
زعموا أمنوا به الذين ما يعرفون الشريعة وهم ملعونون لعمرى ان هذا ائاب
لكم عظيم ان الجمع امنوا به وأنتم أنكرتموه فا ولئك قد فعلوا افعال الذين
يعرفون الشريعة فكيف يكونون ملعونين ولعمرى انكم انتم ملعونون الذين
ما حفظتم الشريعة ليس اولئك الذين قد اطاعوا الشريعة وقد كان واجبا الا يثلب
المنكرون من قد انكروه لان هذه ليست حجة متقومة مع انكم انتم ما صدقتم
الله على ما ذكر بولس ماذا يكون ان كان اناس منهم قد زال تصديقهم ألعل زوال
تصديقهم يبطل صدق الله لا كان ذلك (روميه ص ٣ ع ٣) وذلك ان الانبياء
قد اشتكوا هم دائما اذقالوا اسمعوا يا رؤساء سدوم ورؤساؤك يعصونني وقالوا
ليس لكم ان تعرفوا حكمى (اشعيا ص ١ ع ١٠ ميخاص ٣ ع ١) وفى
كل مكان قد وضعوا عليهم اشدا يضا عا فا قولك هل يشكوا الله شاك لاجل
هذا فا قول لا كان ذلك لان هذا الزلل منسوب الى اولئك الذين اخاطبهم اى
انسان آخر اجترح آية حتى لا يعرفوا الشريعة ولا يطيعوها فاذا قالوا العل
واحدا من الرؤساء آمن به وان الذين لن يعرفوا الشريعة امنوا به لذمهم
نيقوديمس لذطالا ثقابهم اذقال هذا القول (٥١) العل شريعتنا تحكم على انسان
ان لم يسمع منه اولا لانه اظهرهم لا يعرفون الشريعة ولا يعملون فرائضها الان
الشريعة ان كانت ما تأمر بقتل انسان ما يكون قضاتها قد سمعوا كلامه اولا
وهؤلاء قد نهضوا الى القتل قبل استماع الكلام فهم خالفوا الشريعة وما قالوا

ماآمن به احدمن الرؤساء لهذا المعنى وصفه البشيرانه كان واحدا منهم موضحا
لنا ان رؤساء منهم قدامنوا به الا انهم بعدما كانوا قداظهروا مجاهرتهم به ولكنهم
قداختصوا بالمسيح وانظر كيف يوردالتوبيخ لهم باشفاق لانه ماقال انكم
ترتادون قتله وقداوجبتم الحكم على بسيط ذات ايجابه عليه كانه مضل لكنه
ماقال هذا القول بل قال الطف من هذا القول قاطعا النهضتهم المغتاص وصفها
الخالية من احتراس القاتلة ولهذا السبب عطف كلامه الى الشريعة اذقال
ان لم نسمع منه بابلغ الاستقصاء ونعرف ماعمله فمن هذه الجهة لن تحتاج الشريعة
الى استماع ساذج لكنها تحتاج استماعها بليغا لان هذا هو معنى و يعرف ماعمله
ومايريد ولم يعلم وبحضرة من يتكلم وهل ذلك لنقض مذهبهم وحاله حال عدو
له فلما تحيروا لذلك قالوا ولا واحد من رؤسائنا آمن به وما اتصلوا به لا بحرص
شديد ولا بتمهل بطئ ولقائل ان يقول اى نظام يحوى هذا اذ قال اذا كانت
شريعتنا ماتوجب الحكم على احد الناس ان يقولوا له (٥٢) هل انت من
الجليل لان قد كان واجبا ان يوضحوا انهم ماارسلوا يستدعونه خلوا من راى
ميزه صائبا و يبينوا انه ليس يجب ان يخول احتجاجا فاوبوه مجاوبة اشد غباوة
واوفر غضبا اسأل وانظران من الجليل ليس يقام نبي فما الذى قال هل قال انه
نبي هو وقال ليس يجب ان يقتل قتلا خاليا من حكم يوجبه فنجيبه انما استثنوا هم
بهذه الاقوال على جهة السب له انه مايعرف قولا مما في الكتاب كانهم قالوا له
اذهب تعلم لان هذا معنى اسال واعرف الاان المسيح لما عادوا فى اعلى كلامهم
واسفله الجليل والنبي اراح جميع سامعيهم من هذا التوهم الغريب واوضح انه
ليس هو واحد من الانبياء لكنه سيد العالم فقال (الاصحاح الثامن) (١٢)
انا هو ضوء العالم ليس ضوءا الى الجليل ولا الى فلسطين ولا الى بلاد اليهودية ولكن
اليهود لوا له (١٣) انت تشهد لنفسك فشهادتك ليست هى صادقة فترحا
لغباوتهم قد ارسلهم فى اعلا كلامه واسفله الى الكتب وهم يقولون انت تشهد

لنفسك وما الذى تشهد به قال انا ضوء العالم فهل ما قاله عظيم مع انه بالحقيقة عظيم الا انه ما اغاظهم كثيرا لانه ما ساوى الآن ذاته بابيه ولا ذكر انه ابنه ولا قال انه اله لكنه قال الآن انه ضوء فارادوا ان يعكسوا قوله هذا على انه قوله هذا اعظم كثيرا من قوله من يتبعنى ليس يسلك فى الظلام وانما يقول ضوأ وظلاما بمعنى معقول وهو ان من يتبعنى ليس يثبت فى ضلالة وههنا يستجذب نيقوديمس ويقتاده اليه من طريق انه مجاهر مجاهرة شديدة ويمدح الغلمان الذين أرسلوا اليه اذ جاهروا هذه المجاهرة لان صياحه انما هو صياح مريد ان يبدع هذه المجاهرة حتى يسمع أولئك ويعتمدهم مع ذلك اعتمادا خفيا اذ شكوا عبيدهم فى الخفية فى ظلامهم وفى خدعهم الا انهم لم يقهروا ضوءه ويذكر نيقوديمس بتلك الالفاظ التى ذكرها له فيما سلف وهى ان كل عامل اعمالا ردية من شأنه ان يمقت النفس وليس يجيء الى النور لكيلا تستبين أعماله (يوحنا ص ٣ ع ٢٠) لانهم لما قالوا ان ولا واحد من رؤسائنا آمن به لهذا السبب قال ان من يعمل اعمالا ردية ليس يجيء الى الضوء موضحا ان ليس من ضعف النور ما يحبون الله لكن أولئك من عزمهم الملتوى ليس يجيئون اليه (١٤) فاجابوه وقالوا له أنت تشهد لنفسك فقال هو أنا وان كنت أشهد لنفسى فشهادتى صادقة هى لاننى أعرف من اين جئت والى اين أنطلق وانتم فما قد عرفتم من اين جئت فهذا المعنى قد قدمت ذكره ان هؤلاء قدموا هذا القول كما أصدر واما قالوه سالفا الا ان المسيح عكس قولهم هذا وبين انه قد قال تلك الاقوال كانها طعن عليهم وعلى توهمهم اذ توهموه انسانا ساذجا فقال وان أشهد أنا لنفسى فشهادتى صادقة هى لاننى اعرف من اين جئت فان سألت ما معنى قوله هذا اجبتك انه قال اننى من الله وانا اله وابن الله والاله فهو شاهد لذاته موهل لتصديقه وأنتم فما قد عرفتموه فانتم مريدون (زعم) العزم الشرير واذ قد عرفتمونى تتعللون لانكم ما تعرفونى وتتكلمون كل ما تقولونه من تمييز انسانى مريدين ان لا تفهموا شيأ اكثر من

الشئ

الشيء الظاهر (١٥) انتم قد حكمتم على جهة اللحم كانكم تعيشون معاشا دريا على حذو عيشة اللحم وعلى هذا المعنى معنى قوله تحكمون على جهة اللحم اى تحكمون حكما رديا ظالما وأنا فلست أدين أحدا (١٦) وان أحكم فحكمي عادل هو فالذي يقوله معناه هذا هو قد حكمتم حكما ظالما فان قلت فان كانت حكم حكما جائزا فلم لا تشكونا ولم لا تعذبنا ولم لا توجب الحكم علينا أجبتكم لانى ماجئت لهذا الغرض لان هذا هو معنى لست احكم ولا على واحد منكم وان احكم انا فحكمي عادل وهو صادق والا فلو شئت ان احكم فانتم تكونون من المحكوم عليهم وهذه الاقوال اقولها ليس حاكما عليكم وليس لهذا الغرض قلت لست اقولها حاكما عليكم كانى لست دائنا بقضاى لانى لو حكمت عليكم لقتلتكم لانى لو حكمت لحكمت عليكم حكما عادلا لكن الان ليس هو وقت قضاء وقد وصف المعنى فى القضاء المستأنف وصفا غامضا بقوله لست أنا وحدى لكنني أنا وأبى الذى أرسلنى فقد ذكرههنا ذكرا خفيا انه ليس هو وحده يمضى القضاء عليهم لكن أبوه أيضا معه يوجب الحكم عليهم ثم سطر هذا القول وساق الكلام الى شهادتين (١٧) وقد كتب فى شريعتكم ان شهادة انسانين صادقة هى قاطبة بقوله ههنا أصحاب بدع هواهم فى دنئانا فهمنا ماقيل على هذه الجهة فهما على بسيط ذاته فالذى يتلك أكثر من الناس لان هذا المعنى حد هذا لحد على الناس اذ ليس يوجد واحد منهم على انفراده مؤهلا لتصديقه فان حد هذا على الله فكيف يحوى احتجاجا والا فكيف قيل اذا شهادة اثنين هل لانهما اثنان أواذهما انسانان لهذا السبب قيل اثنان فان كان لانهما اثنان فلم ما لجاه الى يوحنا ولم ماقال أنا أشهد لنفسى و يوحنا يشهد لى ولما مالجاء الى ملاك ولما مالجأ الى الانبياء لانه قد كان وجد شهادات أخرى جزيلا عددها الا انه ماان يبين لهذا وحده ان شهادة اثنين صادقة هى لكنه يشاء ان يبين انهما من جوهر واحد بعينه (١٩) فقالوا له من هو أبوك فقال

ماقد عرفتموني ولا قد عرفتم أبي لانهم لما عرفوا وقالوا كلهم ماعرفوا وقالوا
قوال مختبرين اياهم فأهلهم لجواب ولهذا الغرض يقول فيما بعد كل ما
يقول أفصح قولا سيما الشهادة بمجاهرة كثيرة للاقوال التابعة من آياته
ومن تعليمه عند وجود صلبه قريبا لانه قال قد عرفت من اين جئت فهذا القول
ما الذعهم كثيرا والقول الذي استثنى به والموضع الذي أذهب أنا اليه ماتمكنكم
ان تجيؤا اليه أراعهم كثيرا من طريق انه ما استأنف ان يبقى في الموت فان قلت فلم
ماقال انني اله لكنه قال قد عرفت من اين جئت أجبتك انه يخلط دايما
ألفاظه الذليلة باقواله العالية ويحجب هذه بتلك لانه اذا قال انني انا اشهد
لنفسي وبين ذلك افضى الى قول اذل منه كانه قال قد عرفت من ارسلني والى
من انطلق لانهم على هذه الجهة ماحازوا قولا يقولونه جوابا لما سمعوا ان الاب
ارسله واليه ينطلق لانهم ماقالوا انه قد قال كذبا انه من هنالك جاء والى هنالك
ينطلق الى عند ابيه الصادق فقال انتم ماقد عرفتم الله ولهذا السبب حكمتم
على نحو اللحم لان الذين قد سمعوا دلائل وتوبيخات جزيلا تقدير ها يقولون
أيضا ليس هو صادقا قد احتسبتم موسى موهلا للتصديق فيما قاله في
وصف آخرين وفيما قاله في وصف ذاته وما احتسبتم المسيح موهلا للتصديق أيضا
وهذا هو القضاء على نحو حكم اللحم فانا لست أحكم ولا على واحد منكم
واعمري انه قد قال ان أبي ليس يحكم ولا على واحد (يوحناص ٥ ع ٢٢)
فكيف قد قال ههنا وان حكمت فحكمي عادل هو انني لست وحدي فاقول
انه يتكلم أيضا نحو ظن أولئك ومعنى ذلك هو ان قضائي هو قضاء أبي لان أبي اذا
حكم فليس يحكم على نحو آخر الا على نحو ما أحكم أنا واذا حكمت أنا فلست
أحكم على نحو آخر الا على نحو مايحكم أبي فان سألت فلم ذكر انه ليس وحده
أجبتك لانهم ماظنوا ان الابن يوجد موهلا للتصديق لولا انه استصحب شهادة
أبيه والمعنى آخر انه ما ثبت ماقيل وحده لان الناس اذا شهد منهم اثنان على

فعل

فعل غريب منهما اوجد شهادتهما صادقة لان هذا هو معناه اذا شهد اثنان فان استأنف واحد ان يشهد لنفسه فليس هو أيضا اثنين أرأيت انه قال هذا القول ليس لاجل غرض آخر الا لكى يوضح ذاته ان جوهره جوهر أبيه و يبين بذاته انه ليس محتاجا الى شهادة من جهة أخرى و يوضح انه ليس يحوى شيأ أدنى من أبيه وأبصر تأمره اذ قال أنا هو الشاهد لنفسى و يشهد لى أبى الذى أرسلنى فلو كان من جوهر أدنى لما كان وضع هذا القول ثم لكيلا تظن الآن انه يستصحب لفظ الاثنين بسبب العدد انظر الى سلطانه ليس يحوى صنفا متخالفا فقد يشهد انسان اذا كان مؤهلا للتصديق فى ذاته ليس اذا احتاج الى شهادة غيره له و يكون له فى شهادته فى شئ غريب منه واذا احتاج فى شئ يخصه الى شهادة غيره ليس هو مؤهلا للتصديق وههنا فى كل ما قيل هو بخلاف ذلك لانه شاهد فى معنى يناسبه و يشهد له غيره وقد ذكر عن ذاته انه مؤهل للتصديق موضحا من سائر الجهات تأمره وسلطانه لان لاى غرض لما قال است وحدى لكننى أنا والاب مرسلى وشهادة انسانين صادقة هى ما سكت لكنه اشتثنى بقوله أنا هو الشاهد لنفسى فمن البين انه قال هذا موضحا تأمره وسلطانه و فى الاول وضع ذاته اذ قال أنا هو الذى أشهد لنفسى فاراهم ههنا معادلته أباه وانهم ما يستفيدون نفعا من قولهم انهم يعرفون الله أباه ولم يعرفوه هو وقال ان ثبوتهم على ان لا يريدوا ان يعرفوه هو يوجد علة ذلك فيقول ان ليس ممكنا ان يعرفوه خلوا من أبيه لكى ولو على هذه الطريقة يستجذبهم الى معرفته لانهم اذا أهملوه والتمسوا دائما ان يعرفوا أباه قال ما يمكنكم ان تعرفوا أبى خلوا منى فان هذه الجهة الذين يجدفون على الابن فليس يجدفون عليه وحده لكنهم يجدفون مع ذلك على والده أيضا

العظة الثانية والخمسون

في ان المسيحى يحتاج ان يملك عيشة مكينة فى الفضيلة

فينبغى لنا نحن ان نهرب من هذه العزائم ونمجد الابن على انه لولا انه كان من
طبيعة أبيه بعينها لما كان قال هذا القول لانه لو كان علم فقط وكانت طبيعته
طبيعة أخرى لكان ممكنا ان يجهل انه يعرف أباه وما كان هو أيضا عارفا على
كل حال انه يعرف أباه لان من ليس يعرف انسانا فقد عرف ملاكا فان قلت نعم
لان من قد عرف الخليقة فقد عرف الهها فاقول لك انه ولا بجهة من الجهات قد
عرفه لانه يوجد كثيرون يعرفون الخليقة وأليق ما يقال ان الناس كلهم قد عرفوا
الخليقة وأليق ما يقال انهم يبصرونها وما يعرفون الهها فلنمجدن اذا ابن الله
ليس بهذا التمجيد الكائن بالكلام فقط بل بالتمجيد الكائن باعمالنا
لان التمجيد الصائر بالكلام ليس هو شيئا اذا كان خلوا من ذلك الكائن
بالاعمال فقد قال الرسول ها أنت تسمى يهوديا وتستريح على الشريعة وتفاخر
بالله فيا من تعلم غيرك أما تعلم نفسك ويا مفاخرا بالشريعة أتهين الله بتجاوزك
شريعته فانظر ان لا نكون نحن مفاخرين بتقويم امانتنا فنهين الله باننا ما نرى
عيشتنا ملائمة لامانتنا ونجعله يفترى عليه لان المسيحى يراد منه ان يوجد معلما
للمسكونة وخميرتها وضوؤها وملحها فان سألت وما هو الضوء ومعناه ههنا أجبتك
هو عيشة لامعة لن تحوى صنفا مظلما والضوء ليس نافعا لذاته ولا الملح لينفع ذاته
ولا الخمير لكن هذه الاصناف تستبين نافعة لغيرها فعلى هذه الجهة لسنا نطالب
بان ننفع ذواتنا فقط لكن نطالب بان نوصل المنفعة الى آخرين غيرنا لان الملح
اذا لم يملح فليس هو ملحا ويستبين صنفا آخر لاننا اذا احكمنا نحن الصلاح سيكون
على كل حال أناس آخرون يحكمون أيضا وما دمنا نحن ما نحكمه فما نقدر ان
ننفع آخرين فلا يكونن عندنا فعل مايق ولا رخو لان أشياء الدنيا هذه الخاصة
خاصتها وهموم الدنيا هذه السمجة سمجتها لهذا السبب دعيت العذارى مائقات
لانهن اشتغلن فى أشغال الدنيا المائقة وجمعن ههنا حيث وجب ان لا يخزن
شيئا فخيفة عظيمة ان يصيبنا مصابهن بعينه وخوف جزيل ان ننطلق نحن

لا يسين ثيابا وسخة الى المكان الذى يشتمل كل الذين فيه ثيابا نيرة ظاهر أحسنها
لان ليس يكون شئ أوسخ من الخطية ولا أنجس منها ولهذا السبب اذ ترجم النبى
طبيعتها هتف ان جراحاتى قد نتنت وتعفنت وان شئت ان تعرف نتانة الخطية
فتفطن فيها بعد كونها اذا تخلصت من شهوتها اذا لم تلذعك أيضا نارها فتبصر
حينئذ ماهى الخطية تفطن فى الغضب اذا كنت فى هدوء ومنه تفطن فى استكثار
القنية اذا صرت خارج سقمه لان ليس فعل أقبح ولا أدنس من الخطف
والاستغنام هذه الاقوال ينبغى ان نذكرها لكم ذكرا متصلا ليس مريدين
ان نؤذيكم لكن موثرين ان تستفيدوا فائدة عظيمة عجيبة لان من لم يحكم
الصلاح من استماعه دفعة واحدة لعله يحكمه من استماعه مرة ثانية ومن
تغافل دفعة ثانية يتلافى توانيه اذا استمع دفعة ثالثة فليكن لنا كلنا ان نتخلص
من الافعال الخبيثة كلها وان نمتلك طيب المسيح لان له المجد مع أبيه والروح
القدس الآن ودائما والى آباد الدهور آمين

المقالة الثالثة والخمسون

فى قوله (٢٠) هذه الالفاظ قالها يسوع فى خزانة الهيكل اذ علم فى الهيكل وما ضبطه ضابط لان وقته ما كان بعد قد حان

ترحال غباوة اليهود قد طلبوه قبل فصحهم ثم تسلموه فيما بينهم ودفعات كثيرة قد
ارتادوا ان يقبضوا عليه بذواتهم وبآخرين غيرهم وما أمكنهم ذلك ولا ذهلوا
على هذه الجهة من قدرته لكنهم جمحوا الى رذيلتهم وما انتزحوا عنها والدليل

على انهم دائما قدارتادوا ان يقبضوا عليه فقد أوضحه البشير وقال هذه
الالفاظ قالها يسوع فى خزانة الهيكل لما علم فى الهيكل وماضبطه ضابط
فخاطبهم فى الهيكل وفى ترتيب معلم وقد كان فى ذلك كفاية ان ينهضهم أكثر
من كل شئ وخاطبهم فى هذه الاقوال التى بها مضهم واشتكره انه يصبر ذاته
هد يلا لا بيه لان قوله شهادة انسانين صادقة هى يبين هذا المعنى الا انه مع ذلك
قد خاطبهم بهذه الالفاظ فى الهيكل (زعم) وفى ترتيب معلم وماضبطه ضابط
لان وقته ما كان بعد قد حضر معنى ذلك هو انه ما كان بعد قد حان وقت ملائم
يشاء ان يصاب فيه فمن هذه الجهة كان صلبه حينئذ ليس فعلا لقوة أولئك
لكن كان فعلا لسياسته لانهم هم قد أرادوا ذلك قديما الا انهم ما قدروا ولا
اقتدروا حينئذ على ذلك لو لم يطلق هو ذلك (٢١) فقال لهم أيضا يسوع
أنا أذهب وستطلبونى فان قلت وما غرضه فى ان يقول هذه الاقوال متصلا
أجبتك مزعزا بقوله نفوسهم ومريهما الان أبصر مقدار الخوف الذى حصله
هذا القول فيهم لانهم أرادوا ان يقتلوه ليستريحوا منه فالتمسوا ان
يعرفوا الى أين يذهب فعلى هذه الجهة تخيلوا من قوله هذا اوهاما عظيمة وشاء
ان يعرفهم معنى آخر ان صلبه ليس هو من اقتسار اولئك لان من فوق تقدم
رسمه و بهذه الاقوال تقدم فقال انبعاثه (٢٢) فقالوا اهل يقتل نفسه فقال هو
مزيلا توهمهم وموضحا ان فعلهم خطية هو (٢٣) انتم من الذين اسفل انتم
فالذى يقوله هذا هو معناه ليس مستعجبا ان تخطر هذه الاوهام وامثالها الاناس
لحميين ليسوا مفتكرين افتكارا روحانيا ولكننى انا لست اعمل عملا هذه صفته
لاننى من فوق انا انتم من هذا العالم انتم فقد ذكر ههنا أيضا الافكار والاوهام
العالمية اللحمية فمن هذه الجهة استبان ان قوله لست انا من هذا العالم ليس
هو انه لم يأخذ لحما لكنه دال على انه منتزح من خبث اولئك لانه قد قال ان

تلاميذى ليسوا من العالم الان اولئك مع هذا قد امتلكوا اجساما اذ قال بولس استم فى لحم (روميه ص ٨ ع ٩) ما قال انهم خالون من اجسام فكذلك اذ قال ربنا ان تلاميذه ليسوا من العالم ليس يقول قولا آخر الا انه يشهد لهم بالفلسفه (٢٤) قد قلت لكم ان لم تصدقوا انى انا هو ستموتون بخطاياكم لانه ان كان لهذا الغرض جاء ليحمل خطية العالم وليس يمكن انتزاعها على نحو آخر الا بالحميم المعمودية (تأمل قوله وليس يمكن انتزاعها الخ) فمن لازم الضرورة ان ينصرف من هذه الدنيا من لم يؤمن به مشتملا الانسان القديم لان من ليس يشاء ان يميت ذاته بالايمان بربنا او يدفنها فانه عند موته بذاته وذهابه الى هناك سيقاسى عقوبات خطاياه الاولى ولهذا المعنى قال ومن لم يؤمن فقد اوجب الحكم عليه فيما سلف (يوحنا ص ٣ ع ١٨) اذ ينصرف من ههنا ليس مطالبا بانه لم يؤمن فقط لكنه سينطالب وبخطاياه الاولى (٢٥) فقالوا له انت من انت فتبالغباوتهم بعد زمان هذا مقداره وبعد آياته وتعليمه استخبروه انت من انت ماذا قال لهم المسيح قال لهم انى اقول لكم ايضا ما قلته فى ابتداء خطابى فالذى يقوله معناه هذا هو أنتم قد عدمتم ان تكونوا مؤهلين لاستماع الاقوال المقولة منى ليس لان ما تعرفوا من هو أنا فقط لانكم انتم تتكلمون كل ما تقولونه مختبرين اياى وما تصغون الى قول من الاقوال البادية منى فقد كان يمكننى الآن ان أوبخ عزائمكم هذه كلها الان هذا هو معنى قوله انى أقول لكم أيضا ما قلته فى ابتداء خطابى (٢٦) قد يتجه لى أقوال كثيرة أقولها وأحكم عليكم بها ولا أوبخكم فقط بل أعاقبكم الان مرسلى الذى هو أبى مايريد هذه الارادة لانى ماجئت أحكم على العالم لكننى جئت أخلص العالم لان الله ما أرسل ابنه ليحكم على العالم لكنه أرسله ليخلص العالم (يوحنا ص ٣ ع ١٧) فان كان لهذا الغرض أرسلنى وهو غرض صالح صادق فعلى جهة الواجب لست أحكم الآن ولا على أحد

الناس لكنني أخاطبكم بهذه الاقوال التي تؤدي الى الخلاص لا التي توصل الى
توبيخكم و يقول هذه الاقوال لئلا يظنوا انه اذا سمع هذه الاقوال الجزيل
تقديرها فمن ضعفه لم يبالغ في توبيخهم وتقريعهم أو يتوهموا انه ماقد عرف
أوهام سريرتهم ومغاوي هزئهم (٢٧) وما عرفوا انه يذكر أباه فترحا لغباوتهم
هو ما أنفك مخاطبا اياهم في ذكر أبيه وما عرفوا ذلك ثم اذ كان قد اجترح آيات
كثيرة وعلمهم كثيرا وما اجتذبهم اليه فهو اذا يخاطبهم الآن في ذكر صليبه قائلا
(٢٨) اذا رفعتم ابن الانسان ستعرفون حينئذ انني أنا هو ولست أتكلم من
ذاتي (٢٩) وان مرسلي هو معي وما قد تركني ابي وحدي فيبين انه على جهة
الواجب قال انني اقول لكم ما قلته في ابتداء خطابي ايضا فعلى هذه الجهة ما
اصغوا الى ما قيل لهم قال اذا رفعتم ابن الانسان الستم انتم توقعتم حينئذ اكثر من
كل فائدة ان تستريحوا مني وان تقتلوني وانا اقول لكم انكم حينئذ تعرفون
ابين معرفة انني انا هو بسبب آياتي وانبعاثي وفتح مدينتكم واشتمال الاسر
عليكم لان هذه العوارض كلها فيها كفاية ان تبين قدرته وما قال حينئذ
تعرفون من انا لانه قال اذا رأيتم انني لم يعرض لي من الموت ضرر ستعرفون
حينئذ انني انا هو المسيح ابن الله الحامل البرايا كلها وسائقها ولست مضاد الله
فلهذا المعنى استثنى بقوله ومن ذاتي لست اتكلم ولا بلفظ واحد فتعرفون
حينئذ الصنفين كليهما القدرة التي لي والفتى مع ابي لان لفظة ومن ذاتي لست
اتكلم ولا لفظا واحدا تدل على خاصة جوهره الفاقد التخالف و يبين انه ليس
يتكلم لفظا خارجا عن هواجس فهم ابيه فزعم اذا خربتم من ديانتكم اذلا
يسمح ان تخدموا ابي على رسمكم قبل ذلك حينئذ تعرفون انه يعمل بكم هذه
الاعمال منتصرا لي مغتاظا على الذين ما سمعوا قولي كأنه قال لو كنت انا معاندا
لله مغترباً منه لما كان سيرعليكم سخطا هذا المبلغ كثرته وهذا الانتقام قد
ذكره اشعيا وقال ساعطي الخبثاء بدلا من دفنه (اشعيا ص ٥٣ ع ٩) وداود

قد

قد قال حينئذ يكلمهم في سخطه (مزمور ٥ ع ٢) وقد قال هوها بيتكم
يهمل مقفرا (متى ص ٢٣ ع ٣٨) وامثاله تدل على هذا المعنى بعينه ما
الذي يعمل صاحب ذلك الكرم باولئك الفلاحين لانهم أشرار ليهلكهم اشر
هلاكا أرأيت انه انما يقول هذا القول في كل مكان بسبب انهم ما صدقوه
بعد فان قلت فان كان هو يهلكهم كما انه أهلكهم لانه قال جيبوا الى ههنا الذين
ما ارادوني أملك عليهم واذبحوهم (متى ص ٢١ ع ٤٠) فلم ما قال
ان الحادث عليهم عمل له لكنه قال عمل ابيه أجيبك انما تكلم بذلك نحو ضعفهم
ومكرما مع ذلك والده ولهذا المعنى ما قال لاترك بيتكم مقفرا لكنه قال
سيترك لانه وضع هذا الفعل خاليا من وجه ينسب اليه وبقوله كم دفعة أردت
ان أجمع أولادكم وما شئتم ثم استثنى بقوله ان بيتكم سيترك مقفرا بين انه هو
يبدع اقفار بيتهم كانه قال اذ قد أحسن اليكم وأنعم عليكم وما شئتم ان تعرفوني
اذا صوقبتم ستعرفون من أنا وان أبي معي لانهم اشكيلا يظنوا قوله مرسلي
يوجد نقصاله قال هو معي لان لفظة مرسلي مناسبة لتدبيره ولفظة هو معي
مناسبة للاهوته وما تركني وحدي لانني أنا أعمل كل حين الاعمال
المرضية له فقد حط كلامه أيضا الى اذل اللفظ اذ ناصب ذلك القول
مناصبة متصلة الذي قالوه انه ليس هو ابن الله وانه ليس يحفظ السبت فنحو
هذا القول قال انني أنا أعمل كل حين الاعمال المرضية له موضحا ان حله السبت
مرضي لابيه وقد قال هذا القول عند صليبه أتظنون انني لست أقدر ان اسأل أبي
على انه انما تكلم فقط وقال من تطلبون ألقاهم طريحين على ظهورهم فلو
قلت يا سيدي فما رأيك في انك ما تقول اتظنون انني لست أقدر ان أجتاحكم
اذ قد أريت هذا الاقتدار بالفعل لاجاب انما قلت هذا متحدرا مع ضعفهم
لانه قد اجتهد اجتهادا كثيرا حتى يبين انه ليس يعمل عملا ضد الابيه فعلى هذه
الجهة يتكلم ههنا كلاما أوفر تواضعا فكما قال ما قد تركني وحدي فكذلك
قال انني أعمل كل حين الاعمال المرضية له (٣٠) فاذ تكلم هذه الاقوال

آمن به أناس كثيرون لما أحدر كلامه الى اللفظ الذليل حينئذ آمن به كثيرون
أو تسأل أيضا لم يتكلم كلاما ذليلا على ان البشير قد ذكر هذا المعنى ذكرا واضحا
بما أضمره فى قوله انه لما تكلم هذه الاقول آمن به كثيرون فقارب ان يكون
قد قال ها تفا يا سامعى لا ترتجف باقوالى هذه اذا سمعت لفظا ذليلا فان الذين
بعد تعليم جزيل تقديره ما يقنوا بعد انه من الاب الازلى هو سمعوا على جهة
الواجب ألفاظا ذليلة لكى يتيقنوا ويصدقوا وهذا القول هو اعتذار عن الاقوال
التى تستأنف ان يقولها بلفظ ذليل ولعمرى أنهم آمنوا به ولكن ليس على
ما يجب لكنهم آمنوا على بسيط ذات الايمان وعلى ما اتفق لما استلذوا تلذذا
باقواله واستراحوا اليها الان الدليل على انهم ما حازوا ايمانا به تاما قد أوضحه
البشير من أقوالهم فيما بعد التى بها شتموه أيضا وبين ان هؤلاء هم أولئك بقوله
(٣١) ان يسوع قال لليهود الذين آمنوا به ان ثبتم أنتم فى القول الذى لى موضحا
بذلك انهم ما قتبلوا تعليمه بعد لكنهم انما أصغوا فقط الى ما قاله فلذلك قال
لهم قولا الدع من غيره لانه قال هنالك على بسيط ذات القول تطلبوننى يوحنا
(ص ٧ ع ٣٤) والان قد زادهم قولا أعظم مضضا انكم ستموتون فى
خطاياكم (يوحنا ص ٨ ع ٢١) وبين كيف ذلك انكم ما تقتدرون
ان تجيئوا هنالك مستغنين بى هذه الاقوال التى أقولها فى العالم فبهذه الاقوال
أوضح انه خارج فيما بعد الى الامم واذا ما عرفوا بعد ذلك انه قد ذكر لهم أباه
فيما سلف يخاطبهم الان فى ذكره أيضا وقد وضع البشير علة تذلل ألفاظه

العظة الثالثة والخمسون

فى انه يجب علينا ان نتفرغ للكنيسة ولقراءة الكتب فعلى هذه الجهة -
يقتدر الخاطئ ان يقبل الى ما هو أفضل

فان شئنا نتصفح الكتب على هذا الحال بابلغ أستقصاء ولا نقرأها على بسيط
ذات

ذات قراءتها فيمكنا الوصول الى خلاصنا وان ثابرنا هاكل حين فسنعرف
تقوّم آراء ديننا وعيشة بليغا تهذبها ولو كنت قاسيا جدا عاصيا مسترخيا ولو كنت
لم تربح في الاوقات الاخرى ربحا فستثمر هذا الوقت وتستفيد منفعة من
المنافع وان كانت ليست تبلغ في تقديرها الى مثال المنفعة التي يستمدها من
يتملك حس الكتب مع ذلك تستفيد نفعا ان يكن احدنا عند اجتيازه بعطار
وجلوسه عنده كاين العطارين يتعطر كارها من الطيب فاولى به واليق ان
يتعطر اذا مضى الى كنيسة الله من عطرية الاقوال الالاهية وكما ان البطالة يتولد
منها بطالة فكذلك يتولد من العمل النشاط ولو كنت ممتلئا من اعمال ردية
جزيل عددها ولو كنت نجسا فلا تهرب من المقام ههنا فان قلت وما فائدتي انني
أسمع ولست أعمل أقول لك ان فائدتك ليست يسيرة اذ تحتسب ذاتك شقيا وهذا
الخوف ليس خاليا من منفعة وهذا الارتياع ليس مساويا وقته اذا تحسرت فقط
لانك تسمع وما تعمل سيفضي في وقت من الاوقات الى ان تعمل على كل حال
لان من يخاطب الله ويسمعه مخاطبا اياه ليس يحصل أن يربح ربحا الا اننا نتورع
ونغسل أيدينا اذا شئنا ان نمسك مصحفا أرأيت كم تورعا قبل القراءة يشملنا فاذا
تصفحناه بمبالغة فسوف نستثمر المنفعة الكثيرة لان لو لم تحصل نفسنا في تورع
وتحوب لما كنا غسلنا أيدينا وان كانت المرأة حاسرة حينئذ من قناعها
تتوشح في الحين بوشاحها موضحة بيان تورعها الباطن والرجل ان كان مشتملا
عمامته يعري حينئذ هامته أرأيت كيف الشكل الظاهر يكون تدبرا بالورع
بالباطن ثم جلست للاستماع ربما تحسرت وذممت عيشتك الحاضرة فسبيلنا
يا اخوتي وأحبتي ان نصغي الى الكتب وان لم نصغ الى كتاب آخر فلتكن
الاناجيل محروسة عندنا على استماعها ونحتضنها بايدينا فاننا حينما نفتح أحدها
نجد اسم المسيح ونبصره راتبا في المصحف ونسمع البشير في الحين قائلا كان مولد
المسيح على هذه الجهة لما خطبت مريم أمه ليوسف وجدت حاوية في بطنها

من الروح القدس ومن يسمع يشتهي في الحين البتولية و يستعجب مولد ربنا
و يتخلص من الارض و يباينها وهذه ليست هي صغارا اذا رأيت البتول مؤهلة
للروح والملاك يخاطبها وهذه الفوائد تنالها من القراءة في اعلا المصحف فان
لبثت تتبع الماضي فيه بالتالي الى آخره سترفض في الحين أملاك الدنيا
كلها وتقهقه على الاحوال التي ههنا بامرها فان كنت موسرا فما تحتسب ايسارك
شيأ اذا سمعت ان تلك السعيدة كانت مخطوبة لنجار وفي بيت ذليل فصارت اما
لسيدك وان كنت فقيرا فما تستخزي من فقرك اذا عرفت ان مبدع الدنيا
ما استخزى في بيت حقير ولا خجل فهذه الافعال اذا تفهمتها فما تختطف ما ليس
لك ولا تستكثر من القنيات ولا تستلب ما يوجد لرفقتك لكنك تكون
عاشقا للفقراء أكثر من الغني وتعرض عن الثروة واليسر واذا صار هذا العزم
عزمك ستنفي عنك الافعال الردية كلها واذا رأيت ربنا أيضا طريحا في مذود
فما تجتهد ان تضع على ابنك زينة ذهبية ولا تعمل لامرأتك سريرا مصفحا
بفضة هذه المحامد اذا اجتهدت فيها فما تخترع صنوفا من الاستغناء والخطف
و يتجه لك ان تستفيد فوائد أخرى كثيرة ليس يتجه لنا الآن ان نصفها صنفا
صنفا و يعرفها الذين قد حصلت لهم خبرة بها فلذلك أسألكم ان تستقنوا
مصاحف وان تضبطوا مع المصاحف معانيها وتكتبوها في قرائحكم لان اليهود
اذا ما أصغوا الى المعاني أومروا ان يعلقوا الكتب في أيديهم ونحن فما سبيلنا
ان نضعها في أيدينا ولا في منازلنا لكننا نحتاج ان نرسمها في قلبنا الا اننا على هذه
الجهة نطهر معيشتنا الحاضرة و يتفق لنا امتلاء النعم الصالحة المستأنفة
التي فليتفق لنا كلنا امتلاكها بنعمة ربنا يسوع المسيح
وتعطفه الذي به ومعه لابيه المجد مع الروح القدس
الان ودائما والى أباد الدهور كلها أمين

المقالة

المقالة الرابعة والخمسون

في قوله (٣١) فقال يسوع لليهود الذين آمنوا به ان ثبتم أنتم في كلامي فانتم بالحقيقة تلاميذي ٣٢ وتعرفون الحق والحق يعتقكم الحق

ان افعالنا يا أحبائي تحتاج الى صبر كثير والصبر يتكون اذا أرست آراء الذين
أصولها في أعماق نفوسنا وكما ان شجرة البلوط اذا نفذت أصولها الى حضون
الارض أسفل وتكاثفت أغصانها تكاثفا بليغا ليس يقتدر ان يقتلعها ريح
من الرياح أو يصدمها فكذلك نفسنا المثمرة بخوف الله ليس يقتدر أحد الناس
ان يقلبها ويحيلها الان التثمر هو أكثر من ارساء العروق في الارض وهذا التثمر
فقد ابتهل النبي فيه اذ قال سمر لحماني في خوفك (مزمور ١١٨ ع ١٢٠)
فعلى هذا الحال والمثال سمر أنت قلبك بخوف الله كأنك تسمره بمسمار يمكن فيه
ويضعه وكما ان هؤلاء المسمرين بخوف الله يصعب اقتناصهم فكذلك اضدادهم
يتيسر اصطيادهم ويسهل انقباضهم وهذا العارض قد عرض لليهود حينئذ
سمعوا وآمنوا وانقلب رأيهم أيضا وزاغوا فاذا شاء المسيح ان يغيص ايمانهم
الى القعر حتى لا يوجد ظاهر الاصول فوق الارض حفر نفسهم بأقوال الذع من
غيرها الان الذين آمنوا كان يجب ان يوبخوا فيحتملوا فان سألت فالذين قد
اصطيدوا في الحين كيف يعمل بهم هذا العمل أجيبك وصاهم أولا ان ثبتم أنتم
في كلامي فانتم بالحقيقة تلاميذي والحق يعتقكم فقارب ان يكون قد قال لهم
أنا معتزم ان أضبطكم ضبطا عميقا لكي لا تتزعزعوا وأولى ما يقال انه يقع في أقواله

هذه صلف سريرتهم فان سألت قل لى فاذا يعتقهم أجبتك من خطاياهم واسمع ما قال له أولئك المتعظمون (٣٣) نحن نسل ابرهيم وما تعبدنا فى وقت من الاوقات لاحد الناس فقد انهبط فى الحين تمييزهم وهذا المصاب صابهم من التهافهم الى حظوظ الدنيا قال لهم ان ثبتم فى كلامى فكان قوله قول موضح ما فى قلبهم عارف انهم قد آمنوا الا انهم ما ثبتوا موعدا أولئك الذين يصيرون تلاميذه وعدا عظيما لان أقواما من تلاميذه اذا انصرفوا عنه سالفا اعتمدهم اعتمادا خفيا فقال ان ثبتم اذ كان أولئك قد سمعوا وآمنوا وانصرفوا اذ لم يثبتوا الان كثيرين من تلاميذه ذهبوا الى ورائهم وما مشوا معه أيضا بصاهرة (يوحناص ٦ ع ٦٦) قال وتعرفون الحق الذى انا هو لانى أنا هو الحق لان الفرائض اليهودية كلها انما كانت رسما وانما تعرفون الحق منى ويعتقكم من خطاياكم فكذلك قال لهؤلاء يعتقكم الحق وما قال استخلصكم من العبودية لكنه فوض اليهم ان يعرفوا هذا المعنى الان أولئك قالوا نسل ابرهيم نحن وما تعبدنا فى وقت من أوقاتنا لاحد الناس على انه كان واجبا ان يغتاظوا من قوله الاول وهو تعرفون الحق وان يقولوا فما رأيك الان لسنا نعرف الحق فهل شريعتنا ومعرفتنا كذب الا أنهم ما هموا ولا صنف من هذه الاقوال لكنهم توجعوا لاحوال الدنيا وتوهموا ان هذه الاحوال عبودية لان قد يوجد الان اناس كثيرون يخجلون من هذه العبودية وما يخجلون من استملاك الخطية اياهم ويختارون ان يدعوا دفعات كثير عددها عبيد الخطية وذلك عندهم أفضل من ان يدعوا دفعة واحدة عبيد الانسان يشتمهم فأولئك اليهود هذه السجية سجيتهم فما عرفوا عبودية أخرى وقالوا اتسمى الذين من جنس ابرهيم عبيدا وهم الشريف جنسهم الذين ليس واجبا لهذا الحسب ان تدعوهم عبيدا لاننا ما تعبدنا فى وقت من أوقاتنا لاحد الناس لان مفاخر اليهود هذه صفتها نحن نسل ابرهيم واسرائيليون نحن فما يذكرون بجهة من الجهات محامدا قد

احكموها

أحكموها ولهذا المعنى قد هتف يوحنا اليهم قائلا لا ترتأوا ان تقولوا اننا نمتلك ابرهيم أباً لنا (ص ٣ ع ٩) فان قلت فلم ماوبخهم المسيح لان فى أوقات كثيرة قد استعبدوا وخدموا المصريين واهل بابل وأقواماً غير هؤلاء كثيرين أجبتك لان الاقوال التى قالها ما كانت تعتمد تفضيلا له لكنها كانت تقصد خلاصهم والاحسان اليهم وانما سارع الى هذا الغرض والا فقد كان ذكر عبوديتهم اربعمائة سنة وقد كان ذكر السبعين سنة وقد كان وصف ماجرى عليهم من العبودية فى أيام قضاتهم التى كان مداها دفعة عشرين سنة ومرة سنتين وحيناً سبع سنين وكان قد ذكرهم انهم ولا فى وقت من أوقاتهم عطلوا من الخدمة لغيرهم الا انه ماحرص ان يبين هذا انهم قد صاروا عبيداً الى أناس لكنه آثر ان يبين انهم كانوا عبيد الخطية وهذه عبودية اصعب العبوديات التى يقتدر ان يستخلصهم منها الله وحده لان الصفح عن الخطايا ليس هو لاحد غيره وهذا فقد اعترفوا هم به واذ كانوا قد اعترفوا ان هذا الصفح هو عمل الله اقتادهم الى هذا (٣٤) وقال كل من يعمل الخطية فهو عبد الخطية بريهم انه انما يخاطبهم فى ذكره هذا العتق من هذه العبودية (٣٥) والعبد ليس يبقى فى البيت والابن فسيبقى الى الدهر فهو ينقض بسكون افعالهم بالشريعة ذاكراً لهم الازمنة الاولى ذكراً خفياً لان لكيلا يبادروا فيقولوا قد حوينا الذبائح التى امرنا موسى بها فتلك الضحايا تقتدر ان تستخلصنا من خطيئتنا فلهذا السبب استثنى بهذا القول والا فاى نظام تحوي به الالفاظ التى قالها لان الناس كلهم أخطأوا وعدموا مجد الله وانما تحققوا لهم العدل بنعمته مجاناً (روميه ٣ ع ٢٣) والكهنة باعيانهم ولهذا المعنى قال بولس فى ذكر الكاهن انه يجب عليه انه يقدم قرباناً عن ذاته كما يقرب عن شعبه اذ هو يشتمله الضعف أيضاً (عبرانيين ص ٥ ع ٣) وهذا يستبين بقوله والعبد ليس يبقى فى البيت وههنا قد اوضح معادلته أباه وابان الفضل فيما بين العبد والحر

لان هذا المثال يزيد هذا المعنى الذى هو ان العبد ليس يحوى سلطانا لان هذا
هو معنى قوله ليس يبقى فى البيت فان قلت فلم ذكر بيتا اذ خاطبهم فى ذكر
خطاياهم اجيبك يريهم انه كما ان السيد فى بيته متسلط فكذلك هو متسلط
وسيد البرايا كلها وقوله ان العبد ليس يبقى هذا هو معناه انه ليس يمتلك سلطانا
ان يهب شيأ من طريق انه ليس هو سيد البيت والابن هو سيد البيت لان هذا
هو معنى قوله يبقى الى الدهر من نقل لفظ الاحوال الانسانية الى معناه حتى
لا يقولوا انت من انت قال البرايا كلها هى لى لاننى ابن انا وفى بيت ابى ابقى فقد
سمى سلطانه بيتا لانه فى مكان آخر يسمى رياسة ابيه بيتا اذ قال فى بيت ابى منازل
كثيرة موجودة (يوحنا ص ١٤ ع ٢) لان كلامه اذ هو فى ذكر حرية وعبودية
استعمل على جهة الواجب نقل اللفظ الى معناه هذا قائلا ان اولئك ما املكوا
سلطانا ان يصفحوا فقال (٣٦) ان حرركم الابن اعرفت معادلته اباه فى جوهره
وكيف قد بين انه مالك لذاته السلطان بعينه الذى لابيه فان حرركم الابن فليس
يعانده معاند لكنكم تمتلكون الحرية حقيقة لان اذا كان من يحقق العدل
لكم الها فمن يوجب الحكم عليكم فقد ابان ذاته ههنا نقيا من خطية وذكر
الحرية الواصلة الى استهاذ كرامستور الان هذه الحرية اناس يعطونها وتلك
الحرية الله وحده يعطيها وبهذا القول يحقق عندهم الا يخجلوا من هذه العبودية
بل يجب ان يستخزوا من العبودية للخطية واذ شاء ان يريهم ان يدفعهم تلك
العبودية ما كانوا عبيدا والبق ما يقال انه قد اوضح انهم قد كانوا عبيدا بقوله
تكونون احرارا بالحقيقة لان هذا هو قول موضح ان هذه الحرية ليست صادقة
ثم حتى لا يقولوا انا ما تملك خطية لان قد كان لائقا ان يقولوا هذا القول انظر
كيف خاطبهم فى هذه الجناية لانه اهمل ان يوبخ كافة عيشتهم وساق الى وسط
كلامه هذا الفعل الحاصل فى ايديهم الذى ارتادوا ان يفعلوه (٤٧) فقال قد
عرفت انكم نسل ابرهيم الا انكم تريدون قتلى فاخرجهم بسكون قليلا قليلا

من

من تلك المجانسة وعلمهم ألا يفتخروا بهذا الافتخار عظيما لانه كما ان الحرية
والعبودية هما من أعمال النفس كذلك المجانسة هي من افعال النفس وما قال في الحين لستم
من ابرهيم لان قاتلي الناس ليسوا من ابرهيم ذي العدل لكنه تجاوز ذلك
الان وقال قد عرفت انكم نسل ابرهيم لكن المطلوب ليس هو هذا و يستعمل
مخاطبته فيما بعد أوضح بيانا لانه قد انساغ له في أكثر الاوقات ان يراعي هذا
الغرض انه اذا استأنف ان يعمل عملا عظيما يستعمل المجاهرة بعد افتعاله أكثر
مثلما أطبقت أفواههم الشهادة له من أعماله الا انكم تريدون قتلي فان قال
قائل فماذا عليهم ان التمسوا ذلك على جهة الواجب نجيبه الا ان ليس هذا هو
غرضهم ولذلك وضع علة ذلك فقال لان كلامي ليس يدخل فيكم فان قلت فكيف
قال البشير انهم آمنوا به أجيبك الا انهم على ماذكرت استقلوا أيضا ولهذا السبب
لذعهم لذعا شديدا الا انكم ان فاخرتم بمناسبة ذلك الفاضل فقد وجب عليكم
ان تظهروا طريقته وما قال وما وسعتم كلامي لكنه قال لان كلامي ليس يدخل
فيكم موضحا اعتقاد آراء دينه العالي على انه ما كان واجبا ان يقتلوه لاجل هذا
لكن الاولى بهم كان ان يكرموه و يخدموه حتى يتعلموا ذلك ولو كان قال له
أحدهم وماذا يكون ان كنت تتكلم هذه الاقوال من ذاتك لاجابه انه لهذا
الغرض استثنى بقوله (٣٨) أنا ما رأيته عند أبي أتكلم به وأنتم ما سمعتموه من
أبيكم تعملونه قال كما انني من ألفاظي ومن الحق أظهر أبي وكذلك أنتم من
أفعالكم تظهرون أباكم لانني لست أمتلك عند أبي جوهره بعينه فقط لكنني
أمتلك مع ذلك حقه بعينه (٣٩) فقالوا له نحن لنا ابرهيم أبانا قال لهم يسوع
لو كنتم ابرهيم أبالكم لعملتم أعمال ابرهيم (٤٠) فالآن تريدون قتلي
فههنا يردد في ألفاظه نيتهم القاتلة ترديدا متصلا و يذكر ابرهيم و يعمل هذا
العمل مريدا ان يزيغهم عن هذه المجانسة وان ينتزع مفاخرتهم الزائدة و يحقق
عندهم ان لا يجعلوا في ذلك الفاضل آمال خلاصهم ولا في مجانستهم أياه الطبيعية

لكن فى مجانسته فى اختياره ونيته لان هذا الرأى كان الذى منعهم عن الاقتراب
الى المسيح وهو ظنهم ان تلك المجانسة فيها كفاية لهم لخلاصهم وان سألت وأيما
حق يعنى أجيبك معادلته أباه لانه لاجل هذا طلب اليهود ان يقتلوه وقال
تطلبون ان تقتلونى لانى خاطبتكم بالحق الذى سمعته من أبى فبين ان هذه
الاقوال ليست هى ضد الابيه وجلاليه أيضا (٤١) وقالوا له نحن ماولدنا
من زنا وانما لنا أبا واحدا وهو الله وأنا أخاطبهم ماذا تقولون أنتم قد ملكتم
أبا واحدا هو الله وتشكون المسيح عندما قال هذا القول أرأيت انه قال ان الله
هو أبوه قولا خاصا به لانه لما اخرجهم من مجانسة ابرهيم وما ملكوا احتجاجا
يقولونه اجترؤا على قول أعظم محلا اذ حاضر والى الله الا انه يخرجهم من هذه
الكرامة بقوله (٤٢) لو كان الله أبا كم لاحببتمونى لانى أنا من الله خرجت
وجئت وما جئت من ذاتى لكن ذلك أرسلنى (٤٣) فلم ما عرفتم كلامى
لانكم ما تقدرون ان تسمعوا قولى (٤٤) أنتم من أبيكم المحال وتريدون أن
تعملوا شهوات أبيكم ذاك منذ القديم كان هو قتال الناس وما ثبت فى الحق
واذا تكلم الكذب انما يتكلم مما هو خاص به فقد أخرجهم من مجانسة
ابرهيم ولما تجاسروا على أعظم منها حينئذ أورد الضربة عليهم اذ قال انهم
ليسوا من ابرهيم فقط لكنهم من ابليس المحال هم فاورد عليهم القطع عدلا
لوقاحتهم وما أهمله خاليا من شاهد لكنه اخترعه فى توبيخاته لانه قال ان القتل
هو من رذيلة ذلك المحال وما قال انكم تعملون أعماله على بسيط ذات القول
لكنه قال تعملون شهواته موضحا ان ذلك المحال وهؤلاء يخترعون قتلا شديدا
وان حسدهم كان علة ذلك لان المحال ما وجد ذنبا الا زما يشكوه منه لكنه
قتله لما حسده فقد ذكر هذا المعنى ههنا ذكرا خفيا اذ قال ما ثبت فى الحق ومعنى
ذلك هو انه ما ثبت فى طريقة مقومة لانهم ما ثلبوه ثلبا متصلا بانه ليس هو من
الله قال ان هذا الثاب من هنالك هو لان ذلك المحال ولد الكذب أولا بقوله فى

ذلو

أي يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما فقد استعمل هذا الكذب أولا لان الناس
يستعملون الكذب لا كانه خاص ابهم وهذا المحال فيستعمله على انه خاص به
(٤٥) فانا لانى أقول صدقا ماتصدقونى وأى نظام هذا اذا ماتشكون منى
منسكرا وتريدون ان تقتلونى لانكم اذ أنتم أعداء الحق لهذا السبب تطردونى
فثم لم يكن طردكم اياى لهذا السبب لذكرتم زللى لانه لهذا السبب استثنى
بقوله (٤٦) من منكم يوبخنى على خطيئة ثم قال أولئك نحن ماولدنا من زنا على
ان كثيرين منهم ولدوا من زنا ولانهم اخترعوا مخالطات ليست واجبة الا انه
ماوبخ قولهم هذا لكنه انتصب مقابل ذلك القول لانه لما أوضح انهم ليسوا
من الله لكنهم من ابليس المحال من هذه الافعال كلها الان القتل شيطانى
والكذب شيطانى وقد عملتم أنتم هذين كليهما بين ان الحب هو علامة انه
موجود من الله فلم ماقد عرفتم كلامى لانهم لما تحيروا دائما اذ قالوا ماهو معنى
انه قال الى حيث انطلق أنا أنتم ماتقدرون ان تجيئوا لهذا المعنى قال ماقد عرفتم
كلامى لانكم ماقدملكتم قول الله وهذا المصاب يصيبكم لاجل جنوح
تمييزكم الى الاوهام الارضية ولان أقوالى أعظم الاقوال كثيرا فان قلت فاذا
عليهم ان كانوا ما استطاعوا ان يعرفوها أجبتك لفظة ماتقدرون هى ههنا لفظة
ماتريدون لانكم عملتم ذواتكم ان تكونوا ذللين لانكم ماتتصورون معنى
عظيما لانهم اذ قالوا انهم يطردونه كانهم قد اشتملتهم غيرة من أجل الله لهذا
السبب يرتاد فى كل موضع من كلامه أن يبين ان طردهم اياه هو فعل الماقتين
الله مضادا لجهلهم اياه فاذ قد عرفوا الله قالوا ان لنا أبا واحدا هو الله يتحملون من
هذه الاقوال من الكرامة ليس من فضائل احكمه وهذا فليس من ايثاركم
الا تؤمنوا بى يوجد أيضا دليلا على اننى غريب لكنه دليل على انكم لم تعرفوا
الله وهو علامة زوال ايمانكم وعلة ذلك انكم تريدون أن تكذبوا وتعملوا
أعمال ابليس المحال وهذا العمل يجعل نفسكم حقيرة على ماذكر بولس من انه

اذ يكون فيكم محك وحسد الستم محبين أنتم (قرنثية أولى ص ٣ ع ٣) لانه لماذا ماتستطيعون لانكم تريدون أن تعملوا شهوات أبيكم وقد اجتهدتم فيها وما حكتم أرأيت ان قوله ماتستطيعون اغماير يدبه ماتريدون لان ابرهيم ماعمل هذا العمل وان سألته وماهى أعمال ابرهيم لاجابك الخلق الانيس الوديع الخاضع القبول فانتم قد حصلتم بخلاف ذلك فصرتم جفاة قاسيين ولقائل ان يقول فمن أين مجس لهم أن يلتجئوا الى الله فجيبه انه أظهرهم قد عدموا ان يوجدوا موهابين لابرهيم فاذا رتادوا أن يهربوا من هذا التعيير صعدوا الى نسبة أعظم قدرا لانهم لما عيرهم بالقتل اخترعوا مثل حجة انهم ينتصرون لله فقالوا هذا القول فابان هو ان هذا العزم بعينه هو عزم المضادين لله ولفظة انه خرج من الله أظهر انه موجود من هنالك فقال خرجت يذكر وجوده ووروده الينا ذكرا مستورا اذ كان واجبا عندهم ان يقولوا انك تقول أقوالا غريبة باطلة اذ زعمت انك من الله جئت قال لهم على جهة الواجب انكم ماسمعتم أقوالى لانكم أنتم من ابليس الحال لان لم تقتلونى ما الذنب الذى يجب لكم ان تشكوه متى فان كان هذا ليس الذى ذكرت فلم لا تصدقونى فعلى هذه الجهة أظهرهم من تلقاء كذبهم وقتلهم موجودين من ابليس الحال وبين انهم غرباء من ابرهيم ومن الله * من مقتهم من لم يظلمهم ظلما من تلقاء انهم ماسمعوا أقواله وأوضح فى اعلى خطابه وأسلفه انه لم يكن ضد الله وانهم ليس لهذا السبب ما آمنوا به لكن لانهم كانوا مغتربين من الله * لان من لم يعمل خطية القائل عن ذاته انه جاء من الله وانه هو أرسله الناطق بالحق اذا تكلم الحق على هذا المثال الذى انتهى به الى ان استدعاهم كلهم الى توبيخه لم يؤمنوا به * فمن اوضح البيان ان الذين ما آمنوا به كانوا مجرمين

العظة الرابعة والخمسون

فى انه

في انه ينبغي لنا ان نختطف ليس الاشياء العالمية لكن ملك السموات

ان الخطايا من شأنها وفي طباعها ان تجعل نفسنا ذليلة * ولهذا السبب قال بولس اذ قد صرتم في استماعكم بطيئين * (عبرانيين ص ٥ ع ١١) لان أحدنا اذا لم يقدر ان يستحقر الاشياء التي في الارض فكيف يتفلسف في وقت من اوقاته في وصف النعم التي في السموات فلذلك أسالكم ان نعمل كل ما يمكنا حتى تتقوم عيشتنا حتى تتنقى سريرتنا حتى لا يصير عمل نجس مقتالاً لنا لانه قد قال انير والانفسكم نور المعرفة ولا تزرعوا على الشوك * لان من لم يعرف ان الاستغنام واستكثار القنية فعل ردى متى يعرف أعظم من ذلك ومن ليس يبتعد من مثل هذه الرذائل فني يتمسك بتلك الفضائل فالاختلاس عمل جيد لكن لا اختلاس الاشياء الهالكة لكن اختلاس ملك السموات * لانه قد قال ان المقتسرين يختطفونه * (متى ص ١١ ع ١٢) فليس يتفق لنا امتلاكه بتضجيع لكن انما يتجه لنا تحصيله بحرص شديد فان سألت من هم الذين يقتسرونه اجبتك هم الذين يوردون تكليفاً كثيراً لان الطريق ضيقة وتحتاج الى نفس شجاعة جليدة فالذين يختلسون يريدون ان يسبقوا كل أصحابهم ولا ينظرون الى شئ لا الى مذمة ولا الى سعاية ولا الى عقوبة * لكنهم يتمسكون بفعل واحد وحده بان يستلبوا ما يرتادون اختلاسه ويتجاوزون جميع الذين قدامهم * لنختطفن اذا ملك السموات لان الاختطاف ههنا ليس يوجد زللاً لكنه يفيد مديحاً واذا لم نختطفه فذلك زلل وايسارنا ههنا فليس يصير من خسارة غيرنا فلنجتهدن ان نختطفه وان أذا ناغضبنا وان ازعجتنا شهوتنا فلنكافن طبيعتنا ونقتسرها ونصير ألطف استئناساً واوفر رفقاً فلننعطبن يسيراً النستريح دائماً لا تختطفن ذهباً لكن اختطف ايساراً يوضع الذهب طيناً وحمأة * فقل لي لو وضع لديك رصاص وذهب اما كنت تختطف اليس من اوضح البيان انك كنت تختطف الذهب ثم حيث يعاقب الخاطف

تكرم الصنف الاعظم المخطوف وحيث يكرم المختلس تدفع الصنف الاعظم
لان لو كان الاختطاف يفيد ان تهذيبا أفما كنت تجيء الى هذا الصنف باوفر
حرصك فليس يوجد ههنا فعل هذه الصفة صفته لكنه فعل مطلوب فان قلت
فكيف ينساغ لي اختطاف ملك السموات اجبتك اطرح ما يوجد في يديك *
لانك مادمت تتمسك به ما يمكنك ان تختلس ذلك الملك * لان تفطن لي في رجل
يمتلك يديه مملوتين فضة هل يمكنه مادام ضابطا تلك الفضة ان يسلب بهما ذهبا
ان لم يطرح الفضة ويصير محلولا من التمسك بها الان الخاطف ينبغي ان يكون
متشمرا حتى لا ينضبط لان قوات من الجن ضدية توجد الآن محاضرة وراءنا
ليستلبونا لكن ينبغي لنا ان نهرب منهم محاضرين ولا نهب من خارجنا ولا عيبا
واحدا ولا زللا فلنقطع حبالهم ولنصر عراة من أشياء الدنيا وأحوالها *
ما حاجتنا الى الثياب من القز الى متى نعيد التماس هذا الضحك الى متى ندفن
الذهب وقد أردت ان أكف من تكرير هذه الاقوال دائما الا انكم
ماتتركونني اذ تصدرون لي دائما أسباب الكلام وموضوعاته * لكن فلنبتعد
الآن من هذه الاسباب * لنعلم في طريقتنا اناسا آخرين * ليتفق لنا امتلاك
النعم الصالحة التي وعدناها بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفه الذي به معه
لابيه المجد مع الروح القدس الآن ودائما والى أباد الدهور كلها آمين

المقالة الخامسة والخمسون

في قوله (٤٨) فاجابه اليهود افليس على جهة
الواجب نقول انك سامري أنت وتشتمل شيطانا
٤٩ اجاب يسوع وقال انا لست اشتمل شيطانا
لكنني أكرم الاب

ان

ان الرذيلة لوقاحة عاتية واذا وجب ان تفوص وتستتر حينئذ تتنمر اكثر وهذا
العارض فقد عرض لليهود لان واجبا كان عليهم ان يتخشعوا لما قيل لهم
ويتندموا مستعجبين مجاهرة القائل ونظام أقواله لكنهم شتموه ودعوه سامريا
وسموه متشيطنا وقالوا أليس على جهة الصواب قلنا انك سامرى أنت وتشتمل
شيطانا لانه اذ قال لهم قولا عاليا يظن قوله جنونا عند الزائل حشهم جدا على
ان البشير ما قال بجهة من الجهات فيما سلف انهم سموه سامريا لكن من هذا
القول دفعات شتى قالوا اتشتمل شيطانا مع ان من يشتمل شيطانا لا يكرم الله لكن
من يشتم مكرمه فقال لهم المسيح عنصر الوداعة والدعة أنا لست اشتمل شيطانا
لكنني أكرم مرسلى لان بحيث يجب ان يعلمهم وينتزع صلفهم الجزيل ويعلمهم
ان لا يفتخروا بابرهيم افتخارا عظيما كان كلامه باشد مجاهرة وحيث شتموه وجب
ان يحتملهم استعمل في خطابه وداعة كثيرة لانهم حين قالوا اننا قد امتلكنا
الله أبا وابرهيم لذعهم في كلامه لذعا شديدا وحين دعوه متشيطنا استعمل كلامه
متذللا متخافضا * يعلمنا ان نتنصر لما يصل الى الله * وان نتغافل عما يصل
الينا * وقال (٥٠) أنا لست أطلب الشرف الذى لى * فبقوله هذه الاقوال
أراهم ان ليس واجبا لكم الموجودين قاتلين الناس ان تسموا الله
أبا لكم * فمن هذه الجهة قلت هذه الاقوال بالتكريم الواصل الى الله ولا لاجله
أسمع منكم هذه المسبات * ومن أجله تسبوننى الا اننى ليس يحصل لى من
مسبتكم هذه ولا صنف من ألم لانكم قد أوجبتم عليكم عند الله الذى لاجله
أسمع الآن هذه الاقوال عقوبات شتائمكم * أنا لست أطلب الشرف الذى
لى ولهذا السبب أهمل ان أعاقبكم وانعطف الى وعظكم وتنبيهكم وأشير
عليكم ان تعملوا هذه الاعمال التى منها ليس من شأنكم ان تنفلتوا من العقوبة
فقط لكنكم مع ذلك يتفق لكم امتلاك الحياة الدهرية (٥١) حقا حقا
أقول لكم ان حفظ أحدكم قولى فليس يعاين موتا الى الدهر * فههنا ليس

يذكر الامانة فقط ولكن يذكرمعها العيشة النقية * وقد قال فوق هذا
الموضع يمتلك حياة دهرية * وقال ههنا أنه ما يبصر موتا * ويذكر مع ذلك ذكرا
خفيا انهم ما يقتدرون ان يعملوا بدونه شيأ * لانه ان كان من يحفظ قوله ليس يموت
فالبق واوجب الا يموت هو فلما عرفوا هم هذا القول قالوا (٥٢) الآن
قد عرفنا انك تشتمل شيطانا * ابرهيم قد مات والانبياء قد ماتوا * ومعنى ذلك
هو ان الذين قد سمعوا قول الله قد ماتوا فالذين يسمعون قولك ما يموتون (٥٣)
العلك أنت أعظم من ابرهيم أبينا ترحا للشرف الفارغ هاهم أيضا يلتجئون
الى مجانسته على انه قد كان لائقا ان يقولوا ألعلك أنت أعظم من الله أولعل
الذين يسمعون قولك أعظم من ابرهيم الا انهم ما قالوا هذا القول * اذ كانوا قد
ظنوا انه أدنى محلا من ابرهيم * ففى الاول قد أظهرهم قاتلى الناس وأخرجهم
بهذه العجيبة من مجانسة ابرهيم فلما لبثوا يحيلون بحيلة أخرى أراهم انهم
يتعبون اتعابا قد زال انتفاعهم بها * وما خاطبهم فى ذكر الموت خطابا ولا كشف
لهم ولا ذكر لهم أى موت يعنى * الا انه حقق عاجلا انه أفضل من ابرهيم لهو
ليستميلهم بهذا اللفظ اليه * كانه قال وان كنت أنا أدنى محلا منه فقد
وجب على ان أموت * وما قد ظلمتكم ظلما * فاذا كنت أقول صدقا ولست
امتلك ولا خطية واحدة وأنا مرسل من الله وأفضل من ابرهيم فكيف اذا
أردتم قتلى ما تكونون قد جنيتم وقد تعبتم تعبا قد زال الانتفاع به فاولئك قالوا
الآن علمنا انك تشتمل شيطانا * الا ان السامرية ما قالت هذا القول * لانها
ما قالت تشتمل شيطانا لكنها قالت هذا القول فقط ألعلك أنت أعظم من
يعقوب أبينا (يوحناص ٤ ع ١٢) ولعمرى ان هؤلاء كانوا شتومين
متمردين وتلك أرادت ان تعرف من هو * فلذلك صيرت واجبته يتحفظ واجب
ودعته وبالان من وعدها باعظم من مطلوبها بكثير وكان مؤهلا لتصديقه
ما وجب ان تشتمه * لكنها استوجب عندها ان تستجيبه * وهؤلاء فسموه

متشيطنا

هتشيطنا * فتلك الاقوال كانت أقوال السامرية لما تحيرت واشتبه عليها حاله وهذه كانت أقوال الكفار الملتوين فقالوا ألعلك أنت أعظم من ابرهيم أبينا فن هذه الجهة يجعله قولهم هذا عند سامعه انه أعظم من ابرهيم * فاذا رأيتموه خارجا من قبره أقررتم انه أعظم منه هو * فلذلك قال اذا رفعتمونى ستعرفون حينئذ ذاتى أنا هو * وانظر الى فهمه السامى أفصاهم أولا من مجانسة ابرهيم وأوضح ذاته انه أعظم منه لكى من كثرتهم عوه يبصرونه عظيما أعظم من الانبياء لانهم اذ كانوا يدعونه دائما نبيا لاجل أقوالهم هذه قال كلامى ليس يدخل فيكم فهنالك قال انه يقيم الموتى وههنا قال ان من يؤمن بى ليس يبصر موتا الى الدهر * (يوحناص ٥ ع ٢١) وهذا كان أعظم بكثير من ان لا يسمح ان ينضبط فى الموت ولذلك تغمر غيظهم عليه تغمراشديدا فقالوا من تجعل ذاتك وهذا فقالوه على سبيل السبلة أنت تهب لذاتك هذه المنزلة فاجاب المسيح نحو قولهم هذا (٥٤) ان كنت أنا أشرف ذاتى فتشريفى ليس هو شيأ فما الذى يقوله ههنا أصحاب بدع هواهم فى الدين قد سمع ألعلك أنت أعظم من ابرهيم أبينا وما وثق بهم ان يقول لهم نعم * لكنه يجعل كلامه محتجبا * فان استخبرونا فهل تشريفه ليس هو شيأ نقول لهم عند أولئك ليس هو شيأ لانه كما قال شهادتى ليست هى صادقة عند ظن أولئك فكذلك قال ههنا تشريفى ذاتى ليس هو شيأ عند ظن أولئك وقد يوجد من يمجدنى * فان قلت ولم ما قال أبى الذى أرسلنى يمجدنى أجبتك كانه قال فهو الذى قد قلتم أنتم انه الهكم هو وما قد عرفتموه * لانه شاء ان يريهم انهم ليسوا ما عرفوا فقط لكنهم مع ذلك ما قد عرفوا الههم وأنا أعرفه * فيجب من ذلك ان ليس قوله أنا أعرفه هو تفخيم ومفاخرة لكن قوله انه ما يعرفه هو كذب * فانتم اذ قلتم انكم تعرفونه فقد كذبتم * فكما انكم أنتم اذا قلتم انكم تعرفونه فقد كذبتم فكذلك اذا قلت أنا اننى لست أعرفه فقد كذبت * ان كنت أمجد أنا ذاتى لانهم لما قالوا من تجعل ذاتك قال ان كنت أنا اخترع

التشريف لى فتشريفى ليس شيأ فكما اننى أنا أعرف ذاتى معرفة بليغة فكذلك أنتم تجهلون أبى * فكما انه لما ذكر ابرهيم ما بطل المطلوب كله لكنه قال قد عرفت انكم نسل ابرهيم * لكى يجعل ثلبهم أعظم لذا فكذلك ههنا ما حذف المعنى كله لكنه قال الذى قد قلتم أنتم * فاذ خول مفاخرتهم باقوالهم جعل ذلهم أعظم تأثيرا فان قلتم كيف ما قد عرفناه أجبتكم لانكم قد شتمتم من قال وعمل كل عمله من أجله حتى يشرفه مع ان ذاك أرسله لكن هذا القول قد عدم ان يكون مشهودا له الا ان القول الذى يتلوه يتقنه وهو (٥٥) وأنا أحفظ قوله فلو كانوا امنا لكوا ههنا قولا لكان قد أمكنهم ان يطعنوا عليه لان لفظة ارسال الاب اياه كانت برهانا عظيما (٥٦) ابرهيم أبوكم ابتهج لينظر يومى فعرفه وفرح * فقد أظهرهم متغربين من ذلك وان كان ذاك فرح لهذه الاشياء توجع هؤلاء لها * فعلى حسب ظنى ان اليوم الذى ذكره ههنا كان يوم صلبه الذى تقدم فرسمه فى تقريب الكبش وفى تقديم اسحق * فقال له أولئك (٥٧) ما وصلت بعد الى أربعين سنة وقد رأيت ابرهيم فعلى هذا النحو يوجد المسيح قريبا من أربعين سنة فقال لهم (٥٨) أنا موجود قبل ان يكون ابرهيم (٥٩) فتناولوا حجارة ليطرحوها عليه * أرأيت كيف أتقن لفظه انه أعظم من ابرهيم لان من فرح لينظر يومه وجعل ذلك فخرا وصاعليه عنده فمن أوضح البيان انه قد فرح لينظر الاحسان الكائن على انه أعظم منه * لانهم لما دعوه ابن النجار وما تخيلوا فيه وهما أكثر من ذلك صاعدهم قليلا قليلا الى معنى عال رفيع وحين سمعوا منه انكم ما قد عرفتم الله ما توجعوا لذلك ولما سمعوا أنا موجود قبل ان يكون ابرهيم تمرغيظهم عليه ورجموه * من طريق انه جعل شرف حسبهم ذليلا * قال فعرف يومى وفرح * فقد بين انه ما جىء الى التألم كارها ان كان يمدح المسرور بصلبه لان هذا الصليب كان خلاص المسكونة فرجموه بحجارة * فعلى هذا المثال كانوا متسومين للقتل وبذواتهم كانوا يعملون هذه

الافتعال

الاعمال وما يستحقون وهما * فان قلت ولم ما قال أنا كنت قبل ان يكون ابرهيم لكنه قال أنا موجود قبل ان يكون ذلك أجبتك كما ان أباه يستعمل لفظة أنا موجود فكذلك استعملها هو * لان هذه اللفظة دالة على الحال الدائمة مخلصة من كل زمان ولهذا السبب ظنت عندهم هذه اللفظة انها توجد تجديفا * فان كانوا ما احتملوا مقايسة ذاته بابرهيم على انها قد كانت صغيرة فلو كان عادل ذاته دائما بابيه هل كانوا كفوا عن رجمه ثم هرب أيضا هربا انسانيا واستخفى * واذ استودع عندهم تعليما كافيا جزيلا وتمم أقواله خرج من الهيكل وانصرف الى شفاء الاعمى محققا باعماله انه قبل ابرهيم * ولعل قائلا يقول فلم ما حال قوتهم لانهم على هذه الجهة كانوا قد آمنوا به * فنقول له انه شفى مخلعا وما آمنوا به وقد اجترح آياتا أخرى جزيلا عددها وفي حين تألمه بعينه ألقاهم طريحين على ظهورهم وأظلم أبصارهم وما آمنوا به فكيف كانوا يؤمنون لو كان حال قوتهم لان ليس شئ أشر من نفس مكابرة عديمة ان تكون متندمة لو أبصرت آياتا أو رأت جرائح تبقى حاوية وقاحتها بعينها * وبيان ذلك ان فرعون اذا اقتبل ضربات جزيلا عددها كان يرتدع اذا عوقب فقط ولبث هذا الحال حاله الى اليوم الاخير من أيامه مضطهدا الذين أطلقهم * فلهذا المعنى قال بولس فى أعلى كلامه وأسلفه لا تغشين أحدكم خدعة خطيته * (عبرانيين ص ٣ ع ٨) وكما ان أركان جسدنا وعمده اذا ماتت ما تملك فيما بعد ولا حسا واحدا فكذلك نفسنا اذا انضبطت بامراض عزم كثيرة تموت عن السعي الى الفضيلة فلو قدمت لها مهما قدمت ما تحس به حسا لكنك ان هولت عليها بعقوبة أو توعدتها بمهما كان من المخوف تلبث عادمة ان تتوجع أو تخشع

العظة الخامسة والخمسون

فى ذم الحسد وانه يجب علينا ان نفرح مع الذين يكرمهم الله وان نتوجع مع

الذين يقاسون المكروه ولو كان الله يعاقبهم به

فلذلك انضرع اليكم ان نعمل كل ما يمكنا مادمنا نملك امال خلاصنا ومادمنا نقتدر ان نرجع وذلك ان الذين قد عدموا ان يكونوا متوجعين متندمين حالهم حال مدبرى السفن الموئسين من خلاصهم الذين يدفعون سفينتهم الى اعصاف الرياح ومايصدرون من انفسهم حيلة يحتالون بها فكذلك هولاء يعملون فيما بعد لان الحاسد انما ينظر الى شئ واحد فقط الى ان يتم شهواته ويصير متمكنا فى هذا الداء وحده ولو استأنف ان يعاقب * ولو شارف ان يقتل فهذه الحال حال الفاسق ومحب القنيات * فان كان غصب امراض هو انا هذا المقدار مقداره فاولى وأليق ان يكون اغتصاب الفضيلة هذا المبلغ الجزيل مبلغه * ولئن كنا نتهاون بموتنا لاجل تلك الرذيلة فاليق بنا كثيرا ان نتهاون به لاجل الفضيلة * ولئن كان أولئك يستحقرون أنفسهم فاولى بنا وأليق اننا نحتاج ان نعمل هذا العمل لاجل خلاصنا * لان ماهو الاحتجاج الذى يكون لنا اذا كان الهالكون يجتهدون هذا الاجتهاد من أجل كلامهم ولا نظهر نحن من أجل خلاصنا حرصا جزيلا على هذا النحو تقديره لكننا نلبث دائما ذائبين بحسدنا لان ليس داء أشر من داء الحسد من شأنه لكى يهلك غيره يهلك ذاته معه * عين الحاسد تذوب بالحزن يعيش بموت دائم يحتسب كل الناس الذين ماظلموه ظلما أعداء * يتوجع لان الله يكرم * يفرح بكلما يفرح ابليس الحال به * فلان قد أكرم عند الناس الان هذه ليست كرامة فلا تحسده * لكنه عند الله قد أكرم فائله وصر شبيها به * لكنك ماتريد فما رأيك فى ان تهلك ذاتك ماغرضك فى ان تطرح ماهولك اما تقدر ان تصير عديلا لذاك ولا تستمد عزما جيدا فما بالك تتخذ عزما رديا قد كن واجبا ان تفرح معه لكى ان كنت ماتستطيع ان تشارك اتعابه تربح من سرورك معه * لان عزمنا واختيارنا يكفينا فى جهات كثيرة فى اختراعه لنا احفاظا الحاعظيما *

فقد

فقد قال حزقيال لهذا السبب عوقب أهل مواب بسبب شماتتهم لبنى اسرائيل (حزقيال ص ٣٥ ع ١٢) واستخلص أناس غيرهم لانهم تحسروا لبلايا ونوائب أناس آخرين * فان يكن توجد تسلية نافعة للذين يتحسرون لافات أناس آخرين ومصائبهم فاليق وأوجب ان يوجد للذين يلتذون ويسرون بكرمات أناس آخرين تسلية نفيسة * فقد شكى أهل مواب لانهم شمتوا بالاسرائيليين على ان الله عاقب بنى اسرائيل * الا انه ليس يشاء اذا عاقب هو قوما ان نشمت نحن بالذين عوقبوا الا نه هؤلاء يشاء ان يعاقبهم * فان كان يجب علينا ان نتوجع للذين عوقبوا فاليق بنا وأوجب ان لا نحسد الذين قد أكرموا * فعلى هذه الجهة هلك قورح وأيضا داثان وشيعتهما اذ صيروا الذين حسدوهم أبهى حالا ودفعوا ذواتهم الى العقوبة * لان الحسد وحش نافث سما وحش نجس ورذيلة اختيارنا لن تمتلك عفوا رذيلة عديمة الاعتذار علة الافعال الردية كلها وأمها * فلذلك ينبغى لنا ان نقتلع أصله ونستأصله لكى نخلص من النوائب الردية الحاضرة * ويتفق لنا امتلاك النعم الصالحة المأمولة المستأنفة * بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفه الذى به ومعه لابيه المجد مع الروح القدس الآن ودائما والى أباد الدهور أمين

تم الجزء الاول ويليه الجزء الثانى
أوله المقالة السادسة والخمسون

